تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد
محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي
علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الحادي عشر

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير القرآن العظيم

تفسير سورة الروم

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾

نزلت[١] هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس علىٰ بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم ، واضطر هرقلَ ملك الروم حتىٰ ألجأه إلىٰ القسطنطينية ، وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتي .

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - في قوله تعالىٰ : **﴿ الم * غلبت الروم في أدنىٰ الأرض ﴾** ، قال : غُلبت وغَلَبت . قال : كان المشركون يحبون أن تظهر فارس علىٰ الروم ، لأنهم أصحاب أوثان ، وكان[٢] المسلمون يحبون أن تظهر الروم علىٰ فارس ، لأنهم أهل كتاب ، فذكر ذلك لأبي بكر ، فذكره أبو بكر لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« أما إنهم سيغلبون »** . فذكره أبو بكر لهم ، فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلًا ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا . فجعل أجلًا[٣] خمس سنين ، فلم يظهروا ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فقال : **« ألا جعلتها إلىٰ دُون - أراه قال - : العشر »** . قال سعيد بن جبير : البضع مادون العشر . ثم ظهرت الروم بعد ، قال : فذلك قوله : **﴿ الم * غلبت الروم في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين للّٰه الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ**

---

(١) المسند (١/٢٧٦) ، وسنن الترمذي حديث (٣١٩٣) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٨٩) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ، ز : « رجل » .

يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .

هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعًا عن الحسين بن حريث ، عن معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان بن سعيد الثوري به .

وقال الترمذي : حسن غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب ،

ورواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن إسحاق الصاغاني[١] ، عن معاوية بن عمرو ، به .

ورواه ابن جرير(٢) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا [محمد بن أسعد - أو[٢] سعيد - التَّغْلَبِيّ الذي يقال له أبو سعيد[٣]][٤] من أهل طرسوس - حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، فذكره . وعندهم : قال سفيان : فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر .

(حديث آخر) : قال سليمان بن مهران الأعمش : عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : خمس قد مضين : الدخان واللزام والبطشه والقمر والروم . أخرجاه(٣) .

وقال ابن جرير(٤) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر - هو الشعبي - عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال : كانت فارس ظاهرة علىٰ الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس علىٰ الروم . وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم علىٰ فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلىٰ دينهم ، فلما نزلت : **﴿ الم * غلبت الروم . في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾** ، قالوا : يا أبا بكر ، إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر علىٰ فارس في بضع سنين ؟ ! قال : صدق . قالوا : هل لك إلىٰ أن نقامرك : فبايعوه علىٰ أربع[٥] قلائص إلىٰ سبع سنين ، فمضت السبع ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك وشق علىٰ المسلمين ، فذُكر ذلك للنبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **ما بضع السنين[٦] عندكم** ؟ » قالوا : دون العشر . قال : « **اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل** » . قال : فما[٧] مضت السنتان حتىٰ جاءت الركبان بظهور الروم علىٰ فارس ، ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله : **﴿ الم * غلبت الروم ﴾** ، إلىٰ قوله : **﴿ لا يخلف الله وعده ﴾** .

(٢) تفسير الطبري (١٢/٢١) .
(٣) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٧) ، وصحيح مسلم حديث (٢٧٩٨) .
(٤) تفسير الطبري (١٤/٢١) .

[١] - في ز : « الصنعاني » .
[٢] - في ز ، خ: « أبو » .
[٣] - في ز ، خ: « أسعد » .
[٤] - المثبت من تهذيب الكمال (٤٢٩/٢٤) .
[٥] - في ز ، خ: « أربعة » .
[٦] - في ت : « سنين » .
[٧] - في ز ، خ: « ما » .

(حديث آخر) : قال ابن أبي حاتم(٥) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي[١] ، حدثنا مؤمل ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : ﴿ **الم * غلبت الروم . في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾ ، قال المشركون لأبي بكر : ألا ترىٰ إلىٰ ما يقول صاحبك ؟ يزعم أن الروم تغلب فارس ! قال : صدق صاحبي . قالوا : هل لك أن نخاطرك ؟ فجعل بينه وبينهم أجلًا ، فحل الأجل قبل أن تغلب الروم فارس ، فبلغ ذلك النبي صلىٰ الله عليه وسلم فساءه ذلك وكرهه ، وقال لأبي بكر : « **ما دعاك إلىٰ هذا ؟** » . قال : تصديقًا لله ولرسوله . فقال : « **تَعَرَّض لهم وأعظم الخَطَر ، واجعله إلىٰ بضع سنين** » . فأتاهم أبو بكر فقال لهم : هل لكم في العود ، فإن العود أحمد ؟ قالوا : نعم . فلم تمض تلك السنين حتىٰ غلبت الروم فارس ، وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية ، فجاء به أبو بكر إلىٰ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال : هذا السحت ، قال : « **تصدق به** » .

(حديث آخر » : قال أبو عيسىٰ الترمذي(٦) : حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا إسماعيل ابن أبي أويس ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن عروة بن الزبير ، عن نِيار بن مُكرم الأسلمي قال : لما نزلت ﴿ **الم * غلبت الروم * في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين** ﴾ ، وكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين[٢] للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور[٣] الروم عليهم ، لأنهم وإياهم أهل كتاب ، وفي ذلك قول الله : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس ؛ لأنهم وإياهم ليسوا أهل[٤] كتاب ولا إيمان يبعث ، فلما أنزل الله هذه الآية ؛ خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة : ﴿ **الم * غلبت الروم . في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين** ﴾ ، قال ناس من قريش لأبي بكر : فذاك بيننا وبينك ، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك علىٰ ذلك ؟ قال : بلىٰ - وذلك قبل تحريم الرهان - [فارتهن أبو بكر والمشركون ، وتواضعُوا الرهان][٥] ، وقالوا لأبي بكر : كم تجعل البضع ؟ ثلاث سنين إلىٰ تسع[٦] سنين فَسمّ[٧] بيننا وبينك وسطًا ننتهي إليه . قال : فسموا بينهم ست سنين . قال :

(٥) ورواه أبو يعلى في المسند الكبير ، كما في المطالب (٥/٩) من طريق إبراهيم بن محمد بن عرعرة ، عن المؤمل بنحوه ، وقال البوصيري في الإتحاف : « له شاهد من حديث نيار بن مكرم رواه الترمذي » . وهو الآتي بعده .
(٦) سنن الترمذي حديث (٣١٩٤) .

[١] - في ز ،خ : « الركيعي » .
[٢] - في ز ، خ: « قاهرون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ.
[٤] - في ت : « بأهل » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ ، ز : « سبع » .
[٧] - في ز ، خ: « قم » .

فمضت [السنين الست][١] قبل أن يظهروا ، فأخذ المشركون رهن أبي بكر ، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم علىٰ فارس ، فعاب المسلمون علىٰ أبي بكر تسمية[٢] ست سنين . قال : لأن اللّٰه قال : ﴿**في بضع سنين**﴾ . قال : فأسلم عند ذلك ناس كثير .

هكذا ساقه الترمذي ثم قال: هذا حديث حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد، وقد روي نحو هذا مرسلًا عن جماعة من التابعين ، مثل: عكرمة ، والشعبي ، ومجاهد ، وقتادة، والسدي ، والزهري ، وغيرهم .

ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الإمام سُنيد بن داود في تفسيره حيث قال (٧) : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد اللّٰه ، عن عكرمة قال : كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرىٰ فقال : إني أريد أن أبعث إلىٰ الروم جيشًا وأستعمل عليهم رجلًا من بنيك فأشيري عليّ ، أيّهم أستعمل ؟ فقالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صقر . وهذا فرخان ، وهو أنفذ من سنان . وهذا شهربراز وهو أحلم من كذا - تعني أولادها الثلاثة - فاستعمل أيهم شئت . قال : فإني قد استعملت الحليم . فاستعمل شهربراز فسار إلىٰ الروم بأهل فارس ، فظهر عليهم فقتلهم ، وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم .

قال أبو بكر بن عبد اللّٰه : فحدثت هذا[٣] الحديث عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت . لا ، قال : أما إنك لو رأيتها لرأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع . فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته .

قال عطاء الخراساني: حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلًا يدعى بطنة[٤] بجيش من الروم ، وبعث كسرىٰ شهربراز فالتقيا بأذرعات وبُصرىٰ ، وهي أدنىٰ الشام إليكم ، فلقيت فارس الروم ، فغلبتهم فارس . ففرحت بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون .

قال عكرمة : ولقي المشركون أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارىٰ أهل كتاب ، [ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس علىٰ إخوانكم من أهل الكتاب][٥] ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنَّ عليكم . فأنزل اللّٰه : ﴿ **الم * غلبت الروم . في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين للّٰه الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر اللّٰه ينصر من يشاء** ﴾ فخرج أبو بكر الصديق إلىٰ

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١٣/٢١) من طريق سنيد به .

[١] - في ت : « ست السنين » .
[٢] - في ز ، خ: « قسمته » .
[٣] - في ت : « بهذا » .
[٤] - في ت : « قطمة ».
[٥] - سقط من ز ، خ .

الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم علىٰ إخواننا ، فلا تفرحوا . ولا يُقرّن الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الله[١] الروم علىٰ فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلىٰ الله عليه وسلم . فقام إليه أبيّ بن خلف فقال : كذبت يا أبا فضيل . فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله . قال[٢] : [أناحِبُكَ][٣](*) عشر قلائص مني وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم علىٰ فارس غَرِمتُ وإن ظهرت فارس غرمتَ إلىٰ ثلاث سنين . ثم جاء أبو بكر إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت ، إنما البضع ما بين الثلاث إلىٰ التسع . فزايده في الخَطَر[٤](**) وماده في الأجل . فخرج أبو بكر فلقي أبيًا فقال : لعلك ندمت ؟ فقال : لا ، تعالىٰ أزايدك في الخَطَر وأمادك في الأجل ، فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص إلىٰ تسع سنين . قال : قد فعلت . فظهرت الروم علىٰ فارس قبل ذلك ، فغلبهم المسلمون .

قال عكرمة : لما أن ظهرت فارس علىٰ الروم ، جلس فرخان يشرب - وهو أخو شهربراز - فقال لأصحابه : لقد رأيت كأني جالس علىٰ سرير كسرىٰ . فبلغت[٥] كسرىٰ فكتب إلىٰ شهربراز : إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان . فكتب إليه : أيها الملك ؛ إنك لن تجد مثل فرخان . له نكاية[٦] وصوت في العدو ، فلا تفعل . فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفًا منه ، فعجّل إلي برأسه . فراجعه ، فغضب كسرىٰ فلم يجبه ، وبعث بريدًا إلىٰ أهل فارس : إني قد نزعت عنكم شهربراز ، واستعملت عليكم فرخان . ثم دفع إلىٰ البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال : إذا ولي فرخان الملك ، وانقاد له أخوه ، فأعطه هذه[٧] . فلما قرأ شهربراز الكتاب قال : سمعًا وطاعة ، ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع إليه الصحيفة قال : ائتوني بشهربراز ، وقدّمه ليضرب عنقه ، قال : لا تعجل حتىٰ أكتب وصيتي ، قال : نعم . فدعا بالسَّفط[٨](***) فأعطاه [ثلاث صحائف][٩] وقال : كل هذا راجعت فيك كسرىٰ ، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد . فرد الملك إلىٰ أخيه شهربراز وكتب شهربراز إلىٰ قيصر ملك الروم : إن لي إليك حاجة لا تحملها البُرُد ولا تحملها الصّحف ، فالقني ولا تلقني إلا في خمسين روميًا ، فإني ألقاك في خمسين فارسيًا . فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي ، وجعل يضع[١٠] العيون بين يديه في

(*) ناحب فلانًا : راهنه .

(**) الخطر : الرهان .

(***) السفط : وعاء من قضبان الشجر ونحوها ، توضع فيه الأشياء ، كالفاكهة ونحوها وهو يشبه الجوالق أو القفة .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ت : فقال .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز: « أناجيك » .

[٤] - في ز ، خ : « الحضر » .

[٥] - في خ : « فغلبت » .

[٦] - في ز ، خ: « مكانه » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « بالسقط » .

[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « الصحائف » .

[١٠] - سقط من : خ ، ز .

الطريق ، وخاف أن يكون قد[١] مكر به ، حتىٰ أتاه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلًا . ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين ، فدعيا تَرْجمَانًا بينهما ، فقال شهربراز : إن[٢] الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا ، وإن كسرىٰ حَسَدنا ، وأراد أن أقتل أخي فأبيت ، ثم أمر أخي أن يقتلني . وقد خلعناه[٣] جميعًا فنحن نقاتله معك . قال : وقد[٤] أصبتما. ثم أشار أحدهما إلىٰ صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا . قال : أجل. فقتلا الترجمان جميعًا بسكينيهما، فأهلك الله كسرىٰ، وجاء الخبر إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح والمسلمون معه .

فهذا سياق غريب ، وبناء عجيب . ولنتكلم علىٰ كلمات هذه الآيات الكريمة :

فقوله تعالىٰ : ﴿ **الم * غلبت الروم** ﴾ ، قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور ، في أول سورة البقرة ، وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم : بنو الأصفر . وكانوا علىٰ دين اليونان ، واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك . وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ، ويقال لها : المتحيرة ، ويصلون إلىٰ القطب الشمالي ، وهم الذين أسسوا دمشق ، وبنوا معبدها ، وفيه محاريب إلىٰ جهة الشمال ، فكان الروم علىٰ دينهم إلىٰ بعد مبعث المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة ، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له : قيصر . فكان أول من دخل في دين النصارىٰ من الملوك قسطنطين بن قسطس ، وأمه مريم الهيلانية الشدقانية من أرض حران ، كانت قد تنصرت قبله ، فدعته إلىٰ دينها ، وكان قبل ذلك فيلسوفًا ، فتابعها - يقال : تَقِيَّة - واجتمعت به النصارىٰ ، وتناظروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس ، واختلفوا اختلافا منتشرًا متشتتًا لا ينضبط ، إلا أنه اتفق من جماعتهم ثلاثمائة وثمانيةَ عشرَ أسقفًا ، فوضعوا لقسطنطين العقيدة ، وهي التي يسمونها : الأمانة الكبيرة ، وإنما هي الخيانة الحقيرة ، وضعوا له القوانين - يعنون كتب الأحكام- من تحليل وتحريم وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، وغيَّروا دين المسيح عليه السلام ، وزادوا فيه ونقصوا منه . وصلوا إلىٰ المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد ، وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير ، واتخذوا أعيادًا أحدثوها ، كعيد الصليب والقداس ، والغطاس ، وغير ذلك من البواعيث والشعانين(*) ، وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ، ثم المطارنة ، ثم الأساقفة ، والقساقسة ، ثم الشمامسة . وابتدعوا الرهبانية . وبنىٰ لهم الملك الكنائس والمعابد ، وأسس المدينة المنسوبة إليه وهي القسطنطينية ، يقال : إنه بني في أيامه اثنىٰ عشر ألفَ كنيسة ، وبنىٰ بيت لحم بثلاثة[٥] محاريب ، وبنت أمه القمامة ، وهؤلاء هم الملكية ، يعنون الذين هم علىٰ

(*) الشعانين : عيد النصارى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفِصح ، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ز ، خ: « خلعنا » .
[٤] - في ت : وقد .
[٥] - في ز،خ : « بثلاث » .

دين الملك .

ثم حدثت بعدهم اليعقوبية أتباع يعقوب الإسكاف . ثم النسطورية أتباع[١] نسطورا ، وهم فرق وطوائف كثيرة ، كما قال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **إنهم افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين فرقة** » (٨) . والغرض إنهم استمروا علىٰ النصرانية ، كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده . حتىٰ كان آخرهم هرقل ، وكان من عقلاء الرجال ، ومن أحزم الملوك وأدهاهم ، وأبعدهم غورا وأقصاهم رأيا ، فتملَّك عليهم في رياسة عظيمة وأبهة كبيرة ، فناوأه كسرىٰ ملك الفرس ، ومَلك البلاد كالعراق وخراسان والرّي ، وجميع بلاد العجم ، وهو سابور ذو الأكتاف ، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر ، وله رياسة العجم وحماقة الفرس ، وكانوا مجوسًا يعبدون النار .

فتقدم عن عكرمة أنه بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه ، والمشهور أن كسرىٰ [غزاه بنفسه][٢] في بلاده فقهره وكَسَره وقصره ، حتىٰ لم يبق معه سوىٰ مدينة قسطنطينية ؛ فحاصره بها مدة طويلة حتىٰ ضاقت عليه وكانت النصارىٰ تعظمه تعظيمًا زائدًا ، ولم يقدر كسرىٰ علىٰ فتح البلد ، ولا أمكنه ذلك لحصانتها ، لأن نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر ، فكانت تأتيهم الميرة والمَدَد من هنالك . فلما طال الأمر دبر قيصر مكيدة ، ورأىٰ[٣] في نفسه خديعة ، فطلب من كسرىٰ أن يقلع عن بلاده علىٰ مال يصالحه عليه ، ويشترط عليه ما شاء . فأجابه إلىٰ ذلك ، وطلب منه أموالًا عظيمة لا يقدر عليها أحد[٤] من ملوك الدنيا ، من ذهب ، وجواهر ، وأقمشة ، وجوار[٥] ، وخدام ، وأصناف كثيرة . فطاوعه قيصر ، وأوهمه أن عنده جميع ما طلب ، واستقل عقله لما طلب منه ما طلب ، ولو اجتمع هو وإياه لعجزت قدرتهما عن جمع عُشره ، وسأل [من][٦] كسرىٰ أن يُمكنه من الخروج إلىٰ بلاد الشام وأقاليم مملكته ، ليسعىٰ في تحصيل ذلك من ذخائره وحواصله ودفائنه ، فأطلق سراحه ، فلما عزم قيصر علىٰ الخروج عن[٧] مدينة قسطنطينية ، جمع أهل ملته وقال : إني خارج في أمر قد أبرمته ، في جند قد عينته من جيشي ، فإن رجعت إليكم قبل الحول فأنا ملككم ، وإن لم أرجع إليكم قبلها فأنتم بالخيار ، إن شئتم استمررتم علىٰ بيعتي ، وإن شئتم وليتم عليكم غيري . فأجابوه بأنك ملكنا ما دمت حيًا ولو غبت عشرة أعوام .

(٨) - سنن أبي داود حديث (٤٥٩٦) ، ورواه ابن ماجة في السنن حديث (٣٩٩٢) ، وقال البوصيري في الزوائد : « إسناد عوف بن مالك فيه مقال ، قال ابن عدي : روى أحاديث تفرد بها . وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد ثقات » .

[١] - في ت : « أصحاب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « بنفسه غزاه » .

[٣] - في ز ، خ: « وروى » .

[٤] - في ز، خ : « أحدًا » .

[٥] - في ز ، خ: « وجواري » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ت.

[٧] - في ت : « من » .

فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة(*) في جيش متوسط ، هذا وكسرىٰ مُخيم علىٰ القسطنطينية ينتظره ليرجع ، فركب قيصر من فوره وسار[١] مسرعًا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بلاد فارس فعاث في بلادها[٢] قتلًا لرجالها ومن بها من المقاتلة أولًا فأولًا[٣] ، ولم يزل يقتل[٤] حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المدائن ، وهي كرسي مملكة كسرىٰ ، فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله ، وأسر نساءه وحريمه ، وحلق رأس ولده ، وركّبه علىٰ حمار وبعث معه من الأساورة(**) من قومه في غاية الهوان والذلة ، وكتب إلىٰ كسرىٰ يقول : هذا ما طلبت فخُذه . فلما بلغ [ذلك][٥] كسرىٰ أخذه من الغم ما لا يحصيه إلا الله عز وجل ، واشتد حنقه علىٰ البلد فاشتد في حصارها بكل ممكن فلم يقدر علىٰ ذلك . فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون ، التي لا سبيل لقيصر إلىٰ القسطنطينية إلا منها ، فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق إليها ، وهو أنه أرصد جنده وحواصله التي معه عند فم المخاضة وركب في بعض الجيش ، وأمر بأحمال من التبن والبعر والروث فحملت معه ، وسار إلىٰ قريب من يوم في الماء مصعدًا ، ثم أمر بإلقاء تلك الأحمال في النهر فلما مرت بكسرىٰ ظن هو وجنده[٦] أنهم قد[٧] خاضوا من هنالك ، فركبوا في طلبهم فشغرت(***) المخاضة عن الفرس ، وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض في الخوض ، فخاضوا وأسرعوا السير ففاتوا كسرىٰ وجنوده ، ودخلوا القسطنطينية . وكان ذلك يومًا مشهودًا عند النصارىٰ . وبقي كسرىٰ وجنوده[٨] حائرين لا يدرون ماذا يصنعون لم يحصلوا علىٰ بلاد قيصر ، وبلادهم قد خرّبتها الروم وأخذوا حواصلهم ، وسبوا ذراريهم ونساءهم[٩] . [فهذا ما كان][١٠] من غَلَب الروم فارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب الفرس للروم .

وكانت الواقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبصرىٰ ، علىٰ ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز .

وقال مجاهد : كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس . فالله أعلم .

(*) الجريدة : خيل لا رجالة فيها .

(**) جمع إسوار وهو قائد الفرس .

(***) شغر المكان : خلا .

---

[١] - في ز ، خ: « وساق » .

[٢] - في ت : « بلادهم » .

[٣] - في ز ، خ: « فأول » .

[٤] - في خ : « يقصر » ، و في ز : «يقصل».

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وجنده ظن» .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ت : « جيوشه » .

[٩] - سقط من : خ ، ز .

[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « فكان هذا » .

ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين ، وهي تسع ؛ فإن البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلىٰ التسع ، وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما(٩) ، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي ، عن الزهري ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لأبي بكر في مُنَاحَبَة[١] : ﴿ **ألم * غلبت الروم** ﴾ : « **ألا احتطت يا أبا بكر ، فإن البضع ما بين ثلاث إلىٰ تسع ؟** » . ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو أنه قال ذلك (١٠) .

وقوله : ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد** ﴾ ، أي : من قبل ذلك ومن بعده ، فبني علىٰ الضم لما قُطع المضاف ، وهو قوله : ﴿ **قبل** ﴾ عن الإضافة ونُويت .

﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله** ﴾ أي : للروم أصحاب قيصر ملك الشام ، علىٰ فارس أصحاب كسرىٰ ، وهم المجوس . وقد كانت نصرة الروم علىٰ فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة من العلماء ، كابن عباس ، والثوري ، والسدي ، وغيرهم .

وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي(١١) وابن جرير وابن أبي حاتم والبزار ، من حديث الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم علىٰ فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به ، وأنزل الله : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ .

وقال آخرون : بل كان نصرة الروم علىٰ فارس عام الحديبية ، قاله عكرمة ، والزهري ، وقتادة ، وغيرهم .

ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرىٰ ليمشين من حمص إلىٰ إيلياء - وهو بيت المقدس - شكرا لله - عز وجل - ففعل ، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منها[٢] حتىٰ وافاه كتاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، الذي بعثه مع دحية بن خليفة ، فأعطاه دحية لعظيم بصرىٰ ، فدفعه عظيم بصرىٰ إلىٰ قيصر . فلما وصل إليه سأل : من بالشام من عرب الحجاز ؟ فأحضر له أبو سفيان صخر بن حرب الأموي في جماعة من كفار قريش كانوا في غزة ، فجيء بهم إليه ، فجلسوا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسبًا بهذا

(٩) سنن الترمذي حديث (٣١٩١) ، وتفسير الطبري (١٢/٢١) .

(١٠) تفسير الطبري (١٦/٢١) .

(١١) سنن الترمذي حديث (٣١٩٢) ، وتفسير الطبري (١٦/٢١) .

[١] - في ز : « مناجية » .
[٢] - في ت : « منه » .

الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا ، فقال لأصحابه - وأجلسهم خلفه - : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذب فكذبوه . فقال أبو سفيان : فوالله لولا أن[١] يأثُرُوا عليّ الكذب لكذبت . فسأله هرقل عن نسبه وصفته، فكان فيما سأله أن قال : فهل يغدر ؟ قال : قلت : لا ، ونحن منه في مُدة لا ندري ما هو صانع فيها - يعني بذلك الهدنة التي كانت قد[٢] وقعت بين رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكفار قريش يوم الحديبية - علىٰ وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فاستدلوا بهذا علىٰ أن نصر الروم علىٰ فارس كان عام الحديبية ، لأن قيصر إنما وفىٰ بنذره بعد الحديبية ، والله أعلم .

ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعثت ، فما تمكن من وفاء نذره حتىٰ أصلح ما ينبغي إصلاحه وتفقد بلاده ، ثم بعد أربع سنين من نصرته وفىٰ بنذره ، والله أعلم .

والأمر في هذا سهل قريب إلا أنه لما انتصرت[٣] فارس علىٰ الروم ساء ذلك المؤمنين ، فلما انتصرت الروم علىٰ فارس فرح المؤمنون بذلك ، لأن الروم أهل كتاب في الجملة ، فهم أقرب إلىٰ المؤمنين من المجوس ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لتجدّن**(*) **أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارىٰ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلىٰ الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ وقال تعالى هاهنا : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثني أسيد الكلابي ، قال : سمعت العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه ، قال : رأيت [ ][٤] غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم ، كل ذلك في خمس عشرة سنة .

وقوله : ﴿ **وهو العزيز** ﴾ أي : في انتصاره وانتقامه من أعدائه ﴿ **الرحيم** ﴾ بعباده المؤمنين .

وقوله : ﴿ **وعد الله لا يخلف الله وعده** ﴾ أي : هذا الذي أخبرناك به - يا محمد - من أنا سننصر الروم علىٰ فارس ، وعد من الله حق ، وخَبَر صدق لا يخلف ، ولابد من كونه ووقوعه ؛ لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتتلتين إلىٰ الحق ، ويجعل لها العاقبة ، ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ، أي : بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية

---

[١] - سقط من : ز،خ .

[٢] - سقط من : ز ،خ.

[٣] - في ز ، خ: « انتصر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال : رأيت » .

علىٰ وفق العدل .

وقوله : ﴿ **يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ أي : أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها[١] وشئونها وما فيها ، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها ، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة ، كأن أحدهم مُغَفّل لا ذهن له ولا فكرة .

قال الحسن البصري : والله لَبَلَغَ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم علىٰ ظفره ، فيخبرك بوزنه ، وما يحسن أن[٢] يصلي .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ **يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ . يعني : الكفار ، يعرفون عمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جهال .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ التفكر في مخلوقاته ، الدالة علىٰ وجوده وانفراده بخلقها ، وأنه لا إله غيره ، ولا رب سواه ، فقال : ﴿ **أو لم يتفكروا في أنفسهم** ﴾ يعني به[٣] : النظر ، والتدبر ، والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي ، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة ، والأجناس المختلفة ، فيعلموا أنها ما خلقت سُدًى ولا باطلًا ، بل بالحق وأنها مؤجلة إلىٰ أجل مسمًّى ، وهو يوم القيامة ، ولهذا قال : ﴿ **وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** ﴾ .

ثم نبههم علىٰ صدق رسله فيما جاءوا به عنه ، بما أيدهم به من المعجزات و[٤] الدلالات الواضحات ، من إهلاك من كفر بهم ، ونجاة من صدقهم فقال : ﴿ **أو لم يسيروا في الأرض** ﴾ أي : بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين ، ولهذا قال : ﴿ **فينظروا**

---

[١] - في خ : « وأعبائها » ، وفي ز : « أعسابها » . [٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - في خ ، ز : « في » . [٤] - في خ ، ز : « من » .

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة ﴾ أي : كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم - أيها المبعوث إليهم محمد - صلىٰ اللّه عليه وسلم - وأكثر أموالًا وأولادًا ، وما أوتيتم معشار ما أوتوا ، ومُكنوا في الدنيا تمكينا لم تبلغوا إليه ، وعمروا فيها أعمارًا طوالًا ، فعمروها أكثر منكم . واستغلوها أكثر من استغلالكم ، ومع هذا لما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا ، أخذهم اللّه بذنوبهم ، وما كان لهم من اللّه من واق ، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس اللّه ، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة ، وما كان اللّه ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال ، ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ ، أي : وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات اللّه ، واستهزءوا بها ، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة ، [في تكذيبهم][١] المتقدم ، ولهذا قال : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأىٰ أن كذبوا بآيات اللّه وكانوا بها يستهزئون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ وقوله : ﴿**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**﴾ وقال : ﴿ **فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم** ﴾ وعلىٰ هذا تكون [السوأىٰ منصوبة مفعولًا لأساءوا ، وقيل : بل المعنىٰ في ذلك : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأىٰ** ﴾][٢] أي : كانت السوأىٰ عاقبتهم ، لأنهم كذبوا بآيات اللّه ، وكانوا بها يستهزئون . فعلىٰ هذا تكون السوأىٰ منصوبة خبر كان .

هذا توجيه ابن جرير(١٢) ونقله عن ابن عباس وقتادة . ورواه ابن أبي حاتم عنهما ، وعن الضحاك بن مزاحم ، وهو الظاهر ، واللّه أعلم . ﴿ **وكانوا بها يستهزئون** ﴾ .

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **اللّه يبدأ الخلق ثم يعيده** ﴾ ، أي : كما هو قادر علىٰ بداءته فهو قادر علىٰ إعادته ﴿ **ثم إليه ترجعون** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله .

---

(١٢) تفسير الطبري (٢١/١٨) .

---

[١] - في ت : « وتكذيبهم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ثم قال : ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ قال ابن عباس: ييأس المجرمون . وقال مجاهد : يفتضح المجرمون . [وفي رواية : يكتئب المجرمون][١] .

﴿ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ﴾ ، أي : ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله ، وكفروا بهم ، وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم .

ثم قال: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ قال قتادة: هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها. يعني : إذا رفع هذا إلىٰ عليين ، وخفض هذا إلىٰ أسفل السافلين ، فذاك آخر العهد بينهما ، ولهذا قال : ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ﴾ ، قال مجاهد وقتادة : ينعمون .

وقال يحيى[٢] بن أبي كثير : يعني : سماع الغناء . والحبرة أعم من هذا كله . قال العجاج :

الحمد لله الذى أعطى الحبر[٣] موالي الحق ، إن المولى شكر

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

هذا تسبيح منه تعالىٰ لنفسه المقدسة ، وإرشاد لعباده إلىٰ تسبيحه وتحميده ، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة علىٰ كمال قدرته وعظيم سلطانه : عند المساء ، وهو إقبال الليل بظلامه ، وعند الصباح ، وهو إسفار النهار عن ضيائه .

ثم اعترض بحمده ، مناسبة للتسبيح وهو التحميد ، فقال : ﴿ وله الحمد في السمٰوات والأرض ﴾ ، أي : هو المحمود علىٰ ما خلق في السماوات والأرض .

ثم قال : ﴿ وعشيًا وحين تظهرون ﴾ ، فالعشاء هو : شدة الظلام ، والإظهار : قوة الضياء . فسبحان خالق هذا وهذا ، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا كما قال : ﴿ والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها ﴾ وقال[٤]: ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى﴾ وقال : ﴿ والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « الحبرة » . [٤] - سقط من : ز،خ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زَبَّان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه قال : « **ألا أخبركم لِمَ سمىٰ اللّٰه إبراهيم خليله الذي وفىٰ ؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسىٰ : سبحان اللّٰه حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون** »(١٣) .

وقال الطبراني(١٤) : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي ، حدثنا عبد اللّٰه بن صالح ، حدثني الليث بن سعد ، عن سعيد بن بشير، عن محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني ، عن أبيه ، عن عبد اللّٰه ابن عباس ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من قال حين يصبح : ﴿ فسبحان اللّٰه حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السمٰوات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون ﴾** الآية بكمالها ، **أدرك ما فاته في**[١] **يومه ، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته** » . إسناده[٢] جيد ، ورواه أبو داود في سننه .

وقوله : ﴿ **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** ﴾ ، هو ما نحن فيه من قدرته علىٰ فعل[٣] الأشياء المتقابلة ، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط ، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها ، ليدل خلقه علىٰ كمال قدرته ، فمن ذلك إخراج النبات من الحب ، والحب من النبات . والبيض من الدجاج ، والدجاج من البيض ، والإنسان من النطفة ، والنطفة من الإنسان ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن .

(١٣) المسند (٤٣٩/٣) . وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة وزبان بن فائد .

زبان بن فائد : ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًا ، يتفرد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعة ، لا يحتج به . وقال أبو حاتم : شيخ صالح . وقال الليث بن سعد : لو أراد زبان أن يزيد في العبادة مقدار خردلة ما وجد لها موضعًا . وقال ابن يونس : كان على مظالم مصر وكان من أعدل ولاتهم .

وسهل بن معاذ بن أنس الجهني : قال أبو بكر بن أبي خيثمة عن ابن معين : ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : لكن قال : لا يعتبر حديثه ما كان من رواية زبان بن فائد عنه ، وذكره في الضعفاء فقال : منكر الحديث جدًا ، فلست أدري أوقع التخليط في حديثه منه أو من زبان ؟ فإن كان من أحدهما فالأخبار التي رواها ساقطة ، وإنما اشتبه هذا لأن راويها عن سهل زبان إلا الشيء بعد الشيء ، وزبان ليس بشيء . وقال العجلي : مصري تابعي ثقة . بخ د ت ق .

والحديث وأخرجه الطبراني في الكبير (١٩٢/٢٠) حديث ٤٢٧ - ٤٢٨ . والطبري في تفسره (٧٣/١٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧/١٠) وقال : رواه الطبراني وفيه ضعفاء وثقوا .

(١٤) المعجم الكبير (٢٣٩/١٢) ، وسنن أبي داود حديث (٥٠٧٦) .

[١] - في ز : « من » . [٢] - في ت : « إسناد » .

[٣] - في ت : « خلق » .

وقوله : ﴿ ويحيي الأرض بعد موتها ﴾ ، كقوله : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴾ ، وقال : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن اللّه هو الحق وأنه يحيي الموتىٰ وأنه علىٰ كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن اللّه يبعث من في القبور ﴾ ، وقال : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بُشرا[١] بين يدي رحمته حتىٰ إذا أقلت سحابًا ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتىٰ لعلكم تذكرون ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وكذلك تخرجون ﴾ .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة علىٰ عظمته وكمال قدرته أنّه خلق أباكم آدم من تراب ، ﴿ ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ ، فأصلكم من تراب ، ثم من ماء مهين ، ثم تَصَوّر فكان علقةً ، ثم مضغةً ، ثم صار عظامًا مشكلة[٢] علىٰ شكل الإنسان ، ثم كسا اللّه تلك العظام لحمًا ، ثم نفخ فيه الروح ، فإذا هو سميع بصير ، ثم خرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القوىٰ والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته ، حتىٰ آل به الحال إلىٰ[٣] أن صار يبني المدائن والحصون ، ويسافر في أقطار الأقاليم ، ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ، ويتكسب ويجمع الأموال ، وله فكرة وغور ، ودهاء ومكر ، ورأي وعلم ، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه . فسبحان من أقدرهم وسيّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب ، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة والحسن والقبح ، والغنىٰ والفقر ، والسعادة والشقاء[٤] ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ .

وقال الإمام أحمد (١٥) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد وغندر قالا : حدثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسىٰ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « إن اللّه خلق آدم من

(١٥) المسند (٤/٤٠٠) ، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في القدر ، حديث (٤٦٩٣) =

[١] - في ز : « نشرًا » . وهي قراءة جماعو منهم ابن عامر .
[٢] - في ت : « شكله » . [٣] - سقط من : ز،خ .
[٤] - في ت : « الشقاوة » .

قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء[١] منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن ، وبين ذلك » . ورواه أبو داود والترمذي من طرق ، عن عوف الأعرابي ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقوله : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا** ﴾ أي : خلق لكم من جنسكم إناثًا يَكُن لكم أزواجًا ، ﴿ **لتسكنوا إليها** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ يعني ، بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر . ولو أنه جعل بني[٢] آدم كلهم ذكورًا ، وجعل إناثهم من جنس آخر ، إما من جان أو حيوان ، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل نَفْرَة ولو كانت الأزواج من غير الجنس . ثم من تمام رحمته بيني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم ، وجعل بينهم [وبينهن][٣] مودة : وهي المحبة ، ورحمة : وهي الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته[٤] لها أو لرحمة بها ، بأن يكون لها منه ولد ، أو محتاجة إليه في الإنفاق ، أو للألفة بينهما وغير ذلك ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالىٰ : ومن آيات قدرته العظيمة ﴿ **خلق السموات والأرض** ﴾ [أي : خلق السماوات][٥] في ارتفاعها واتساعها ، وشفوف أجرامها ، وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، والأرض في[٦] انخفاضها وكثافتها ، وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار ،

= (٢٢٢/٤) . والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة ، حديث (٢٩٥٥) (١٨٧/٥-١٨٨) . وعبد بن حميد (٥٤٩) . وابن سعد في الطبقات (٢٣/١) . وابن خزيمة في التوحيد ص (٦٤) . والحاكم (٢٦١/٢-٢٦٢) . والطبرى (٢١٤/١) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ...** ﴾ من سورة البقرة . وابن حبان في صحيح في كتاب التاريخ ، باب : بدئ الخلق (٦١٦٠) (٢٩/١٤) . وأبو نعيم في الحلية (١٣٥/٨) . كلهم من طريق عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى - رضي الله عنه ... فذكره . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٣٠) . وزاد نسبته إلى ابن عساكر (٢/٣٠٧/٢) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٥،٣٢٧) .

[١] - سقط من : ز ،خ.
[٢] - في ز،خ : « بنو » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٤] - في خ ، ز : « محبة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز ، خ: « من » .

وحيوان وأشجار .

وقوله : ﴿ واختلاف ألسنتكم ﴾ يعني : اللغات ، فهؤلاء بلغة العرب ، وهؤلاء تتر لهم[١] لغة أخرىٰ ، وهؤلاء كرَج ، وهؤلاء روم ، وهؤلاء إفرنج ، وهؤلاء بربر ، وهؤلاء تُكرور ، وهؤلاء حبشة ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء عجم ، وهؤلاء صقالبة ، وهؤلاء خزر ، وهؤلاء أرمن ، وهؤلاء أكراد ، إلىٰ غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم ، واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم ، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلىٰ قيام الساعة : كل له عينان وحاجبان ، وأنف وجبين ، وفم وخدان . وليس يشبه واحد منهم الآخر ، بل لابد أن يفارقه بشيء من السمت أوالهيئة أو الكلام ، ظاهرًا كان أو خفيًا ، يظهر عند التأمل ، كل وجه منهم أسلوب بذاته ، وهيئة لا تشبه الأخرى . ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لابد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ، ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ .

﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾ ، أي : ومن الآيات ما جعل لكم من صفة النوم في الليل والنهار ، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة ، وذهاب الكلال والتعب ، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار [في النهار][٢] ، وهذا ضد النوم ، ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ أي : يعون .

قال الطبراني (١٦) : حدثنا حجاج بن عمران السدوسي[٣] ، حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عُلاثة ، حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، سمعت عبد الملك بن مروان ، يحدث عن أبيه ، عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : أصابني أرق من الليل ، فشكوت ذلك إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **قل : اللهم غارت النجوم ، وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم ، يا حي يا قيوم ، [أنم عيني ، وأهدئ[٤] ليلي** » . فقلتها ، فذهب عني .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ

---

(١٦) المعجم الكبير (١٢٤/٥) ، ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة حديث (٧٤٥) ، وابن عدي في الكامل (١٥٠/٥) من طريق عمرو بن الحصين به ، وقال ابن عدي : « تفرد به عمرو بن الحصين وهو مظلم الحديث ، ويروى عن قوم معروفين » . وله شاهد من حديث أنس ، حسنه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية لابن علان (١٧٧/٣) .

---

[١] -

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٣] - في ت : « السدسي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « اهد » .

ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة علىٰ عظمته أنه ﴿ **يريكم البرق خوفًا وطمعًا** ﴾ ، أي[١] : تارة تخافون[٢] مما يحدث بعده من أمطار مزعجة ، أو صواعق متلفة ، وتارة ترجون وَميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه ، ولهذا قال : ﴿ **وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها** ﴾ ، أي : بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الماء ﴿ **اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ . وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة علىٰ المعاد وقيام الساعة ، ولهذا قال : ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ . ثم قال :﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** ﴾ كقوله : ﴿ **ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه** ﴾ وقوله : ﴿ **إن الله يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا** ﴾ .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا اجتهد في اليمين يقول : « **لا ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره** » . أي : هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها ، ثم إذا كان يوم القيامة بُدلت الأرض غير الأرض والسماوات وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالىٰ ودعائه إياهم . ولهذا قال : ﴿ **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة** ﴾ وقال : ﴿ **إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون** ﴾ .

وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وله من في السمٰوات والأرض** ﴾ أي : ملكه وعبيده ، ﴿ **كل له قانتون** ﴾ ، أي : خاضعون خاشعون طوعًا وكرهًا .

وفي حديث دراج (١٧) ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد مرفوعًا : « **كل حرف في القرآن**

(١٧) إسناده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم . ورواه أحمد (٣/٧٥) وأبو يعلى في مسنده =

[١] - سقط من : ز،خ . [٢] - في ز : « لتخافون » .

يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » .

وقوله : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني أيسر عليه .

وقال مجاهد : الإعادة أهون عليه من البداءة ، والبداءة عليه هين .

وكذا قال عكرمة وغيره .

وقال البخاري(١٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، أخبرنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **قال الله : كَذَّبَني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته . وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدًا ، وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد** » .

انفرد بإخراجه البخاري[١] ، كما انفرد بروايته أيضًا من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة به(١٩) .

وقد رواه الإمام أحمد منفردًا به(٢٠) عن حسن بن موسىٰ ، عن ابن لهيعة ، حدثنا أبو يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه أو مثله .

وقال آخرون : كلاهما بالنسبة للقدرة على السواء .

= (١٣٧٩/٢) حدثنا الحسن بن موسى به . والطبري في « تفسيره » (٢٦٥/٣ - ٢٦٦) من طريق محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة به وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٣١/٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٠٩/٢) ، وفي « الموارد » (١٧٢٣/٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٥١٨١/٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٢٥/٨) . من طريق عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج به .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٢٣/٦) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد أحمد وأبي يعلى ابن لهيعة وهو ضعيف » . وقال ابن كثير في « تفسيره » [سورة البقرة آية (١١٦)] : في هذا الإسناد ضعف لا يعتمد عليه ، ورفع هذا الحديث منكر ، وقد يكون من كلام الصحابي أو مَنْ دونه وكثير ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة ، فلا يغتر بها فإن السند ضعيف والله أعلم . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٨/١) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، والنحاس في « ناسخه » وأبي نصر السِّجزيِّ في « الإبانة » والضياء في « المختارة » .

(١٨) صحيح البخاري حديث (٤٩٧٤) .

(١٩) صحيح البخاري حديث (٤٩٧٥) .

(٢٠) المسند (٣٥٠/٢) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

قال العوفي عن ابن عباس : كل عليه هين . وكذا قال الربيع بن خُثيم . ومال إليه ابن جرير ، وذكر عليه شواهد كثيرة ، قال : ويحتمل أن يعود الضمير في قوله : ﴿ **وهو أهون عليه** ﴾ إلىٰ الخلق أي : وهو أهون علىٰ الخلق

وقوله : ﴿ **وله المثل الأعلىٰ في السمٰوات والأرض** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس كقوله : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ .

وقال قتادة : مثله[١] أنه لا إله إلا هو ، ولا رب غيره ، وقال مثل هذا ابن جرير .

وقد أنشد بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المعارف :

إِذَا سَكَنَ الغَدِيرِ عَلَىٰ صَفَاءٍ وَجُنِّبَ أَنْ يُحَرِّكَهُ النَّسِيمُ
تَرَىٰ فيه السَّمَاءَ بِلاَ امْتِرَاءٍ كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْدُو وَالنُّجُومُ
كَذَاكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجَلِّي يُرَىٰ فِي صَفْوِهَا اللَّهُ العَظِيمُ

﴿ **وهو العزيز** ﴾ : الذي لا يغالب ولا يمانع ، بل قد غلب كل شيء ، وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه ﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعاله وأقواله شَرْعًا وقَدَرًا .

وعن مالك في تفسيره المروي عنه ، عن محمد بن المنكدر ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **وله المثل الأعلىٰ** ﴾ ، قال : لا إله إلا الله .

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

هذا مثل ضربه الله - تعالىٰ - للمشركين به ، العابدين معه غيره ، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له ، كما كانوا في تلبيتهم يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . فقال تعالىٰ : ﴿ **ضرب لكم مثلًا من أنفسكم** ﴾ أي : تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم : ﴿ **هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاءِ فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء** ﴾ ، أي : [لا يرتضي][٢] أحد منكم أن يكون[٣] عبده شريكًا له في ماله ، فهو وهو فيه علىٰ السواء ﴿ **تخافونهم كخيفتكم أنفسكم** ﴾

---

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في ز ، خ: « ليرتضي » .
[٣] - سقط من : خ .

أي : تخافون أن يقاسموكم[١] الأموال .

قال أبو مجلز : إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذاك ، كذلك[٢] الله لا شريك له .

والمعنىٰ أن أحدكم يأنف من ذلك ، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويجعلون لله ما يكرهون** ﴾ أي : من البنات ، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ، وجعلوها بنات الله ، وقد كان أحدهم إذا بُشر ﴿ **بالأنثىٰ ظل وجهه مسودًا وهو كظيم ، يتوارىٰ من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه علىٰ هون أم يدسه في التراب** ﴾ ؟ فهم يأنفون من البنات ، وجعلوا الملائكة بنات الله ، فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم ، فهذا أغلظ الكفر . وهكذا[٣] في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه ، وأحدهم يأبىٰ غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك ، أن يكون عبدُه شريكه في ماله ، يساويه فيه ، ولو شاء لقاسمه عليه ، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

قال الطبراني (٢١) : حدثنا محمود بن الفرج الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، حدثنا حماد بن شعيب ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان يلبي أهل الشرك : لبيك اللهم ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . فأنزل الله : ﴿ **هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم** ﴾ ولما كان التنبيه بهذا المثل علىٰ براءته تعالىٰ - ونزاهته بطريق الأولىٰ والأحرىٰ - قال : ﴿ **كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مبينًا أن المشركين إنما عبدوا غيره سَفَهًا من أنفسهم وجهلًا : ﴿ **بل اتبع الذين ظلموا** ﴾ ، أي : المشركون[٤] ﴿ **أهواءهم** ﴾ ، أي : في عبادتهم الأنداد بغير علم ﴿ **فمن يهدي من أضل الله** ﴾ ، [أي : فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم][٥] ، ﴿ **وما لهم من ناصرين** ﴾ ، أي : ليس لهم [عن ذلك][٦] منقذ ولا مجير ، ولا محيد لهم عنه ، لأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

(٢١) المعجم الكبير (٢٠/١٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٣) : « وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف » .

[١] - في ز ، خ: « يقاسمكم » .
[٢] - في ز ، خ: « كذاك » .
[٣] - في ز : « هذا » .
[٤] - في ز ، خ: « المشركين » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : من قدرة الله .

ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالىٰ : فسدد وجهك واستمر علىٰ الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم ، التي[١] هداك الله لها ، وكملها[٢] لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالىٰ فطر خلقه علىٰ [معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره ، كما تقدم عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ** ﴾ . وفي الحديث : « **إني خلقت عبادي حنفاء ، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم** » وسنذكر في الأحاديث أن الله - تعالىٰ - فطر خلقه علىٰ][٣] الإسلام ، ثم طرأ علىٰ بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية .

وقوله : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ ، قال بعضهم : معناه لا تبدلوا خلق الله ، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها . فيكون خبرًا بمعنىٰ الطلب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن دخله كان آمنا** ﴾ وهذا معنى حسن صحيح .

وقال آخرون : هو خبر علىٰ بابه ، ومعناه : أنه - تعالىٰ - ساوىٰ بين خلقه ، كلهم في الفطرة علىٰ الجبلَّة المستقيمة ، لا يولد أحد إلا علىٰ ذلك ، ولا تفاوت بين الناس في ذلك . ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد في قوله : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ ، أي : لدين الله .

وقال البخاري (٢٢) : قوله : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ : لدين الله ، خَلْقُ الأولين : [دين الأولين][٤] والفطرة : الإسلام .

حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا يونس ، عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من مولود يولد إلا علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمْعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟** » . ثم يقول: ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق**

(٢٢) صحيح البخاري حديث (٤٧٧٥) ، وصحيح مسلم رقم (٢٦٥٨) .

[١] - في ت : « الذي » .
[٢] - في خ : « وكلها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « الدين » .

الله ذلك الدين القيم ﴾ » .

ورواه مسلم من حديث عبد الله بن وهب ، عن يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري به .

وأخرجاه أيضًا(٢٣) من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وفي معنىٰ هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة ، فمنهم الأسودُ بن سريع التميمي ، قال الإمام أحمد :

حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريع قال : أتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وغزوت معه ، فأصبت ظهرًا[١] ، فَقَتَل الناس يومئذ ، حتىٰ قتلوا الولدان . فبلغ ذلك رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال : « **ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتىٰ قتلوا الذرية ؟** » فقال رجل : يا رسول الله ، إنما هم أبناء المشركين ؟ فقال : « **ألا إنما خياركم أبناء المشركين** » . ثم قال : « **لا تقتلوا ذرية ، لا تقتلوا ذرية** » . وقال : « **كل نسمة تولد علىٰ الفطرة ، حتىٰ يُعرب عنها لسانها ، فأبواها يهودانها أو ينصرانها** » .

ورواه النسائي في[٢] كتاب السير ، عن زياد بن أيوب ، عن هشيم ، عن يونس - وهو ابن عبيد - عن الحسن البصري به(٢٤) .

ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري .

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا[٣] أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، حتىٰ يعرب(*) عنه لسانه ، فإذا عبر عنه لسانه إما شاكرًا وإما كفورًا** »(٢٥) .

---

(٢٣) صحيح البخاري حديث (٦٥٩٩) ، وصحيح مسلم حديث (٢٦٥٨) .

(٢٤) المسند (٤٣٥/٣) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (٨٦١٦) .

(٢٥) المسند (٣٥٣/٣) ، أبو جعفر هو الرازي : صدوق سيئ الحفظ . والحسن هو البصري مدلس وقد عنعن بل قال ابن أبي حاتم : سألت أبي : سمع الحسن من جابر ؟ قال : ما أرىٰ ولكن هشام بن حسان يقول عن الحسن : حدثنا جابر . وأنا أنكر هذا إنما الحسن عن جابر كتاب مع أنه أدرك جابرًا ، انظر جامع التحصيل للعلائي (ص١٦٤) . والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٢٢١/٧) وقال : رواه أحمد وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف ، وبقية رجاله ثقات . ويشهد له حديث الأسود بن سريع عند أحمد (٤٣٥/٣) ، والنسائي في الكبرى كتاب السير ، باب : النهي عن قتل ذراري المشركين (٨٦١٦) (١٨٤/٥) .
=

---

[١] - في ز ، خ: « ظفرًا » .

[٢] - في ز ، خ: « من » .

[٣] - سقط من : ز .

ومنهم عبد اللَّه بن عباس الهاشمي ، قال الإمام أحمد (٢٦) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم سُئل عن أولاد المشركين ، فقال : « **اللَّه أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم** » .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث أبي بشر جعفر بن إياس اليشكري ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مرفوعًا كذلك[١].

وقد قال أحمد أيضًا : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - يعني : ابن سلمة - أنبأنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أتىٰ عليَّ زمان وأنا أقول : أولاد المسلمين مع أولاد[٢] المسلمين ، وأولاد المشركين مع المشركين . حتىٰ حدثني فلان عن فلان ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم سئل عنهم فقال : « **اللَّه أعلم بما كانوا عاملين** » قال : فلقيت الرجل فأخبرني ، فأمسكت عن قولي (٢٧) .

ومنهم[٣] عياض بن حمار المجاشعي .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا هشام ، حدثنا قتادة ، عن مُطرف ، عن عياض بن حمار أن رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - خطب ذات يوم ، فقال في خطبته : « **إن ربي - عز وجل - أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا : كل مال[٤]**

= والدارمي (٢٤٦٦) ، وأبي يعلى (٩٤٢) (٢/٢٤٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٣٢) (١/٣٤١) ، وفي الموارد (١٦٥٨) (٥/٢٥٥) ، والبخاري في التاريخ الكبير (١/٤٤٥) ، والطبراني في الكبير (٨٢٧) (١/ ٢٨٣) ، والحاكم (٢/١٢٣) ، والبيهقي (٩/٧٧) من طرق عن الحسن عنه بنحو حديث جابر ، وقد صرح الحسن بسماعه من الأسود عند عدد منهم . وفي الباب عن أبي هريرة عند البخاري في كتاب الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه .... (١٣٥٩) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٢٦٥٨) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين (٤٧١٤) ، والترمذي في كتاب القدر ، باب : ما جاء في كل مولود يولد على الفطرة (٢١٣٩) .

(*) يُعْرِبَ هكذا يروى بالتخفيف ، من أعرب ، قال أبو عبيد : الصواب «يُعَرِّب» يعنى بالتشديد .. يُقال : عَرَّبت عن القوم إذا تكلَّمْتَ عنهم . نهاية [٣/٢٠٠] .

(٢٦) المسند (١/٣٢٨) ، وصحيح البخاري حديث (١٣٨٣) حديث (١٣٨٣) ، وصحيح مسلم حديث (٢٦٦٠) .

(٢٧) المسند (٥/٧٣) ، وعمار بن أبي عمار : روى له مسلم . وقال عنه ابن حجر : صدوق ربما أخطأ . وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢١٨) : « رجاله رجال الصحيح » . قال ابن حجر في أطرافه : هذا المبهم سماه روح ابن عبادة ، عن حماد : أبي بن كعب ، كذا في زيادة مسند أبي داود الطيالسي .

---

[١] - في ت : « بذلك » .
[٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في ت : « منه » .
[٤] - كذا في ت والمسند ، وفي ز : « ما » .

نحلته عبادي حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم[١] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، ثم إن الله - عز وجل - نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظانا . ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشًا ، فقلت : يارب ؛ إذًا يَثْلغُوا(*) رأسي فيدعوه خُبزَة . فقال : استخرجهم كما استخرجوك ، [واغزهم نُغزك][٢] ، وأنفق [عليهم فسننفق][٣] عليك ، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك . قال[٤] : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مُقسط متصدق وموفق ، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ، ورجل عفيف فقير متصدق . وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زَبْرَ(**) له ، الذين هم فيكم تَبعا ، لا يبتغون أهلًا ولا مالًا ، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك » . وذكر البخل، و[٥] الكذب و[٦] الشنظير الفاحش[٧] .

انفرد بإخراجه مسلم فرواه من طرق عن قتاده به(٢٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ ، أي : [التمسك بالشريعة][٨] والفطرة السليمة هو الدين القويم المستقيم ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أي : ولهذا[٩] لا يعرفه أكثر[١٠] الناس فهم عنه ناكبون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾. ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **منيبين إليه** ﴾ ، قال ابن زيد وابن جريج : أي راجعين إليه ، ﴿ **واتقوه** ﴾ ، أي : خافوه وراقبوه ، ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾ ، وهي الطاعة العظيمة ، ﴿ **ولا تكونوا من المشركين** ﴾ ، أي : بل من الموحدين المخلصين له العبادة ، لا يريدون بها سواه .

قال ابن جرير : [حدثنا ابن حميد][١١] ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن يزيد بن أبي مريم ، قال : مر عمر - رضي الله عنه - بمعاذ بن جبل فقال : ما

(*) الثَّلغ : الشدخ ، وقيل هو ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشدخ .
(**) الزبر : العقل والرأي .

---

[١] - في ز ،خ : « أضلتهم » .
[٢] - في ز : «وعزهم بعرك» .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « استنفق » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - [٦] - في ز : « أو » .
[٧] - في ت : « الفحاش » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « المتمسك بالشرعة » .
[٩] - في ت : « فلهذا » .
[١٠] - سقط من : خ ، ز .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

قوام هذه الأمة[١] ؟ قال معاذ : ثلاث[٢] ، وهن المنجيات : الإخلاص ، وهي الفطرة [فطرة الله][٣] التي فطر الناس عليها ، والصلاة وهي الملة ، والطاعة وهي العصمة . فقال عمر : صدقت .

حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة : أن عمر - رضي الله عنه - قال لمعاذ : ما قوام هذا الأمر ؟ ... فذكر[٤] نحوه (٢٩) .

وقوله : ﴿ **من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ ، أي : لا تكونوا من المشركين الذين قد[٥] فرقوا دينهم ، أي : بدلوه وغيروه ، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض .

وقرأ بعضهم : (**فارقوا دينهم**) ، أي : تركوه وراء ظهورهم ، وهؤلاء كاليهود والنصارىٰ والمجوس وعَبَدة الأوثان ، وسائر أهل الأديان الباطلة ، مما عدا أهل الإسلام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلىٰ الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** ﴾ فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم علىٰ آراء ومِلَل باطلة ، وكل فرقة منهم تزعم أنهم علىٰ شيء ، وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم علىٰ نحل كلها ضلالة إلا واحدة ، وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه ، كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل - عليه السلام - عن الفرقة الناجية منهم ، فقال : « **ما أنا عليه وأصحابي** » (٣٠) .

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ

(٢٨) المسند (١٦٢/٤) ، وصحيح مسلم حديث (٢٨٦٥) .

(٢٩) تفسير الطبري (٢٦/٢١) .

(٣٠) المستدرك (١٢٨/١ ، ١٢٩) ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٦٣) : « إسناده حسن» .

[١] - في خ ، ز : « الآية » .

[٢] - في خ : « بلا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « فذكره » .

[٥] - سقط من : ز ، خ.

أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الناس ، أنهم في حال الاضطرار يدعون اللّٰه وحده لا شريك له ، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون باللّٰه ، ويعبدون معه غيره .

وقوله : ﴿ **ليكفروا بما آتيناهم** ﴾ هي « **لام** » العاقبة عند بعضهم ، « **ولام** » التعليل عند آخرين ، ولكنها تعليل لتقييض[١] اللّٰه لهم ذلك .

ثم توعدهم بقوله : ﴿ **فسوف تعلمون**[٢] ﴾ ، قال بعضهم : واللّٰه لو توعدني حارس دَرْب لخفت منه ، فكيف والمتوعد هاهنا الذي يقول للشيء : كن فيكون .

ثم قال منكرًا علىٰ المشركين فيما اختلقوه من عبادة الأوثان بلا دليل ولا حجة ولا برهان : ﴿ **أم أنزلنا عليهم سلطانًا** ﴾ ، [أي : حجة][٣] ، ﴿ **فهو يتكلم** ﴾ [أي : ينطق][٤] ﴿ **بما كانوا به يشركون ؟** ﴾ وهذا استفهام إنكار ، أي : لم يكن شيء من ذلك .

ثم قال : ﴿ **وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون** ﴾ ، هذا إنكار علىٰ الإنسان من حيث هو ، إلا مَنْ عصَمه اللّٰه[٥] ووفقه ؛ فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بَطِر وقال : ﴿ **ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور** ﴾ ، أي : يفرح في نفسه ويفخر علىٰ غيره ، وإذا أصابته شدة قَنط ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية ، قال اللّٰه : ﴿ **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات** ﴾ ، أي : صبروا في الضراء[٦] ، وعملوا الصالحات في الرخاء ، كما ثبت في الصحيح : « **عجبًا للمؤمن ، لا يقضي اللّٰه له قضاء إلا كان خيرًا له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرَاء صبر فكان خيرًا له** »(٣١) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أن اللّٰه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ ، أي : هو المتصرف

(٣١) صحيح مسلم حديث (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه .

[١] - في ز،خ : « لتقيض » .
[٢] - في ز : « يعلمون » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز،خ .
[٦] - في خ ، ز : « الضرائر » .

الفاعل لذلك بحكمته وعدله ، فيوسع علىٰ قوم ويضيّق علىٰ آخرين ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ آمرًا بإعطاء ذي ﴿ **القربىٰ حقه** ﴾ ، أي : من البر والصلة ، ﴿ **والمسكين** ﴾ ، وهو : الذي لا شيء له ينفق عليه ، أو له شيء لا يقوم بكفايته ، ﴿ **وابن السبيل** ﴾ ، وهو المسافر المحتاج إلىٰ نفقة ، وما يحتاج إليه في سفره ، ﴿ **ذلك خير للذين يريدون وجه الله** ﴾ ، أي : النظر إليه يوم القيامة ، وهو الغاية القصوىٰ ، ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ ، أي : في الدنيا وفي الآخرة .

ثم قال : ﴿ **وما آتيتم من ربًا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله** ﴾ ، أي : من أعطىٰ عطية [ ][١] يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدىٰ لهم فهذا لا ثواب له عند الله . بهذا فسره ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب ، والشعبي . وهذا الصنيع مباح ، وإن كان لا ثواب فيه ، إلا أنه قد نهىٰ عنه رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- خاصة ، قاله الضحاك ، واستدل بقوله : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ ، أي : لا تعط العطاء تريد أكثر منه .

وقال ابن عباس : الربا رباءان (*) ، فربا لا يصح[٢] - يعني : ربا البيع - وربا لا بأس به ، وهو هدية الرجل يريد فضلها[٣] وأضعافها . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما آتيتم[٤] من ربًا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله** ﴾ .

وإنما الثواب عند الله في الزكاة ، ولهذا قال : ﴿ **وما آتيتم[٥] من زكاة تريدون وجه الله**

(*) كذا في ز ، خ : والرباء - بالمد - لغة في الربا .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « أي » .

[٢] - في ز : « يصلح » .
[٣] - في ز : « أفضلها » .

[٤] - في ز : « أوتيتم » .
[٥] - في ز : « أوتيتم » .

فأولئك هم المضعفون ﴾ ، أي : الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء ، كما جاء[١] في الصحيح : « **وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ، فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلوَّه أو فصيله ، حتىٰ تصير التمرة أعظم من أُحُد** »(٣٢) .

وقوله : ﴿ **الله الذي خلقكم ثم رزقكم** ﴾ ، أي : هو الخالق الرزاق ، يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا ، لا علم له ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا قُوة ، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك ، والرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سلام أبي[٢] شرحبيل ، عن حَبَّة وسواء ابني خالد قالا : دخلنا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو يصلح شيئا فأعَنَّاه ، فقال : « **لا تيأسا من الرزق ما تَهَزهزَتْ رءوسكما ؛ فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل** »(٣٣) .

وقوله : ﴿ **ثم يميتكم** ﴾ أي : بعد هذه الحياة ، ﴿ **ثم يحييكم** ﴾ أي : يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **هل من شركائكم** ﴾ ، أي : الذين تعبدونهم من دون الله ، ﴿ **من يفعل من ذلكم من شيء** ﴾ ؟، أي : لا يقدر أحد منهم علىٰ فعل شيء من ذلك ، بل الله - سبحانه وتعالىٰ - هو المستقل بالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، ثم يبعث الخلائق يوم القيامة . ولهذا قال بعد هذا كله : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ أي : تعالىٰ وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعَزّ عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو ، أو ولد أو والد . بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد .

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى

---

(٣٢) صحيح البخاري حديث (١٤١٠) .

(٣٣) المسند (٤٦٩/٣) . وحبة بن خالد الأسدي ، العامري : قال الحافظ في التقريب : صحابي ، له حديث واحد ، نزل الكوفة . بخ ق . وسلام بن شرحبيل أبو شرحبيل : قال الحافظ في التقريب : مقبول ، من الرابعة . بخ ق . وقال في التهذيب : وذكره ابن حبان في الثقات . وسواء بن خالد الأسدي : قال الحافظ في التقريب : صحابي ، له حديث . بخ ق . والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : التوكل واليقين (١٣٩٤/٢) حديث (٤١٦٤) . والطبراني في الكبير (٨:٧/٤) حديث ٣٤٧٩ ، ٣٤٨٠. وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح وسلام بن شرحبيل ذكره ابن حبان في الثقات ، ولم أر من تكلم فيه وباقي رجال الإسناد ثقات . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٩٥) ، وضعيف ابن ماجه حديث ٩١٠. وعزاه لسلسلته الضعيفة (٤٧٩٨) .

---

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ : « بن » .

عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

قال ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك ، والسدي ، وغيرهم : المراد بالبر هاهنا : الفيافي ، وبالبحر : الأمصار والقرىٰ ، وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة : البحر : الأمصار والقرىٰ ، ما كان منها علىٰ جانب نهر .

وقال آخرون : بل المراد بالبر ، هو البر المعروف ، وبالبحر ، البحر المعروف .

و[١]قال زيد بن رُفيع : ﴿ **ظهر الفساد** ﴾ ، يعني : انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط ، وعن البحر تعمى دوابه .

رواه ابن أبي حاتم وقال : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن يزيد المقري ، عن سفيان ، عن حُميد ، بن قيس الأعرج عن مجاهد : ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر** ﴾ قال : فساد البر قتل ابن آدم ، وفساد[٢] البحر : أخذ السفينة غصبًا .

وقال عطاء الخراساني : المراد بالبر[٣] ما فيه من المدائن والقرى ، وبالبحر : جزائره .

والقول الأول أظهر ، وعليه الأكثر ، ويؤيده ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم صَالَح ملك أيلة ، وكتب له ببحره - يعني ببلده .

ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **ظهرالفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس** ﴾ ، أي : بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي .

و[٤]قال أبو العالية : من عصىٰ اللّٰه في الأرض فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : « **لَحَدّ يقام في الأرض أحب إلىٰ أهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا** »(٣٤) .

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت ، انكفّ الناس - أو أكثرهم أو كثير منهم - عن تعاطي المحرمات ، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببًا في محاق البركات من السماء والأرض .

(٣٤) رواه أحمد في المسند (٣٦٢/٢) ، والنسائي في السنن (٧٥/٨) من حديث أبي هريرة ، ولم يقع لي في سنن أبي داود .

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في خ ، ز : « وفي » .
[٣] - في ز ، خ: « من البر » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.

ولهذا إذا نزل عيسىٰ - عليه السلام - في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير، وكسر الصليب، ووضع الجزية، وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك اللَّه في زمانه الدجال وأتباعه، ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركاتك. فيأكل من الرمانة الفئام(*) من الناس، ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس. وما ذاك إلا ببركة تنفيذه[١] شريعة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير.

وثبت في الصحيح: «أن الفاجر إذا مات تستريح العباد والبلاد، والشجر والدواب»(٣٥).

ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا محمد والحسين قالا: حدثنا عوف عن[٢] أبي قحذم قال: وجد رجل[٣] في زمان زياد - أو ابن زياد - صرة فيها حب، يعني: من بر أمثال النوىٰ عليه مكتوب: هذا نبت في زمان كان[٤] يعمل فيه بالعدل(٣٦).

وروىٰ مالك، عن زيد بن أسلم: أن المراد بالفساد هاهنا: الشرك. وفيه نظر.

وقوله: ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾، أي: يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات، اختبارا منه، ومجازاة علىٰ صنيعهم، ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي: عن المعاصي، كما قال تعالىٰ: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ ثم قال تعالىٰ: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾، أي: من قبلكم[٥]، ﴿كان أكثرهم مشركين﴾، أي: فانظروا ماذا حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بالمبادرة إلىٰ الاستقامة في طاعته، والمبادرة إلىٰ الخيرات: ﴿فأقم

(٣٥) صحيح البخاري حديث (٦٥١٢).
(٣٦) المسند (٢/٢٩٦).

[١] - في ت: «تنفيذ».
[٢] - في خ، ز: «بن».
[٣] - في ز: «قحدم».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: ز، خ.

وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ ، أي : يوم القيامة ، إذا أراد كونه فلا راد له ، ﴿ **يومئذ يصدعون** ﴾ أي : يتفرقون ، ، ففريق في الجنة وفريق في السعير ، ولهذا قال : ﴿ **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله** ﴾ أي : يجازيهم مجازاة الفضل : الحسنة بعشر أمثالها ، إلىٰ سبعمائة ضعف ، إلىٰ ما يشاء الله ، ﴿ **إنه لا يحب الكافرين** ﴾ . ومع هذا هو العادل فيهم ، الذي لا يجور .

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

يذكر تعالىٰ نعمه علىٰ خلقه ، في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقيبها ، ولهذا قال : ﴿ **وليذيقكم من رحمته** ﴾ ، أي : المطرالذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد ، ﴿ **ولتجري الفلك بأمره** ﴾ أي : في البحر وإنما سيرها بالريح ، ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾ ، أي : في التجارات والمعايش ، والسير من إقليم إلىٰ إقليم ، وقطر إلىٰ قطر ، ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ ، أي : تشكرون الله[١] علىٰ ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة ، التي لا تعد ولا تحصىٰ .

ثم قال : ﴿ **ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلىٰ قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا** ﴾ ، هذه تسلية من الله لعبده ورسوله محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس ، فقد كُذبت الرسل المتقدمون[٢] مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات ، ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم ، وأنجىٰ المؤمنين بهم ، ﴿ **وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين** ﴾ ، هو حق أوجبه علىٰ نفسه الكريمة ، تكرمًا وتفضلاً[٣] ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة** ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا موسىٰ بن أعين ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **ما من امرئ مسلم يَرُدّ عن عرض أخيه ، إلا كان حقًّا علىٰ الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة** » . ثم تلا هذه الآية :

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز : « لله » .

[٣] - في ز ، خ: « المتقدمين » .

﴿ وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين ﴾ (٣٧) .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

يبين تعالى كيف يخلق السحاب التي ينزل منها الماء ، فقال : ﴿ **الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا** ﴾ ، إما من البحر علىٰ ما ذكره غير واحد ، أو مما يشاء الله عز وجل ، ﴿ **فيبسطه في السماء كيف يشاء** ﴾ ، أي : يُمدّه فيكثرّه ويُنميه ، ويجعل من القليل كثيرًا ، ينشئ سحابة فترىٰ في رأى العين مثل الترس ، ثم يبسطها حتىٰ تملأ أرجاء الأفق ، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالًا مملوءة ماء ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتىٰ إذا أقلت سحابا ثقالًا سقناه لبلدٍ ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** ﴾ وكذلك قال هاهنا : ﴿ **الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ، ويجعله[١] كسفًا** ﴾ قال مجاهد ، وأبو عمرو ابن العلاء ، و مطر الوَرّاق ، وقتادة : يعني قِطَعًا . وقال غيرهم : متراكما . قاله الضحاك . وقال غيره : أسود من كثرة الماء ، تراه مدلهمًا ثقيلًا ، قريبا من الأرض .

وقوله : ﴿ **فترىٰ الودق يخرج من خلاله** ﴾ ، أي : فترىٰ المطر - وهو القطر - يخرج من بين ذلك السحاب ، ﴿ **فإذا أصاب به من يشاء[٢] من عباده إذا هم يستبشرون** ﴾ ، أي : لحاجتهم إليه يفرحون بنزوله عليهم ، ووصوله إليهم .

وقوله : ﴿ **وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين** ﴾ ، معنىٰ[٣] الكلام أن

(٣٧) ورواه أحمد في المسند (٤٤٨/٦) من طريق إسماعيل ، وابن أبي الدنيا في الغيبة والنميمة ، حديث (١٠٢) من طريق جرير كلاهما عن ليث - وهو ابن أبي سليم - به ولم يذكر الآية .

[١] - في ز ، خ: « فضلًا » .
[٢] - في ز ، خ: « فيجعله » .
[٣] - في ز ، خ : « شاء » .
[٤] - في ز ، خ: « يعني » .

هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا [أزلين قَنطين] من نزول المطر إليهم قبل ذلك ، فلما جاءهم جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعًا عظيمًا .

وقد اختلف النحاة في قوله : ﴿ **من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين** ﴾ ، فقال ابن جرير : هو تأكيد . وحكاه عن بعض أهل العربية .

وقال آخرون : من قبل أن ينزل عليهم المطر ، ﴿ **من قبله** ﴾ ، أي : الإنزال ﴿ **لمبلسين** ﴾ .

ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس ، ويكون معنىٰ الكلام : أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله ، ومن قبله أيضًا قد فات عندهم نزوله وقتا بعد وقت ، فترقبوه في إبانه فتأخر ، فمضت مدة ثم ترقبوه[١] فتأخر ، ثم جاءهم بغتة بعد الإياس منه والقنوط ، فبعد ما كانت أرضهم مقشعرة هامدة ، أصبحت وقد اهتزت وربت . وأنبتت من كل زوج بهيج . ولهذا قال : ﴿ **فانظر إلىٰ آثار رحمة الله** ﴾ ، يعني : المطر ، ﴿ **كيف يحيي الأرض بعد موتها** ﴾ .

ثم نبه بذلك علىٰ إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها ، فقال : ﴿ **إن ذلك لمحي الموتىٰ** ﴾ ، أي : إن الذي فعل ذلك لقادر علىٰ إحياء الأموات ، ﴿ **إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفرًا لظلوا من بعده يكفرون** ﴾ ، يقول : ﴿ **ولئن أرسلنا ريحًا** ﴾ يابسة علىٰ الزرع الذي زرعوه ونبت وشب واستوىٰ علىٰ سوقه ، فرأوه مصفرًا ، أي : قد اصفر وشرع في الفساد ، ﴿لظلوا[٢] من بعده ﴾ أي : بعد هذا الحال ، ﴿يكفرون ﴾، أي: يجحدون ما تقدم من النعم ، كما قال : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطامًا فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسىٰ بن الطباع ، حدثنا هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : الرياح ثمانية ، أربعة منها رحمة ، وأربعة عذاب ، فأما الرحمة : فالناشرات ، والمبشرات ، والمرسلات ، والذاريات . وأما العذاب : فالعقيم ، والصرصر ، وهما في البر ، والعاصف ، والقاصف ، وهما في البحر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عُبَيد الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي ، حدثنا عبد الله ابن عَيّاش ، حدثني عبد الله بن سليمان[٣] ، عن دراج ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الريح مسخرة**[٤] **من**

---

[١] - في ت : فترقبوه » .

[٢] - في ز ، خ: « فظلوا » .

[٣] - في خ ، ز : « سلمان » .

[٤] - في ز ، خ: « سخر » .

الثانية - يعني : من[١] **الأرض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عادًا ، أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحًا تهلك عادًا ، فقال**[٢] **: يارب ، أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور . قال له الجبار تبارك وتعالىٰ : لا ، إذًا تكفأ الأرض وما عليها ، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم ، فهي التي قال الله في كتابه : [﴿ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾]**[٣] » . هذا حديث غريب ورفعه منكر ، والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (٥٣) ﴾

يقول تعالىٰ : كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها(*) ، ولا تبلغ كلامك الصمّ الذين لا يسمعون ، وهم مع ذلك مُدْبِرُون عنك ، كذلك لا تقدر[٤] علىٰ هداية العميان عن الحق ، وردهم عن ضلالتهم ، بل ذلك إلىٰ الله تعالىٰ ، فإنه[٥] بقدرته يُسمع الأموات أصواتَ الأحياء إذا شاء ، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وليس ذلك لأحد سواه ، ولهذا قال : **﴿ إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾** ، أي : خاضعون مستجيبون مطيعون ، فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه ، وهذا حال المؤمنين ، والأول مثل الكافرين ، كما قال تعالىٰ : **﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتىٰ يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ﴾** .

وقد استدلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بهذه الآية : **﴿ إنك لا تسمع الموتىٰ ﴾** ، علىٰ توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي صلىٰ الله عليه وسلم القتلىٰ الذين ألقوا في [القليب][٦] قليب بدر ، بعد ثلاثة أيام ، ومعاتبته إياهم ، وتقريعه لهم ، حتىٰ قال له[٧] عمر : يا رسول الله ، ما تخاطب من قوم قد جَيَّفُوا(**) ؟ فقال : « **والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يجيبون** » .

وتأولته عائشة على أنه قال : إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق .

(*) جمع جدث وهو القبر .

(**) أي أنتنوا . يقال : جافت الميتة وجيفت ، واجتافت . والجيفة جثة الميت إذا أنتن .

---

[١] - سقط من : ز،خ .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ: « يقدر » .

[٥] - في ت : « إنه » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٧] - سقط من : ز،خ .

وقال قتادة : أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريعًا وتوبيخًا ونقمة .

والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر ، لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه[١] كثيرة ، من أشهر ذلك مارواه ابن عبد البر مصححًا ، عن ابن عباس مرفوعًا : « **ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم ، كان يعرفه في الدنيا ، فيسلم عليه ، إلا رد الله[٢] عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام** »(٣٨) .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾

ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالًا بعد حال ، فأصله من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم يصير عظامًا ، ثم يُكسى لحمًا ، ويُنفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفًا واهن القوى . ثم يشب قليلًا قليلًا حتى يكون صغيرًا ، ثم حَدَثًا ، ثم مراهقًا ، ثم شابا . وهو[٣] القوة بعد الضعف ، ثم يشرع في النقص ، فيكتهل[٤] ثم يشيخ ثم يهرم ، وهو الضعف بعد القوة ، فتضعف الهمة والحركة والبطش ، وتشيب اللمّة ، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ولهذا قال : ﴿ **ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء** ﴾ ، أي : يفعل ما يشاء ، ويتصرف في عبيده بما يريد ، ﴿ **وهو العليم القدير** ﴾ .

قال الإمام أحمد (٣٩) : حدثنا وكيع ، عن فضيل[٥] ، ويزيد ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي قال : قرأت على ابن عمر : ﴿ **الله الذي خلقكم من ضَعْفٍ ثم جعل من بعد ضَعْفٍ قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا** ﴾ ، ثم قال : قرأتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قرأت علي ، فأخذ علي كما أخذتُ عليك .

ورواه أبو داود ، والترمذي - وحسّنه - من حديث فضيل ، به .

ورواه أبو داود من حديث عبد الله بن جابر ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، بنحوه(٤٠) .

---

(٣٨) سيأتي تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٤٢ من سورة الذاريات .

(٣٩) المسند (٥٨/٢) ، وسنن أبي داود حديث (٣٩٧٨) ، وسنن الترمذي حديث (٢٩٣٦) .

(٤٠) سنن أبي داود حديث (٣٩٧٩) .

---

[١] - في ز،خ : « وجه » .

[٢] - سقط من : ز،خ .

[٣] - في ز ،خ: « في » .

[٤] - في ز ، خ: « فيكهل » .

[٥] - في ز ،خ : « فضل » .

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

يخبر تعالىٰ عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان ، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضًا ، فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة ، ومقصودهم [ ][١] بذلك عدم قيام الحجة عليهم ، وأنهم لم يُنْظروا حتىٰ يُعذر إليهم . قال الله تعالىٰ : ﴿ **كذلك كانوا يؤفكون * وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلىٰ يوم البعث** ﴾ ، أي : فيردّ عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة ، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا ، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة : ﴿ **لقد لبثتم في كتاب الله** ﴾ ، أي : في[٢] كتاب الأعمال ﴿ **إلىٰ يوم البعث** ﴾ ، أي : من يوم خلقتم إلىٰ أن بعثتم ، ﴿ **ولكنكم كنتم لا تعلمون** ﴾ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فيومئذ** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم** ﴾ ، أي : اعتذارهم عما[٣] فعلوا ﴿ **ولا هم يستعتبون** ﴾ ، أي : ولا هم يرجعون إلىٰ الدنيا . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين** ﴾ .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد ضربنا[٤] للناس في هذا القرآن من كل مثل** ﴾ أي : قد بينا لهم الحق ، ووضحناه لهم ، وضربنا لهم فيه الأمثال ، ليتبينوا الحق ويتبعوه . ﴿ **ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون** ﴾ ، أي : لو رأوا أي آية كانت ، سواء كانت

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « هم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

[٣] - في ز،خ : « مما » .

[٤] - في ز ، خ: « صرفنا » .

باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ، ويعتقدون أنها سحر وباطل ، كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا ، ﴿ **كذلك يطبع اللّٰه علىٰ قلوب الذين لا يعلمون * فاصبر إن وعد اللّٰه حق** ﴾ ، أي : اصبر علىٰ مخالفتهم وعنادهم ، فإن اللّٰه منجز لك ما وعدك من نصره إياك ، وجعله العاقبة لك ، ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة . ﴿ **ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾ ، أي : بل اثبت علىٰ ما بعثك اللّٰه[١] به ، فإنه الحق الذي [لا مرية فيه][٢] ، ولا تعدل عنه ، وليس فيما سواه هُدىً يتبع ، بل الحق كله[٣] منحصر فيه .

قال سعيد ، عن قتادة : نادىٰ رجل من الخوارج عليًا - رضي اللّٰه عنه - وهو في الصلاة - صلاة الغداة - فقال : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ، فأنصت له علي[٤] حتىٰ فهم ما قال ، فأجابه وهو في الصلاة : ﴿ **فاصبر إن وعد اللّٰه حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾ . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم . وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال :

حدثنا ابن وكيع ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زرعة ، عن علي ابن ربيعة قال : نادىٰ رجل من الخوارج عليًا وهو في صلاة الفجر ، فقال : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ، فأجابه علي وهو في الصلاة : ﴿ **فاصبر إن وعد اللّٰه حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾ (٤١) .

(طريق أخرىٰ) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شريك ، عن عمران بن ظَبيان ، عن أبي تحيا قال : صلىٰ علي - رضي اللّٰه عنه - صلاة الفجر ، فناداه رجل من الخوارج : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ، فأجابه علي ، وهو في الصلاة : ﴿ **فاصبر إن وعد اللّٰه حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾ .

ما روي في فضل هذه السورة الشريفة واستحباب قراءتها في الفجر

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، سمعت شبيبًا أبا روح ، يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - صلىٰ بهم الصبح فقرأ فيها الرّوم فأوهم(*) ، فقال : « **إنه يلبس علينا القرآن** ،

(٤١) تفسير الطبري (٣٨/٢١) .

(*) أوهم في الصلاة أو في القراءة : ترك منها شيئًا . يقال : أوهمت الشيء إذا تركته . وأوهمت في الكلام والكتاب إذا أسقطت منه شيئًا .

[١] - سقط من : ز،خ .

[٢] - في خ، ز : « أمر به » .

[٣] - سقط من : ز ،خ.

[٤] - سقط من : ز،خ .

فإن أقوامًا منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء ، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء »(٤٢).

وهذا إسناد حسن ومتن حسن ، وفيه سر عجيب[١] . ونبأ غريب ، وهو أنه - عليه السلام - تأثر بنقصان وضوء من ائتّم به ، فدل ذلك أن صلاة المأموم معدوقة بصلاة الإمام .



(٤٢) المسند (٤٧١/٣) . رواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : القراءة في الصبح بالروم (١٥٦/٢) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٦/١) وقال : رواه أحمد عن أبي روح عن رجل ورجاله رجال الصحيح . اهـ . وضعفه الألباني في ضعيف النسائي .

[١] - في ز ، خ : « غريب » .

تفسير سورة لقمان

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

تقدم في أول « **سورة البقرة** » عامةُ الكلامُ علىٰ ما يتعلق بصدر هذه السورة ، وهو أنه - تعالىٰ - جعل هذا القرآن هدىً وشفاء ورحمة للمحسنين ، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة ، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها ، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلىٰ مستحقيها ، ووصلوا قراباتهم وأرحامهم ، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة ، فرغبوا إلىٰ الله في ثواب ذلك ، لم يراءوا به ، ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا ، فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالىٰ : ﴿ **أولئك علىٰ هدىً من ربهم** ﴾، أي : علىٰ[١] بصيرة وبينة ومنهج واضح جليٍّ ، ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

لما ذكر تعالىٰ حال السعداء ، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله ذلك هدىٰ الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ عطف بذكر حال الأشقياء ، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله ، وأقبلوا علىٰ استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب ، كما قال ابن مسعود في قوله

---

[١] - سقط من : ز .

تعالىٰ : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** ﴾ ، قال : هو - والله - الغناءُ .

قال ابن جرير : حدثني يونس [بن عبد الأعلىٰ][١] ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يزيد عن[٢] يونس ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الصهباء البكري ، أنه سمع عبد الله بن مسعود - وهو يسأل عن هذه الآية : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله** ﴾ - فقال عبد الله : الغناء ، والله الذي لا إله إلا هو ، يرددها ثلاث مرات .

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا صفوان بن عيسىٰ ، أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الصهباء ، أنه سأل ابن مسعود عن قول الله : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** ﴾ ، قال : الغناء(١) .

وكذا قال ابن عباس ، وجابر ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومكحول ، وعمرو ابن شعيب ، وعلي بن بذيمة .

وقال الحسن البصري : أنزلت هذه الآية : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم** ﴾ في الغناء والمزامير .

وقال قتادة : قوله : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم** ﴾ : والله لعله لا ينفق فيه مالًا ، ولكن شراؤه استحبابه ، بحسب المرء من الضلالة أن يختارَ حديثَ الباطل علىٰ حديث الحق ، وما يضر علىٰ ما ينفع .

وقيل : عنى بقوله : ﴿ **يشتري لهو الحديث** ﴾ اشتراء المغنيات من الجواري .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن خلاد

(١) - إسناده صحيح ، وقد ورد من غير وجه عن سعيد بن جبير عن ، أبي الصهباء به . كما أخرجه ابن جرير وغيره . وأبو الصهباء هو صهيب مولى ابن عباس ، وثقه أبو زرعة ، وذكره ابن حبان في ثقاته ، وأخرج له مسلم ، وقال النسائي : ضعيف . وقال الحافظ : مقبول . قلت : وكلام أهل الجرح والتعديل يجعل النفس غير مطمئنة لتصحيح حديثه إذا انفرد ، وهذا مقتضى كلام الحافظ ؛ فمقبول يعني عن المتابعة وإلا فلين كما هو معروف ، ولكنا صححنا هذا الإسناد لأن هذا خبر عن ابن مسعود وليس عن رسول الله ﷺ ، ولا سيما أن ورد هذا القول عن ابن عباس ، وجابر ، وعكرمة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ولأن هذه الطبقة يتساهل معها ما لم يتساهل مع غيرها . لأنهم لازموا خير القرون ، فهذا يجبر ما كان بهم من ستر ، والله أعلم .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ت : « بن » .

الصفار ، عن عُبيد الله بن زَحْر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **لا يحل بيع المغنيات ، ولا شراؤهن ، وأكل أثمانهن حرام ، وفيهن أنزل الله - عز وجل - عَلَيّ : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾** » .

وهكذا رواه الترمذي وابن جرير ، من حديث عُبَيد الله بن زحر بنحوه ، ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وضعّف علي بن يزيد المذكور(٢) .

قلت : علي وشيخه والراوي عنه ، كلهم ضعفاء ، والله أعلم .

وقال الضحاك في قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** ﴾ : يعني الشرك . وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله .

وقوله : ﴿ **ليضل عن سبيل الله** ﴾ أي : إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله وعلىٰ قراءة فتح الياء ، تكون اللام لام العاقبة ، أو تعليلًا للأمر القدري ، أي : قُيِّضوا[١] لذلك ليكونوا كذلك .

وقوله : ﴿ **ويتخذها هزوًا** ﴾ قال مجاهد : ويتخذ سبيل الله هزوًا يستهزئ بها .

وقال قتادة : يعني ويتخذ آيات الله هزوًا . وقول مجاهد أولىٰ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أولئك لهم عذاب مهين** ﴾ ، أي : كما استهانوا بآيات الله وسبيله ،

---

(٢) - **إسناده واهٍ** ، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٦٤) ، والترمذى فى البيوع من جامعه ، باب : « ما جاء فى كراهية بيع المغنيات » حديث رقم (١٢٨٢) ، وفى التفسير ، باب : ومن سورة لقمان ، حديث رقم (٣١٩٥) ، وابن ماجه فى كتاب التجارات ، باب : ما لا يحل بيعه ، حديث رقم (٢١٦٨) ، والطبرانى (٨/ ٢١٢، ٢٢٣، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤) ، وابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى - ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/٧٨٣ - ٧٨٤) ، والبيهقى (٦/١٤ - ١٥) ، وابن عدى فى الكامل (٦/٢٣١٥) ، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٧٨٣، ٧٨٤) من طرق عن عبيد الله بن زحر ، عن على بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن الشامى ، عن أبى أمامة به . وفى بعض الطرق عند الطبرانى وابن الجوزى فى العلل المتناهية من طريق آخر عن القاسم عن أبى أمامة ، وكلها ضعيفة لا تثبت ، والحديث محفوظٌ من هذه الطريق : عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة ، وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، وفى الباب عن عائشة مرفوعًا بلفظ : « إن الله تعالى حرم القينة ، وبيعها وتعليمها ، والاستماع إليها ثم قرأ : ﴿ **ومن الناس ....** ﴾ الآية أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى - ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/٧٨٣ - ٧٨٥) وضعفه ، لتفرد ليث بن أبى سليم به .

---

[١] - في ز : « أفيضوا » .

أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليه آياتنا ولىٰ مستكبرًا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرًا** ﴾ ، أي : هذا المقبل علىٰ اللهو واللعب والطرب ، إذا تليت عليه الآيات القرآنية ، ولىٰ عنها وأعرض وأدبر وتصام[١] وما به من صمم ، كأنه ما يسمعها ، لأنه يتأذىٰ بسماعها ، إذ لا انتفاع له بها ، ولا أرَبَ له فيها ، ﴿ **فبشره بعذاب أليم** ﴾ ، أي : يوم القيامة يؤلمه ، كما تألَّم بسماع كتاب اللّٰه وآياته .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾

هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة ، الذين آمنوا باللّٰه وصدقوا المرسلين ، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة اللّٰه ، ﴿ **لهم جنات النعيم** ﴾ ، أي : يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسارّ ، من المآكل والمشارب ، والملابس والمساكن ، والمراكب والنساء ، والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد ، وهم في ذلك مقيمون دائمًا فيها ، لا يظعنون ولا يبغون عنها حولًا .

وقوله : ﴿ **وعد اللّٰه حقًّا** ﴾ ، أيْ : هذا كائن لا محالة ، لأنه من وعد اللّٰه ، واللّٰه لايخلف الميعاد ، لأنه الكريم المنان ، الفعال لما يشاء ، القادر علىٰ كل شيءٍ ، ﴿ **وهو العزيز** ﴾ ، الذي قد قهر كل شيءٍ ، ودان له كلُّ شيءٍ . ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله ، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين ، ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىٰ** ﴾ ، ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ .

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

---

[١] - في ز : « تصامم » .

يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السماوات والأرض ، وما فيهما وما بينهما ، فقال : ﴿ **خلق السموات بغير عمد** ﴾ ، قال الحسن وقتادة : ليس لها عُمُد مرئية ولا غير مرئية .

وقال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد : لها عمد لا ترونها . وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول « **سورة الرعد** » بما أغنى[١] عن إعادته .

﴿ **وألقى في الأرض رواسي** ﴾ ، يعني : الجبال أرست الأرض وثقلتها ؛ لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء ، ولهذا قال : ﴿ **أن تميد بكم** ﴾ ، أي : لئلا تميد بكم .

وقوله : ﴿ **وبث فيها من كل دابة** ﴾ ، أي : وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها .

ولما قرر أنه الخالق ، نبه على أنه الرازق بقوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم** ﴾ ، أي : من كل زوج من النبات كريم ، أي : حسن المنظر .

وقال الشعبي : والناس أيضًا من نبات الأرض ، فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم .

وقوله : ﴿ **هذا خلق الله** ﴾ ، أي : هذا الذي ذكره تعالى من خلق السماوات والأرض وما بينهما ، صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره ، وحده لا شريك له في ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **فأروني ماذا خلق الذين من دونه** ﴾ ، أي : مما تعبدون وتدعون[٢] من الأصنام والأنداد ، ﴿ **بل الظالمون** ﴾ ، يعني : المشركين بالله العابدين معه غيره ، ﴿ **في ضلال** ﴾ ، أي : جهل وعمى ، ﴿ **مبين** ﴾ ، أي : واضح ظاهر لا خفاء به .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

اختلف السلف في لقمان - عليه السلام - هل كان نبيًا ، أو عبدًا صالحًا من غير نبوة ؟ على قولين ، الأكثرون على الثاني .

وقال سفيان الثوري ، عن الأشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا .

---

[١] - في ز : « يغني » . [٢] - سقط من : ز .

وقال قتادة ، عن عبد اللّه بن الزبير قلت لجابر بن عبد اللّه : ما انتهىٰ إليكم من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيرًا أفطس ، من النوبة .

وقال يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر ، ذا[١] مشافر ، أعطاه اللّه الحكمة ، ومنعه النبوة .

وقال الأوزاعي - رحمه اللّه - : حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال : جاء أسود إلىٰ سعيد ابن المسيب يسأله ، فقال له سعيد بن المسيب : لا تحزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهْجَع[٢] مولىٰ عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبيًا ذا مشافر .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن خالد الربعي قال : كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا ، فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها[٣] ، فقال : أخرجْ أطيب مُضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب ، فمكث ما شاء اللّه ، ثم قال : اذبح لنا[٤] هذه الشاة . فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ؟ فقال لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خَبُثا .

وقال شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : كان لقمان عبدًا صالحًا ولم يكن نبيًا .

وقال الأعمش : قال مجاهد : كان لقمان عبدًا أسود عظيم الشفتين ، مشقق القدمين .

وقال حكام بن سلم ، عن سعيد الزبيدى ، عن مجاهد : كان لقمان الحكيم عبدًا حبشيًا ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضيًا على بنى إسرائيل . وذكر غيره : أنه كان قاضيا علىٰ بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن[٥] حُمَيد ، حدثنا الحكم ، حدثنا عمرو بن قيس قال : كان لقمان - عليه السلام - عبدًا أسود غليظ الشفتين ، مُصَفّح القدمين ، فأتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : ألست الذي كنت ترعىٰ معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، فقال : فما[٦] بلغ بك ما أرىٰ ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني[٧] .

---

[١] - في ز : « ذو » .

[٢] - في ز : « مهجمع » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « ما » .

[٧] - في ز : « يعني » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الرحمن ابن يزيد ، عن[١] جابر قال : إن اللّه رفع لقمان الحكيم بحكمته ، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك ، فقال له[٢] : ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعىٰ[٣] بالأمس ؟ قال : بلىٰ ، قال : فما بلغ بك ما أرىٰ ؟ قال : قَدَرُ اللّه ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وتركي ما لا يعنيني .

فهذه الآثار منها ما هو مُصرّح فيه بنفي كونه نبيًا ، ومنها ما هو مشعر بذلك ، [لأن كونه][٤] عبدًا قد[٥] مَسَّه الرق ينافي كونه نبيًا ، لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها . ولهذا كان جمهور السلف علىٰ أنه لم يكن نبينًا ، وإنما ينقل كونه نبيًا عن عكرمة ، إن صح السند إليه ، فإنه رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة قال : كان لقمان نبيًا . وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي ، وهو ضعيف ، واللّه أعلم .

وقال عبد اللّه بن وهب : أخبرني عبد اللّه بن عياش القِتْباني[٦] ، عن عُمَر مولىٰ غُفْرَة قال : وقف رجل علىٰ لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان ، أنت عبد بني الحسحاس[٧] ؟ قال : نعم . قال : أنت راعي الغنم ؟ قال : نعم . قال : أنت الأسود ؟ قال : أما سوادي فظاهر ، فما الذي يعجبك من أمري ؟ قال : وطء الناسِ بسَاطَك ، وغَشْيُهم بابك ، ورضاهم بقولك . قال : يابن أخي ، إن صَغَيتَ إلىٰ ما أقول لك كنت كذلك . قال لقمان : غضي بصري ، وكفي لساني[٨] ، وعفة طعمتي ، وحفظي فرجي ، [وقولي بصدقي][٩] ، ووفائي بعهدي ، وتكرمتي ضيفي ، وحفظي جاري ، وتركي ما لا يعنيني ، فذاك الذي صيرني إلىٰ ما ترىٰ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن فضيل[١٠] ، حدثنا عمرو بن واقد ، عن عَبْدَة ابن رَبَاح ، عن ربيعة ، عن أبي الدرداء - رضىٰ اللّه عنه - أنه قال يومًا - وذُكِرَ لقمان الحكيم - فقال : ما أوتي ما أوتي عن أهل ولا مال ، ولا حسب ولا خصال ، ولكنه كان رجلًا صَمْصَامة[١١] سكيتًا ، طويل التفكر ، عميق النظر ، لم ينم نهارًا قط ، ولم يره أحد قط يبزق ، ولا يتنخع ، ولا يبول ولا يتغوط ، ولا يغتسل ، ولا يعبث ، ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقًا نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد ، وكان قد تزوج وولد له أولاد ، فماتوا فلم يبك عليهم . وكان يغشَىٰ السلطان ، ويأتي الحكام ، لينظر ويتفكر ويعتبر ، فبذلك أوتي ما

[١] - في خ : « بن » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « تراعي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « لكونه » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « القتياني » .
[٧] - في ز : « الحسحساس » .
[٨] - في ز : « إساءتي » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « قواى بصدقي » .
[١٠] - في ت : « نفيل » .
[١١] - سقط من : خ ، ز .

أوتي [٣] .

وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبي حاتم[٤] فقال : حدثنا أبي ، حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا زيد بن يحيىٰ بن عبيد الخزاعي ، حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة قال : خَيّرَ اللَّه لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة ، فاختار الحكمة علىٰ النبوة . قال : فأتاه جبريل وهو نائم فَذَرّ عليه الحكمة - أو : رش عليه الحكمة - : فأصبح ينطق بها .

قال سعيد : فسمعت عن قتادة يقول : قيل للقمان : كيف اخترت الحكمة علىٰ النبوة وقد خَيَّرك ربك ؟ فقال : إنه لو أرسل إلي بالنبوة عَزْمَةً لرجوت فيه الفوز منه ، ولكنت أرجو أن أقوم بها ، ولكنه خَيّرني فخفت أن أضعف عن النبوة ، فكانت الحكمة أحب إلي . فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف ، وقد تكلموا فيه بسببه ، فالله أعلم .

والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ ، أي : الفقه في الإسلام ، ولم يكن نبيًّا ، ولم يوح إليه .

وقوله : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ أي : الفهم والعلم والتعبير ، ﴿ **أن اشكر لله** ﴾ ، أي : أمرناه أن يشكر اللَّه - عز وجل - علىٰ ما آتاه اللَّه ومنحه ووهبه من الفضل ؛ الذي خَصَّه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه** ﴾ ، أي : إنما يعود نفع ذلك وثوابه علىٰ الشاكرين ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن كفر فإن اللَّه غني حميد** ﴾ ، أي : غني عن العباد ، لايتضرر بذلك ، ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعًا فإنه الغني عما سواه ، فلا إله إلا اللَّه ، ولا نعبد[١] إلا إياه .

وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ

(٣) - **إسناده ضعيف** ، الأشعث هو ابن سوار قال الحافظ : « ضعيف » وهو من بلاغات ابن عباس ، ولا نعلم من أخبر ابن عباس بذلك ! وقد رواه جماعة عن لقمان بهذا الوصف أو قريبٌ منه كما سيسوقه المصنف . وهذا يشبه أن يكون قد أخذوه من مصدر واحدٍ ، ولكن لا نستطيع أن نجزم أنهم أخذوه عن رسول الله ﷺ ، مع إمكانية ذلك وجوازه ، لأنه من الممكن أن يكونوا قد حملوه عن أهل الكتاب وقد أمروا أن يحدثوا عنهم ، ولا حرج عليهم فى ذلك ، والله أعلم والخبر أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره .

(٤) - **إسناده ضعيف** ، سعيد بن بشير ضعفه غير واحد ، وحاصل الكلام فيه أنه ضعيف لا يقبل خبره إذا انفرد ، وقد خالفه سعيد بن أبى عروبة - وهو من أثبت الناس فى قتادة - عن قتادة فى قوله : ﴿ **ولقد آتينا لقمان ...** ﴾ الآية أي الفقه فى الإسلام ، ولم يكن نبيًّا ولم يوح إليه وسيذكره المصنف بعده .

[١] - في ز : « يعبد » .

عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى مخبرًا عن وصية لقمان لولده ، وهو لقمان بن عنقاء بن سدون ، واسم ابنه : ثاران ، في قول حكاه السهيلي . وقد ذكره تعالىٰ بأحسن الذكر ، فإنه آتاه الحكمة ، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ، ولهذا أوصاه أولًا بأن يعبد اللَّه وحده ولا يشرك به شيئًا ، ثم قال محذرًا له : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ ، أي : هو أعظم الظلم .

قال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - قال : لما نزلت : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ ، شق ذلك علىٰ أصحاب رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وقالوا : أينا لم يَلْبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنه ليس بذاك ، ألا تسمع إلىٰ قول لقمان : ﴿ يا بني لا تشرك باللَّه إن الشرك لظلم عظيم ﴾** » ورواه مسلم من حديث الأعمش به[(٥)] .

ثم قَرَنَ بوصيته إياه بعبادة اللَّه وحده البرّ بالوالدين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقضىٰ ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ . وكثيرًا ما يقرن تعالىٰ بين ذلك في القرآن ، وقال هاهنا : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا علىٰ وهن** ﴾ - قال مجاهد : مشقة وَهْن الولد . وقال قتادة : جهدًا على جهد . وقال عطاء الخراساني : ضعفًا علىٰ ضعف .

وقوله : ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ ، أي : تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ ومن هاهنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، لأنه قال تعالىٰ في الآية الأخرى : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا** ﴾ وإنما يذكر تعالىٰ تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلًا ونهارًا ، ليُذَكّر الولد بإحسانها المتقدم إليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير** ﴾ ، أي : فإني

---

(٥) - أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان من صحيحه ، باب : « ظلمٌ دون ظلم » حديث رقم (٣٢) ، وأطرافه فى (٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨، ٦٩٣٧) ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان من صحيحه ، باب : « صدق الإيمان وإخلاصه » حديث رقم (١٢٤) .

سأجزيك[١] علىٰ ذلك أوفر الجزاء .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ، ومحمود بن غيلان قالا : حدثنا عبيد الله ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل ، وكان بعثه النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : إني رسول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إليكم : « أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تطيعوني لا آلوكم خيرًا ، وإن المصير إلى الله ، وإلى الجنة أو إلى النار ، إقامة فلا ظعن وخلود فلا موت »[٦] .

وقوله : ﴿ **وإن جاهداك علىٰ أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾ ، أي : إن حَرَصا عليك كل الحرص علىٰ أن تتابعهما علىٰ دينهما ، فلا تقبل منهما ذلك ، ولا يمنعنَّك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا ، أي : محسنًا إليهما ، ﴿ **واتبع سبيل من أناب إليَّ** ﴾ ، يعني المؤمنين ، ﴿ **ثم إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ .

قال الطبراني في « **كتاب العشرة** » : حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد ، حدثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود بن أبي هند ، أن سعد ابن مالك قال : أنزلت فيَّ هذه الآية : ﴿ **وإن جاهداك علىٰ أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾ الآية ، قال : كنت رجلًا برًا بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ، ما هذا الذي أراك قد أحدثت ؟ لتَدَعَنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتىٰ أموت ، فتُعَيَّر بي ، فيقال : « **يا قاتل أمه** » . فقلت : لا تفعلي ياأمَّه ، فإني لا أدع ديني هذا لشيء . فمكثت يومًا وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يومًا وليلة أخرىٰ لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمَّه ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نَفْسًا نَفْسًا ، ما تركت ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت لا تأكلي ، فأكلت[٧] .

---

(٦) - صحيح إلى معاذ بن جبل ، وأبو إسحاق ، وهو السبيعي ، مدلس وقد عنعن ، ولكن وجدت هذا الخبر من وجه آخر عن معاذ بن جبل بنحوه ، وفيه بعض الزيادات ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (٦٢١/١٦) ضمن ترجمة معاذ بن جبل من طريق جابر بن يزيد الجعفى عن خالته به ، وأصل قصة بعث النبى ﷺ معاذ ابن جبل إلى اليمن فى الصحيحين وغيرهما تتضمن أصل هذه الوصية .

(٧) - سبق تخريج هذا الخبر من غير هذا الوجه عند الآية رقم (٨) من سورة العنكبوت ، وهو فى صحيح مسلم وغيره ، والحديث أخرجه الواحدى فى أسباب النزول فى سورة العنكبوت الآية رقم (٨) من طريق مسلمة بن علقمة عن داود بن أبى هند بهذا الإسناد ، ونسبه السيوطى فى الدر المنثور لأبى يعلى ، والطبرانى ، وابن مردويه ، وابن عساكر .

---

[١] - في ز : « سأجازيك » .

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

هذه وصايا نافعة قد حكاها اللّٰه تعالىٰ عن لقمان الحكيم ، ليمتثلها الناس ويقتدوا بها ، فقال : ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل** ﴾ ، أي : إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل . وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله : ﴿ **إنها** ﴾ ضمير الشأن والقصة . وجوز علىٰ هذا رفع ﴿ **مثقال** ﴾ والأول أولىٰ .

وقوله : ﴿ **يأت بها اللّٰه** ﴾ ، أي : أحضرها اللّٰه يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ، وجازى عليها إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء ، أو غائبة[١] ذاهبة في أرجاء السماوات أو الأرض ، فإن اللّٰه يأتي بها ، لأنه لا تخفىٰ عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولهذا قال : ﴿ **إن اللّٰه لطيف خبير** ﴾ ، أي : لطيف العلم ، فلا تخفىٰ عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ، ﴿ **خبير** ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم .

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله : ﴿ **فتكن في صخرة** ﴾ ، أنها صخرة تحت الأرضين السبع ، ذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك ، ويروىٰ هذا عن عطية العوفي ، وأبي مالك ، والثوري ، والمنهال بن عمرو ، وغيرهم . وهذا والله أعلم ، كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ، والظاهر - واللّٰه أعلم - أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن اللّٰه

---

[١] - في ز : « عاتية » .

سيبديها ويظهرها بلطيف علمه ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرَّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ، ليس لها باب ولا كُوَّة ، لخرج**[١] **عمله للناس كائنًا ما كان** »(٨) .

ثم قال : ﴿ **يا بني أقم الصلاة** ﴾ ، أي : بحدودها وفروضها وأوقاتها ، ﴿ **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر** ﴾ ، أي : بحسب طاقتك وجهدك ، ﴿ **واصبر علىٰ ما أصابك** ﴾ . علم أن الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ، لابد أن يناله من الناس أذىٰ ، فأمره بالصبر .

وقوله : ﴿ **إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ أي : إن الصبر على أذى الناس لمن[٢] عزم الأمور .

وقوله : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ ، يقول : لا تُعرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقارًا منك لهم ، واستكبارًا عليهم . ولكن ألن جانبك ، وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث : « **ولو أن تلقىٰ أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبالَ الإزار فإنها من المخيلة ، والمخيلة لا يحبها الله** »(٩) .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ ، يقول : لا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . وكذا روى العوفي وعكرمة عنه .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ لا تَكَلَّمْ وأنت معرض ، وكذا رُوي عن مجاهد ، وعكرمة ، ويزيد بن الأصم ، وأبي الجوزاء ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقال إبراهيم النخعي : يعني بذلك التشديق في الكلام .

والصواب القول الأول .

قال ابن جرير : وأصل الصَّعَر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها ، حتىٰ تُلفَتَ[٣] أعناقُها عن رءوسها ، فشبه به الرجل المتكبر[٤] ، ومنه قول عمرو بن حُنيّ التغلبي :

وَكُنَّا إذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا

(٨) - سبق تخريج هذا الحديث فى سورة التوبة الآية رقم (١٠٥) .

(٩) - سبق تخريج هذا الحديث فى سورة النمل الآية رقم (٦٢) .

[١] - في ز : « تخرج » .

[٢] - في ز : « فمن » .

[٣] - في خ : « بلغت » .

[٤] - في خ : « المنكسر » ، وفي ز : «المنكر».

وقال أبو طالب في شعره :

وَكُنَّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً إذ ما ثَنوا صُعْرَ الرءوس نُقِيمُها

وقوله : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا** ﴾ ، أي : جذلًا متكبرًا جبارًا عنيدًا ، لا تفعل ذلك يبغضك الله ، ولهذا قال : ﴿ **إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ أي : مختال معجب في نفسه ، فخور ، أي : على غيره . وقد[١] قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا** ﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ثابت بن قيس بن شمَّاس قال : ذكر الكبر عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فشدد فيه ، فقال : « **إن الله لا يحب كل مختال فخور** » . فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله ؛ إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ، ويعجبني شراك نعلي ، وعلاقة سوطي ، فقال : « **ليس ذلك الكبرَ ، إنما الكبرُ أن تَسْفَه الحق ، وتَغْمط الناس** » .

ورواه من طريق أخرى بمثله ، وفيه قصة طويلة ، ومقتل ثابت ووصيته بعد موته (١٠) .

---

(١٠) - أخرجه الطبراني (٦٩/٢) (١٣١٧) - ووقع فى المطبوع من المعجم أكثر من تصحيف فلينتبه إلى ذلك - عن محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن محمد بن عمران بن أبي ليلى عن أبيه عن ابن أبي ليلى به ، كما ذكره المصنف ، وأخرجه الطبراني أيضًا في ٦٩/٢ (١٣١٨) من طريق آخر عن ابن أبي ليلى به ، وهذا الإسناد ضعيف لتفرد ابن أبي ليلى به ، قال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٥) : « وفيه محمد بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ وحديثه حسن بالشواهد التي تقدمت في هذا الباب ، ولكن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من ثابت بن قيس » وللحديث طريق أخرى ، وهي التي أشار إليها المصنف بقوله : « ورواه - يعني الطبراني - من طريق أخرى بمثله ، وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ... » قلت : وهي عند الطبراني (٧٠/٢) (١٣٢٠) من طريق ابنة ثابت بن قيس عن أبيها وذكره الهيثمي في المجمع (٣٢٤/٩) وقال : « ابنة ثابت بن قيس لم أعرفها » ثم وجدت طريقًا أخرى لهذا الحديث ولكنه أخصر من هذا فليس فيه ذكر الآية ﴿ **إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ أخرجه الروياني في مسنده (١٧٥/٢) حديث رقم (١٠٠٣) من طريق هشام بن عمار عن عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني عن ثابت بن قيس بلفظ : « يا رسول الله ، إني رجل أحب الجمال حتى في نعلي ... ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الله جميل يحب الجمال » وهذا الإسناد ضعيف جدًّا ؛ فيه عمرو بن واقد وهو متروك . وفي الجملة فإن الحديث من مسند ثابت بن قيس غير صحيح وله شاهد صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا . قال : « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمطُ الناس » وسيذكره المصنف عندما يعقد بابًا باسم : « ذم الكبر » .

---

[١] - سقط من ت .

وقوله : ﴿ **واقصد في مشيك** ﴾ ، أي : امش مشيًا مقتصدًا ليس بالبطيء[١] المتثبط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلًا وسطًا بين بين .

وقوله : ﴿ **واغضض من صوتك** ﴾ ، أي : لا تبالغ في الكلام ، و[٢]لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ . قال مجاهد وغير واحد : إن أقبح الأصوات لصوت الحمير . أي : غاية مَن[٣] رفع صوته أنه يُشَبَّه بالحمير في علوه ورفعه ، ومع هذا هو بغيض إلىٰ الله تعالىٰ . وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم ، لأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ليس لنا مثل السوء ، العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه** »(١١) .

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إذا سمعتم صياح الدِيَكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطانًا** » .

وقد أخرجه بقية الجماعة(١٢) سوى ابن ماجة من طرق عن جعفر بن ربيعة به ، وفي بعض الألفاظ : « **بالليل** » . فالله أعلم .

---

(١١) - سبق تخريجه فى سورة الأعراف ، الآية رقم (١٧٧) .

(١٢) - كتاب التفسير ، باب سورة لقمان ، حديث رقم (١١٣٩١) . وأخرجه البخارى فى صحيحه كتاب بدء الخلق ، باب : « خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال» حديث رقم (٣٣٠٣) ، ومسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك حديث رقم (٢٧٢٩) ، وأبو داود فى سننه كتاب الأدب باب ما جاء فى الديك والبهائم (٥١٠٢) ، وأخرجه الترمذى فى جامعه كتاب الدعوات ، باب ما يقول : إذا سمع نهيق الحمار حديث رقم (٣٤٥٩) ، وأخرجه النسائى فى الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا سمع نهيق الحمير حديث رقم (١٠٧٧٩) وما يقول إذا سمع صياح الديك حديث رقم (١٠٧٨٠) ، وأما ما أشار إليه المصنف من أنه ورد فى بعض الألفاظ ، تقييد هذا الذكر « بالليل » فقد ورد هذا القيد فى حديث جابر بن عبد الله عند أحمد (٣٠٦/٣) ، والبخارى فى الأدب المفرد برقم (١٢٣٣) ، (١٢٣٥) ، وابن السنى فى اليوم والليلة رقم (٣٠٧) ، وأبو داود فى كتاب الأدب من سننه ، باب ما جاء فى الديك والبهائم حديث رقم (٥١٠٢) ، والحاكم (٤/ ٢٨٣، ٢٨٤، والبغوى فى شرح السنة كتاب الدعوات باب ما يقول عند صياح الديك حديث رقم (١٣٣٤) وغيرهم من طرق عن جابر بن عبد الله بلفظ : « إذا سمعتم نباح الكلب ، ونهيق الحمر بالليل فتعوذوا بالله فإنهن يرين ما لا ترون » قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا السياق » .

---

[١] - في خ : « السبط »، وفي ز : «بالبسيط» . [٢] - في ز : « أي » .

[٣] - في ز : « في » .

فهذه وصايا نافعة جدًّا ، وهي من قَصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم . وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة ، فلنذكر منها أنموذجًا ودستورًا إلىٰ ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا علي بن إسحاق ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا سفيان ، أخبرني نهشل[١] بن مجمع الضبي ، [عن قزعة][٢] ، عن ابن عمر - رضي اللّٰه عنه - قال : أخبرنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن لقمان الحكيم كان يقول : إن اللّٰه إذا اسْتُوْدِع شيئًا حفظه** »(١٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن

(١٣) - المسند (٨٧/٢) (٥٦٠٥، ٥٦٠٦) . وأخرجه النسائى فى اليوم والليلة (٥١٧، ٥١٨) من طريق ابن مهدى وابن المبارك وعبدة ، عن الثورى ، وأخرجه النسائى فى اليوم والليلة (٥١٦) من طريق محمد بن فضيل كلاهما « الثورى ، وابن فضل » عن نهشل بن مجمع الضبى عن قزعة عن ابن عمر ، فذكره كما ساقه المصنف .

وأخرجه عبد بن حميد (٨٥٥) ، والنسائى فى اليوم والليلة (٥١٩) ، والبيهقى فى الشعب (٢١١/٣) ، من طريق إسحاق الأزرق وقبيصة وأبى داود الجفرى ، ثلاثتهم عن الثورى عن نهشل الضبى عن أبى غالب قال : شيعتُ ابن عمر فقال : إن رسول الله ﷺ ... الحديث ، وأبو غالب هذا مجهول ، وإذا كان الحديث محفوظًا من طريق قزعة عن ابن عمر فإسناده حسن ؛ نهشل بن مجمع الضبى صدوق .

والحديث أخرجه الطبرانى فى الدعاء الحديث رقم (٨٢٧) من طريق أبى نعيم عن الثورى عن نهشل عن أبى غالب ، وقزعة أو أحدهما عن ابن عمر به مرفوعًا .

والحديث أخرجه النسائى فى اليوم والليلة (٥٢٠) من طريق سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبى سنان عن قزعة ، وأبى غالب عن ابن عمر موقوفًا عليه ، ليس فيه ذكر لقمان - عليه السلام - وأخرجه النسائى أيضًا فى اليوم والليلة (٥٢١) من طريق إسرائيل عن أبى سنان عن أبى غالب - وحده - عن ابن عمر موقوفًا ليس فيه ذكر لقمان ، والحديث رواه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز واختلف عليه فى اسم شيخه فأخرجه أحمد ١٣٦/٢ (٦١٩٩) ،وعبد بن حميد (٨٣٤) ، والبخارى فى التاريخ الكبير ٨/ ٢٦٠، والنسائى فى اليوم والليلة (٥١١ - ٥١٣) ، والبيهقى فى السنن (٢٥١/٥) ، والمحاملى فى الدعاء ، باب ما يودع به المسافر من الدعاء حديث رقم (٤) ، كلهم من طريق أبى نعيم ، وعبدة ، وأبي حمزة عن عبد العزيز بن عمر عن يحيى بن إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر مرفوعًا ليس فيه ذكر لقمان . وأخرجه أحمد (٣٨/٢) (٤٩٥٧) ، وأبو داود (٢٦٠٠) من طريق مروان بن معاوية الفزارى ، وعبد الله بن داود كلاهما عن عبد العزيز عن إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر مرفوعًا - وفيه أن شيخ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز هو إسماعيل بن جرير - قال الحافظ : صوابه يحيى بن إسماعيل ، لين الحديث - وأخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة (٥١٤) من طريق آخر عن عبد العزيز بن عمر قال : حدثنى إسماعيل بن محمد بن سعد عن قزعة عن ابن عمر مرفوعًا ، وفيه أن شيخ عبد العزيز هو إسماعيل ابن محمد بن سعد وهو الزهرى ثقة ، وأخرجه أحمد (٢٥/٢) (٤٧٨١) ، والنسائى فى اليوم والليلة (٥١٥) من طريق وكيع ويحيى بن حمزة عن عبد العزيز بن عمر عن قزعة عن ابن عمر مرفوعًا ، وليس فيه

[١] - في ز : « نهيل » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ر .

موسىٰ بن سليمان، عن القاسم [يحدث عن أبي موسىٰ الأشعري][١] أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بُني ، إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل ، مذلة بالنهار** »(١٤) .

وقال : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان ، عن[٢] ضمرة ، حدثنا السَّري[٣] بن يحيىٰ قال : قال لقمان لابنه : يا بني ، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك(١٥) .

وقال : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن المسعودي ، عن عون بن عبد اللّه قال : قال لقمان لابنه : يابني ؛ إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الإِسلام - يعني السلام - ثم اجلس في ناحيتهم ، فلا تنطق حتىٰ تراهم قد نطقوا ، فإن

شيخ عبد العزيز ، والذى يظهر لى أن الحمل فى هذا الخلاف على عبد العزيز نفسه ، فقد قال الحافظ فى التقريب : « صدوق يخطئ » ، والله أعلم .

فالحاصل : أن هذا الحديث مداره على ثلاثة من الرواة :

الأول نهشل بن مجمع الضبى ، وهو ثقة ، وثقه الثورى وابن معين وأبو داود ، وذكره ابن حبان فى ثقاته ، وقد اختلف عليه كما سبق على وجوه فقيل عنه عن قزعة عن ابن عمر ، وقيل عنه عن أبى غالب عن ابن عمر ، وقيل عنه عن كليهما ، وقيل عنه على الشك .

- الثانى : أبو سنان ، وهو ثقة ثبت ، فرواه سويد بن نصر - وهو راوية عبد الله بن المبارك ومن أثبت الناس فيه - عن ابن المبارك عن الثورى عن أبى سنان ضرار بن مرة عن قزعة ، وأبى غالب عن ابن عمر موقوفًا عليه ، ورواه إسرائيل عن أبى سنان عن أبى غالب - وحده - عن ابن عمر موقوفًا عليه .

- الثالث ، عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وقد اختلف فى حديثه على شيخه ، والراجح أنه يحيى بن إسماعيل بن جرير ، وهو لين الحديث كما قال الحافظ : وعليه فالحديث من الثلاثة طرق لا يثبت للإضطراب فى إسناده ، والله أعلم .

(١٤) - إسناده ضعيف ، موسى بن سليمان بن موسى القرشى فيه جهالة . لم يرو عنه إلا الأوزاعى ، قال أبو حاتم : شيخ . وذكره ابن حبان فى ثقاته ، وقال الحافظ : مقبول . والحديث أخرجه الحاكم ٤١١/٢ من طريق آخر عن الأوزاعى عن موسى بن سليمان به ، وقال : « متن شاهده إسناده صحيح والله أعلم » وأقره الذهبى .

(١٥) - **إسناده حسن إلى السرى** ؛ عمرو بن عثمان هو ابن سعيد بن كثير بن دينار وثقه غير واحد وقال الحافظ : صدوق . وضمرة هو ابن ربيعة ، قال الحافظ : صدوق يهم قليلاً ، والسرى بن يحيى هو ابن إياس بن حرملة وثقه جماعة ، وقال الأزدى : ضعيف . وخطأه الحافظ فى التقريب قائلاً : « ... ثقة وأخطأ الأزدى فى تضعيفه » ، وقال ابن عبد البر : « وهو أوثق من الأزدى بمئة مرة » انظر الميزان (٣٠٩٣/٢) وهذا الخبر من بلاغات السرى عن لقمان ، ومثله لا يقبل عند أهل النقد ، ولا يصح الخبرعن لقمان ومن فى طبقته من الأنبياء والصالحين إلا ما كان من قول رسول الله ﷺ عن رب العزة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « بن » . [٣] - في ز : « البري » .

أفاضوا في ذكر اللَّه فَأَجِلْ سهمك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم(١٦) .

وحدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ضمرة ، عن حفص بن عمر - رضي اللَّه عنه - قال : وضع لقمان جرابًا من خردل إلىٰ جانبه ، وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة ، حتىٰ نفذ الخردل ، فقال : يا بني ، لقد وعظتك موعظة لو وُعِظَها جبل لتفطر . قال : فتفطر ابنه(١٧) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا يحيىٰ بن عبد الباقي المصيصي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي ، حدثنا أيمن بن سفيان المقدسي ، عن خليفة بن سلام ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اتخذوا السودان ، فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم ، والنجاشي ، وبلال المؤذن** » . قال أبو القاسم الطبراني : أراد الحبش(١٨) .

(فصل في الخمول والتواضع)

وذلك متعلق بوصية لقمان - عليه السلام - لابنه ، وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتابًا مفردًا ، نحن نذكر منه مقاصده ،

قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبد اللَّه بن موسىٰ المدني ، عن أسامة بن زيد ، عن حفص بن عبيد[١] اللَّه بن أنس ، عن جده أنس بن مالك : سمعت رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - يقول : « **رُبَّ أشعثَ ذي[٢] طِمْرَين يُصْفَح عن أبواب الناس ، إذا أقسم على الله لأبره** »(١٩) .

(١٦) - **إسناده ضعيف** ؛ فيه المسعودى وقد اختلط بآخرة ، ولم أقف على من نص على سماع عبد الله بن المبارك منه هل كان قبل الاختلاط أم بعده .

(١٧) - **إسناده حسن** ، إلى حفص بن عمر ، وضمرة هو ابن ربيعة تقدم قريبًا .

(١٨) - إسناده ضعيف جدًّا . أخرجه الطبرانى (١١/١٩٨) ، وابن حبان في المجروحين (١/١٧٠) ، وزاد السيوطى نسبته إلى ابن عساكر ، من طريق عثمان بن عبد الرحمن به ، وأيمن هذا ليس بشيء ؛ قال ابن حبان : « كان يقلب الأخبار ، وأكثر روايته عن الضعفاء » وقال البخارى : « لا يكتب حديثه » ، وقال الدارقطنى : « ضعيف له مناكير » . والحديث ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٢٣٢) وقال : « لا يصح ، والمتهم به أيمن كان يقلب الأخبار ، وعثمان لا يحتج به » ، وفى الباب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر مرفوعًا بلفظ : « سادات السودان أربعة ... فذكر الثلاثة وزاد مهجع » أخرجه ابن عساكر ، وفى الباب أيضًا من حديث واثلة بن الأسقع عند الحاكم (٤/٢٨٤) بنحو حديث عبد الرحمن بن يزيد .

(١٩) - **حديث صحيح** ، أخرجه الترمذى فى المناقب من جامعه ، باب مناقب البراء بن عازب ، حديث =

[١] - في خ ، ز : « عبد » . [٢] - في ز : « في » .

ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان ، عن ثابت وعلي بن زيد ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فذكره ، وزاد : منهم البراء بن مالك .

وقال أبو بكر بن سهل التميمي : حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع بن يزيد ، عن عياش بن عباس ، عن عيسىٰ بن عبد الرحمن ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر رضي اللَّه عنه - أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال له : ما يبكيك يا معاذ ؟ قال : حديث سمعته من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، سمعته يقول : « **إن اليسير من الرياء شرك ، وإن اللَّه يحب الأتقياء الأخفياء الأثرياء ، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدىٰ ، ينجون من كل غبراء مظلمة** »(٢٠) .

حدثنا الوليد بن شجاع ، حدثنا عَثَّام بن علي ، عن حميد بن عطاء الأعرج ، عن عبد اللَّه ابن الحارث ، عن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **رُبَّ ذي طمرين لايُؤْبَه له ، لو أقسم علىٰ اللَّه لأبره ، لو قال : اللهم ؛ إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ، ولم يعطه من الدنيا شيئًا** »(٢١) .

وقال أيضًا : حدثنا إسحاق بن إبراهيم [١]، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سالم بن

= رقم (٣٨٥٤) ، وعبد بن حميد فى مسنده حديث رقم (١٢٣٦) ، والبيهقى فى الشعب ٧/ ٣٣١، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٥٠، والخطيب فى تاريخه ٢٠٣/٣ من طرق عن أنس بن مالك به ، وعند بعضهم : « ... منهم البراء بن عازب » ولم أجد هذا الحديث في كتاب التواضع والخمول للحافظ ابن أبى الدنيا ، الذى أشار إليه المصنف ، ولعله سقط من المطبوع والله أعلم . وللحديث شواهد كثيرة ، فقد أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة ، باب فضل الضعفاء والخاملين حديث رقم (٢٠٢٤) ، وفى كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء حديث رقم (٢١٩١) ، من حديث أبى هريرة . وفى الباب عن ابن مسعود وحارثة بن وهب ، وغيرهما انظر كشف الخفا حديث رقم (١٣٦٢) .

(٢٠) - إسناده ضعيف جدًّا ، عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك . والحديث أخرجه ابن ماجه فى الفتن ، باب من ترجى له السلامة من الفتن حديث رقم (٣٩٨٩) ، وابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (٨) ، وفى الأولياء حديث رقم (٦) ، والحاكم فى المستدرك (٣٢٨/٤) ، من طرق عن عيسى بن عبد الرحمن عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس عن زيد بن أسلم عن أبيه به ، بإسقاط عيسى الزرقى منه ، ثم قال الحاكم : « صحيح ولا علة له » وأقره الذهبى . قلت : بل علته الانقطاع بين عياش بن عباس ، وزيد بن أسلم ، فبينهما هذا الهالك ، فمدار هذا الحديث عليه ، والله أعلم .

(٢١) - أخرجه البزار في مسنده (٤٠٤/٥) حديث رقم (٢٠٣٥) من طريق آخر عن حميد الأعرج ، وحميد ضعيف ، ولم أجد من تابعه . والحديث ذكره الهيثمى فى المجمع (٢٦٤/١٠) وقال : « رواه البزار رجاله رجال الصحيح غير جارية بن هرم وقد وثقه ابن حبان على ضعفه » قلت : جارية قد توبع عليه من

---

[١] - في التواضع والخمول : إسماعيل .

أبي الجعد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« إن من أمتي من لو أتىٰ باب أحدكم يسأله دينارًا أو درهمًا أو فلسًا لم يعطه ، ولو سأل اللّٰه الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ، ولم يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم علىٰ اللّٰه لأبره »** . وهذا مرسل من هذا الوجه (٢٢) .

وقال أيضًا : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف قال : قال أبو هريرة : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« إن من ملوك الجنة كُلَّ أشعثَ أغبرَ ذي[١] طمرين لايُؤبَه له ، الذين إذا استأذنوا علىٰ الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم يُنصَت لهم ، حوائج أحدهم تتجلجل في صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم »** (٢٣) .

قال : وأنشدني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال : قال عبد الله بن المبارك :

أَلا رُبَّ ذيْ طِمْرَيْنِ في مَنْزلٍ غَدًا زَرَابِيّـهُ مَـبْـثُـوثَـةٌ وَنَمَـارِقُـهْ
قَد اطَّرَدَتْ[٢] أنهاره حَوْلَ قَصْرِه وَأَشْرَقَ ، والتفَّتْ عَلَيه حَدَائِقُهْ(٢٤)

ورووىٰ أيضًا[٣] من حديث عُبَيد اللّٰه بن زَحْر(٢٥) ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعًا : **« قال اللّٰه : منْ أغبط أوليائي عندي مؤمنٌ خفيف الحاذ ، ذو حظ من**

عثام وغيره ، وإنما علته حميد هذا قال البزار : « وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد » . والحديث أخرجه ابن عدى فى الكامل (٦٨٩/٢) فى ترجمة حميد الأعرج من غير طريق جارية الذى أعل الهيثمى الحديث به ، مما يؤكد أن الحمل فيه على حميد الأعرج لا على من دونه .

(٢٢) - إسناده صحيح إلى سالم بن أبي الجعد ، وهو من مراسيله . والخبر أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١) .

(٢٣) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى الأولياء حديث رقم (٩) ، وإسحاق بن إبراهيم هو ابن عبد الرحمن البغوى أبو يعقوب لقبه لؤلؤ وقيل : بؤبؤ وهو ثقة ، وعوف هو ابن أبى جميلة . وهذا الإسناد منقطع فإن عوفًا لم يدرك أبا هريرة ، والحديث أخرجه البيهقى فى الشعب حديث رقم (١٠٤٨٧) من طريق إسحاق بن سليمان الرازى عن جعفر بن سليمان عن عوف عن الحسن أظنه عن أبى هريرة ، فزاد فى إسناده الحسن وإسحاق بن سليمان الرازى ثقة ، فإن كان الحديث محفوظًا بهذا الإسناد فمن رأى أن الحسن سمع من أبى هريرة فيكون الحديث صحيحًا به ، ومن أنكر السماع ، فيكون الإسناد منقطعًا ، وفى سماع الحسن من أبى هريرة خلافٌ مشهور ، والأكثرون على علم السماع ، والله أعلم .

(٢٤) - الخبر فى التواضع والخمول لابن أبى الدنيا برقم (٥) ، وعمر بن شبة هو ابن عبيدة بن زيد النميري قال الحافظ : « صدوق له تصانيف » وابن أبى عائشة هو عبيد الله بن محمد التيمى .

(٢٥) - أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٥) ، وفى الزهد (ص ١١) ، والترمذى فى الزهد من جامعه ، باب ما جاء فى الكفاف والصبر حديث رقم (٢٣٤٧) ونعيم بن حماد فى زوائده على الزهد لابن المبارك

---

[١] - في ز : « ذو » .
[٢] - في ز : « اضطردت » .
[٣] - سقط من : ز .

صلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه في السر ، وكان غامضًا في الناس ، لا يُشارُ إليه بالأصابع إن صبر علىٰ ذلك . قال : ثم نَقَر[١]. رسول الله بيده وقال: « عجلت منيتُه ، وقلَّ تراثه ، وقلت بواكيه » .

وعن عبد اللَّه بن عمرو قال : أحب عباد اللَّه إلىٰ اللَّه الغرباءُ ، قيل : ومن الغرباء ؟ قال[٢] : الفرارون بدينهم ، يجمعون يوم القيامة إلىٰ عيسىٰ ابن مريم(٢٦) .

وقال الفضيل بن عياض : بلغني أن اللَّه تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة : « ألم أنعم عليك ؟ ألم أعطك ؟ ألم أسترك ؟ ألم ..؟ ألم ..؟ ألم أخمل ذكرك ؟ » ثم قال الفضيل : إن استطعت أن لا تُعرف فافعل ، وما عليك أن لا يُثنىٰ عليك ، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس محمودًا عند اللَّه (٢٧) .

وكان ابن محيريز يقول : اللهم؛ إني أسألك ذكرًا خاملًا (٢٨) .

ص ٥٤، ووكيع في الزهد (٣٥٩/١ - ٣٦٢) ، والحميدى فى مسنده (٤٠٤/٢) ، والحاكم (٤/ ١٢٣) ، وقال : « هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه » وقال الذهبى : « لا ، بل إلى الضعف هو » وأبو نعيم فى الحلية (٢٥/١) ، والبيهقى فى الزهد (١٤٤ - ١٤٥) من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن زيد عن القاسم به ، وهذا الإسناد ضعيف لضعف على بن يزيد وهو الألهانى .

والحديث أخرجه ابن ماجه من طريق آخر عن أبى أمامة فى كتاب الزهد من سننه ، باب : « من لا يؤبه له » حديث رقم (٤١١٧) وفى إسناده مجهول ، وآخر متفق على تضعيفه . فالحديث ضعيف لا يثبت .

(٢٦) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٨) ، وأحمد فى الزهد ص ٧٧، والدورقى (٩٤) والآجرى فى الغرباء ص ٤٩، والبخارى فى التاريخ الكبير (٢١٣٠/٢) من طريق محمد بن مسلم الطائفى به ، وإسناده ضعيف محمد بن مسلم الطائفى ضعفه غير واحدٍ وشيخه قال الحافظ : « مقبول » أى وللحديث طريق أخرى مرفوعًا . فأخرجه أحمد فى الزهد ص ١٤٩، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٥، والبيهقى فى الزهد (٢٠٩) من طريق سفيان بن وكيع عن عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عبيد الله بن عمرو مرفوعًا به ، وهذا الإسناد ضعيف أيضًا ؛ سفيان بن وكيع ضُعف بسبب ورّاقه السوء ، وابن جريج مدلس وقد عنعن ، ويشبه أن يكون هذا الخبر من أحاديث أهل الكتاب ، والذين كان يحدث عنهم عبد الله بن عمرو من الزاملتين اللتين وجدهما فى غزاةٍ غزاها ، هذا إن صح السند إليه ولا أراه يصح ، والله أعلم .

(٢٧) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٧) وفيه إبراهيم بن الأشعث قال ابن حبان : « ... يغرب وينفرد ويخطئ ويخالف » والخبر من بلاغات الفضيل بن عياض ، وقد أشرنا قبل ذلك من أن مثل هذه الأخبار الأصل فيها التوقيف ، فلابد من قول لرسول الله ﷺ فيها وإلا فليس بشيء .

(٢٨) - المصدر السابق برقم (١٨) وإسناده ليس بالقوى . والخبر أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٤٠/٥) : « ترجمة ابن محيريز » وكذلك أوردها الذهبى فى السير ضمن ترجمته ، وكذلك ابن عساكر فى تاريخه وكذا ابن الجوزى فى صفة الصفوة .

---

[١] - في ز : « نفذ » . [٢] - سقط من : ز .

وكان الخليل بن أحمد يقول : اللهم؛ اجعلني عندك من أرفع خلقك ، واجعلني في نفسي من أوضع خلقك ، وعند الناس من أوسط خلقك(٢٩) .

ثم قال :

باب ما جاء في الشهرة

حدثنا أحمد بن عيسىٰ المصري ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو[١] بن الحارث وابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **حسب امرئ من الشر – إلا من عصم الله – أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم** »(٣٠) .

وروي مثله عن إسحاق بن البهلول ، عن ابن أبي فَديك ، عن محمد بن عبد الواحد الأخنسي ، عن عبد الواحد بن أبي كثير ، عن جابر بن عبد الله مرفوعًا ، مثله(٣١) .

وروي عن الحسن مرسلًا نحوه ، فقيل للحسن : فإنه يشار إليك بالأصابع ؟ فقال : إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة ، وفي دنياه بالفسق(٣٢) .

وعن علي – رضي الله عنه – قال : لا تبدأ[٢] لأن تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر ، وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تَسُرّ الأبرار ، وتَغيظ الفجار(٣٣) .

---

(٢٩) – المصدر السابق برقم (٢١) وإسناده قوى إلى الخليل بن أحمد .

(٣٠) – التواضع والخمول رقم (٣٠) ، وأخرجه البيهقي في الشعب (٣٦٦/٥) من طريق يوسف بن يعقوب عن أحمد بن عيسى به . والحديث ذكره السيطي في الجامع الصغير (١٩٦/٣) ، وأعله المناوي بضعف يوسف وابن لهيعة ، وتابعه الألباني في الضعيفة (١٦٧٠) . ويوسف بن يعقوب متابع من ابن أبي الدنيا . وابن لهيعة متابع من عمرو بن الحارث كما عند ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب . وعليه فإعلال الحديث بيوسف بن يعقوب أو ابن لهيعة ليس بشيء . ولكن للحديث علة أخرى هي سنان بن سعد ، أو سعد بن سنان ، فقد اختلف في اسمه ، وانفرد يزيد بن أبي حبيب به عنه .

(٣١) – أخرجه ابن أبي الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (٣١) وعنده « محمد بن سليمان الأخنسى » بدلاً من « محمد بن عبد الواحد الأخنسى » وهو وشيخه عبد الواحد لم أجد من ترجم لهما ، والحديث لا شك أنه من الزوائد ، ومع ذلك لم أجد الهيثمى ذكره فى المجمع ، ولا السيوطى فى الجامع وذلك بعد بحث والله أعلم .

(٣٢) – أخرجه ابن أبي الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (٣٢، ٣٣) وإسناده ضعيف ؛ فيه المبارك بن فضالة يدلس ويسوي ، وقد عنعن . والخبر أورده السيوطى فى الجامع الكبير ، وعزاه للحكيم الترمذى عن الحسن مرسلاً .

(٣٣) – أخرجه ابن أبي الدنيا فى التواضع والخمول الخبر رقم (٣٤) وسنده واه ؛ فيه إبراهيم بن هراسة =

---

[١] – في ت : « عمر » . [٢] – في ز : « تبدى » .

وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - : ما صدقَ الله من أحبَّ الشهرةَ .

و[١]قال أيوب : ما صدق اللّه عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه .

وقال محمد بن العلاء : من أحب الله أحب ألا يعرفه الناس .

وقال سماك بن سلمة : إياك وكثرة الأخلاء .

وقال أبان بن عثمان : إن أحببت أن يسلم لك دينك فأقل من المعارف .

وكان أبو العالية إذا جلس إليه أكثرُ من ثلاثة نهَضَ وتركَهم .

وقال : حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شعبة ، عن عوف ، عن أبي رجاء قال : رأىٰ طلحة قومًا يمشون معه ، فقال : ذباب طمع ، وفراش النار (٣٤) .

وقال ابن إدريس ، عن هارون بن عنترة[٢] ، عن سليم بن حنظلة قال : بينا نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالدِّرَّة ، وقال : إنها مذلة للتابع ، وفتنة للمتبوع (٣٥) .

وقال [ابن عون][٣] ، عن الحسن : خرج ابن مسعود فاتبعه أناس ، فقال : واللّه لو تعلمون ما أغلقُ عليه بابي ، ما اتبعني منكم رجلان (٣٦) .

وقال حماد بن زيد : كنا إذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب ، فسلم ، رَدّوا ردًّا شديدًا ، فكان ذلك يَغُمّه .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر : كان أيوب يطيل قميصه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الشهرة فيما مضىٰ كانت في طول القميص ، واليوم في تشميره . واصطنع مرة نعلين علىٰ حذو

= متروك وشيخه لا يعرف ، وشيخ شيخه لم يسم . ولهذا الخبر طريق أخرى بمعناه مختصرًا أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت رقم (٦١٣) وفيه إعضال بلفظ : « وار شخصك لا تذكر ، واصمت تسلم » .

(٣٤) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول الخبر رقم (٥٠) ورجاله ثقات ، عوف هو ابن أبى جميلة، وأبو رجاء عمران بن ملحان واختلف فى اسم أبيه ، وهو ثقة مخضرم ، مشهور بكنيته .

(٣٥) - أخرجه ابن أبى الدنيا ، الخبر رقم (٥١) ، ونعيم بن حماد فى زوائده على الزهد لابن المبارك ص ١٣ الخبر رقم (٤٨) ، والدارمي (١٣٢/١) ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (١٤٤/١) من طرق عن هارون ابن عنترة به .

(٣٦) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول والتواضع الخبر رقم (٥٢) ، والدارمى (١٣٤/١) من طريق آخر عن عون به .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « أبي عسرة » .

[٣] - في التواضع : عون .

نعلي النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فلبسهما أيامًا ثم خلعهما ، وقال : لم أر الناس يلبسونهما (٣٧) .

وقال إبراهيم النخعي : لا تلبسوا من الثياب ما يَشْتَهِرك الفقهاء[١] ، ولا ما يزدريك السفهاء .

وقال الثوري : كانوا يكرهون من الثياب الجياد ، التي يُشتَهر بها ، ويرفع[٢] الناس إليه فيها أبصارهم ، والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ، ويستذل دينه .

وحدثنا خالد بن خدَاش : حدثنا حماد ، عن أبي حسنة - صاحب الزيادي - قال : كنا عند أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية ، فقال : إياكم وهذا الحمار النهاق !

وقال الحسن -رحمه اللّٰه- : إن قومًا جعلوا الكبر في قلوبهم ، والتواضع في ثيابهم ، فصاحب الكساء بكسائه أعظم من صاحب المطرف بمطرفة (*) ، مالهم تفاقروا .

وفي بعض الأخبار : أن موسىٰ - عليه السلام - قال لبني إسرائيل : ما لكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب ؟ البسوا ثياب الملوك ، وألينوا قلوبكم بالخشية (٣٨) .

فصل في حسن الخلق

قال[٣] أبو التياح عن أنس - رضي اللّٰه عنه : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من أحسن الناس خلقًا (٣٩) .

وعن[٤] عطاء ، عن ابن عمر : قيل : يا رسول الله ؛ أي المؤمنين أفضل ؟ قال : « **أحسنهم خلقًا** » (٤٠) .

(٣٧) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى المصدر السابق ، الخبر رقم (٦١) .

(*) المطرف : الثوب الذي في طرفيه علَمان . النهاية (٣/١٢١) .

(٣٨) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول الخبر رقم (١٥٣) وفيه أن القائل هو عيسى عليه السلام ، وعند أبى نعيم فى الحلية ٥/٣٦٥ من كلام موسى عليه السلام ، فالله أعلم .

(٣٩) - أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب « الكنية للصبى قبل أن يولد للرجل » حديث رقم (٦١٢٩) ، ومسلم من كتاب الآداب حديث رقم (٢١٥٠) .

(٤٠) - هذا الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٦٥) ، وابن ماجه ، كتاب الزهد حديث رقم (٤٢٥٩) ، والطبرانى فى الكبير (١٢/٣٥٤) حديث رقم (١٣٣٢٦) من طريق فروة بن قيس عن عطاء عن ابن عمر ، وعند الطبرانى من طريق فروة عن ابن عمر يدلس بينهما عطاء » قال البوصيرى فى الزوائد : « .. فروة مجهول وكذا الراوى عنه » ونقل عن الذهبى أنه قال : « وخبره باطل »=

[١] - في م : « الفقهاء » .
[٢] - في ز : « ويرفعون » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .

وعن[١] نوح بن عباد [عن ثابت][٢] عن أنس مرفوعًا : « **إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل ، وإنه لضعيف العبادة . وإنه ليبلغ بسوء خلقه دَرَك جهنم وهو عابد** » (٤١) .

[وعن سنان][٣] بن هارون ، عن حميد ، عن أنس مرفوعًا : « **ذهب حسن الخلق بخير**

= يعني فروة ، قلتُ : ولهذا الحديث طريق أخرى عن عطاء ، فقد أخره البزار (٢/٢٦٨) (٦٧٦ - كشف) ، والطبراني في الأوسط حديث رقم (٤٦٧١) ، والحاكم (٤/٥٤٠) من طريق حفص بن غيلان عن عطاء به قال الحاكم : « هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، قلت : وهذه متابعة جيدة لفروة عن عطاء ثم هناك متابعة أخرى فقد أخرجه البيهقي في الشعب ٦/ ٢٣٠، وفي الزهد الكبير له (٤٥٦) وزاد الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٨٤) نسبته إلى ابن عدى في الكامل ، والدارقطني في الغرائب من طريق عبيد الله بن سعيد بن كثير عن عفير حدثني أبي حدثني مالك بن أنس عن سهيل بن مالك عن عطاء به ، وعبيد الله بن سعيد ضعيف ، قال ابن حبان : « يروى عن الثقات المقلوبات ، ولا يجوز الاحتجاج به وقال : لا يشبه حديثه حديث الثقات » قلت : وهناك متابعة ثالثة . فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول حديث رقم (١٦٤) من طريق معاوية بن عبد الرحمن عن عطاء به ، ومعاوية قال أبو حاتم : « ليس بمعروف » وقال الذهبي : « مجهول » قلت : ولكنه توبع عن عطاء كما سبق ، فهذه المتابعات تقوى حديثه ، ثم وجدت متابعة أخرى لهؤلاء عن عطاء فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٣٣) من طريق خالد بن يزيد عن أبيه عن عطاء به ، فهؤلاء خمسة أنفس يروونه عن عطاء عن ابن عمرو « حفص ابن غيلان ، وفروة بن قيس ، ومعاوية بن عبد الرحمن وسهيل بن مالك ، وخالد بن يزيد عن أبيه - خمستهم عن عطاء به ، فالذى يترجح لى أن هذا الحديث صحيح إلى عطاء ، ولكن العلة فيه هل سمع عطاء من ابن عمر ؟! قال على بن المديني كما في جامع التحصيل : « رأى عبد الله بن عمر ولم يسمع منه» وليس في الصحيحين ولا في أحدهما رواية لعطاء عن ابن عمر ، مما يشير إلى أن هذه الرواية ليست على شرط الصحيح والله أعلم .

(٤١) - أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول حديث رقم (١٦٨) ، والطبراني في الكبير ١/ ٦٠، حديث رقم (٧٥٤) ونسبه العراقي إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق ، وأبي الشيخ في طبقات الأصبهانيين من طريق نوح بن عباد القرشي البصري عن ثابت به ، وهذا إسنادٌ جيد ، والحديث ذكره الهيثمي في المجمع ٢٥/٨ وقال : « رواه الطبراني عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف » قلت : وشيخ الطبراني قد توبع من شيخ ابن أبي الدنيا وهو حميد النسائي ، وهو ثقة ثبت ، وعلة هذا الحديث في « نوح بن عباد » ولكن أثنى عليه تليمذه في هذا الحديث قائلاً : « حدثني نوح بن عباد القرشي - وما رأيت أحدًا كان أخشى لله عز وجل منه » وقد ذكره ابن حبان في ثقاته ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً . قلت : فالظن به حسن إن شاء الله ، ولا سيما أن لهذا الحديث شواهد كثيرة جدًا يرتقى الحديث بها إلى الصحة ، وقد ذكر الحديث العراقي في تخريج الإحياء وقال : « عن أنس وإسناده جيد » وانظر ما سيأتي من حديث عائشة بنحوه .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « سيار » .

الدنيا والآخرة »(٤٢) .

والمطلب ، عن عائشة مرفوعًا : « **إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار** »(٤٣) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا عبد اللّٰه بن إدريس ، أخبرني أبي وعمي ، عن جدي ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - سئل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أكثر ما يُدخل الناسَ الجنة ، فقال : « **تقوىٰ اللّٰه ، وحسن الخلق** » . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « **الأجوفان : الفم والفرج** »(٤٤) .

---

(٤٢) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٦٩) من طريق العباس بن أبى طالب الواسطى عن عبيد بن سليمان عن سنان به - كما ساقه المصنف - والحديث عزاه الهيثمى فى المجمع إلى الطبرانى والبزار من هذا الوجه ، بلفظ : « عن أنس قال : قالت أم حبيبة : يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان ثم تموت فتدخل الجنة هى وزوجاها لأيهما تكون للأول أو للآخر قال : « تخير أحسنهما خلقًا كان معها فى الدنيا يكون زوجًا لها فى الجنة . يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » . وجاء فى العلل لابن أبى حاتم ٤١٦/١ برقم (١٢٥٢) ما نصه : « سألت أبى عن حديث رواه عبيد بن إسحاق عن سنان بن هارون عن حميد عن أنس قال : قالت أم حبيبة : يارسول الله المرأة منا يكون لها زوجان ... فقال : تخيَّر أحسنهما خلقًا كان معها فى الدنيا ... قالت أم حبيبة : ذهب حسن الخلق ... » ففى هذا الموضع المرفوع أصبح موقوفًا . ومع ذلك فإن الإسناد ضعيف جدًّا لعلتين ؛ الأولى : عبيد بن إسحاق قال الهيثمى فى المجمع الموضع السابق : « فيه عبيد بن إسحاق وهو متروك وقد رضيه أبو حاتم ، وهو أسوأ أهل هذا الإسناد حالاً » قلت : قال أبو حاتم عنه عندما سئل عنه : « ما رأينا إلا خيرًا » وقال أبو زرعة : منكر الحديث . أما العلة الثانية : فقد قال أبو حاتم فى العلل من الموضع السابق : « هذا حديث موضوع لا أصل له ، وسنان عندنا مستور » فأعله بسنان ، قال الحافظ : صدوق فيه لين ، وعليه فهذا الإسناد ضعيف لا يثبت .

(٤٣) - أخرجه أحمد ٦/ ٩٠، ٩٤، ١٣٣، ١٨٧، وأبو داود فى الأدب باب : فى حسن الخلق ، والبغوى فى شرح السنة حديث رقم (٣٥٠٠) ، (٣٥٠١) ، وابن حبان حديث رقم (٤٨٠) ، وابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٦٦) ، والحاكم (٦٠/١) من طرق عن عمرو بن عبد المطلب عن عائشة به . قال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، قلت : المطلب ابن عبد الله المخزومى فى سماعه من عائشة نظر ، قال أبو حاتم الرازى : « المطلب ابن عبد الله لم يدرك عائشة » ، وقال أيضًا : « روايته عن عائشة مرسل » وقال البخارى : لا أعرف للمطلب بن حنطب عن أحد من أصحاب النبى ﷺ سماعًا ، إلا أنه يقول : حدثنى من شهد النبى ﷺ ، وقال الترمذى : « سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول : لا نعرف للمطلب سماعًا من أحد من أصحاب النبى ﷺ » ، وسئل أبو زرعة سمع المطلب بن عبد الله بن حنطب من عائشة ؟ فقال : أرجو أن يكون سمع منها . انظر تهذيب الكمال ٨١/٢٨ ترجمة المطلب ، مع الحاشية ففيهما الخير الكثير .

(٤٤) - أخرجه أحمد ٢/ ٢٩١، ٣٩٢، ٤٤٢، وفى الزهد ص ٣٩٧، والبخارى فى الأدب المفرد (٢٨٩) ، (٢٩٤) ، والترمذى كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى حسن الخلق حديث رقم (٢٠٠٤) ، وابن ماجه فى الزهد باب ذكر الذنوب حديث رقم (٤٢٤٦) ، وابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول =

وقال أسامة بن شريك [٤٥] : كنت عند رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فجاءته الأعراب من كل مكان ، فقالوا : يا رسول اللّٰه ، ما خير ما أعطي الإِنسان ؟ قال : « **حسن الخلق** » .

وقال يعلى بن سماك ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء - يبلغ به - قال : « **ماشيءٌ أثقل في الميزان من حسن الخلق** » . وكذا رواه عطاء ، عن أم الدرداء ، به [٤٦] .

= حديث رقم (١٧٠) وفى الصمت حديث رقم (٤) ، وفى الورع حديث رقم (١٣٥) ، والحاكم ٣٢٤/٤ وصححه ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الزهد الكبير (٣٦٣) ، وابن حبان فى صحيحه حديث رقم (٤٧٦) ، والبغوى فى شرح السنة (٣٤٩٧) ، والمزى فى تهذيب الكمال ١٨٦/٣٢ - ترجمة يزيد بن عبد الرحمن الأودى كلهم من طريق داود بن يزيد أبي يزيد الأودى ، وإدريس بن يزيد الأودى كلاهما عن أبيهما يزيد به ويزيد بن عبد الرحمن الأودى قال الحافظ : « مقبول » ، ولم أرى له متابعًا ، وقد ذكره ابن حبان فى ثقاته ووثقه العجلى .

(٤٥) - أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٨، والحميدى (٨٢٤) ، والبخارى فى الأدب المفرد حديث رقم (٢٩١) ، والترمذى فى الطب ، باب ما جاء فى الدواء والحث عليه حديث رقم (٢٠٣٨) ، وأبو داود فى الطب ، باب الرجل يتداوى حديث رقم (٣٨٥٥) ، وابن ماجه فى الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء حديث رقم (٣٤٣٦) ، والنسائى فى الكبرى كتاب الطب ، باب الأمر بالدواء حديث رقم (٧٥٥٣ - ٧٥٥٤) ، وابن الجعد فى مسنده حديث رقم (٢٦٨٠) ، وابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٧١) ، وتمام فى فوائده حديث رقم (١٠١٣ - الروض) ، وهناد فى الزهد رقم (١٢٦٠) ، والطحاوى فى شرح المثانى ٤/ ٢٣، وابن حبان (١٣٩٥، ١٩٢٤) ، والبيهقى ٩/ ٣٤٣، والحاكم ١/ ١٢١، ٤/ ١٩٨، والخطيب فى تاريخه ٩/ ١٩٨، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى حديث رقم (١٤٦٧ - ١٤٦٨) ، وابن أبى شيبة فى كتاب الأدب ٥١٤/٨ رقم (٥٣٦٧) ، والطيالسى ٣٤٣/١ رقم (١٧٤٧ - منحة) ، والطبرانى ١٤٤/١ - ١٥٢ من طرق عن زياد بن علاقة به ، وهذا إسناد صحيح ، قال الحاكم : « هذا حديث أسانيده كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والعلة عندهم فيه أن أسامة بن شريك ليس له راو غير زياد بن علاقة ... إلخ » ووافقه الذهبى .

(٤٦) - أخرجه أحمد ٦/ ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٨، وعبد بن حميد فى مسنده حديث رقم (٢٠٤) ، والبخارى في الأدب المفرد (٢٧٠) ، وأبو داود فى الأدب ، باب فى حسن الخلق حديث رقم (٤٧٩٩) ، والترمذى فى البر والصلة ، باب ما جاء فى حسن الخلق حديث رقم (٢٠٠٣) ، وأبو نعيم فى الحلية ٧/ ١٠٧، والخرائطى فى مكارم الأخلاق ص ٩ - ١٠، وابن أبى شيبة ٣٢٨/٨ وابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٧٣) من طريق الحسن بن مسلم والقاسم بن أبى بزة ومطرف ، ثلاثتهم عن عطاء ابن نافع الكيخارانى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء به مرفوعًا ، والحديث أخرجه هناد فى الزهد رقم (١٢٥٨) من طريق أبان وهو ابن أبى عياش عن عطاء عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : « ما يوضع فى الميزان ... فذكر الحديث » من قوله وليس مرفوعًا ، وأبان ضعيف ، وخالفه غيره فرفعه ، ورواه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول من طريق يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبى الدرداء به مرفوعًا ، وهذا متابعة جيدة لعطاء . وفى الباب أحاديث صحيحة عن أبى هريرة وعائشة وأنس وابن عمر وغيرهما ، وقد سبق طرفٌ منها .

وعن[١] مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا : « **إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا** »(٤٧) .

حدثنا عبد اللّٰه بن أبي بدر ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن محمد بن أبي سارة ، عن الحسن ابن علي قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن اللّٰه ليعطي العبد من الثواب علىٰ حسن الخلق ، كما يعطي المجاهد في سبيل اللّٰه ، يغدو عليه الأجر ويروح** » (٤٨) .

وعن[٢] مكحول ، عن أبي ثعلبة مرفوعًا : « **إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني منزلًا في الجنة مساويكم أخلاقًا ، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون** » (٤٩) .

[وعن أبي][٣] أويس ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر مرفوعًا : « **ألا أخبركم بأكملكم إيمانًا ؟ أحاسنكم أخلاقًا ، الموطئون أكنافًا ، الذين يؤلفون ويألفون** »(٥٠) .

وقال الليث : عن يزيد بن عبد اللّٰه بن أسامة ، عن بكر بن أبي الفرات قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما حَسَّن اللّٰه خَلْق رجل وخُلقَه فتَطْعَمَه النار** » (٥١) .

وعن[٤] عبد الله بن غالب الحداني ، عن أبي سعيد مرفوعًا : « **خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق** » (٥٢) .

(٤٧) - أخرجه البخارى فى المناقب من صحيحه باب صفة النبي ﷺ حديث رقم (٣٥٥٩) ، وفى فضائل الصحابة باب مناقب ابن مسعود حديث رقم (٣٧٥٩) ، وفى الأدب باب لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا حديث رقم (٦٠٢٩) ، وباب حسن الخلق حديث رقم (٦٠٣٥) وأخرجه مسلم فى الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ حديث رقم (٢٣٢١) ، والترمذى فى البر والصلة ، باب ما جاء فى الفحش حديث رقم (١٨٧٥ وغيرهم .

(٤٨) - التواضع والخمول أثر رقم(١٧٦) .

(٤٩) - أخرجه أحمد في مسنده (١٩٣/٤، ١٩٤) من طريقين عن داود عن مكحول به ، والحديث عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤/٨) إلى أحمد والطبرانى ، وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٥٠) - التواضع والخمول أثر رقم (١٧٨) .

(٥١) - ذكر السيوطي في اللآلئ (١١٩/١) هذا الحديث عن الإمام السلفي بسنده إلى الليث بن سعد عن بكر بن الفرات عن أنس ، وقال : أورده الحافظ شمس الدين ابن الجزري في كتابه أحاسن المنن ، وقال : (رجاله ثقات) ، وتعقبه العلامة اليماني في تعليقه على الفوائد المجموعة [ص ٢١٩] ، والحديث أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١٦٥/١) من طريق أخرى عن أنس وفي إسناده أبو سعيد العدوى ، وخراش وكلاهما كذاب . وينظر طرق هذا الحديث في الموضوعات واللآلئ ، والفوائد المجموعة ، وتنزيه الشريعة ٢٠١/١ .

(٥٢) - أخرجه عبد بن حميد (٩٩٦) ، والبخارى في الأدب المفرد (٢٨٢) ، والترمذي في البر والصلة =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .

وقال ميمون بن مهران ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما من ذنب أعظم عند اللّٰه من سوء الخلق ، وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب إلا وقع في آخر** » (٥٣) .

حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا أبو المغيرة الأحمسي ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل من قريش قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تُذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل** » (٥٤) .

وقال عبد اللّٰه بن إدريس ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن يَسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق** »(٥٥) .

وقال محمد بن سيرين : حسن الخلق عون على الدين(٥٦) .

فصل في ذم الكبر

قال علقمة ، عن ابن مسعود - رفعه - : « **لا يدخل الجنة مَنْ كان[١] في قلبه مثقال حبة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة[٢] من إيمان** »(٥٧) .

وقال إبراهيم بن أبي عبلة[٣] ، عن أبي سلمة ، عن عبد اللّٰه بن عمرو مرفوعًا : « **من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، أكبه اللّٰه علىٰ وجهه في النار** » (٥٨) .

حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا أبو معاوية ، عن عمر بن راشد ، عن إياس بن سلمة ،

= باب : ما جاء في البخيل ، حديث (١٩٦٢) من طرق عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله ابن غالب به .

(٥٣) - عزاه المنذرى في الترغيب والترهيب (٢٦٥/٣) إلى الأصبهانى في ترغيبه ثم قال : وهذا مرسل .

(٥٤) - التواضع والخمول رقم (١٨٣)

(٥٥) - أخرجه البزار في مسنده (١٩٧٩ - كشف) بسنده إلى ابن إدريس به ورجاله إسناده ثقات ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٥٥٠) والبزار (١٩٧٧ - كشف) من طريق المقبري عن أبي هريرة به مرفوعًا دون ذكر (حسن الخلق) . وأخرجه أيضًا البزار في (١٠٧٨ - كشف) من طريق عطاء عن أبي هريرة . والحديث ذكره المنذري في الترغيب (٢٦٤/٣) وقال : رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدهما حسن جيد .

(٥٦) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث (٩١) من طريقين عن إبراهيم عن علقمة به .

(٥٧) - المسند (٢١٥/٢) .

(٥٨) - أخرجه الترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في الكبر حديث (٢٠٠٠) عن أبي كريب عن أبي معاوية به.

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ ، ز : « ذرة » . [٣] - في ز : « علية » .

عن أبيه مرفوعًا : « **لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتىٰ يكتب عند الله من الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم من العذاب** » (٥٩) .

وقال مالك بن دينار : ركب سليمان بن داود - عليهما السلام - ذات يوم البساط في مائتي ألف من الإنس ، ومائتي ألف من الجن ، فَرُفِعَ حتىٰ سمع تسبيح الملائكة في السماء ، ثم خفضوه حتىٰ مست قدمه ماء البحر ، فسمعوا صوتًا : لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة[١] من كبر لخسف به أبعد مما رفع (٦٠) .

حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان ، حتىٰ إن أحدنا ليُقذر نفسه ، يقول : خرج من مجرىٰ البول ، مرتين (٦١) .

وقال الشعبي : من قتل اثنين فهو جبار ، ثم تلا : ﴿ **أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض** ﴾ .

وقال الحسن : عجبًا لابن آدم ! يغسل الخرء[٢] بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر ! يعارض جبار السماوات .

قال[٣] : حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا حماد بن زيد ، عن علي عن[٤] الحسن ، عن الضحاك بن سفيان ، فذكر حديث : « **ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم** »(٦٢) .

وقال الحسن ، عن عتي[٥] ، عن أبيّ قال : إن مطعم ابن آدم ضرب مثلًا للدنيا ، وإن قزحه[٦] ومَلّحه(٦٣) .

---

(٥٩) - التواضع والخمول رقم (١٩٨)
(٦٠) - التواضع والخمول رقم (١٩٩) .
(٦١) - التواضع والخمول رقم (٢٠٠) .
(٦٢) - التواضع والخمول رقم (٢١٠) .
(٦٣) - التواضع والخمول رقم (٢١١) .

---

[١] - في ز : « حبة » . [٢] - في ز : « الخرو » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : ابن ، والمثبت من التواضع ، وعلي هو ابن زيد .
[٥] - في ت : يحيى ، والمثبت من التواضع .
[٦] - في ز : « فرخه » . تَوْبله ، من القِزْحِ وهو التابل الذي يطرح في القدر ، كالكمون والكزبرة ونحو ذلك (النهاية ٥٨/٤) .

وقال محمد بن الحسين بن علي - من ولد علي رضي الله عنه - : ما دخل قلبَ رجل شيءٌ من كبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك (٦٤) .

وقال يونس بن عبيد : ليس مع السجود كبر ، وليس[١] مع التوحيد نفاق .

ونظر طاوس إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، وهو يختال في مشيته ، وذلك قبل أن يستخلف ، فطعن طاوس في جنبه بأصبعه ، وقال : ليس هذا شأن[٢] من في[٣] بطنه خُرْءٌ[٤] ؟ . فقال له كالمعتذر إليه : يا عم ؛ لقد ضُرب كل عضو مني علىٰ هذه المشية حتىٰ تعلمتها(٦٥) .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا ، كانت بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلموا[٥] هذه المشية .

فصل في الاختيال

عن[٦] ابن أبي ليلى ، عن ابن بريدة ، عن أبيه مرفوعًا : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه** » (٦٦) .

ورواه عن إسحاق بن إسماعيل ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر مرفوعًا مثله (٦٧) .

وحدثنا محمد بن بكار ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ من جر إزاره** » (٦٨) .

و« **بينما رجل يتبختر في برديه ، أعجبته نفسه ، خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة** » (٦٩) .

---

(٦٤) - التواضع والخمول رقم (٢٢٦) .

(٦٥) - التواضع والخمول رقم (٢٤١) .

(٦٦) - التواضع والخمول رقم (٢٣٨) .

(٦٧) - أخرجه أحمد في المسند (٢/١٤٧) من طريق معمر عن زيد بن أسلم به ، وأصل الحديث في الصحيحين عن ابن عمر .

(٦٨) - أخرجه البخاري في اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء ، حديث (٥٧٨٨) من طريق مالك عن أبي الزناد به .

(٦٩) - أخرجه أحمد في المسند (٢/٥٣١) ، ومسلم في كتاب اللباس ، حديث (٢٠٨٨) من طرق عن أبي هريرة .

---

[١] - في ز : « ولا » .

[٢] - في ز : « شيء » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « خرو » .

[٥] - في ز : « يتعلمون » .

[٦] - سقط من : ز .

وروى الزهري عن سالم عن أبيه : « بينما رجل ... » إلى آخره(٧٠) .

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾

يقول تعالىٰ منبهًا خلقه علىٰ نعمه عليهم في الدنيا والآخرة ، بأنه[١] سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم ، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد ، وجعْله إياها لهم[٢] سقفًا محفوظًا ، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار . وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة ، من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإزاحة الشبهة[٣] والعلل ، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم ، بل منهم من يجادل في اللَّه ، أي : في توحيده وإرسال الرسل . ومجادلته في ذلك بغير علم [ولا مستند من حجة صحيحة ، ولا كتاب مأثور صحيح ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ومن الناس من يجادل في اللَّه بغير علم**][٤] **ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ ، أي : مبين مضيء .

﴿ **وإذا قيل لهم** ﴾ ، أي : لهؤلاء المجادلين في توحيد اللَّه : ﴿ **اتبعوا ما أنزل اللَّه** ﴾ ، أي : علىٰ رسوله من الشرائع المطهرة ، ﴿ **قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا** ﴾ ، أي : لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين ، قال اللَّه : ﴿ **أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ ، أي : فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم ، أنهم كانوا علىٰ ضلالة ، وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ؛ ولهذا قال : ﴿ **أو لو كان الشيطان يدعوهم إلىٰ عذاب السعير** ﴾ .

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ

---

(٧٠) - أخرجه أحمد (٢/٦٦) ، والبخاري في أحاديث الأنبياء ، حديث (٣٤٨٥) ، وطرفه في (٥٧٩٠) ، والنسائي (٨/٢٠٦) من طريق الزهري به .

---

[١] - في ز : « فإنه » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « الشبه » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عمن أسلم وجهه لله[١] ، أي : أخلص له العمل ، وانقاد لأوامره[٢] ، واتبع شرعه ، ولهذا قال : ﴿ **وهو محسن** ﴾ ، أي : في عمله ، باتباع ما به[٣] أمر ، وترك ما عنه زجر ، ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ** ﴾ ، أي : فقد أخذ موثقًا من الله متينًا ، أنه لا يعذبه ، ﴿ **وإلىٰ الله عاقبة الأمور * ومن كفر فلا يحزنك كفره** ﴾ ، أي : لا تحزن يا محمد عليهم في كفرهم بالله وبما جئت به ؛ فإن قدر الله نافذ فيهم ، إلىٰ الله ﴿ **مرجعهم فينبئهم بما عملوا** ﴾ ، أي : فيجزيهم عليه ، ﴿ **إن الله عليم بذات الصدور** ﴾ فلا تخفىٰ عليه خافية .

ثم قال : ﴿ **نمتعهم قليلًا** ﴾ ، أي : في الدنيا ، ﴿ **ثم نضطرهم** ﴾ ، أي نلجئهم ﴿ **إلىٰ عذاب غليظ** ﴾ ، أي : فظيع صعب شاقٍ[٤] علىٰ النفوس ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يفترون علىٰ الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** ﴾

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هؤلاء المشركين به : إنهم يعرفون أن الله خالقُ السماوات والأرض ، وحدَه لا شريك له ، ومع هذا يعبدون معه شركاء[٥] ، يعترفون أنها خَلْقٌ له وملك له ، ولهذا قال : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله** ﴾ ، [أي : إذْ قامت عليكم الحجة باعترافكم][٦] ، ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **لله ما في السموات والأرض** ﴾ ، أي: هو خلقه وملكه ، ﴿ **إن الله هو الغنيّ الحميد** ﴾ ، أي : الغنيّ عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، الحميد في جميع ما خلق ، له الحمد في السماوات والأرض علىٰ ما خلق وشرع ، وهو المحمود في الأمور كلها .

لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « لأمره » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « مشق » .
[٥] - في ز : « شريكًا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٢٨)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله ، وأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا ، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ، ولا اطلاع لبشر علىٰ كنهها وإحصائها ، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل : « **لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك** »(٧١) . فقال تعالىٰ : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** ﴾ ، [أي : ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا ، وجعل البحر مدادًا ومَدّه سبعة أبحر][١] معه ، فكتبت بها كلمات اللّٰه الدالة علىٰ عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت[٢] الأقلام ، ونفد ماء البحر ، ولو جاء أمثالها مددًا .

وإنما ذكرت « **السبعة** » علىٰ وجه المبالغة ، ولم يرد الحصر ولا أن[٣] ثم سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم ، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدق ولا تكذب ، بل كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا** ﴾ ، فليس المراد بقوله : ﴿ **بمثله** ﴾ آخر فقط ، بل بمثله ثم بمثله [ثم بمثله][٤] ، ثم هلمَّ جرًّا ؛ لأنه لا حصر لآيات اللّٰه وكلماته .

وقال الحسن البصري : لو جعل شجر الأرض أقلامًا ، وجعل البحر مدادًا ، و[٥]قال اللّٰه : إن من أمري كذا ، ومن أمري كذا . لنفد ما في البحور ، وتكسرت الأقلام .

وقال قتادة : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينفد . فقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام** ﴾ . أي : لو كان شجر الأرض أقلامًا ، ومع[٦] البحر سبعة أبحر ، ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه .

وقال الربيع بن أنس : إن مثل علم العباد كلهم في علم اللّٰه كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل اللّٰه ذلك : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ...** ﴾ الآية .

---

(٧١) - مسلم الصلاة (٢٢٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « فتكسرت » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « أو » .

[٦] - في ز : « بلغ » .

يقول : لو كان ذلك البحر مدادًا لكلمات اللَّه ، والأشجار[١] كلها أقلامًا ، لانكسرت الأقلام ، وفني ماء البحر ، وبقيت كلمات اللَّه قائمة لا يفنيها شيء ، لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدر قدره ، ولا يثني عليه كما ينبغي ، حتىٰ يكون هو الذي يثني علىٰ نفسه ، إن ربنا كما يقول ، وفوق ما نقول .

وقد روي أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود ، قال ابن إسحاق : حدثني ابن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس : أن أحبار يهود قالوا لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالمدينة : يا محمد ، أرأيت قولك : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا** ﴾ إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كُلًّا** » ، فقالوا : ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل[٢] شيء ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنها في علم اللَّه قليل ، وعندكم من[٣] ذلك ما يكفيكم** » . وأنزل اللَّه فيما سألوه عنه من ذلك : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ...** ﴾ الآية .

وهكذا روي عن عكرمة ، وعطاء بن يسار : وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية ، والمشهور أنها مكية ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه عزيز حكيم** ﴾ ، أي : عزيز قد عز كلّ شيء وقهره وغلبه ، فلا مانع لما أراد ، ولا مخالف[٤] ، ولا معقب لحكمه ، ﴿ **حكيم** ﴾ في خلقه وأمره ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وجميع شئونه .

وقوله : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ ، أي : ما خَلْقُ جميع الناس وبعثهم يوم المعاد - بالنسبة إلىٰ قدرته - إلا كنسبة خلق[٥] نفس واحدة ، الجميع هيِّنٌ عليه ، ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ أي : لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة ، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلىٰ تكرره وتوكّده . ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه سميع بصير** ﴾ ، أي : كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم ، كسمعه وبصره بالنسبة إلىٰ نفس واحدة ، كذلك قدرته عليهم كقدرته علىٰ نفس واحدة ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير** ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ

[١] - في ز : « الشجر » .
[٢] - في ز : « كل » .
[٣] - في ز : « في » .
[٤] - في ز : « يخالف » .
[٥] - سقط من : ز .

وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

يخبر تعالىٰ أنه ﴿ **يولج الليل في النهار** ﴾ ، بمعنىٰ يأخذ منه في النهار ، فيطولُ ذاك[١] ويقصر هذا ، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلىٰ الغاية ، ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار ، وهذا يكون في الشتاء ، ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري إلىٰ أجل مسمىٰ** ﴾ ، قيل : إلىٰ غاية محدودة ، وقيل : إلىٰ يوم القيامة . وكلا المعنيين صحيح . ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر - رضي اللَّه عنه - الذي في الصحيحين: أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يا أبا ذر ، أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟** » قلت : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : « **فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأذن ربَّها فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت** »(٧٢) .

وقال ابن أبي حاتم (٧٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا يحيىٰ بن أيوب ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس أنه قال : الشمس بمنزلة الساقية ، تجري بالنهار في السماء في فلكها ، فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتىٰ تطلع من مشرقها ، قال : وكذلك القمر . إسناده صحيح .

وقوله : ﴿ **وأن الله بما تعملون خبير** ﴾ كقوله : ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض** ﴾ .

ومعنىٰ هذا أنه تعالىٰ الخالق العالم بجميع الأشياء ، كقوله : ﴿ **اللَّه الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن اللَّه علىٰ كل شيء قدير وأن اللَّه قد أحاط بكل شيء علمًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلك بأن اللَّه هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل** ﴾ ، أي : إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها علىٰ أنه الحق ، أي : الموجود الحق الإله[٢] الحق ، وأن كل ما سواه

---

(٧٢) - أخرجه البخارى في بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر . حديث (٣١٩٩) وأطرافه في (٤٨٠٢، ٤٨٠٣، ٧٤٢٤، ٧٤٣٣) ، ومسلم في الإيمان حديث (١٥٩) من طريق سليمان التيمي عن أبي ذر .

(٧٣) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٢/٥) إلى ابن إسحاق وابن جرير ، وابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : « ذلك » . [٢] - في ز : « إلا أنه » .

باطل ، فإنه الغنيّ عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، لأن كل ما في السماوات والأرض الجميع خلْقُه وعبيدُه ، لا يقدر أحد منهم علىٰ تحريك ذَرة إلا بإذنه ، ولو اجتمع كل أهل الأرض علىٰ أن يخلقوا ذبابًا لعجزوا عن ذلك . ولهذا قال : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العليّ الكبير** ﴾ ، [أي :][١] العليّ : الذي لا أعلىٰ منه ، الكبير : الذي هو أكبر من كل شيء ، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه هو الذي سَخَّر البحر لتجري فيه الفلك بأمره ، أي : بلطفه وتسخيره ، فإنه لولا ما جعل في الماء من[٢] قوة يحمل بها السفن لما جرت ، ولهذا قال : ﴿ **ليريكم من آياته** ﴾ ، أي : من[٣] قدرته ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ ، أي : صبار في الضراء ، شكور في الرخاء .

ثم قال : ﴿ **وإذا غشيهم موج كالظلل** ﴾ ، أي : كالجبال والغمام ﴿ **دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ وقال : ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ثم قال : ﴿ **فلما نجاهم إلىٰ البر فمنهم مقتصد** ﴾ ، قال مجاهد : أي كافر . كأنه فسر المقتصد هاهنا بالجاحد ، كما قال تعالى : ﴿ **فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ . وقال ابن[٤] زيد : هو المتوسط في العمل ، وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله : ﴿ **فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾ فالمقتصد هاهنا هو : المتوسط في العمل . ويحتمل أن يكون مرادًا هنا أيضًا ، ويكون من باب الإنكار علىٰ من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام ، والآيات الباهرات في البحر ، ثم بعد ما أنعم الله عليه من الخلاص ، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام ، والدءوب في العبادة ، والمبادرة إلىٰ الخيرات . فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرًا والحالة هذه ، والله أعلم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « أبو » .

وقوله : ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ﴾ ، فالختار : هو الغَدار[١] . قاله مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، ومالك ، عن زيد بن أسلم ، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده ، والخَتْر : أَتمّ الغدر وأبلغه ، قال عمرو بن معد يكرب :

وإنَّـكَ لـو رَأيـتَ أبـا عُـمـيـرٍ مَـلأتَ يَـدَيـكَ مِـن غَـدرٍ وخَـتـرْ

وقوله : ﴿ كفور ﴾ أي : جحود للنعم لا يشكرها ، بل يتناساها ولا يذكرها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منذرًا للناس يوم المعاد ، وآمرًا لهم بتقواه والخوف منه ، والخشية من[٢] يوم القيامة حيث ﴿ لا يجزي والد عن ولده ﴾ أي : لو أراد أن يفديه بنفسه لما قُبِل منه[٣] . وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يُتقبل منه .

ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ ، [أي : لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة][٤] ، ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ ، يعني : الشيطان . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة . فإنه يغر بن آدم ويَعِدُه ويمنيه ، وليس من ذلك شيء ، بل كما قال تعالىٰ : ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا ﴾ .

قال وهب بن منبه : قال عزير -عليه السلام- : « لما رأيت بلاء قومي اشتد حزني وكثر همي ، وأرق نومي ، فضرعت[٥] إلىٰ ربي وصليت وصمت ، فأنا في ذلك أتضرع وأبكي ؛ إذ أتاني الملك ، فقلت له : أخبرني ، هل تشفع أرواح المصدقين للظلمة ، أو الآباء لأبنائهم ؟ قال : إن القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ، ليس فيه رخصة ، لا يتكلم فيه أحد إلا بإذن الرحمن ، ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ، ولا ولد عن والده ، ولا أخ عن أخيه ، ولا عبد عن سيده ، ولا يهتم أحد [بهم غيره][٦] ، ولا يحزن لحزنه ، ولا أحد يرحمه ، كل مشفق علىٰ نفسه ، ولا يؤخذ إنسان عن إنسان ، كل يَهُم همه ، ويبكي عَوله ، ويحمل وزره ، ولا يحمل وزره معه غيره » . رواه ابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : « العذاب » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « تضرعت » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « بغيره » .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾



هذه مفاتيح الغيب التي استأثر اللّٰه تعالىٰ بعلمها ، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالىٰ بها ، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبيّ مرسل ، ولا ملك مقرب ، ﴿ **لا يجليها لوقتها إلا هو** ﴾ ، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا اللّٰه ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالىٰ سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثىٰ ، أو [شقيًا أو سعيدًا][١] ، علم الملائكة الموكَّلون بذلك ، ومن شاء اللّٰه من خلقه . وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها ، ﴿ **وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ أفي بلدها أم[٢] غيره من أي بلاد اللّٰه كان ، لا علم لأحد بذلك ، وهذه شبيهة بقوله تعالىٰ : ﴿ **وعنده مَفاتِحُ الغيب لا يعلمها إلا هو ...** ﴾ الآية . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب :

قال الإمام أحمد (٧٤) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين بن واقد ، حدثني عبد اللّٰه بن بُرَيدة ، سمعت أبي بُرَيدة يقول : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **خمس لا يعلمهن إلا اللّٰه – عز وجل – : ﴿ إن اللّٰه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللّٰه عليم خبير** ﴾ » . هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجوه .

(حديث ابن عمر) قال الإمام أحمد(٧٥) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد اللّٰه ابن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا اللّٰه : ﴿ إن اللّٰه عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن اللّٰه عليم خبير** ﴾ » .

انفرد بإخراجه البخاري ، فرواه في كتاب « **الاستسقاء** » من صحيحه (٧٦) ، عن محمد بن

(٧٤) – المسند (٣٥٣/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧) : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٧٥) – المسند (٢٤/٢، ٥٨) ، وأخرجه في ٥٢/٢ ، وعبد بن حميد (٧٩١) ، والبخاري في التوحيد باب قول الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا » حديث (٧٣٧٩) من حديث عبد الله بن دينار .

(٧٦) – صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب : لا يدرى متى يجيء المطر إلا الله ، حديث (١٠٣٩) ، وانظر السابق .

[١] – ما بين المعكوفتين في ز: «شقيٌ أو سعيد» . [٢] – في ت : « أو » .

يوسف الفريابي ، عن سفيان بن سعيد الثوري ، به .

ورواه في التفسير من وجه آخر فقال (٧٧) :

حدثنا يحيىٰ بن سليمان ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن عمر : أن أباه حدثه ، أن عبد اللَّه بن عمر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **مفاتيح الغيب خمس ، ثم قرأ : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ﴾** » . انفرد به أيضًا .

ورواه الإِمام أحمد(٧٨) عن غُنْدرَ ، عن شعبة ، عن عمر بن محمد : أنه سمع أباه يحدث ، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللَّه عليم خبير ﴾** » .

[(حديث ابن مسعود - رضي اللَّه عنه -) قال الإِمام أحمد (٧٩) : حدثنا يحيىٰ ، عن شعبة ، حدثني عمرو بن مرة ، عن عبد اللَّه بن سلمة قال : قال عبد اللَّه : أوتي نبيكم صلىٰ اللَّه عليه وسلم مفاتيح كل شيء غير خمس : **﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغي ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللَّه عليم خبير ﴾**][١] وكذا رواه عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة به . وزاد في آخره : « قال : قلت له : أنت سمعته من عبد اللَّه ؟ قال : نعم . أكثر من خمسين مرة .

ورواه أيضًا عن وكيع عن مسعر عن عمرو[٢] بن مرة به .

وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب[٣] السنن ولم يخرجوه .

(حديث أبي هريرة) قال البخاري عند تفسير هذه الآية (٨٠) : حدثنا إسحاق ، عن جرير ، عن أبي حيان[٤] عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه

---

(٧٧) - صحيح البخارى في التفسير ، باب : « إن الله عنده علم الساعة » ، حديث (٤٧٧٨) .

(٧٨) - المسند (٢/٨٥) .

(٧٩) - المسند (١/٣٨٦) ، وأخرجه الحميدي (١٢٤) وأحمد في (١/٤٣٨) عن محمد بن جعفر عن شعبة به.

(٨٠) - صحيح البخارى في التفسير ، باب (إن الله عنده علم الساعة) ، حديث (٤٧٧٧) ، والحديث عند البخارى في الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان ، حديث (٥٠) ، ومسلم في الإيمان ، حديث (٩) من طريق أبي حيان به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « عمر » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في خ ، ز : « حصان » .

عليه وسلم كان يومًا بارزًا للناس ، إذ أتاه رجل يمشي ، فقال : يا رسول اللَّه ، ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وتؤمن بالبعث الآخر » . قال : يا رسول اللَّه ، ما الإسلام ؟ قال : « **الإسلام أن تعبد اللَّه ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان** » . فقال : يا رسول اللَّه ، ما الإحسان ؟ قال : « **الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » . قال : يا رسول اللَّه ، متى[١] الساعة ؟ قال : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها** [ ][٢]: **إذا ولدت الأمة ربتها ، فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس ، فذاك من أشراطها ، في خمس لا يعلمهن إلا اللَّه : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ﴾** . ثم انصرف الرجل فقال : « **ردُّوه عليّ** » . فأخذوا[٣] ليردوه ، فلم يروا شيئًا ، فقال : « **هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم** » .

ورواه البخاري في كتاب الإيمان أيضًا ، ومسلم من طرق ، عن أبي حيان ، به . وقد تكلمنا عليه في أول « **شرح البخاري** » . وذكرنا ثمّ حديثَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله ، وهو من أفراد مسلم (٨١) .

(حديث ابن عباس) قال الإمام أحمد (٨٢) : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر[٤] ، حدثنا عبد اللَّه بن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : جلس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مجلسًا له[٥] ، فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واضعًا كفيه علىٰ ركبتي النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، حدثني[٦] ما الإسلام ؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الإسلام أن تسلم وجهك للَّه عز وجل ، وتشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله** » . قال : فإذا[٧] فعلت ذلك فقد أسلمت ؟ قال : « **إذا فعلت ذلك فقد أسلمت** » . قال : يا رسول اللَّه ، حدثني[٨] ما الإيمان ؟ قال : « **الإيمان أن تؤمن باللَّه واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمنَ بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمنَ بالقدر كله خيره وشره** » . قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال : « **إذا فعلت ذلك فقد آمنت** » . قال : يا رسول

---

(٨١) - صحيح مسلم في الإيمان ، حديث (٨) من حديث عبد الله بن عمر عن أبيه .

(٨٢) - المسند (٣١٨/١) وفي إسناده شهر بن حوشب ، وانظر الحديث في مجمع الزوائد (٤٢/١) .

---

[١] - في ز : « ما » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٣] - في ت : « فأخذوه » .

[٤] - في خ ، ز : « بهز » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « إذا » .

[٨] - في ت : « فحدثني » .

اللَّه ، حدثني ما الإِحسان ؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الإِحسان أن تعمل للَّه كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك** » . قال : يا رسول اللَّه ، فحدثني متىٰ الساعة ؟ قال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **سبحان اللَّه ! في خمس لا يعلمهن إلا هو : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن اللَّه عليم خبير ﴾ ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك** » . قال : أجل، يا رسول اللَّه ، فحدثني . قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا رأيت الأمة ولدت ربتها - أو : ربها - ورأيت أصحاب الشاء[١] يتطاولون في البنيان، ورأيت الحفاة الجياع العالة [كانوا رءوس الناس، فذلك من معالم الساعة وأشراطها** ». قال: يا رسول اللَّه ، ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة ؟][٢] قال : « **العرب[٣]** » . حديث غريب ولم يخرجوه .

(حديث رجل من بني عامر) [روىٰ الإِمام أحمد (٨٣) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور][٤] ، عن ربعيّ بن حرَاش[٥] ، عن رجل من بني عامر : أنه استأذن علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : أألج[٦] ؟ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لخادمه : « **اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له : فليقل : السلام عليكم . أأدخل ؟** » . قال[٧] : فسمعتُه يقول ذلك ، فقلت : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فأذن فدخلت ، فقلت : بم أتيتنا به ؟ قال : « **لم آتكم إلا بخير ، أتيتكم أن تعبدوا اللَّه وحده لا شريك له ، وأن تَدَعوا اللات والعزىٰ ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات ، وأن تصوموا من السنة شهرًا ، وأن تحجوا البيت ، وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها علىٰ فقرائكم** » . قال : فقال : فهل[٨] بقي من العلم شيء لا تعلمه[٩] ؟ قال : « **قد عَلم اللَّه - عز وجل - خيرًا ، وإنّ من العلم ما لا يعلمه إلا اللَّه - عز وجل - الخمس : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللَّه عليم خبير ﴾** » . وهذا إسناد صحيح .

---

(٨٣) - المسند (٥/٣٦٨) ، وأخرجه أبو داود في السنن (٥١٧٧، ٥١٧٩) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣١٦)من طريق منصور به . وأخرجه أبو داود في (٥١٧٨) من طريق أبي الأحوص عن منصور عن ربعي قال : حدث أن رجلًا من بني عامر استأذن على النبي - صلى الله عليه وسلم - بمعنياه .

---

[١] - في ز : « النيان » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « العريب » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « خراش » .

[٦] - في ز : « أيلج » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ز : « هل » .

[٩] - في ز : « تعلم » .

وقال ابن أبي نجيح (٨٤) ، عن مجاهد : جاء رجل من أهل البادية فقال : إن امرأتي حبلىٰ ، فأخبرني[١] ما تلد ؟ وبلادنا جَدْبَةٌ فأخبرني متىٰ ينزل الغيث ؟ وقد عَلمتُ متىٰ وُلدتُ فأخبرني متىٰ أموت ؟ فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **إن اللّٰه عنده علم الساعة** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **إن اللّٰه عليم خبير** ﴾ . قال مجاهد : وهي مفاتيح الغيب التي قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وعنده مَفاتِحُ الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال الشعبي(٨٥) ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي اللّٰه عنها - أنها قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ قال قتادة : أشياء استأثر اللّٰه بهن ، فلم يُطلع عليهن مَلكا مقربًا ، ولا نبيًا مرسلًا : ﴿ **إن اللّٰه عنده علم الساعة** ﴾ ، فلا يدري أحد من الناس متىٰ تقوم الساعة ، في أي سنة أو في أي[٢] شهر ، أو ليل أو نهار ، ﴿ **وينزل الغيث** ﴾ فلا يعلم أحد متىٰ ينزل الغيث ، ليلًا أو نهارًا ، ﴿ **ويعلم ما في الأرحام** ﴾ ، فلا يعلم أحد ما في الأرحام ، أذكر[٣] أم أنثىٰ ، أحمر أو أسود ، وما هو . ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا** ﴾ ، أخير أم شر ، ولا تدري يا بن آدم متىٰ تموت ؟ لعلك الميت غدًا ، لعلك المصاب غدًا ، ﴿ **وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض ، أفي بحر أم[٤] بر ، أو سهل أو جبل .

وقد جاء في الحديث : « **إذا أراد اللّٰه قبض عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة** » . فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في « **معجمه الكبير** » (٨٦) ، في مسند أسامة بن زيد :

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي المليح ، عن أسامة بن زيد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما جعل اللّٰه ميتةَ عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة** » .

وقال عبد اللّٰه ابن الإمام أحمد (٨٧) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو داود

---

(٨٤) - أخرجه الطبري في تفسيره (٨٧/٢١) من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح به .
(٨٥) - أخرجه الطبري (٨٨/٢١) من طريق مغيرة عن الشعبي به .
(٨٦) - المعجم الكبير (٤٦١) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٦/٧) : رجاله رجال الصحيح .
(٨٧) - المسند (٢٢٧/٥) ، وأخرجه الترمذي في القدر ، باب : ما جاء أن النفس تموت حيثما كتب لها حديث (٢١٤٦) من طريق أبي داود الحفري به .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « ذكر » .
[٤] - في ز : « أو » .

الحَفَري ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مطر بن عَكَامس[١] قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا قضىٰ اللّٰه ميتة عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة** » .

وهكذا رواه الترمذي في « **القدر** » ، من حديث سفيان الثوري ، به : ثم قال : حسن غريب ، ولا يعرف لمطر عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم غير هذا الحديث . وقد رواه أبو داود في « **المراسيل** » فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد (٨٨) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن أبي المليح بن أسامة ، عن أبي عزة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا أراد اللّٰه قبض روح عبد بأرض جعل له فيها - أو قال : بها - حاجة** » .

وأبو عزة هذا هو : يسار[٢] بن عبد[٣] الله ، ويقال : ابن عبد الهذلي . وأخرجه الترمذي من حديث إسماعيل [بن إبراهيم - وهو ابن عُلَيّة - وقال : صحيح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأصفهاني ، حدثنا المؤمل بن إسماعيل][٤] ، حدثنا عبيد اللّٰه بن أبي حميد ، عن أبي المليح ، عن أبي عزة الهذلي قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا أراد اللّٰه قبض عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة ، فلم ينته حتىٰ يقدمها** » . ثم قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إن اللّٰه عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وماتدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن اللّٰه عليم خبير** ﴾ .

(حديث آخر) ، قال الحافظ أبو بكر البزار (٨٩) : حدثنا أحمد بن ثابت الجَحْدَري ومحمد ابن يحيىٰ القُطَعي قالا : حدثنا عُمَر بن علي ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن عبد اللّٰه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا أراد اللّٰه قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة** » . ثم قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرفعه إلا عُمَر بن علي المُقَدَّمي .

وقال ابن أبي الدنيا(٩٠) : حدثني سليمان بن أبي مسيح قال : أنشدني محمد بن الحكم

---

(٨٨) - المسند (٤٢٩/٤) ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٠) والترمذي في القدر ، باب : ما جاء أن النفس تموت حيثما كتب لها ، حديث (٢١٤٧) من طريقين عن إسماعيل به .

(٨٩) - مسند البزار (١٨٩٩) ، وأخرجه ابن ماجة في الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له ، حديث (٤٢٦٣) عن أحمد بن ثابت الجحدري وعمر بن شبة بن عبيدة قالا : ثنا عمر بن علي به .

(٩٠) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٠٥/٩) (مخطوط) بسنده إلى ابن أبي الدنيا به .

---

[١] - في خ ، ز : « عكاس » .

[٢] - في ز : « بشار » .

[٣] - في ز : « عبيد » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

لأعشىٰ همدان :

فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سوىٰ حَنُوطٍ[١] غَدَاةَ البَيْنِ مَعْ خرَق
وَغَيْرَ[٢] نَفْحَةِ أعْوَادٍ تُشَبّ لَهُ وَقَلّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِق !
لاَ تَأْسَيَنَّ[٣] عَلَىٰ شَيء ، فَكُلّ فَتَى إلَىٰ مَنيّته سَيَّارٌ في عَنَق[٤]
وكُلّ مَنْ ظَنّ أنَ الموتَ يُخْطئُه مُعَلَّلٌ بأعَاليل من الحَمَق
بأيّمَا بَلْدةٍ تُقْدَرْ منيّتُهُ إنْ لا يُسَيَّرْ إليَها طَائعًا يُسَقِ

أورده[٥] الحافظ ابن عساكر - رحمه اللّٰه - في ترجمة عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن الحارث ، وهو أعشىٰ هَمْدَان ، وكان الشعبي زوج أخته ، وهو مُزَوّج بأخت الشعبي أيضًا ، وقد كان ممن طلب العلم وتَفَقه ، ثم عدل إلىٰ صناعة الشعر[٦] فعُرِف به .

وقد رواه ابن ماجة عن أحمد بن ثابت وعُمَر بن شَبّة[٧] ، كلاهما عن عمر بن علي[٨] مرفوعًا : « **إذا كان أجل أحدكم بأرض [أتت له][٩] إليها حاجة ، فإذا بلغ أقصىٰ أثره[١٠] قبضه الله - عز وجل - فتقول الأرض يوم القيامة رب[١١] ؛ هذا ما أودعتني** » .

قال الطبراني (٩١) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي المليح ، عن أسامة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **ما جعل اللّٰه منية عبد بأرض ، إلاّ جعل له إليها حاجة** » .

آخر تفسير سورة لقمان ، والحمد لله رب العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .



(٩١) - تقدم بسنده ومتنه في (٨٦) .

[١] - في ز : « حنوطًا » .
[٢] - في خ ، ز : « و » .
[٣] - في ز : « تَيْأَسَنّ » .
[٤] - في ز : « غَسَق » .
[٥] - في ز : « أورد » .
[٦] - سقط من : خ ، و .
[٧] - في ز : « شيبة » .
[٨] - في خ ، ز : « عكرمة » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في م : « أوثبته » .
[١٠] - في خ : « أمره » .
[١١] - سقط من : ز .

تفسير سورة [الم][١] السجدة
وهي مكية

قال البخاري(١) في « كتاب الجمعة » : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن هُرمز الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقرأ في الفجر يوم الجمعة : ﴿ الم . تنزيل ﴾ السجدة ، و ﴿ هل أتىٰ علىٰ الإنسان ﴾ . ورواه مسلم أيضًا من حديث سفيان الثوري ، به[٢] .

وقال الإمام أحمد (٢) : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا الحسن بن صالح ، عن ليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ؛ قال : كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لاينام حتىٰ يقرأ : ﴿الم . تنزيل ﴾ السجدة ، و﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ . تفرد به أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

(١) - صحيح البخاري برقم (٨٩١) ، صحيح مسلم برقم (٨٨٠) .

(٢) المسند (٣/٣٤٠) . وإسناده ضعيف من أجل الليث بن أبي سليم . ورواه الترمذي في فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الملك (١٥٢/٥) حديث ٢٨٩٢ . وقال أبو عيسى : هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا ، ورواه مغيرة بن مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا . وروى زهير قال : قلت لأبي الزبير : سمعت من جابر .... فذكر هذا الحديث ؟ فقال أبو الزبير : أخبرنيه صفوان - أو ابن صفوان - وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر .
وقال الترمذي : وحدثنا هناد ، ثنا أبو الأحوص ، عن ليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه . ورواه الترمذي أيضاً من حديث ليث في الدعوات ، باب : في قراءة سورة الكافرون ، حديث ٣٤٠٤. وقال الترمذي : وهكذا روى الثوري وغير واحد هذا الحديث عن ليث عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه . ورواه عبد بن حميد من طريق ليث حديث ١٠٤٠.
ورواه الدارمي من حديث ليث في كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل سورة تنزيل ﴿ السجدة ﴾ ﴿وتبارك ﴾ (٣٢٧/٢) رقم ٣٤١٤. والبخاري في الأدب المفرد من حديث ليث حديث ١٢٠٩. ورواه النسائي من حديث المغيرة بن مسلم أبي سلمة السراج أخي عبد العزيز بن مسلم القسملي عن أبي الزبير عن جابر ، حديث ٧٠٦. والبخاري في الأدب المفرد حديث ١٢٠٧. ورواه النسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة من طرق عن أبي الزبير عن جابر ، به (١٧٨/٦) رقم ١٠٥٤٢ من حديث مغيرة عن أبي الزبير ، وحديث ١٠٥٤٣ من حديث الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير ، وحديث ١٠٥٤٥ من حديث زهير عن ليث عن أبي الزبير عن جابر . وحديث ١٠٥٤٤ من حديث زهير عن ليث عن أبي الزبير وفيه : ليس جابر حدثنيه ولكن صفوان أو أبو صفوان .

[١] - سقط من ت . [٢] - سقط من : ز ، خ .

ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول « **سورة البقرة** » بما أغنىٰ عن إعادته .

وقوله : ﴿**تنزيل الكتاب لا ريب فيه**﴾ أي : لا شك فيه ولا مرية أنه نزل ﴿**من رب العالمين**﴾ .

ثم قال مخبرًا عن المشركين : ﴿ **أم يقولون افتراه** ﴾ ، [ ][١] أي : اختلقه من تلقاء نفسه ، ﴿ **بل هو الحق من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون** ﴾ ، أي : يتبعون الحق .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾

يخبر تعالىٰ أنه الخالق للأشياء ، فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوىٰ علىٰ العرش ، وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك .

﴿ **ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع** ﴾ ، أي : بل هو المالك لأزمة الأمور ، الخالق لكل شيء ، المدبر لكل شيء ، القاهر[٢] علىٰ كل شيء ، فلا ولي لخلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه .

﴿ **أفلا تتذكرون** ﴾ ، يعني : أيها العابدون غيره ، المتوكلون علىٰ من عداه ، تعالىٰ وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد ، أو وزير أو عديل ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

وقد أورد النسائي هاهنا حديثًا[٣] فقال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدثني محمد بن

(٣) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٩٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : بل يقولون افتراه .

[٢] - في ت : « القادر » .

الصباح ، حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثنا الأخضر بن عجلان ، عن ابن جريج المكي ، عن عطاء ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ،أخذ بيدي فقال : « **إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوىٰ علىٰ العرش في اليوم السابع ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الإثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر ، وخلقه من أديم الأرض ، بأحمرها وأسودها ، وطيبها وخبيثها ، من أجل [ذلك جعل][١] الله من بني[٢] آدم [الخبيث والطيب]** » .

هكذا أورد هذا الحديث إسنادًا ومتنًا . وقد أخرج مسلم والنسائي أيضًا(٤) من حديث الحجاج ابن محمد الأعور ، عن ابن جُرَيج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله ابن رافع ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بنحو من هذا السياق .

وقد علله البخاري في كتاب « **التاريخ الكبير** »(٥) فقال : وقال بعضهم : أبو هريرة عن كعب الأحبار - وهو أصح . وكذا علله غير واحد من الحفاظ ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض ثم يعرج إليه** ﴾ ، أي : يتنزل أمره من أعلىٰ السماوات إلىٰ أقصىٰ تخوم الأرض السابعة ، [كما][٣] قال الله تعالىٰ : ﴿ **الله الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله علىٰ كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا** ﴾ وترفع الأعمال إلىٰ ديوانها فوق سماء الدنيا ، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة[٤] خمسمائة سنة ، وسمك السماء خمسمائة سنة .

وقال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك : النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام ، وصعوده في مسيرة[٥] خمسمائة عام ، ولكنه يقطعها في طرفة عين ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾ .

﴿ **ذلك عالم الغيب والشهادة** ﴾ ، أي : المدبر لهذه الأمور ، الذي هو شهيد علىٰ أعمال عباده ، يرفع إليه جليلها وحقيرها ، وصغيرها وكبيرها - هو ﴿ **العزيز** ﴾ الذي قد عَزّ كل شيء

---

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٧٨٩) ، والنسائي في السنن الكبرىٰ برقم (١١٠١٠) .

(٥) - التاريخ الكبير للبخاري (٤١٣/١ ، ٤١٤) وممن أعله من الحفاظ ابن المديني كما نقل ذلك البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٧٥) ، وقد رد ذلك الشيخ ناصر الألباني في صحيحته برقم (١٨٣٣) ، والحديث يحتاج إلى بحث ، والله أعلم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « مسافة » .

فقهره وغلبه ، ودانت له العباد والرقاب ، ﴿ **الرحيم** ﴾ بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته ، رحيم في عزته .

ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى : إنه الذي أحسن خلق الأشياء ، وأتبتها[١] وأحكمها .

وقال مالك : عن زيد بن أسلم : ﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه** ﴾ ، قال : « **أحسن خلق كل شيء** » . كأنه جعله من المقدم والمؤخر .

ثم لما ذكر خلق السماوات والأرض[٢] ، شرع في ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾ ، يعني : خَلْق أبي[٣] البشر آدم من طين ﴿ **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين** ﴾ أي : يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة : ﴿ **ثم سواه** ﴾ ، يعني : آدم ، لما خلق[٤] من تراب خلقه سويًّا مستقيمًا ، ﴿ **ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** ﴾ ، يعني : العقول ، ﴿ **قليلًا ما تشكرون** ﴾ أي : بهذه القوى التي رزقكموها الله - عز وجل - فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل .

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ



يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا : ﴿ **أئذا ضللنا في الأرض** ﴾ ، أي : تمزقت أجسامنا ، وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت ، ﴿ **أئنا لفي خلق جديد** ﴾ ؟ أي : أئنا لنعود بعد تلك الحال ؟ ! يستبعدون [تلك الحال][٥] ، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلىٰ قُدَرهم العاجزة ، لا بالنسبة إلىٰ قُدْرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم ، الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن فيكون ، ولهذا قال : ﴿ **بل هم بلقاء ربهم**

---

[١] - في ت : « أتقنها » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « أبا » .

[٤] - في ت : « خلقه » .

[٥] - مابين المعكوفتين في ت : « ذلك » .

كافرون ﴾ .

ثم قال : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم** ﴾ ، الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة ، كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في « **سورة إبراهيم** » ، وقد سمّي في بعض الآثار بعزرائيل ، وهو المشهور ؛ قاله قتادة وغير واحد ، وله أعوان . وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد ، حتىٰ إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت .

قال مجاهد : حوِيت له الأرض فجعلت له مثل الطست ، يتناول منها حيث يشاء .

ورواه زهير بن محمد عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بنحوه مرسلًا ، وقاله ابن عباس رضي اللّٰه عنهما .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن أبي يحيىٰ المقري ، حدثنا عمرو[١] بن شَمِر[٢] [عن جعفر بن محمد][٣] قال : سمعت أبي يقول : نظر رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار ، فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا ملك الموت ، ارفق بصاحبي فإنه مؤمن . فقال مَلَك الموت : يا محمد ، طبْ نفسًا ، وقرّ عينًا ، فإني بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن ما في الأرض بيت مَدَر ولا شَعَر، في بر ولا بحر ، إلا وأنا أتصفحه في كل يوم خمس مرات ، حتىٰ إني أعرَف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، واللّٰه يا محمد ، لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قَدَرتُ علىٰ ذلك حتىٰ يكون اللّٰه هو الآمر بقبضها** » .

قال[٤] جعفر : بلغني أنه[٥] إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ، فإذا حضرهم عند الموت فإن[٦] كان ممن يحافظ علىٰ الصلاة دنا منه المَلَك ، ودفع عنه الشيطان ، ولقنه المَلَك : « **لا إله**

(٦) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٤/٢٢٠) ، والبزار في مسنده برقم (٧٨٤) « كشف الأستار » من طريق إسماعيل بن أبان ، عن عمرو ابن شمر الجعفي ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن الحارث بن الخزرج عن أبيه ، أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكر نحوه ، فأسنده ولم يرسله ، ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال : « عمرو بن شِمر متروك الحديث » .

[١] – في ت : « عمر » وهو تحريف .

[٢] – في خ ، ز سمرة . وهو تحريف . وانظر ترجمته في اللسان [٤/٤٢٢] .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] – سقط من : ز ، خ .

[٥] – سقط من : ز ، خ .

[٦] – سقط من : خ .

إلا الله ، محمد رسول الله » في تلك الحال العظيمة .

وقال عبد الرزاق(٧) : حدثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ؛ قال : سمعت مجاهدًا يقول : ما على ظهر الأرض من بيت شعر أو مدر إلا وملك الموت يطيف[١] به كل يوم مرتين .

وقال كعب الأحبار : والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت [يطيف به كل يوم مرتين][٢] يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ، ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ أي : يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث ، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين ﴿ **ناكسو** [٣] **رءوسهم** ﴾ أي : من الحياء والخجل ، يقولون : ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا** ﴾ ، أي : نحن الآن نسمع قولك ، ونطيع أمرك ، كما قال تعالى : ﴿ **أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا** ﴾ . وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم : ﴿ **لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ . وهكذا هؤلاء يقولون : ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا** ﴾ ، أي : إلى الدار الدنيا ، ﴿ **نعمل صالحاً إنا موقنون** ﴾ ، أي : قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق ، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارًا ، يكذبون آيات الله ويخالفون رسله ؛ كما قال : ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون**

---

(٧) تفسير الطبري (٦٣/٢١) .

---

[١] - في ت : « يطوف » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - في ت : « ناكسي » .

من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا** ﴾ .

﴿ **ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ ، أي : من الصنفين ، فدارهم النار لا محيد لهم عنها ، ولا محيص لهم منها ، نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك .

﴿ **فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ ، أي : يقال لأهل النار -علىٰ سبيل التقريع والتوبيخ- : ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم به ، واستبعادكم وقوعه ، وتناسيكم له ، إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له ، ﴿ **إنا نسيناكم** ﴾ ، أي : سنعاملكم معاملة الناسي ، لأنه تعالىٰ [لا ينسىٰ شيئًا ، و][1]لا يضل عنه شيء ، بل من باب المقابلة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اليوم[2] ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون** ﴾ ، أي : بسبب [كفرهم وتكذيبهم][3] ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميمًا وغساقًا * جزاء وفاقًا * إنهم كانوا لا يرجون حسابًا * وكذبوا بآياتنا كذابًا * وكل شيء أحصيناه كتابًا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا** ﴾ .

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **إنما يؤمن بآياتنا** ﴾ ، أي : إنما يصدق بها ﴿ **الذين إذا ذكروا بها خروا سجدًا** ﴾ ، أي : استمعوا لها وأطاعوها قولًا وفعلًا ، ﴿ **وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** ﴾ عن اتباعها والانقياد لها ، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، يعني بذلك قيام الليل ، [وترك النوم والاضطجاع علىٰ الفرش الوطيئة . قال مجاهد والحسن في قوله تعالىٰ ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم** ﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « فاليوم » .

[٣] - في ت : « كفركم وتكذيبكم » .

يعني بذلك : قيام الليل][١] . وعن أنس ، وعكرمة ، ومحمد بن المنكدر ، وأبي حازم ، وقتادة : هو الصلاة بين العشاءين . وعن أنس أيضًا : هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير بإسناد جيد .

وقال الضحاك : هو صلاة العشاء في جماعة ، وصلاة الغداة في جماعة .

﴿ يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ﴾ ، أي : خوفًا من وبال عقابه ، وطمعًا في جزيل ثوابه . ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ، فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ، ومقدم هؤلاء ، وسيدهم ، وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كما قال عبد اللّٰه بن رواحة - رضي اللّٰه عنه - :

وَفينا رَسُولُ اللّٰه يَتْلُو كتَابَه إِذَا انشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبحِ سَاطعُ[٢]
[أَرَانا الهُدَىٰ بَعْدَ العَمَىٰ ، فَقُلُوبُنَا به مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ واقعُ][٣]
يَبيتُ يُجَافي جَنْبه عَنْ فرَاشه إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بالْمُشْركين المَضَاجعُ

وقال الإمام أحمد (٨) : حدثنا روح وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن مُرّة الهمداني ، عن ابن مسعود ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وِطَائه ولحافه ، من بين أهله وحيّه إلىٰ صلاته ، [فيقول ربنا : أيا ملائكتي ، انظروا إلىٰ عبدي ، ثار من فراشه ووطائه ، ومن بين حيه وأهله إلىٰ صلاته][٤] ، رغبةً فيما عندي ، وشفقة مما عندي . ورجل غزا في سبيل اللّٰه - عز وجل - فانهزموا ، فعلم ما عليه من الفرار ، وما له في الرجوع ، فرجع حتىٰ أهريق دمه ، رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي . فيقول اللّٰه - عز وجل - للملائكة : انظروا إلىٰ عبدي رجع رغبة فيما عندي ، ورهبة مما عندي ، حتىٰ أهريق دمه** » . وهكذا رواه أبو داود في الجهاد ، عن موسىٰ بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به بنحوه .

وقال الإمام أحمد (٩) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في سفر ، فأصبحت يومًا قريبًا منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا رسول[٥] اللّٰه ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة

---

(٨) المسند (٤١٦/١) ، وسنن أبي داود برقم (٢٥٣٦) .

(٩) المسند (٢٣١/٥) وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في حرمة الصلاة (٥/ ١١، ١٢/ رقم : ٢٦١٦) . وقال : هذا حديث حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله=

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « صاطع » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ت : « نبي » .

ويباعدني من النار . قال : « **لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وصلاة الرجل في**[١] **جوف الليل** - ثم قرأ : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، حتىٰ بلغ ﴿ **يعملون** ﴾ . ثم قال - : **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟** » فقلت : بلىٰ ، يا رسول الله . فقال : « **رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سَنَامه الجهادُ في سبيل الله** » ثم قال : « **ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟** » فقلت : بلىٰ ، يا نبي الله ، فأخذ بلسانه ثم قال : « **كُفّ عليك هذا** » ، فقلت : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال : « **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناسَ في النار علىٰ وجوههم - أو قال : علىٰ**[٢] **مناخرهم - إلا حصائدُ ألسنتهم** » .

رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة في سننهم ، من طرق عن معمر ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

[وقد][٣]رواه ابن جرير(١٠) من حديث شعبة عن الحكم ؛ قال : سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال له[٤] : « **ألا أدلك علىٰ أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام العبد في جوف الليل** » وتلا هذه الآية : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ .

ورواه أيضًا من حديث الثوري(١١) ، عن منصور بن المعتمر ، عن الحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بنحوه ، ومن حديث الأعمش ، عن [حبيب ابن أبي ثابت][٥] ، والحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ مرفوعًا بنحوه .

ومن حديث حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النَّجُود ، عن شهر ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، قال : « **قيام العبد من الليل** » .

= تعالى : ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**﴾ (٦/ ٤٢٨/: ١١٣٩٤). وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : كف اللسان في الفتنة (٢/ ١٣١٤، ١٣١٥/رقم : ٣٩٧٣).

(١٠) تفسير الطبري (٢١/٦٤) .

(١١) تفسير الطبري (٢١/٦٤ ، ٦٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « من » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ت : « و » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « أبي حبيب ابن ثابت » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا فِطْر ابن خليفة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، والحكم ، وحكيم بن جبير ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في غزوة تبوك فقال : « **إن شئت أنبأتك بأبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل** » ثم تلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ » .

ثم قال : حدثنا أبي(١٢) ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا علي بن مسهر ، عن عبد الرحمن ابن إسحاق ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا جمع اللّٰه الأولين والآخرين يوم القيامة ، جاء منادٍ فنادىٰ بصوت يُسمعُ الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم مَن أولىٰ بالكرم . ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت** ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ...﴾ الآية ، **فيقومون وهم قليل** » .

وقال البزار (١٣) : حدثنا عبد اللّٰه بن شبيب ، حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر ، حدثنا عبد الحميد ابن سليمان ، حدثني مصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال بلال لما نزلت هذه الآية : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، كنا نجلس في المجلس ، وناس من أصحاب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يصلون بعد المغرب إلىٰ العشاء ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

ثم قال لا نعلم روىٰ أسلم عن بلال سواه ، وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق .

وقوله : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ ، أي : فلا يعلم أحد عظمة ما أخفىٰ اللّٰه لهم في الجنات من النعيم المقيم ، واللذات التىٰ لم يطلع علىٰ مثلها أحد ، لمّا أخفوا أعمالهم أخفىٰ اللّٰه لهم من الثواب ، جزاء وفاقًا ، فإن الجزاء من جنس العمل .

قال الحسن : أخفىٰ قوم عملهم[١] فأخفىٰ اللّٰه لهم ما لم تر عين ، ولا[٢] يخطر علىٰ قلب بشر . رواه ابن أبي حاتم .

(١٢) ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده ، وأبو يعلى في المسند الكبير كما في المطالب العالية (٣٧٣/٤) من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها .

(١٣) « كشف الأستار » (٢٢٥٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٠/٧) : « فيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف » .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ت : « ولم » .

قال البخاري [١٤] : قوله : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ...**﴾ الآية ، حدثنا عليّ ابن عبد اللّه ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - عن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **قال اللّه تعالىٰ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** » . قال أبو هريرة : فاقرءوا إن شئتم : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾ .

قال : وحدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال اللّه تعالى ...[مثله][١] . قيل لسفيان : رواية ؟ قال : فَأَيُّ شيء ؟ !

ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال البخاري[١٥] : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، [عن أبي][٢] صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يقول اللّه تعالىٰ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، ذُخرًا من بَله ما اطلعتم عليه . ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾** » .

قال أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح : قرأ أبو هريرة : (قرّات أعين) . انفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[١٦] : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن اللّه تعالىٰ قال : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** » .

أخرجاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق ، ورواه الترمذي[١٧] في التفسير ، وابن جرير ، من حديث عبد الرحيم بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم بمثله . ثم قال الترمذي : هذا حديث

(١٤) صحيح البخاري برقم (٤٧٧٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٤) ، وسنن الترمذي برقم (٣١٩٧) .

(١٥) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٠) وفي البخاري « رواية أبي معاوية » بعد الحديث المتقدم .

(١٦) المسند (٢/٣١٣) ، وصحيح البخاري برقم (٨٤٩٨) من طريق عبد الله عن معمر به ، ولم أجده في الصحيحين من رواية عبد الرزاق .

(١٧) سنن الترمذي برقم (٣٢٩٢) ، وتفسير الطبري (٦٦/٢١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « حدثنا أبو » .

حسن صحيح .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت بن أبي رافع ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه ، قال حماد : أحسبه - عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **من يدخل الجنة ينعم لا ييأس ، لا تبلىٰ ثيابه ، ولا يفنىٰ شبابه في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** ». رواه مسلم[١] من حديث حماد بن سلمة به (١٨) .

وقال[٢] الإمام أحمد(١٩) : حدثنا هارون ، حدثنا ابن وهب ، حدثني أبو صخر ، أن أبا حازم حدثه قال : سمعت سهل بن سعد الساعدي - رضي اللّٰه عنه - يقول : شهدت من رسول اللّٰه، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، مجلسًا وصف فيه الجنة ، حتىٰ انتهىٰ ، ثم قال في آخر حديثه : « **فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** » ، ثم اقترأ[٣][٤] هذه الآية : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **يعملون** ﴾ . وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون ابن معروف ، وهارون بن سعيد ، كليهما[٥] عن ابن وهب به .

وقال ابن جرير(٢٠) : حدثني العباس بن أبي طالب ، حدثنا معلىٰ بن أسد ، حدثنا سلّام بن أبي مطيع ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يروي عن ربه عز وجل ، قال : « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** » لم يخرجوه .

وقال مسلم أيضًا في صحيحه(٢١) : حدثنا ابن أبي عمر وغيره ، حدثنا سفيان ، حدثنا[٦] مُطَرِّف ابن طريف ، وعبد الملك بن سعيد ، سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال : سمعته[٧] علىٰ المنبر - يرفعه إلىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **سأل موسىٰ عليه السلام ربه عز وجل : ما أدنىٰ أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل**

---

(١٨) صحيح مسلم برقم (٢٨٣٦) .

(١٩) المسند (٥/٣٣٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٥) .

(٢٠) تفسير الطبري (٢١/٦٧) .

(٢١) صحيح مسلم برقم (١٨٩) ، وسنن الترمذي برقم (٣١٩٨) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « وروى » .

[٣] - في ت : « قرأ » .

[٤] - اقترأ القرآنَ والكتاب: قرأه.

[٥] - في ز ، خ : « كلاهما » .

[٦] - في خ ، ز : « بن » ويبدوا أنها كانت « عن » فتحرفت من الناسخ إلى « ابن » .

[٧] - في ز ، خ : « سمعت » .

الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : أي رب ، كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب . فيقول : لك ذلك ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب[١] . فيقول : هذا لك وعشرةُ أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولَذت عينك . فيقول : رضيت رب . قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أرَدتُ ، غَرَسْتُ كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر علىٰ قلب بشر ، قال : ومصداقه من كتاب اللّٰه : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ » .

ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر ، وقال : حسن صحيح ، قال : ورواه بعضهم عن الشعبي ، عن المغيرة ولم يرفعه ، والمرفوع أصح .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر[٢] بن منير المدائني ، حدثنا أبو بدر [ ][٣] شجاعُ بن الوليد ، حدثنا زياد بن[٤] خيثمة ، عن محمد بن جُحَادة ، عن عامر[٥] بن عبد الواحد قال : بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ، ثم[٦] يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه ، فتقول له : قد أنَىٰ[٧] لك أن يكون لنا منك نصيب ؟ فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من المَزِيد . فيمكث معها سبعين سنة ، ثم[٨] يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه ، [فتقول له][٩] : قد أنىٰ لك أن يكون لنا[١٠] منك نصيب ، فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا التي[١١] قال اللّٰه : **﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾** .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جُبَير قال : تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات ، معهم التحف من اللّٰه من جنات عدن ما ليس في جناتهم ، وذلك قوله : **﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾** ، ويُخبرُون أن اللّٰه عنهم راضٍ .

وقال ابن جرير (٢٢) : حدثنا سهل بن موسىٰ الرازي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان

---

(٢٢) تفسير الطبري (٦٦/٢١) .

---

[١] - في ت : « ربي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بن » .
[٤] - في ز ، خ : « عن » .
[٥] - في خ ، ز : « عباس » .
[٦] - بياض في : ز ، خ .
[٧] - أنىٰ : حان .
[٨] - في ز ، خ : « و » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز ، خ : « الذي » .

بن عمرو ، عن أبي اليمان الهوزني - أو غيره - قال : الجنة مائة درجة ، أولها درجة فضة ، وأرضها فضة ، ومساكنها فضة ، [وآنيتها فضة][١] ، وترابها المسك . والثانية ذهب ، وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيتها ذهب ، وترابها المسك . والثالثة لؤلؤ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها اللؤلؤ ، وآنيتها اللؤلؤ ، وترابها المسك . وسبع وتسعون بعد ذلك ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ، جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ .

وقال ابن جرير (٢٣) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن الروح الأمين قال[٢] : « **يؤتىٰ بحسنات العبد وسيئاته ، ينقص بعضها من بعض ، فإن بقيت حسنة واحدة**[٣] **وسع اللّٰه له في الجنة** » ، قال : فدخلت علىٰ « **يزداد**[٤] » فَحَدّثَ[٥] بمثل هذا الحديث ، قال : فقلت : فأين ذهبت الحسنة ؟ قال : ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون** ﴾ . قلت : قوله تعالىٰ : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾ ، قال : العبد يعمل سرًّا أسرّه إلىٰ اللّٰه ، لم يَعلم به الناس ، فأسرّ اللّٰه له يوم القيامة قُرّة أعين[٦] .

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالىٰ عن عدله ، أنه لا يساوي في حُكمه يوم القيامة من كان مؤمنًا بآياته متبعًا

(٢٣) تفسير الطبري (٢١/٦٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - هو يزداد - أو أزداد بن فساءة . له ترجمة في التقريب رقم (٣٠٠) .

[٥] - في ، ز ، خ : « فحدثت » . [٦] - في ز ، خ : « عين » .

لرسله ، بمن كان فاسقًا ، أي : خارجًا عن طاعة ربه ، مكذبًا لرُسُله إليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿ **أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون** ﴾ أي : عند الله يوم القيامة .

وقد ذكر عطاء بن يَسَار والسدي وغيرهما : أنها نزلت في علي بن أبي طالب ، وعقبة بن أبي مُعَيط . ولهذا فَصَّل حكمهم فقال : ﴿ **أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، أي : صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها ، وهي الصالحات ، ﴿ **فلهم جنات المأوىٰ** ﴾ ، أي : التي فيها المساكن والدور والغرف العالية ، ﴿ **نزلًا** ﴾ ، أي : ضيافة وكرامة ﴿ **بما كانوا يعملون** ﴾ ﴿ **وأما الذين فسقوا** ﴾ ، أي : خرجوا عن الطاعة ، ﴿ **فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾ ، [كقوله : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ...** ﴾ الآية][١] قال الفُضَيل بن عياض : والله إن الأيدي لموثقة ، وإن الأرجل لمقيدة ، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم .

﴿ **وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون** ﴾ أي : يقال لهم ذلك[٢] تقريعًا وتوبيخًا .

وقوله : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني بالعذاب الأدنىٰ مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها ، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه . ورُوي مثله عن أبيّ بن كعب ، [وأبي العالية][٣] ، والحسن ، وإبراهيم النخَعي ، والضحاك ، وعلقمة ، وعطية ، ومجاهد ، وقتادة ، وعبد الكريم الجزَري ، وخصيف .

وقال ابن عباس في رواية عنه : يعني به إقامة الحدود عليهم .

وقال البراء بن عازب ، ومجاهد ، وأبو عبيدة : يعني به عذاب القبر .

وقال النسائي(٢٤) : أخبرنا عمرو بن علي ، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص وأبي عبيدة ، عن عبد الله : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر** ﴾ ، قال : سنون أصابتهم .

---

(٢٤) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٩٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقال عبد اللّه بن الإمام أحمد(٢٥) : حدثني عبيد[١] اللّه بن عُمَر القواريري ، حدثنا يحيىٰ ابن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عَزْرَةَ[٢] ، عن الحسن العُرَني ، عن يحيىٰ بن الجزار ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن أبيّ بن كعب في هذه الآية : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر** ﴾ ، قال : القمر[٣] والدخان قد مضيا ، والبطشة واللزام . ورواه مسلم من حديث شعبة به[٤] موقوفًا نحوه .

وعند البخاري(٢٦) عن ابن مسعود ، [نحوه .

وقال عبد اللّه بن مسعود][٥] أيضًا في رواية عنه : العذاب الأدنىٰ : ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر . وكذا قال مالك ، عن زيد بن أسلم .

قال السدي وغيره : لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن علىٰ قتيل لهم أو أسير ، فأصيبوا أو غَرموا[٦] ، ومنهم من جمع له الأمران .

وقوله : ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها** ﴾، أي: لا أظلم ممن[٧] ذَكَّرَه اللّه بآياته ، وبينها له ووضحها ، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها ، كأنه لا يعرفها .

قال قتادة - رحمه اللّه - : إياكم والإِعراضَ عن ذكر اللّه ! فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرّة ، وأعوز أشد العَوَز ، وعظم من أعظم الذنوب .

ولهذا قال تعالى متهددًا لمن فعل ذلك :﴿ **إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ أي : سأنتقم ممن فعل ذلك[٨] أشد الانتقام .

[قال] ابن جرير(٢٧) : حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا عبد العزيز بن عبيد اللّه ، عن عبادة بن نُسَيّ ، عن جنادة بن

(٢٥) زوائد المسند (١٢٨/٥) . وأخرجه مسلم في كتاب صفات النافقين وأحكامهم ، باب : نزول أهل الجنة (٤/ ٢١٥٧، ٢١٥٨/رقم: ٢٧٩٩) من طرق عن غندر ، عن شعبة به . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٢٧/٤ - ٤٢٨) من طريق شعبة ، عن قتادة به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢٦) صحيح البخاري برقم (٤٨٢٠) ولفظه : « مضي خمس : الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام » .

(٢٧) تفسير الطبري (٦٩/٢١) .

[١] - في ز ، خ : « عبد » .

[٢] - في خ ، ز : « عروة » .

[٣] - في خ ، ز : « الضمار » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز ، خ : « هزموا » .

[٧] - في ز ، خ : « من » .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

أبي أمية ، عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول[١] : « **ثلاث من فعلهن فقد أجرم ، من عقد لواءً في غير حق ، أو عق والديه ، أو مشىٰ مع ظالم ينصره ، فقد أجرم** » يقول الله تعالىٰ : ﴿ **إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ » . ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش ، به[٢] ، هذا حديث غريب جدًّا .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله موسى - عليه السلام - إنه أتاه الكتاب ، وهو التوراة .

وقوله : ﴿ **فلا تكن في مرية من لقائه** ﴾ ، قال قتادة : يعني به ليلة الإسراء . ثم روىٰ عن أبي العالية الرياحي قال : حدثني ابن عم نبيكم - يعني ابن عباس - قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم(٢٨) - : « **أريتُ ليلة أسري بي موسىٰ بن عمران ، رجلًا آدم[٣] طوالًا ، جعدًا، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى رجلًا مربوع الخلق ، إلىٰ الحمرة والبياض ، سبط الرأس ، ورأيت مالكًا خازن النار والدجال** » ، في آيات أراهن الله إياه ، ﴿ **فلا تكن في مرية من لقائه** ﴾ ، أنه قد رأىٰ موسىٰ ، ولقي موسىٰ ليلة أسري به .

وقال الطبراني (٢٩) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا الحسن بن علي الحلواني ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في قوله : ﴿ **وجعلناه هدىً لبني إسرائيل** ﴾ ، قال : « **جُعل موسىٰ هُدىً لبني إسرائيل** » ، وفي قوله : ﴿ **فلا تكن في مرية من لقائه** ﴾ ، قال : « **من لقاء موسىٰ ربه عز وجل** » .

وقوله : ﴿ **وجعلناه** ﴾ ، أي : الكتاب الذي آتيناه موسى[٤] ﴿ **هُدىً لبني إسرائيل** ﴾ ، [كما قال تعالىٰ في سورة الإسراء : ﴿ **وآتينا موسىٰ الكتاب وجعلناه هدًى لبني إسرائيل**][٥] **أن لا تتخذوا من دوني وكيلًا** ﴾ وقوله : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا**

(٢٨) - انظر تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء وقد تقدم تخريجه هناك .

(٢٩) المعجم الكبير للطبراني (١٢/١٦٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

بآياتنا يوقنون ﴾ ، أي : لما كانوا صابرين علىٰ أوامر اللَّه ، وترك زواجره ، وتصديق رسله ، واتباعهم فيما جاءوهم به - كان منهم أئمة يهدون إلىٰ الحق بأمر اللَّه ، ويدعون إلىٰ الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . ثم لما بدلوا وحرّفوا وأوّلوا ، سلبوا ذلك المقام ، وصارت قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، فلا عمل [صالحًا ، ولا اعتقاد صحيحًا][١]. ولهذا قال : [**﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾**][٢] قال قتادة وسفيان : لما صبروا عن الدنيا . وكذلك قال الحسن بن صالح .

قال سفيان : هكذا كان هؤلاء ، ولا[٣] ينبغي للرجل أن يكون [ ][٤] إمامًا يُقتَدى به حتىٰ يتحامىٰ عن الدنيا .

قال وكيع : قال سفيان : لابد للدين من العلم ، كما لابد للجسد من الخبز[٥] .

وقال ابن بنت الشافعي [قال][٦]: قرأ أبي علىٰ عمي - أو عمي علىٰ أبي - سئل سفيان عن قول عليّ - رضي اللَّه عنه - : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ألم تسمع قوله : **﴿ [وجعلنا منهم][٧] أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾** ، قال : لما أخذوا برأس الأمر صاروا رءوسًا .

[قال بعض العلماء : بالصبر واليقين تُنالُ الإمامة في الدين ؛ ولهذا قال تعالىٰ][٨] : **﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علىٰ العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾** كما قال هنا : **﴿ إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾** ، أي : من الاعتقادات والأعمال .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « صحيحًا ولا اعتقاد صالحًا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « له » .

[٥] - في ز ، خ : « الخير » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وجعلناهم » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ : أو لم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك اللّٰه قبلهم من الأمم الماضية ، بتكذيبهم بالرسل[١] ، ومخالفتهم إياهم فيما جاءوهم به من قويم[٢] السبل ، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر ؟ ﴿ **هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا** ﴾ ؟ . ولهذا قال : ﴿ **يمشون في مساكنهم** ﴾ ، أي : وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحدًا ممن كان يسكنها ويعمرها ، ذهبوا منها ﴿ **كأن لم يغنوا فيها** ﴾ كما قال : ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** ﴾ وقال : ﴿ **فكأين من قرية أهلكناها[٣] وهي ظالمة فهي خاوية علىٰ عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ ، أي : إن[٤] في ذهاب أولئك القوم ، ودَمَارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ، ونجاة من آمن بهم - لآيات [وعبرًا ومواعظ][٥] ، ودلائل متظاهرة[٦] .

﴿ **أفلا يسمعون** ﴾ أي : أخبار من تقدم ، كيف كان أمرهم ؟ .

وقوله : ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلىٰ الأرض الجرز** ﴾ ، يبين تعالىٰ لطفه بخلقه ، وإحسانه إليهم في إرساله الماء ، إما من السماء أو من السيح ، وهو[٧] : ما تحمله الأنهار ويتحدر[٨] من الجبال ، إلىٰ الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ، ولهذا قال : ﴿ **إلىٰ الأرض الجرز** ﴾ ، وهي : التي لا نبات فيها ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جُرُزًا** ﴾ ، أي : يَبَسًا لا تنبت شيئًا . وليس المراد من قوله : ﴿ **إلىٰ الأرض الجرز** ﴾ ، أرض مصر فقط ، بل هي بعض المقصود ، وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها ، ولكنها مرادة قطعًا من هذه الآية ، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة ، تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها ، فيسوق اللّٰه إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة ، وفيه طين أحمر ، فيغشىٰ أرض مصر ، وهي أرض سبخة مرملة ، محتاجة إلىٰ ذلك الماء ، وذلك الطين أيضًا ؛ لينبُتَ الزرعُ فيه ، فيستغلون كل سنة علىٰ ماء جديد ممطور في غير بلادهم ، وطين جديد من غير أرضهم ، فسبحان الحكيم الكريم المنان ، المحمود ابتداء .

---

[١] - في ت : « الرسل » . [٢] - في ز ، خ : « تبريم » .

[٣] - في ز : « أهلكتها » وهي قراءة أبي عمرو ، ورواها أبو بكر عن عاصم .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « عبرة وموعظة » .[٦] - في خ : « متناظرة » .

[٧] - سقط من : خ ، ز . [٨] - في ت : « ينحلر » .

قال ابن لهيعة ، عن قيس بن حجاج ، عمن حدثه قال : لما فُتحت مصر ، أتىٰ أهلها عمرو ابن العاص حين دخل بئونة - من أشهر العجم - فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا سُنَّة لا يجري إلا بها ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عَمَدنا إلىٰ جارية بكْر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا ما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله . فأقاموا بئونة والنيل لا يجري ، حتىٰ هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلىٰ عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه ، أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإنك إن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك؛ فنسأل الله أن يجريك. قال: فألقىٰ البطاقة في النيل، وأصبحوا يوم السبت وقد أجرىٰ الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السُّنَّة عن أهل مصر إلىٰ اليوم . رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب « **السنة** » له (٣٠) .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلىٰ الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** ﴾ ؟ كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلينظر الإنسان إلىٰ طعامه . أنا صببنا الماء صبًا ثم شققنا الأرض شقًا فأنبتنا فيها حبًا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا ونخلًا وحدائق غلبًا وفاكهة وأبًا متاعًا لكم ولأنعامكم** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **أفلا يبصرون[١]** ﴾ .

وقال ابن أبي نجيح ، عن رجل ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إلىٰ الأرض الجرز** ﴾ ، قال : هي التي لا تُمطَر إلا مطرًا لا يغني عنها شيئًا ، إلا ما يأتيها من السيول .

وعن ابن عباس ومجاهد : هي أرض باليمن . وقال الحسن - رحمه الله - : هي قرى فيما بين اليمن والشام .

وقال عكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : الأرض الجرز التي لا نبات فيها وهي[٢] مغبرة .

قلت : وهذا كقوله : ﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته**

---

(٣٠) كتاب السنة للالكائي برقم (٦٦) « قسم كرامات الأولياء » : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن مخلد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ابن لهيعة به ، وهو مرسل .

---

[١] - في ز ، خ : « تبصرون » . [٢] - سقط من ز ، خ .

أيديهم أفلا يشكرون ﴾ .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن استعجال الكفار وقوع بأس اللّٰه بهم ، وحلول[١] غضبه ونقمته عليهم ، استبعادًا وتكذيبًا وعنادًا ﴿ **ويقولون متىٰ هذا الفتح** ﴾ ؟ ، أي : متىٰ تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتًا تُدَال[٢] علينا ، ويُنتقم لك منا ، فمتىٰ يكون هذا ؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين ! قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **قل يوم الفتح** ﴾ ، أي : إذا حَل بكم بأس اللّٰه وسَخَطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرىٰ ، ﴿ **لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا باللّٰه وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة اللّٰه التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾ .

ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتحُ مكة فقد أبعد النّجعة ، وأخطأ فأفحش ، فإن يوم الفتح قد قَبل رسولُ اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إسلام الطلقاء ، وقد كانوا قريبًا من ألفين ، ولو كان المراد فتحَ مكة لما قبل إسلامهم ، لقوله : ﴿ **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون** ﴾ ، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **فافتح بيني وبينهم فتحًا ونجني ومن معي من المؤمنين** ﴾ وكقوله : ﴿ **قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** ﴾ ، وقال : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ وقال : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون** ﴾ ، أي : أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك ، كقوله : ﴿ **اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين** ﴾ وانتظر ، فإن اللّٰه سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك ، إنه لا يخلف الميعاد .

وقوله : ﴿ **إنهم منتظرون** ﴾ ، أي : أنت منتظر ، وهم منتظرون ، ويتربصون بكم الدوائر ،

---

[١] - في خ : « وطول » .

[٢] - في ز ، خ : « يدال » .

﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾ ، وسترىٰ أنت عاقبة صبرك عليهم، وعلىٰ أداء رسالة اللّٰه ، في نصرتك وتأييدك ، وسيجدون غبّ ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك ، من وبيل عقاب اللّٰه لهم ، وحلول عذابه بهم ، وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل .



تفسير سورة الأحزاب

وهي مدنية

[قال عبد اللّٰه بن الإمام أحمد(١)][١] : حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ قال : قال لي أبيّ بن كعب : كَأَيِّن[٢] تقرأ[٣] سورة الأحزاب ؟ أو كَأَيِّن[٤] تعدها[٥] ؟ قال : قلت : ثلاثًا وسبعين آية . فقال : قَط ! لقد رأيتها وإنها لتعادل « سورة البقرة » ، ولقد قرأنا فيها: « **الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة ، نكالًا من اللّٰه . واللّٰه عليم حكيم** » .

ورواه النسائي من وجه آخر ، عن عاصم - وهو ابن أبي النجود ، وهو ابن بهدلة - به . وهذا إسناد حسن ، وهو يقتضي أنه قد[٦] كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضًا ، واللّٰه أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

هذا تنبيه بالأعلىٰ علىٰ الأدنىٰ ، فإنه تعالىٰ إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فَلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولىٰ والأحرىٰ . وقد قال طلق بن حبيب : التقوىٰ أن تعمل بطاعة

(١) - المسند (١٣٢/٥) (٢١٢٨٧)، وأخرجه أيضًا (١٣٢/٥) (٢١٢٨٦) ، والنسائي في الكبرى ، كتاب الرجم ، باب : نسخ الجلد عن الثيب ، حديث (٧١٥٠) . وأخرجه الحاكم أيضًا في المستدرك (٢/ ٤١٥) و(٤/ ٣٥٩) . من طرق ، عن عاصم ، عن زر به . ورواه ابن حبان كما في الإحسان (٣٠١/٦ - ٣٠٢) حديث ٤٤١١ . عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن إبراهيم - بنحوه - عن النضر ابن شميل عن حماد بن سلمة ، عن عاصم .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال الإمام أحمد إنما قاله عبد الله بن أحمد » ويبدوا أن عبارة «إنما قاله عبد الله بن أحمد »يبدوا أنها كانت لبعض المعلقين على الكتاب فأدخلها الناسخ سهوًا في صلب الكتاب .

[٢] - في خ ، ز : « كان » .

[٣] - في ز ، خ : « يقرأ » .

[٤] - في خ ، ز : « كان » .

[٥] - في ز : « يعدها » .

[٦] - سقط من : ت .

اللَّه، علىٰ نور من اللَّه، ترجو ثواب اللَّه، وأن تترك معصية اللَّه، علىٰ نور من اللَّه [لله][١]، مخافة عذاب اللَّه .

وقوله : ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين** ﴾، أي : لا تسمع منهم ولا تستشرهم[٢]، ﴿ **إن اللَّه كان عليمًا حكيمًا** ﴾ ، أي : فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه ، فإنه عليم بعواقب الأمور ، حكيم في أقواله وأفعاله ، ولهذا قال : ﴿ **واتبع ما يوحىٰ إليك من ربك** ﴾ ، أي : من قرآن وسنة ، ﴿ **إن اللَّه كان بما تعملون خبيرًا** ﴾ ، أي : فلا تخفىٰ عليه خافية . ﴿ **وتوكل علىٰ اللَّه** ﴾ ، أي : في جميع أمورك وأحوالك ، ﴿ **وكفىٰ باللَّه وكيلًا** ﴾ أي: وكفىٰ به وكيلًا لمن توكل عليه وأناب إليه .

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ موطئًا قبل المقصود المعنوي أمرًا حسيًّا معروفًا ، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله : أنت عَلَيَّ كظهر أمي - أمًّا له ، كذلك لا يصير الدّعيّ ولدًا للرجل إذا تبنّاه فدعاه ابنًا له ، فقال : ﴿ **ما جعل اللَّه لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم** ﴾ ، هذا هو المقصود بالنفي ، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قد تبناه قبل النبوة ، وكان يقال له : « **زيد بن محمد** » ، فأراد اللَّه تعالىٰ أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم** ﴾ ، كما قال في أثناء السورة : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول اللَّه وخاتم النبيين وكان اللَّه بكل شيء عليمًا** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **ذلكم قولكم بأفواهكم** ﴾ ، يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًّا ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، فما يمكن أن يكون له أبوان ، كما لا يمكن أن

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٢] - في ز ، خ : « تستشيرهم » .

يكون للبشر الواحد قلبان .

﴿ **والله يقول الحق وهو يهدي السبيل** ﴾ ، قال سعيد بن جبير : ﴿ **يقول الحق** ﴾ ، أي : العدل . وقال قتادة : ﴿ **وهو يهدي السبيل** ﴾ ، أي : الصراط المستقيم .

وقد ذكر غير واحد : أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش ، كان يقال له : « **ذو القلبين** » ، وأنه كان يزعم أن له قلبين ، كل منهما بعقل وافر . فأنزل الله هذه الآية ردًّا عليه . هكذا روىٰ العَوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة . واختاره ابن جرير .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، عن قابوس - يعني : ابن أبي ظبيان - أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله تعالىٰ : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ ، ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يومًا يصلي ، فخَطَر خَطْرَة[١] . فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترون له قلبين ، قلبًا معكم وقلبًا معهم ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ .

وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن صاعد الحراني - [و][٢] عن عبد بن حميد ، عن أحمد بن يونس - كليهما[٣] عن زهير - وهو ابن معاوية - به ، ثم قال : وهذا حديث حسن . وكذا رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث زهير ، به .

وقال عبد الرزاق (٣) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ ، قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ، ضُرب له مثل ، يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك .

وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : إنها نزلت في زيد بن حارثة . وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾ ، هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب ، وهم الأدعياء ، فأمر تعالىٰ برد نسبهم إلىٰ آبائهم في الحقيقة ، وأن هذا هو العدل والقسط .

---

(٢) - المسند (١/٢٦٧) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣١٩٩) وابن خزيمة (٨٦٥) من طريق قابوس به .

(٣) - تفسير عبد الرزاق (٢/١١١) ، ومن طريقه أخرجه ابن جرير .

---

[١] - أي وُسوس .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : « كلاهما » .

قال البخاري(٤) -رحمه الله- : حدثنا مُعَلىٰ بن أسد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا موسىٰ بن عقبة قال : حدثني سالم ، عن عبد الله بن عمر : أن زيد بن حارثة مولىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ما كُنَّا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتىٰ نزل القرآن : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾ وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة ، به .

وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من[١] كل وجه ، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ؛ ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة : يا رسول الله ؛ [إنا][٢] كنا ندعو سالمًا ابنًا ، وإن الله قد أنزل ما أنزل ، وإنه كان يدخل عَلَيّ ، وإني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئًا[٣] ، فقال صلىٰ الله عليه وسلم : « **أرضعيه تحرمي عليه** ...» . الحديث(٥) .

ولهذا لما نسخ هذا الحكم ، أباح تعالىٰ زوجة الدعيّ ، وتزوج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة (٦) ، وقال : ﴿ **لكيلا يكون علىٰ المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا** ﴾ ، وقال في آية التحريم : ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ احترازًا عن زوجة الدّعيّ ، فإنه ليس من الصلب ، فأما الابن من الرضاعة فمنزل بمنزلة[٤] ابن الصلب شرعًا ، بقوله - عليه السلام - في الصحيحين (٧) : « **حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب** » .

---

(٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ حديث (٤٧٨٢) ، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث (٢٤٢٥) والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣٢٠٩) وفي المناقب ، باب : مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه ، حديث (٣٨١٤) والنسائي في التفسير (٤١٦) من طريق موسى بن عقبة به .

(٥) - أخرجه مسلم في الرضاع ، حديث (٢٧/١٤٥٣) من طريق القاسم عن عائشة ، وأصل الحديث عند البخاري في المغازي : حديث (٤٠٠٠) وفي النكاح ، باب : الأكفاء في الدين ، حديث (٥٠٨٨) من طريق عروة عن عائشة .

(٦) - أحاديث زواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش كثيرة ، وانظر تاريخ دمشق (١/ ١٣٧، ١٤٤ - السيرة) .

(٧) - الحديث في المسند (٧٢/٦) بلفظ : « حرموا من الرضاعة ما تحرموا من الولادة » من طريق ابي بكر بن صخير عن عروة عن عائشة به مرفوعًا ، والحديث عند البخارى في النكاح حديث (٥٠٩٩) ، ومسلم في الرضاع حديث (١٤٤٤) بلفظ : « إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » . وفي لفظ لمسلم : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة » .

---

[١] - في ز ، خ : « في » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « منزلة » .

فأما دعوة الغير ابنًا علىٰ سبيل التكريم والتحبيب ، فليس مما نهي عنه في هذه الآية ، بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي ، من حديث سفيان الثوري (٨) ، عن سلمة ابن كهيل ، عن الحسن العُرَني ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : قدمنا علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أغيلمة بني عبد المطلب علىٰ حُمُرَات لنا من جَمْع . فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول : « **أُبَيْنِيّ**[١] **لا ترموا الجمر حتى تطلع الشمس** » .

قال أبو عبيد وغيره : « **أُبَيْنِيّ**[٢] **: تصغير ابني**[٣] » . وهذا ظاهر الدلالة ، فإنّ هذا كان في حجة الوداع سنة عشر .

وقوله : ﴿ **ادعوهم لآبائهم** ﴾ في شأن زيد بن حارثة ، وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان ، وأيضًا ففي صحيح مسلم(٩) ، من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد اللَّه اليشكري، [عن الجعد][٤] أبي عثمان البصري ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه ، قال : قال لي رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا بني** » . ورواه أبو داود والترمذي .

وقوله : ﴿ **فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ ، أمر تعالىٰ برد أنساب الأدعياء إلىٰ آبائهم ، إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا آباءهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، أي : عوضًا عما فاتهم من النسب ؛ ولهذا قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يوم خرج من مكة عام عُمرة القضاء ، وتبعتهم ابنة حمزة تنادي : يا عم ، يا عم . فأخذها عليّ وقال لفاطمة : دونَك ابنةَ عَمّك [فاحتمليها . فاختصم][٥] فيها عليّ ، وزيد ، وجعفر في أيّهم يكفلها ، فكل أدلىٰ بحجته ، فقال عليّ : أنا أحق بها وهي ابنة عمي . وقال زيد : ابنة أخي . وقال جعفر بن أبي طالب : ابنة عمي ، وخالتها تحتي - يعني أسماء بنت عميس - فقضىٰ النبيّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لخالتها ، وقال : « **الخالة بمنزلة الأم** » . وقال لعليّ : « **أنت**

(٨) - أخرجه أحمد (١/٢٣٤، ٣١١، ٣٤٣) ، وأبو داود في المناسك ، باب : التعجيل من جمع ، حديث (١٩٤٠) ، والنسائي في الحج ، باب : النهي عن رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس (٥/٢٧٠، ٢٧) وابن ماجة في الحج ، باب : من تقدم من جمع إلى منى ، حديث (٣٠٢٥) من طريق سفيان به .
والحديث أخرجه الحميدي (٤٦٥) ، وأحمد (١/٢٣٤) من طريق مسعر وسفيان عن سلمة به .

(٩) - صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، حديث (٢١٥١) ، وأخرجه أحمد (٣/٢٨٥) وأبو داود في الأدب ، باب : في الرجل يقول لابن غيره : يا بنى ، حديث (٤٩٦٤) والترمذى في الأدب ، باب : ما جاء في يابنى، حديث (٢٨٣١) من طرق عن أبى عوانه به .

[١] - في ز : « ابني » .
[٢] - في ز : « ابني » .
[٣] - في ز : « ابني » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ز : « الجعدي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فاحتملتها واختصم » .

مني ، وأنا منك » . وقال لجعفر : « **أشبهت خَلْقي وخُلُقي** » . وقال لزيد : « **أنت أخونا ومولانا** »[١٠] .

ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها أنه عليه الصلاة والسلام حكم بالحق ، وأرضىٰ كلًّا من المتنازعين ، وقال لزيد : « **أنت أخونا ومولانا** » ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ .

وقال ابن جرير[١١] : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال أبو بكرة : قال اللَّه عز وجل : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللَّه فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ ، فأنا ممن لا يعرف أبوه ، وأنا من إخوانكم في الدين . قال أبي : واللَّه ، إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمارًا لانتمىٰ إليه .

وقد جاء في الحديث : « **من ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر** »[١٢] .

وهذا تشديد وتهديد ، ووعيد أكيد ، في التبري من النسب المعلوم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللَّه ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به** ﴾ أي : إذا نسبتم بعضهم إلىٰ غير أبيه في الحقيقة خطأً ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع ، فإن اللَّه قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه ، كما أرشد إليه في قوله آمرًا عباده أن يقولوا : ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ .

وثبت في صحيح مسلم[١٣] أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **قال اللَّه : قد فعلت** » .

وفي صحيح البخاري[١٤] ، عن عمرو بن العاص قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه

---

(١٠) - أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب : كيف يكتب «هذا ما صالح فلان بن فلان ...» حديث (٢٦٩٩) ، وفى المغازى ، باب : عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥١) ، والترمذي في البر والصلة ، باب : ما جاء في بر الخالة ، حديث (١٩٠٤) ، وفي المناقب حديث (٣٧١٦) ، (٣٧٦٥) من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب .

(١١) - تفسير الطبرى (١٢١/٢١) .

(١٢) - رواه البخاري ، في كتاب المناب ، حديث (٣٥٠٨) بمعناه . وطرفه (٦٠٤٥)

(١٣) - صحيح مسلم حديث (١٢٦) ..

(١٤) - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث (٧٣٥٢) ولفظه : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » والحديث أخرجه أيضاً مسلم في الأقضية حديث (١٧١٦) من طريق أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو به مثل لفظ البخارى . وقد تقدم تخريج الحديث في سورة الأنبياء الآية (٧٩) .

وسلم : « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر** ».

وفي الحديث الآخر : « **إن الله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما يكرهون عليه** »(١٥) .

وقال هاهنا : ﴿ **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾. أي: وإنما الإثم علىٰ من تعمد[١] الباطل كما قال تعالىٰ : ﴿ **لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** ﴾ .

وفي الحديث المتقدم(١٦) : « **من ادّعي إلىٰ غير أبيه ، وهو يعلمه ، إلا كفر** » . وفي القرآن المنسوخ : « **فإن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم** » .

قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، عن عمر أنه قال : بعث الله محمدًا ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، ثم قال : قد كنا نقرأ : « **ولا ترغبوا عن آبائكم [فإنه كفر بكم - أو : إن كفرًا بكم - أن ترغبوا عن آبائكم** »][٢] . وإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا تطروني [كما أطري**][٣] **عيسىٰ ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبده ورسوله** » . وربما قال معمر : « **كما أطرت النصارى ابن مريم** » .

ورواه في الحديث الآخر : « **ثلاث في الناس كفر : الطعن في النسب ، والنياحة علىٰ الميت ، والاستسقاء بالنجوم** »(١٨) .

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾

(١٥) - تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف الآية (١٥٧) .

(١٦) - تقدم في رقم (١٢) .

(١٧) - المسند (٤٧/١) ، والحديث أخرجه البخارى في الحدود ، باب : رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، حديث (٦٨٣٠) مطولاً من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى به .

(١٨) - (٣٤٢/٥) (٢٣٠١٠) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب : التشديد في النياحة (٢/ ٦٤٤/ رقم: ٩٣٤) . من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعًا به .

[١] - في خ : « تعلم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « كإطراء » .

قد علم الله تعالىٰ شفقة رسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ أمته ، ونصحه لهم ، فجعله أولىٰ بهم من أنفسهم ، وحُكْمه فيهم مُقَدّمًا علىٰ اختيارهم لأنفسهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ، ويسلموا تسليمًا** ﴾ .

وفي الصحيح (١٩) : « **والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين** » .

وفي الصحيح(٢٠) أيضًا أن عمر - رضي الله عنه - قال : يا رسول الله ، والله لأنت أحب إليّ من كل شيء [ ][١] إلا من نفسي . فقال : « **لا يا عمر ، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك** » . فقال : يا رسول الله ، لأنت أحب إليّ من كل شيء حتىٰ من نفسي . فقال : «**الآن يا عمر** » . ولهذا قال تعالى في هذه الآية : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ .

وقال البخاري(٢١) عندها : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا [محمد بن][٢] فُلَيح ، حدثنا أبي ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرَة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيّ ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ما من مؤمن إلا وأنا أولىٰ الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ، فإن ترك دينًا أو ضياعًا ، فليأتني فأنا مولاه** » . تفرد به البخاري .

ورواه أيضًا في « الاستقراض » ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من طرق ، عن فليح ، به مثله .

ورواه الإمام أحمد(٢٢) ، من حديث أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ، عن

---

(١٩) - صحيح البخارى في الإيمان ، باب : حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ، حديث (١٤) من حديث أنس بلفظ « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده » وأخرجه البخارى في الموضع السابق ، حديث (١٥) ، ومسلم في الإيمان حديث (٤٤) من حديث أنس نحوه .

(٢٠) - صحيح البخارى في الأيمان والنذور ، باب : كيف كانت يمين النبيى صلى الله عليه وسلم ، حديث (٦٦٣٢) من طريق أبي عقيل زهرة بن معبد عن جده عبدالله بن هشام به .

(٢١) - صحيح البخارى في التفسير ، حديث (٤٧٨١) ، وأخرجه أيضًا في الاستعراض ، باب الصلاة على من ترك ديناً ، حديث (٢٣٩٩) والطبرى ( ) من طريق فليح به .

(٢٢) - المسند (٣٥٦/٢) ، والحديث في صحيح البخارى ، كتاب الفرائض ، باب : ابنى عم أحدهما أخ للأم والآخر زوج ، حديث (٦٧٤٥) من طريق أبي حصين به أيضاً .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « والله » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

وقال الإمام أحمد(٢٣) : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريّ في قوله تعالىٰ : ﴿النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم﴾ عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان يقول : « **أنا أولىٰ بكل مؤمن من نفسه ، فأيما رجل مات وترك دينًا فإليّ ، ومن ترك مالاً فلورثته** » . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به نحوه .

وقوله : ﴿ **وأزواجه أمهاتهم** ﴾ ، أي : في الحرمة والاحترام ، والإكرام والتوقير والإعظام ، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ، ولا ينتشر التحريم إلىٰ بناتهن وأخواتهن بالإجماع ، وإن سمىٰ بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين ، كما هو منصوص الشافعيّ في « المختصر » ، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم . وهل يقال لمعاوية وأمثاله : خال المؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء ، ونص الشافعيّ علىٰ أنه يقال ذلك . وهل يقال لهن : أمهات المؤمنات[١] ، فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليبًا ؟ فيه قولان ، صح عن عائشة - رضي الله عنها - أنها[٢] قالت : لا يقال ذلك . وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رحمه الله .

وقد روي عن أبيّ بن كعب ، وابن عباس أنهما قرأا : (**النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم**) . وروي نحو هذا عن معاوية ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعيّ . حكاه البغويّ وغيره . واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود(٢٤) :

حدثنا عبد الله بن محمد النفيليّ ، حدثنا ابن المبارك ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعَلّمكم ، فإذا أتىٰ أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، ولا يستطب بيمينه** » ، وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرّمّة .

وأخرجه النسائي وابن ماجة من حديث ابن عجلان .

والوجه الثاني : أنه لا يقال ذلك، واحتجوا بقوله: ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من**

(٢٣) - المسند (٢٩٦/٣) ، وعنه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء ، حديث (٢٩٥٣) ، وأخرجه أبو داود في البيوع والإجارات ، باب : في التشديد في الدين ، حديث (٣٣٤٣) والنسائي في الجنائز ، باب : الصلاة على من عليه دين (٦٥/٤) من طريق عبدالرزاق به .

(٢٤) - سنن أبي داود في الطهارة ، باب : كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ، حديث (٨) ، والنسائي في الطهارة ، باب : النهى عن الاستطابة بالروث (٣٨/١) ، وابن ماجه في الطهارة باب : الاستنجاء بالحجارة والنهى عن الروث والرمة ، حديث (٣١٣) من طريق ابن عجلان به .

[١] - في ز ، خ : « المؤمنين » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

رجالكم ﴾ . وقوله : ﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله** ﴾ ، أي : في حكم الله[١] ﴿ **من المؤمنين والمهاجرين** ﴾ ، أي : القرابات أولىٰ بالتوارث من المهاجرين والأنصار . وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم ، كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجريّ يرث الأنصاريّ دون قراباته وذوي رحمه ، للأخوة التي آخىٰ بينهما رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم . وكذا قال سعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف والخلف .

وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثًا عن الزبير بن العوام -رضي الله عنه- فقال : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعبي - من ساكني بغداد - عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن العوام قال : أنزل الله - عز وجل - فينا خاصة - معشر قريش والأنصار - : ﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض** ﴾ ، وذلك أنّا - معشر قريش - لما قدمنا المدينة قَدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعْمَ الإخوانُ ، فواخيناهم وورِثناهم ، فواخىٰ أبو بكر خارجة بن زيد ، وآخىٰ عمر فلانًا ، وآخىٰ عثمان بن عفان رجلًا من بني زريق[٢] سعد الزرقي[٣] - ويقول بعض الناس غيره - قال الزبير : وواخيت أنا كعب بن مالك ، فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرىٰ ، فوالله يابني[٤] ، لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري ، حتىٰ أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة ، فرجعنا إلىٰ مواريثنا .

وقوله : ﴿ **إلا أن تفعلوا إلىٰ أوليائكم معروفًا** ﴾ ، أي : ذهب الميراث ، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية .

وقوله : ﴿ **كان ذلك في الكتاب مسطورًا** ﴾ ، أي : هذا الحكم ، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض ، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول ، الذي لا يبدل ، ولا يغير . قاله مجاهد وغير واحد . وإن كان قد يقال : قد[٥] شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وهو يعلم أنه سينسخه إلىٰ ما هو جار في قدره الأزليّ ، وقضائه القدريّ الشرعيّ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « رزيق » .

[٣] - في ز : « الدرقي » .

[٤] - في خ ، ز : « ما بى » .

[٥] - سقط من : ز .

لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن أولي العزم الخمسة ، وبقية الأنبياء : إنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله ، وإبلاغ رسالته ، والتعاون والتناصر والاتفاق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم علىٰ ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ . فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم ، وكذلك هذا . ونص من بينهم علىٰ هؤلاء الخمسة ، وهم أولو العزم ، وهو من باب عطف الخاص علىٰ العام ، وقد صرح بذكرهم أيضًا في هذه الآية ، وفي قوله : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ ، فذكر الطرفين والوسط ، الفاتح[١] والخاتم ، ومن بينهما على الترتيب . فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها ، كما قال : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم** ﴾ ، فبدأ في هذه الآية بالخاتم ، لشرفه - صلوات الله عليه - ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم .

قال ابن أبي حاتم (٢٥) : حدثنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد ابن بشير ، حدثني قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [في قول الله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾ . الآية قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم][٢] : « **كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، [فبدئ بي][٣] قبلهم** » . سعيد ابن بشير فيه ضعف .

وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا ، وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا ، فالله أعلم .

وقال أبو بكر البزار (٢٦) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا حمزة الزيات ، حدثنا عديّ بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : خيار ولد آدم خمسة : نوح ،

(٢٥) - أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٣) ، والبغوى في تفسيره كما في البداية والنهاية (٣/٤٩٨- هجر) من طريق سعيد بن بشير به و زاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٥٣) نسبته إلى الحسن بن سفيان وابن مردويه والديلمى ، وابن عساكر . وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الألبانى (٦٦١) .

(٢٦) - كشف الأستار (٢٣٦٨) قال الهيثمى في مجمع الزوائد (٨/٢٥٨) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

[١] - في خ ، ز : « الناتج » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .

وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، ومحمد ، وخيرهم محمد ، صلىٰ الله عليهم وسلم ، أجمعين . موقوف ، وحمزة فيه ضعف .

وقد قيل : إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذرّ من صلب آدم ، كما قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب قال : ورفع أباهم آدم ، فنظر إليهم - يعني : ذريته - وأن فيهم الغنيّ والفقير ، وحسن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : رب ، لو سويت بين عبادك ؟ فقال : إني أحببت أن أشكر . وأري فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم كالنور ، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾ الآية . وهذا قول مجاهد أيضًا .

وقال ابن عباس : الميثاق الغليظ : العهد .

وقوله : ﴿ **ليسأل الصادقين عن صدقهم** ﴾ ، قال مجاهد : المبلغين المؤدين عن[١] الرسل .

وقوله : ﴿ **وأعدَّ للكافرين** ﴾ ، أي : من أممهم ﴿ **عذابًا أليمًا** ﴾ ، أي : موجعًا ، فنحن نشهد أن الرسل قد بلّغوا رسالات ربهم ، ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين ، الواضح الجليّ ، الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء ، وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ، ومن خالفهم فهو علىٰ الضلال .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نعمته وفضله وإحسانه إلىٰ عباده المؤمنين ، في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة علىٰ الصحيح المشهور . وقال موسى [بن عقبة][٢] وغيره : كانت في سنة أربع .

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير ، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من المدينة إلىٰ خيبر ، منهم : سلام بن أبي[٣] الحقيق ،

---

[١] - في ز ، خ : « من » .
[٢] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، خرجوا إلىٰ مكة واجتمعوا بأشراف قريش ، وألبوهم علىٰ حرب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة ، فأجابوهم إلىٰ ذلك . ثم خرجوا إلىٰ[١] غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضًا . وخرجت قريش في أحابيشها(*) ومن تابعها ، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وعلى غطفان عُيَينة بن حصن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف ، فلما سمع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسيّ فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ، ونقل معهم[٢] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، التراب وحفرَ ، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات . وجاء المشركون فنزلوا شرقيّ المدينة قريبًا من أحد ، ونزلت طائفة منهم في أعالي أراضي[٣] المدينة ، كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم** ﴾ ، وخرج رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ومن معه من المسلمين ، وهم نحو ثلاثة آلاف - وقيل : سبعمائة - وأسندوا ظهورهم إلىٰ سَلْع ووجوههم إلىٰ نحو العدو ، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الرجالة والخيالة أن تصل إليهم ، وجعل النساء والذراري في آطام(**) المدينة ، وكانت بنو قريظة - وهم طائفة من اليهود - لهم حصن شرقيّ المدينة ، ولهم عهد من النبيّ ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وذمة ، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل ، فذهب إليهم حُيَيّ بن أخطب النَّضَري ، فلم يزل بهم حتىٰ نقضوا العهد ، ومالئوا الأحزاب علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فعظم الخطب واشتد الأمر ، وضاق الحال ؛ كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا** ﴾ .

ومكثوا محاصرين للنبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأصحابه قريبًا من شهر ، إلا أنهم لا يصلون إليهم ، ولم يقع بينهم قتال إلا أن عمرو بن عبد ودّ العامريّ - وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية - ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق ، وخلصوا إلىٰ ناحية المسلمين وندب[٤] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، خيل المسلمين إليه ، فلم يبرز إليه أحد ، فأمر عليًا فخرج إليه ، فتجاولا ساعة ، ثم قتله عليّ رضي اللّٰه عنه ، فكان علامة علىٰ النصر .

ثم أرسل اللّٰه - عز وجل - علىٰ الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية ، حتىٰ لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا تُوقد لهم نار ، ولم يقر لهم قرار حتىٰ ارتحلوا خائبين خاسرين ؛ كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللّٰه عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا** ﴾ .

(*) قال ابن الأثير : هم أحياء القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشًا. والتحبش : التجمُّع . وقيل: حالفوا قريشًا تحت جبل يُسَمَّى حبشيًا فسُمُّوا بذلك .

(**) الآطام : جمع أُطُم ؛ وهو البناء المرتفع .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « أرض » .

[٤] - في ت : « فندب » .

قال مجاهد : وهي الصبا . ويؤيده الحديث الآخر : « **نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور** » .

وقال ابن جرير(٢٧) : حدثني محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود ، عن عكرمة قال : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب : انطلقي ننصرْ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم . فقالت الشمال : إن الحرة لا تسري بالليل . قال : فكانت[١] الريح التي أرسلت عليهم الصبا . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الأشج ، عن حفص بن غياث ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فذكره .

وقال ابن جرير أيضًا (٢٨) : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : أرسلني خالي عبد الله [٢] بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح إلىٰ المدينة ، فقال : ائتنا بطعام ولحاف ، قال : فاستأذنت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فأذن لي ، وقال : « **من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا** » . قال : فذهبت والريح تسفي[٣] كل شيء ، فجعلت لا ألقىٰ أحدًا إلا أمرته بالرجوع إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : فما يلوي أحد منهم عنقه . قال : وكان معي ترس لي ، فكانت الريح تضربه عليّ ، [قال :][٤] وكان فيه حديد ، قال : فضربته الريح حتىٰ وقع بعض ذلك الحديد علىٰ كفي ، فأنفدها[٥] إلىٰ الأرض .

وقوله : ﴿ **وجنودًا لم تروها** ﴾ ، وهم الملائكة ، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف ، فكان رئيس كل قبيلة يقول : يا بني فلان إليّ . فيجتمعون إليه فيقول : النجاء ، النجاء ، لما ألقىٰ الله تعالىٰ في قلوبهم من الرعب .

وقال محمد بن إسحاق (٢٩) ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيتم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخي . قال : وكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد

---

(٢٧) - تفسير الطبرى (١٢٧/٢١) .

(٢٨) - تفسير الطبرى (١٢٧/٢١) .

(٢٩) - سيرة ابن هشام (١٨٦/٣) وأخرجه في مسنده (٣٩٢/٥) بسنده إلى ابن إسحاق به ، وانظر التالى .

---

[١] - في ز ، خ : « وكانت » .

[٢] - في ت : عثمان . وهو تحريف عجيب ؛ حيث إن عثمان بن مظعون لم يشهد سوى بدر ، ومات في السنة الثانية للهجرة . أما أخوه عبد الله بن مظعون فقد توفي في سنة ثلاثين للهجرة . انظر أسد الغابة [٣/ ٣٩٤ ، ٥٩٨] .

[٣] - سفت الريحُ الترابَ : أذرته أو حملته .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٥] - في خ : « ما بعدها » ، وفي ز : «فأبعدها».

كنا نجهد . قال الفتىٰ : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي علىٰ الأرض ولحملناه علىٰ أعناقنا . قال : قال حذيفة : يا بن أخي ، والله لو رأيتنا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بالخندق وصلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، هويًا من الليل ، ثم التفت فقال : « **من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟** » - يشرط[١] له النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم أنه يرجع - **أدخله الله الجنة** » . قال : فما قام رجل . ثم صلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، هويًا من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال مثله ، فما قام منا رجل . ثم صلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال : « **من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع** - يشرط[٢] له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الرجعة - **أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة** » . فما قام رجل من القوم ؛ من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال : « **يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثَنّ شيئًا حتىٰ تأتينا** » . قال : فذهبت فدخلت [في القوم][٣] ، والريح وجنود الله - عز وجل - تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقر لهم قِدْرًا[٤] ولا نارًا ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ مَنْ جليسه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلىٰ جنبي ، فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُرَاع والخُفّ ، وأخلفتنا بنو قُرَيظة ، وبَلَغَنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح الذي ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر[٥] ، ولا تَقُوم لنا نار[٦] ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مُرتحل ، ثم قام إلىٰ جَمَله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه، فوثب به علىٰ ثلاث ، فما أطلق عقَالَه إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إليّ : « **أن لا تحدث شيئًا حتىٰ تأتينا** » ثم شئتُ لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، وهو قائم يصلي في مرط[٧] لبعض نسائه مُرَحَّل - فلما رآني أدخلني بين رجليه ، وطرح عليَّ طرف المرْط ، ثم ركع ، وسجد ، وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غَطَفان بما فعلت قريش ، فانشمروا[٨] راجعين إلى بلادهم.

وقد رواه مسلم في صحيحه(٣٠) من حديث الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال :

(٣٠) - صحيح مسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٨) .

[١] - في ت : « يشترط » .

[٢] - في ت : « يشترط » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ ، ز : « قرارًا » .

[٥] - في ز ، خ : قدرًا .

[٦] - في ز ، خ : نارًا .

[٧] - في ز : « مرض » .

[٨] - انشمروا : مطاوع شمره ، والمراد : أسرعوا.

كنا عند حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - فقال له رجل : لو أدركتُ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قاتلتُ معه وأبليتُ . فقال له حذيفة : أنت كنتَ تفعل ذلك ؟ لقد رأيتُنا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ليلة الأحزاب في ليلة ذات [ريح شديدة][١] وقرّ[٢] ، فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا رجل يأتي بخبر القوم ، يكون معي يوم القيامة** » . فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ، ثم الثالثة مثله . ثم قال : « **يا حذيفة ، قم فأتنا بخبر من القوم** » . فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال : « **ائتني بخبر القوم ، ولا تَذْعَرْهم[٣] عَلَيّ** » قال : فمضيت كأنما أمشي في حَمّام ، حتىٰ أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يَصْلي ظهره بالنار ، فوضعت سهمًا في كبد قوسي وأردت أن أرميه ، ثم ذكرتُ قول رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، : « **لا تَذْعَرْهم عَلَيّ** » . ولو رَمَيْته لأصبته. قال : فرجعت كأنما أمشي في حَمّام ، فأتيت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم أصابني البرد حين فَرَغتُ وقررْتُ ، فأخبرتُ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وألبسني من فضل عَبَاءة[٤] كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائمًا حتىٰ الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، : « **قم يا نومان[٥]** » .

ورواه يونس بن بكير(٣١) ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم أن رجلًا قال لحذيفة - رضي الله عنه - : نشكو إلىٰ الله صحبتكم لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إنكم أدركتموه ولم ندركه ، ورأيتموه ولم نره . فقال حذيفة : ونحن نشكو إلىٰ الله إيمانكم به ولم تروه ، والله لا تَدْري يا بن أخي لو أدركتَه كيف كنتَ تكون ؛ لقد رأيتنا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ليلة الخندق في ليلة باردة مَطيرة ... ثم ذكر نحو ما تقدم مطولًا .

وروى بلال بن يحيى العبسي عن حذيفة نحو ذلك أيضًا(٣٢) .

وقد أخرج الحاكم والبيهقيّ في « **الدلائل** »(٣٣) ، من حديث عكرمة بن عمار ، عن محمد ابن عبد الله الدؤلي ، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذَكَر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال جلساؤه : أما والله لو شَهِدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا . فقال

---

(٣١) - دلائل النبوة (٣/٤٥٤-٤٥٥) بسنده إلى يونس بن بكير به .

(٣٢) - الدلائل (٣/٤٥٠- ٤٥١) بسنده إلى بلال .

(٣٣) - المستدرك (٣/٣١) ، ودلائل النبوة (٣/٤٥١-٤٥٢) ، ومن طريق البيهقي أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٢/٢٨٢،٢٨٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : «برد شديد » . [٢] - القُرّ : البرد .

[٣] - الذُّعر : الفزع الشديد ، يريد : لا تعلِمْهم بنفسك وامش في خفية لِئلَّا ينفروا منك ويقبلوا عليَّ .

[٤] - في ز ، خ : « هناة » وهو تحريف .

[٥] - النومان : كثير النوم .

حذيفة : لا تمنوا ذلك . لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قُعُود : أبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا [ليلة][١]قط أشد ظلمة ولا أشد ريحًا ، في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرىٰ أحدنا أصبعه . فجعل المنافقون يستأذنون النبيّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ويقولون : ﴿ **إن بيوتنا عورة وما هي بعورة** ﴾ . فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم فيتسللون ، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك ، إذ استقبلنا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، رجلًا رجلًا حتى أتى عليَّ ، وما عليَّ جُنَّة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي ، لا[٢] يجاوز ركبتي . قال : فأتاني ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأنا جَاثٍ علىٰ ركبتيَّ فقال : « **من هذا ؟** » . فقلت : حذيفة . قال : « **حذيفة** » . فتقاصرتُ بالأرض[٣] ، فقلت : بلى يا رسول اللَّه ، كراهية أن أقوم . [قال : « **قُم** »][٤] فقمت فقال : « **[إنه كائن]**[٥] **في القوم خبر فائتني بخبر القوم** » - قال[٦] : وأنا من أشد الناس[٧] فزعًا ، وأشدهم قُرًّا - قال : فخرجت ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللهم ، احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته** » . قال : فواللَّه ما خلق اللَّه فزعًا ولا قرًّا في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد فيه شيئًا . قال : فلما وليت قال : « **يا حذيفة ، لا تحدِثَنّ في القوم شيئًا حتىٰ تأتيني** » . قال : فخرجت حتىٰ إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده علىٰ النار ، ويمسح خاصرته ، ويقول : [الرحيلَ الرحيل][٨] . ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهمًا من كنانتي أبيض الريش ، فأضعه في كَبَد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تحدثن فيهم شيئًا حتىٰ تأتيني** » . فأمسكت ورددت[٩] سهمي إلىٰ كنانتي ، ثم إني شَجَّعت نفسي حتىٰ دخلت العسكر ، فإذا أدنىٰ الناس مني[١٠] بنو عامر يقولون : يا آل عامر ؛ الرحيل الرحيلَ ! لا مُقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرًا ، فواللَّه إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وَفَرَشتْهُمْ[١١][١٢] الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فلما انتصفت في الطريق أو نحوًا من ذلك ، إذا [ ][١٣] أنا بنحو من عشرين فارسًا أو[١٤] نحو ذلك

---

[١] - سقط من ز ، خ . ومثبت من الدلائل . [٢] - في ت : « ما » .

[٣] - في ز ، خ : « الأرض » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز والمثبت من الدلائل .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إن كان » . [٦] - سقط من : ز والمثبت من الدلائل .

[٧] - سقط من : ز والمثبت من الدلائل .

[٨] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « الرجل الرجل » .[٩] - في ز : « فرددت » .

[١٠] - في خ ، ز : « معى » . [١١] - في خ ، ز : « ورشهم » .

[١٢] - فرستهم : فتكت بهم . وهو على سبيل الاستعارة .

[١٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « نحن » . [١٤] - في ز ، خ : « و » .

مُغْتَمّين[١]، فقالوا : أخبر صاحبك أن اللّٰه تعالىٰ كَفاه القوم . فرجعت إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهو مشتمل في شملة يصلي ، فو اللّٰه ما عدا أن رجعت رَاجَعَني القُرُّ وجعلت أُقَرْقِفُ[٢] فأومأ إليَّ رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، بيده[٣] وهو يصلي ، فدنوت منه ، فأسبل علي شملته ، وكان رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إذا حَزَبه[٤] أمر صلىٰ ، فأخبرته خبر القوم ، و[٥]أخبرته أني تركتهم يترحلون ، وأنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللّٰه عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان اللّٰه بما تعملون بصيرًا** ﴾ .

وأخرج أبو داود في سننه(٣٤) منه : كان رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ،إذا حزبه أمر . من حديث عكرمة بن عمار ، به .

وقوله : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم** ﴾ ، أي : الأحزاب ﴿ **ومن أسفل منكم** ﴾ ، تقدم عن حذيفة أنهم بنو قريظة ، ﴿ **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر** ﴾ ، أي : من شدة الخوف والفزع ، ﴿ **وتظنون باللّٰه الظنونا** ﴾ .

قال ابن جرير: ظن بعض من كان مع رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، أن الدائرة على المؤمنين ، وأن اللّٰه سيفعل ذلك .

وقال محمد بن إسحاق في قوله : ﴿ **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون باللّٰه الظنونا** ﴾ : ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق حتىٰ قال مُعَتّب بن بشير[٦] - أخو بني عمرو بن عوف - : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرىٰ وقيصر ، وأحدنا لا يقدر علىٰ أن يذهب إلىٰ الغائط .

وقال الحسن في قوله : ﴿ **وتظنون باللّٰه الظنونا** ﴾ : ظنون مختلفة ، ظن المنافقون أن محمدًا وأصحابه سيُستأصلون[٧] ، وأيقن المؤمنون أن ما وعد اللّٰه ورسوله حق . وأنه سيظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون .

---

(٣٤) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل ، حديث (١٣١٩)، وأخرجه أحمد في (٣٨٨/٥) من طريق عكرمة بن عمار به أيضاً .

---

[١] - في خ ، ز : « مقيمين » .
[٢] - قرقف : أرعد .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - حزبه أمر : نزل به هَمٌّ، أو شغله غَمٌّ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « قشير » وقد حكى ابن الأثير في أسد الغابة كلا القولين [٥/ ٢٢٥] .
[٧] - في ت : « يستأصلون » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام[١] الأنصاري . حدثنا أبو عامر (ح) وحدثنا أبي ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله ، مولى عثمان بن عفان - عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: قلنا يوم الخندق : يا رسول الله ، هل من شيء نقول ، فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « **نعم ، قولوا : اللهم ، استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا** » . قال : فضرب وجوه أعدائه بالريح ، فهزمهم بالريح . وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي (٣٥) .

هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

يقول تعالى مخبرًا عن ذلك الحال ، حين نزلت الأحزاب حول المدينة ، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين أظهرهم ، إنهم ابتُلوا واختُبروا وزُلزلوا زلزالًا شديدًا ، فحينئذ ظهر النفاق ، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في

---

(٣٥) - وأخرجه أحمد (٣/٣) وإسناده ضعيف لضعف الزبير بن عبد الله ، وربيح بن أبي سعيد . الزبير بن عبد الله : هو ابن أبي خالد الأموي ، مولاهم ، مولى عثمان بن عفان ، وأبوه يقال له : ابن رهيمة ، وهي أمه . قال أبو حاتم : صالح . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن معين : الزبير بن عبد الله يكتب حديثه . وذكر له ابن عدي أحاديث وقال : أحاديثه منكرة المتن والإسناد . وقال الحافظ في التقريب : مقبول . وربيح بن أبي سعيد : هو ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، قال أحمد : ربيح رجل ليس بمعروف . وقال أبو زرعة : شيخ . وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . وقيل : إن اسمه سعيد ، وأن لقبه ربيح . وقال الترمذي في العلل الكبير عن البخاري : ربيح منكر الحديث . (التهذيب ٢٣٨/٣) . وفي التقريب : مقبول . والحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٢١/ ١٢٧) . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٣٩/١٠) وقال : رواه أحمد والبزار وإسناد البزار متصل رجاله ثقات ، وكذلك رجال أحمد إلا أن في نسختي من المسند عن ربيح بن أبي سعيد ، عن أبيه وهو في البزار : عن أبيه ، عن جده . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور - (٣٥٥/٥) لابن المنذر . قلت : والصحيح ما في مسند البزار وقد أثبتناه هنا ، ثم إن ربيح هذا لم نجد أحدًا ذكر أنه يروي عن جده مباشرةً ، ودون واسطة . فرحم الله سلفنا الصالح كم عانوا من سوء النسخ ، ونحن بين الطبعات الفاخرة ومع ذلك فحدث ولا حرج عن الأخطاء التي توجد في الكتب المحققة في هذا الأيام وإلى الله المشتكى .

---

[١] - في ت : « عاصم » وهو تحريف .انظر الجرح والتعديل [٢/ ٦٦] .

نفوسهم ، ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا اللَّه ورسوله إلا غرورًا** ﴾ ، أما المنافق فنجم[١] نفاقه ، والذي في قلبه شبهة أو حسيكةٌ[٢] ، ضَعُف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه، لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. وقوم آخرون قالوا كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب** ﴾ ، يعني المدينة كما جاء في الصحيح : « **أريت [في المنام]**[٣] **دارَ هجرتكم أرض بين حَرّتين فذهب وهلي أنها هجر ، فإذا هي يثرب** ». وفي لفظ : « **المدينة** » .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٣٦) : حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا صالح بن عمر ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن البراء - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **من سمىٰ المدينة يثرب**(*) **فليستغفر اللَّه** ؛

(٣٦) - المسند (٢٨٥/٤) . والحديث أخرجه أبو يعلى في « مسنده » (١٦٨٨) (٢٤٧/٣ - ٢٤٨) . وعمر ابن شبّة في « تاريخ المدينة » (١٦٥/١) . من طريق صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٠٣/٣) وقال : رواه أحمد وأبويعلى ورجاله ثقات . والحديث ذكره ابن حجر في « القول المسدد » (صـ ٤٠ ، ٤١) وقال : ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أحمد بن إبراهيم الموصلي عن صالح بن عمر به . وأعله بيزيد بن أبي زياد ولم يصب ، فإن يزيد وإن ضعفه بعضهم من قبل حفظه وبكونه كان يلقن فيتلقن في آخر عمره ؛ فلا يلزم من شيء من ذلك أن يكون حمل ما يحدث به موضوعًا .
وقد أورده الدارقطني في « الأفراد » وقال : تفرد به صالح بن عمر عن يزيد - يعني بهذا الإسناد وأخرجه ابن عدى في « الكامل » في ترجمه يزيد بن أبي زياد وضعف يزيد ، وقد رواه أبو بكر بن مردويه في « تفسيره » من طريق أبي يوسف القاضي عن يزيد بن أبي زياد فقال : عن ابن عباس بدل : البراء ، ولفظه : « لاتدعوها « يثرب » فإنها طيبة - يعنى المدينة ، ومن قال : « يثرب » فليستغفر اللَّه ثلاث مرات ، هي طيبة : هي طيبة ، وشاهده ما أخرجه مالك والبخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أمرت بقرية تأكل القرى يقولون : يثرب ، وهي المدينة** » . اهـ والحديث ضعفه الشيخ الألباني في « ضعيف الجامع » (٥٦٤٧) .

(*) يثرب : قال ابن الأثير : هي اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، قديمة ، فغيَّرها وسمَّاها : طَيْبَة ، وطابة ؛ كراهية للتثريب ، وهو اللوم والتعيير. وقيل : هو اسم أرضها . وقيل : سُمِّيت باسم رجل من العمالقة . نهاية [٢٩٣/٥] .
قال المناوي: لأن اليثرب : الفساد ، والتثريب: التوبيخ والمؤاخذة بالذنب واللوم ، ولا يليق بها ذلك . وظاهر أمره بالاستغفار أن تسميتها بذلك حرام ، لأن استغفارنا إنما هو عن خطيئة ، وهو ظاهر كلام جمع منهم الدميري ؛ قالوا : وتسميتها في التنزيل حكاية لقول المنافقين أو من باب مخاطبة الناس بما يعرفونه . ا . هـ والأكثر على الكراهة ، ولا ينافي الكراهة ما في الصحيحين في حديث الهجرة : فإذا هي المدينة يثرب ، وفي رواية : « لا أراها إلا يثرب » لأن ذلك كان قبل النهي كما ذكره السمهوديّ تبعًا لصحاح الجوهري . فيض القدير شرح الجامع الصغير [١٥٦/٦] .

[١] - نجم الشيءُ : طلع وظهر . ونجم له رأيٌ : بدا . [٢] - الحسيكة : الحقد والعداوة .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

هي طابة ، هي طابة » . تفرد به الإمام أحمد ، - ففي[١] إسناده ضعف ، والله أعلم .

ويقال : إنما كان أصل تسميتها « **يثرب** » برجل نزلها من العماليق ، يقال له : يثرب بن عبيل ابن مهلابيل بن عوص بن عملاق بن [لاوذ بن إرم][٢] بن سام بن نوح . قاله السهيلي ، قال : وروي عن بعضهم أنه قال: إن لها أحد عشر اسمًا : المدينة ، وطابة ، وطَيبة ، والمسكينة ، والجابرة ، والمحبة ، والمحبوبة ، والقاصمة ، والمجبورة ، والعذراء ، والمرحومة .

وعن كعب الأحبار قال : إنا نجد في التوراة : يقول الله للمدينة : يا طيبة ، ويا طابة ، ويا مسكينة[٣] ، [لا تقلي الكنوز ، أرفع أحاجرك على أحاجر القرى .

وقوله][٤] : ﴿ **لا مقام لكم** ﴾ : أي ، هاهنا ، يعنون عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في مقام المرابطة ، ﴿ **فارجعوا** ﴾ ، أي[٥] : إلى بيوتكم ومنازلكم . ﴿**ويستأذن فريق منهم النبي** ﴾ ، قال العوفيّ ، عن ابن عباس : هم بنو حارثة قالوا : بيوتنا نخاف[٦] عليها السَّرَق . وكذا قال غير واحد .

وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قَيظيّ[٧] ، يعني : اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عَورة ، أي : ليس دونها ما يحجبها عن العدو ، فهم يخشون عليها منهم . قال الله تعالى : ﴿ **وما هي بعورة** ﴾ ، أي : ليست كما يزعمون ، ﴿ **إن يريدون إلا فرارًا** ﴾ ، أي : هَرَبًا من الزحف .

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

---

[١] - في ز ، خ : في . وصوبتها لكي يستقيم الكلام .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لاذ بن آدم» . [٣] - في خ ، ز : « سكينة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز بمقدار سطر . [٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ . [٧] - في ز ، خ : « قبطي » .

يخبر تعالىٰ عن هؤلاء الذين ﴿ **يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارًا** ﴾ : أنهم لو دَخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ، وقطر من أقطارها ، ثم سئلوا الفتنة - وهي الدخول في الكفر - لكفروا سريعًا ، وهم لا يحافظون علىٰ الإيمان ، ولا يستمسكون به مع أدنىٰ خوف وفزع .

هكذا فسرها[١] قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد ، وابن جرير ، وهذا ذم لهم في غاية الذم .

ثم قال تعالىٰ يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف ، أن لا يولوا الأدبار ولا يفروا[٢] من الزحف ؛ ﴿ **وكان عهد الله مسئولًا** ﴾ أي : وإن الله سيسألهم عن ذلك العهد ، لابد من ذلك ، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ، ولا يطول أعمارهم ، بل ربما كان ذلك سببًا في تعجيل أخذهم غرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإذًا لا تمتعون إلا قليلًا** ﴾ أي : بعد هربكم وفراركم ﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **قل من ذا الذي يعصمكم** ﴾ ، أي : يمنعكم ، ﴿ **من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيرًا** ﴾ ، أي : ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجيرًا ولا مغيث[٣] .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

يخبر تعالىٰ عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب ، والقائلين لإخوانهم ، أي أصحابهم وعُشَرائهم وخلطائهم ﴿ **هلم إلينا** ﴾ ، أي : إلىٰ ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار ، وهم مع ذلك ﴿ **لا يأتون البأس إلا قليلًا أشحة عليكم** ﴾ أي : بخلاء بالمودة والشفقة عليكم . وقال السدي : ﴿ **أشحة عليكم** ﴾ أي في الغنائم .

﴿ **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشىٰ عليه من الموت** ﴾ ، أي : من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال ﴿ **فإذا ذهب الخوف**

---

[١] - في ز ، خ : « فسره » . [٢] - في ز ، خ : « يفرون » .

[٣] - في خ ، ز : « معينًا » .

سلقوكم بألسنة حداد ﴾ ، أي : فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا ، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة ، وهم يكذبون في ذلك .

وقال ابن عباس : **﴿ سلقوكم ﴾** أي : استقبلوكم .

وقال قتادة : أما عند الغنيمة فأشح قوم ، وأسوؤه مقاسمة : أعطونا ، أعطونا ، قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم ، وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير ، أي : ليس فيهم خير ، قد جَمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير ، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر :

أفي السلم أعْيَارًا جَفَاءً وغلْظَةً   وفي الحَرْب أمْثَالَ النّساء العَوَارِكِ

أي : في حال المسالمة كأنهم الحمير . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار . وفي الحرب كأنهم النساء الحُيَّض ؛ ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرًا ﴾** ، أي : سهلًا هينًا عنده .

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ 

وهذا أيضًا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور ، **﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾** ، بل هم قريب منهم ، وإن لهم عودة إليهم **﴿ وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ﴾** ، أي : ويَوَدُّون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية ، يسألون عن أخباركم ، وما كان من أمركم مع عدوكم ، **﴿ ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلًا ﴾** . أي : ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلًا لكثرة جبنهم وذلتهم ، وضعف يقينهم .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في أقواله وأفعاله وأحواله ؛ ولهذا أُمِرَ الناس بالتأسي بالنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه - عز وجل - صلواتُ الله وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدين ؛ ولهذا قال تعالىٰ للذين [تقلقوا] وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في

أمرهم يوم الأحزاب : ﴿ **لقد كان لكم في رسول اللّٰه أسوة حسنة** ﴾ ، أي : هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ؟ ولهذا قال : ﴿ **لمن كان يرجو اللّٰه واليوم الآخر وذكر اللّٰه كثيرًا** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود اللّٰه لهم ، وجَعْله العاقبة حاصلةً لهم في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ **ولما رأىٰ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا اللّٰه ورسوله وصدق اللّٰه ورسوله** ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة : يعنون قوله تعالىٰ في « سورة البقرة » : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر اللّٰه ألا إن نصر اللّٰه قريب** ﴾ أي هذا ما وعدنا اللّٰه ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ؛ ولهذا قالوا[١]: ﴿ **وصدق اللّٰه ورسوله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا** ﴾ ، دليل علىٰ زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلىٰ الناس وأحوالهم، كما قاله جمهور الأئمة : إنه يزيد وينقص. وقد قررنا ذلك في أول «**شرح البخاري**» ، ولله الحمد والمنة .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **وما زادهم** ﴾ ، أي : ذلك الحال والضيق والشدة ﴿ **إلا إيمانًا** ﴾ باللّٰه ، ﴿ **وتسليمًا** ﴾ أي : انقيادًا لأوامره ، وطاعة لرسوله .

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

لما ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا اللّٰه عليه[٢] لا يولون الأدبار - وصف المؤمنين بأنهم استمروا علىٰ العهد والميثاق و ﴿ **صدقوا ما عاهدوا اللّٰه عليه فمنهم من قضىٰ نحبه** ﴾ ، قال بعضهم : أجله . وقال البخاري : عهده، وهو يرجع إلى الأول .

﴿ **ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا** ﴾ ، أي : وما غيروا عهد اللّٰه ، ولا نقضوه ولا بدلوه .

قال البخاري (٣٧) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ؛ قال : أخبرني خارجة

---

(٣٧) - صحيح االبخارى في التفسير ، باب ﴿ فمنهم من قضى نحبه . . . . ﴾ حديث (٤٧٨٤) ، =

---

[١] - في ت : « قال » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

ابن زيد ابن ثابت ، عن أبيه قال : لما نسخنا المصحف فَقَدْتُ آيةً من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يقرؤها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري - الذي جعل رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، شهادته بشهادة رجلين - : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه** ﴾ .

انفرد به البخاري دون مسلم . وأخرجه أحمد في مسنده ، والترمذي والنسائي - في التفسير من سننيهما - من حديث الزهري ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال البخاري أيضًا(٣٨) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن عبد اللّه الأنصاري ، حدثني أبي ، عن ثُمَامَةَ ، عن أنس بن مالك قال : نرىٰ هذه الآية نزلت في أنس بن النضر : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه** ﴾ . انفرد به البخاري من هذا الوجه ، ولكن له شواهد من طرق أخر ، قال الإمام أحمد(٣٩) :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : عَمّي أنس ابن النضر سُميت به ، لم يشهد مع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يوم بدر ، فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، غُيبْتُ عنه ، لئن أراني اللّه مشهدًا فيما بعد مع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، لَيَرَيَنّ اللّه ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يوم[١] أحد ، فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو[٢] ؛ أين ؟ واهًا[٣] لريح الجنة أجده دون أحد ! قال : فقاتلهم حتىٰ قُتل ، قال : فَوُجد في جسده بضع[٤] وثمانون من ضربة وطعنة ورمية ، فقالت أخته - عمتي الرُّبَيِّعُ بنة النضر - : فما عرفت أخي إلا ببنانه . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ **رجال صدقوا ما**

= وأطرافه عند البخارى في (٢٨٠٧، ٤٠٤٩، ٤٦٧٩، ٤٩٨٦، ٤٩٨٩، ٧١٩١، ٧٤٢٥) ، وأخرجه أحمد (٥/ ١٨٨، ١٨٩) والترمذى في تفسير القرآن باب : ومن سورة التوبة ، حديث (٣١٠٤) ، والنسائي في التفسير (٤٢١) من طريق الزهرى به .

(٣٨) - صحيح البخارى في التفسير ، باب ﴿ فمنهم من قضى نحبه . . . ﴾ الحديث (٤٧٨٣) .

(٣٩) - المسند (٣/١٩٤) ، وفيه قال أحمد : ثنا بهز وثنا هاشم قالا : ثنا سليمان بن المغيرة فذكره .

وأخرجه مسلم في الإمارة ، حديث (١٩٠١) من طرق عن هاشم بن القاسم به .

وأخرجه مسلم في نفس الموضع ، حديث (١٩٠٣) ، والترمذى في التفسير ، باب : « ومن سورة الأحزاب » ، حديث (٣٢٠٠) ، والنسائي في فضائل الصحابة (١٨٦) ، وفى التفسير (٤٢٢) من طريق سليمان بن المغيرة به .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « عمر » .

[٣] - واها : كلمة تحنن وتلهف . والقائل هو أنس بن النضر .

[٤] - في ز ، خ : « بضعة » .

عاهدوا اللَّه عليه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا ﴾ قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلم والترمذي والنسائي ، من حديث سليمان بن المغيرة . ورواه النسائي أيضًا وابن جرير [٤٠] ، من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، به نحوه .

وقال ابن أبي حاتم[٤١] : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حميد ، عن أنس : أن عمه - يعني أنس بن النضر - غاب عن قتال بدر فقال : غُيِّبتُ عن أول قتال قاتله رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، المشركين ، لئن اللَّه أشهدني قتالًا للمشركين لَيَرَيَنَّ اللَّه ما أصنع . قال : فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم ، إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد - يعني ابن معاذ - دون أحد ، فقال : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أن أصنع ما صنع . قال : فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف ، وطعنة رمح ، ورمية سهم . وكانوا يقولون فيه وفي أصحابه : ﴿ **فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر** ﴾ .

وأخرجه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد ، والنسائي فيه أيضًا عن إسحاق بن إبراهيم ، كلاهما ، عن يزيد بن هارون ، به . وقال الترمذي : حسن .

وقد رواه البخاري[٤٢] في المغازي عن حسان بن حسان ، عن محمد بن طلحة بن مُصَرِّف ، عن حميد ، عن[١] أنس ، به . ولم يذكر نزول الآية .

ورواه ابن جرير[٤٣] من حديث المعتمر بن سليمان ، عن حميد ، عن أنس ، به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن الفضل العسقلاني ، حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان ابن عيسىٰ بن موسىٰ بن طلحة بن عبيد اللَّه ، حدثني أبي ، عن جدي ، عن موسىٰ بن طلحة ، عن أبيه طلحة قال : لما أن رجع النبيّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من أحد صعد المنبر ، فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه ، وعَزَّىٰ المسلمين بما أصابهم ، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر والذخر ،

---

(٤٠) - أخرجه النسائي في التفسير (٤٢٢) ، وأحمد (٣/٢٥٣) ، والطبرى من طريق حماد به .

(٤١) - الحديث أخرجه أحمد (٣/٢٠١) ، وعبد بن حميد (١٣٩٦) ، والترمذى في التفسير ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣٢٠١) ، والنسائي في التفسير (٤٢٣) من طريق يزيد بن هارون به .

(٤٢) - صحيح البخارى في المغازى ، باب غزوة أحد ، حديث (٤٠٤٨) والحديث عند البخارى أيضاً في الجهاد والسير ، باب قول الله عز وجل ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . . . ﴾ حديث (٢٨٠٥) من طريق حميد الطويل به نحوه .

(٤٣) - تفسير الطبرى (٢١/١٤٧) .

---

[١] - في ز ، خ : « بن » .

ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ الآية كلها . فقام إليه رجل[١] من المسلمين فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ فأقبلت وعَلَيّ ثوبان أخضران حَضْرَميّان فقال : « **أيها السائل ، هذا منهم** » .

وكذا رواه ابن جرير(٤٤) من حديث سليمان بن أيوب الطلحي به .

وأخرجه الترمذي في التفسير والمناقب أيضًا ، وابن جرير(٤٥) ، من حديث يونس بن بكير ، عن طلحة بن يحيىٰ ، عن موسىٰ وعيسىٰ ابني[٢] طلحة ، عن أبيهما ، به . وقال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يونس .

وقال أيضًا (٤٦) : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا أبو عامر - يعني العقدي - حدثنا إسحاق - يعني ابن طلحة بن عبيد الله - عن موسىٰ بن طلحة قال : [دخلت علىٰ معاوية - رضي الله عنه - فلما خرجت دعاني فقال : ألا أضع عندك يا بن أخي حديثًا سمعته من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ أشهد لَسَمعتُ رسولَ الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **طلحة ممن قضىٰ نحبه** » .

ورواه ابن جرير(٤٧) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحمّاني ، عن إسحاق بن يحيىٰ بن طلحة الطلحي ، عن موسىٰ بن طلحة قال][٣] : قام معاوية بن أبي سفيان فقال : إني سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **طلحة ممن قضىٰ نحبه** » .

ولهذا قال مجاهد في قوله : ﴿ **فمنهم من قضىٰ نحبه** ﴾ ، قال : عهده ، ﴿ **ومنهم من ينتظر** ﴾ ، قال : يومًا فيه قتال فيصدق في اللقاء .

وقال الحسن : ﴿ **فمنهم من قضىٰ نحبه** ﴾ ، يعني موته علىٰ الصدق والوفاء ، ﴿ **ومنهم من ينتظر** ﴾ الموت علىٰ مثل ذلك ، ومنهم من لم يبدل تبديلًا ، وكذا قال قتادة وابن زيد . وقال بعضهم : ﴿ **نحبه** ﴾ : نذره وقوله : ﴿ **وما بدلوا تبديلًا** ﴾ أي : وما غيروا عهدهم ، وبدلوا

(٤٤) - تفسير الطبرى (١٤٧/٢١) .

(٤٥) - سنن الترمذى في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣٢٠٣) ، وفي المناقب ، باب : مناقب طلحة بن عبيدالله حديث (٣٧٤٢) ، الطبرى (١٤٧/٢١) من طريق يونس بن بكير به . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٦٦٣) من طريق يونس به .

(٤٦) - سنن الترمذى في تفسير القرآن ، حديث (٣٢٠٢) ، وفى المناقب ، حديث (٣٧٤٠) وأخرجه ابن أبى عاصم في السنة (١٤٠١) وابن ماجه في المقدمة حديث (١٢٦،١٢٧) من طريق إسحاق بن يحيى به .

(٤٧) - تفسير الطبرى (١٤٧/٢١) ، وانظر السابق .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « بن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الوفاء بالغدر ، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه ، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا : ﴿ **إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارًا** ﴾ ﴿ **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم** ﴾ ، أي : إنما يختبر عباده بالخوف والزلزال فيميز[١] الخبيث من الطيب ، فيظهر أمر هذا بالفعل ، وأمر[٢] هذا بالفعل . مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم ، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم ، كما قال تعالى : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾ فهذا علم بالشيء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصلًا به قبل وجوده . وكذا قال تعالى : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ليجزي الله الصادقين بصدقهم** ﴾ ، أي : بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه ، وقيامهم به ، ومحافظتهم عليه . ﴿ **ويعذب المنافقين** ﴾ ، وهم الناقضون لعهد الله ، المخالفون لأوامره ، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا ، إن شاء[٣] استمر بهم على ما فعلوه حتى يلقوه به فيعذبهم عليه ، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان ، والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان[٤] . ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة[٥] لغضبه قال : ﴿ **إن الله كان غفورًا رحيمًا** ﴾ .

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى مخبرًا عن الأحزاب ، لما أجلاهم عن المدينة ، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية - ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين؛ لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد ، ولكن قال الله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ ، فسلط عليهم هواء فرق شملهم ، كما كان سبب اجتماعهم من الهوى ، وهم أخلاط من قبائل شتى ، أحزاب وآراء ، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم ، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحَنَقهم ، لم ينالوا خيرًا لا في الدنيا ، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم ، ولا في الآخرة مما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بالعداوة ، وهمهم بقتله ، واستئصال جيشه . ومن هم بشيء وصدق هَمَّه بفعله فهو في الحقيقة كفاعله .

---

[١] - في ت : « ليميز » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إن » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ ، ز : « الغاية » .

وقوله : ﴿ **وكفىٰ اللّٰه المؤمنين القتال** ﴾ ، أي : لم يحتاجوا إلىٰ منازلتهم ومبارزتهم حتىٰ يجلوهم عن بلادهم ؛ بل كفىٰ اللّٰه وحده[١] ، ونصر عبده ، وأعز جنده ؛ ولهذا قال رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم : « **لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده** » . أخرجاه من حديث أبي هريرة(٤٨) .

وفي الصحيحين(٤٩) من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد اللّٰه بن أبي أوفىٰ قال : دعا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، علىٰ الأحزاب فقال : « **اللهم ، منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم ، اهزمهم وزلزلهم** » .

وفي قوله : ﴿ **وكفىٰ اللّٰه المؤمنين القتال** ﴾ - إشارة إلىٰ وضع الحرب بينهم وبين قريش ، وهكذا وقع بعدها ، لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم .

قال محمد بن إسحاق(٥٠) : لما انصرف أهل الخندق عن الخندق ؛ قال رسول اللّٰه ،صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فيما بلغنا - : « **لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم[٢]** » . فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان هو يغزوهم بعد ذلك ، حتىٰ فتح اللّٰه عليه مكة .

وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن إسحاق ، حديث صحيح ، كما قال الإمام أحمد(٥١) :

حدثنا يحيىٰ ، عن سفيان حدثني أبو إسحاق قال[٣] : سمعت سليمان بن صُرَد يقول : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يوم الأحزاب : « **الآن نغزوهم ولا يغزونا** » .

وهكذا رواه البخاري في صحيحه من حديث الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق به .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وكان اللّٰه قويًا عزيزًا** ﴾ ، أي : بحوله وقوته ، ردهم خائبين ، لم ينالوا

(٤٨) - صحيح البخارى في المغازى ، باب غزوة الخندق وهى الأحزاب حديث (٤١١٣) ، وصحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، حديث (٢٧٢٤) من طريق أبى سعيد المقبرى عن أبي هريرة .

(٤٩) - صحيح البخارى في الجهاد والسير ، باب : الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، حديث (٢٩٣٣) ، وفي المغازى ، باب غزوة الخندق ، حديث (٤١١٥) ، وفى الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين ، حديث (٦٣٩٢) ، وفى التوحيد ، باب : قوله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ﴾ ، حديث (٧٤٨٩) ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب : استحباب الدعاء والنصر عند لقاء العدو ، حديث (١٧٤١) (٢١) من طريق إسماعيل بن أبي خالد به .

(٥٠) - سيرة ابن هشام (٢٠٦/٣) ورواه البيهقي فى دلائل النبوة بسنده إلى ابن إسحاق .

(٥١) - المسند (٢٦٢/٤) ، (٢٩٤/٦) ، وأخرجه البخارى في المغازى ، باب غزوة الخندق ، حديث (٤١٠٩، ٤١١٠) من طرق عن أبى إسحاق به .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « تغزوهم » .
[٣] - سقط في : ز ، خ .

خيرًا ، وأعز اللَّه الإسلام وأهله ، وصدق وعده ، ونصر رسوله وعبده ، فله الحمد والمنة .

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة ، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، من العهد ، وكان ذلك بسفارة حُيَيّ بن أخطب النَّضري - لعنه اللَّه - دخل حصنهم ، ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد ، وقال له فيما قال : ويحك . قد جئتك بعز الدهر ، أتيتك بقريش وأحابيشها ، وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون هاهنا حتى يستأصلوا محمدًا وأصحابه .

فقال له كعب : بل واللَّه أتيتني بذل الدهر ، ويحك يا حيي ، إنك مشئوم ، فدعنا منك . فلم يزل يفتل في الذُّروة والغَارب[١] حتى أجابه ، واشترط له حييّ إن ذهب الأحزاب ، ولم يكن من أمرهم شيء ، أن يدخل معهم في الحصن ، فيكون له أسوتهم ، فلما نَقَضت قريظةُ ، وبلغ ذلك رسولَ اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، ساءه ، وشق عليه وعلى المسلمين جدًّا ، فلما أيد اللَّه ونَصَر ، وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ، ورجع رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، إلى المدينة مؤيدًا منصورًا ، ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، يغتسل من وعثاء[٢] تلك المرابطة في بيت أم سلمة إذ تبدى له جبريل معتجرًا[٣] بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها قطيفة ديباج ، فقال : أوضعت السلاح يا رسول اللَّه ؟ قال : « **نعم** » . قال : لكن الملائكة لم تضع أسلحتها ، وهذا الآن رجوعي من طلب القوم . ثم قال : إن اللَّه يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة - وفي رواية فقال له : عذيرَك من مقاتل ، أوضعتم السلاح ؟ قال : « **نعم** » قال : لكنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلى هؤلاء ، قال : « **أين ؟** » قال : بني قريظة ، فإن اللَّه أمرني أن أزلزل عليهم . فنهض رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - من فوره ، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة ، وكانت على أميال من المدينة ، وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال : « **لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة** »(٥٢) .

(٥٢) - روى ذلك عن البيهقي في دلائل النبوة (٤/٧،٨) من حديث عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن عمه عبيدالله بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة =

[١] - الغارب : مُقَدَّم السَّنام ، والذروة أعلاه .أراد أنه ما زال يخادعه ويتلطفه حتى وافقه.

[٢] - الوعثاء : المشقة والتعب .

[٣] - في ت : « متعجرًا » . والاعتجار بالعمامة : هو أن يَلُفَّها على رأسه ويَرُدَّ طرفها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئًا تحت ذقنه . النهاية [٣/١٨٥] .

فسار الناس ، فأدركتهم الصلاة في الطريق ، فصلىٰ بعضهم في الطريق وقالوا : لم يرد منا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلا تعجيل السير ، وقال آخرون : لا نصليها إلا في بني قريظة . فلم يُعَنِّف واحدًا من الفريقين . وتبعهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وقد استخلف علىٰ المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطىٰ الراية لعليّ بن أبي طالب .

ثم نازلهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال نزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ سيد الأوس ، لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، واعتقدوا أنه يحسن إليهم في ذلك ، كما فعل عبد اللّٰه بن أبيّ ابن سلول في مواليه بني قينقاع ، حين استطلقهم من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فظن هؤلاء أن سعدًا سيفعل فيهم كما فعل ابن أبيّ في أولئك ، ولم يعلموا أن سعدًا - رضي اللّٰه عنه - كان قد أصابه سهم في أكحله أيام الخندق ، فكواه رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - في أكحله ، وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب .

وقال سعد فيما دعا به ، اللهم ، إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها . وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فافجرها ولا تمتني حتىٰ تُقر عيني من بني قريظة . فاستجاب اللّٰه دعاءه ، وقَدَّر عليهم أن نزلوا علىٰ حكمه باختيارهم طلبًا[١] من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب [علىٰ حمار][٢] قد وطئوا له عليه ؛ جعل الأوس يلوذون به ويقولون : يا سعد ؛ إنهم مواليك ، فأحسن فيهم ، ويرققونه[٣] عليهم ويعطفونه ، وهو ساكت لا يرد عليهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في اللّٰه لومة لائم . فعرفوا أنه غير مستبقيهم . فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قوموا إلىٰ سيدكم** » . فقام إليه المسلمون ، فأنزلوه إعظامًا وإكرامًا واحترامًا له في محل ولايته ، ليكون أنفذ لحكمه فيهم ، فلما جلس قال له رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : « **إن هؤلاء - وأشار إليهم - قد نزلوا علىٰ حكمك ، فاحكم فيهم بما شئت** » . قال : وحكمي نافذ عليهم ؟ قال : « **نعم** » . قال : وعلىٰ من في هذه الخيمة ؟ قال : « **نعم** » . قال : وعلىٰ من هاهنا . وأشار إلىٰ الجانب الذي فيه رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهو معرض بوجهه عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إجلالًا وإكرامًا وإعظامًا ، فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **نعم** » . فقال : إني أحكم أن تقتل مُقَاتلتهم ، وتسبىٰ ذريتهم وأموالهم . فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لقد حكمت بحكم اللّٰه من فوق سبعة**

= واغتسل . . . . بالحديث وأصل القصة في البخارى كتاب المغازى ، حديث (٤١٢٢) من حديث عائشة .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « يرفقونه » .

أرقعة » وفي رواية : « لقد حكمت بحكم الملك »(٥٣) .

ثم أمر رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، بالأخاديد فخُدَّتْ في الأرض ، وجيء بهم مكتفين ، فضرب أعناقهم ، وكانوا ما بين السبعمائة إلىٰ الثمانمائة ، وسبىٰ من لم يُنبت منهم مع النساء ، وأموالهم . وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة ، الذي أفردناه موجزًا ومقتصًّا ، ولله الحمد والمنة .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأنزل الذين ظاهروهم** ﴾ ، أي : عاونوا الأحزاب وساعدوهم علىٰ حرب رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ﴿ **من أهل الكتاب** ﴾ يعني بني قريظة من اليهود ، من بعض أسباط بني إسرائيل ، كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديمًا ، طَمَعًا في اتباع النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ، ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ فعليهم لعنة اللّه .

وقوله : ﴿ **من صياصيهم** ﴾ يعني : حصونهم . كذا قال مجاهد وعكرمة ، وعطاء والسدي ، وقتادة ، وغيرهم ، ومنهم سميت صياصي البقر ، وهي قرونها لأنها أعلى شيء فيها ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾ ، وهو الخوف ؛ لأنهم كانوا مالئوا المشركين علىٰ حرب رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وليس من يعلم كمن لا يعلم ، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليَعزّوا [في الدنيا][١] ، فانعكس عليهم الحال ، وانقلب الفال ، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون ، فكما راموا العز أُذِلّوا[٢] ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلىٰ ذلك شقاوة الآخرة ، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا** ﴾ ، فالذين قتلوا هم المقاتلة ، والأسراء هم الأصاغر والنساء .

قال الإمام أحمد(٥٤) : حدثنا هُشَيم بن بشير ، أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي قال : عُرضتُ علىٰ النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يوم قريظة فشكوا فيّ ، فأمر بي النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أن ينظروا : هل أنبتُّ بعد ؟ فنظروا فلم يجدوني أنبتّ [بعد][٣] . فخلىٰ عني وألحقني بالسبي .

---

(٥٣) - السيرة النبوية (١٩٢/٣-١٩٣) .

(٥٤) - المسند (٣٨٣/٤) ، (٣١١/٥) ، وأخرجه أحمد (٣١٠/٤، ٣٨٣) ، (٣٨٣/٥) ، وأبو داود في الحدود ، باب : في الغلام يصيب الحد ، حديث (٤٤٠٤، ٤٤٠٥) ، والترمذي في السير ، باب في النزول على الحكم ، حديث (١٥٨٤) ، والنسائي في الطلاق ، باب : متى يقع طلاق الصبي (١٥٥/٦) ، وفى قطع السارق ، باب حد البلوغ . . . . (٩٢/٨) ، وابن ماجه في الحدود ، باب : من لا يجب عليه الحد ، حديث (٢٥٤١، ٢٥٤٢) من طرق عن عبدالملك بن عمير به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ت : « ذلوا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق ، عن عبد الملك بن عمير ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه النسائي(٥٥) أيضًا ، من حديث ابن جريج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن عطية ، بنحوه .

وقوله : ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ﴾ ، أي : جعلها لكم من قتلكم لهم ﴿ وأرضًا لم تطئوها ﴾ ، قيل : خيبر . وقيل : مكة . رواه مالك ، عن زيد بن أسلم ، وقيل : فارس والروم . وقال ابن جرير : يجوز أن يكون الجميع مرادًا .

﴿ وكان الله على كل شيء قديرًا ﴾ قال الإمام أحمد(٥٦) :

حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرتني عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس ، فسمعت وئيد[١] [٢] الأرض ورائي ، فإذا أنا بسعد ابن معاذ و[٣]معه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجَنَّه ، قالت : فجلست إلى الأرض فمر سعد وعليه درْع من حديد[٤] قد خرجت منه أطرافه ، فأنا أتخوف على أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمر وهو يرتجز ويقول :

لبث قليلًا[٥] يشهدُ الهيجا حَمَل ما أحسن الموتَ إذا حان الأجل !

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيها عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه تَسْبغَة[٦] [٧] له - تعني المغفر - فقال عمر : ما جاء بك ؟ لعمري والله إنك لجريئة[٨] ، وما يُؤمنُك أن يكون بلاء أو[٩] يكون تحَوّز[١٠] . قالت : فما زال يلومني حتى

(٥٥) - سنن النسائي الكبرى ، كتاب السير ، باب : حد الإدراك حديث (٨٦١٩) ، وأخرجه الحميدى (٨٨٩) عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : سمعت رجلًا في مسجد الكوفة يقول : كنت يوم كلم سعد ابن معاذ في بنى قريظة غلامًا فشكوا في ، فنظروا إلى فلم يجدوا المواس جرت على فاستبقيت .
(٥٦) - المسند (١٤١/٦-١٤٢) ، وانظر التالى .

[١] - في ز ، خ : « وبير » .
[٢] - الوئيد : صوت شِدَّة الوطء على الأرض يُسْمَع كالدَّوِيّ من بُعْدٍ .
[٣] - سقط في : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « حديث » .
[٥] - مكررة في خ ، ز .
[٦] - في خ : « نسيعة »، وفي ز : « نشيعة» .
[٧] - جاء في المعجم الوسيط (سبغ) : تسبغة الخوزة : ما توصل به من حلق الدروع فتستر العُنُق.
[٨] - في ز رسمت هكذا : « نخريه » وفي خ : تحريه[٩] - في ز : « أن » .
[١٠] - قال ابن الأثير [٤٥٩/٥] : هو من قوله تعالى : ﴿أو متحيزًا إلى فئة ﴾ أي منضمًا إليها .

تمنيت أن الأرض انشقت بي[١] ساعتئذ ، فدخلت فيها . فرفع الرجل التسبغة[٢] عن وجهه ، فإذا هو طلحة بن عبيد اللّٰه فقال : يا عمر ، ويحك ! إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التّحَوّز أو الفرار إلا إلىٰ اللّٰه تعالىٰ ؟ قالت : ويرمي سعدًا رجل من قريش ، يقال له : ابن العَرَقة بسهم له وقال له : خذها وأنا ابن العَرَقة ! فأصاب[٣] أكْحَلَه فقطعه ، فدعا اللّٰه سعد فقال : اللهم ؛ لا تمتني حتىٰ تُقر عيني من قريظة . قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية ، قالت : فرقأ[٤] كَلْمُه ، وبعث اللّٰه الريح علىٰ المشركين ، وكفىٰ اللّٰه المؤمنين القتال ، وكان اللّٰه قويًّا عزيزًا . فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ، ورجع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت علىٰ سعد في المسجد ، قالت : فجاءه جبريل - عليه السلام - وإن علىٰ ثناياه لنقع الغبار ، فقال : أو قد وضعت السلاح ؟ لا ، واللّٰه ما وضعت الملائكة بعد السلاح ، اخرج إلىٰ بني قريظة فقاتلهم . قالت[٥] : فلبس رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا ، [فخرج رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم][٦] ، فمر علىٰ بني غَنم[٧] وهم جيران المسجد حوله ، فقال : من مر بكم ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلبيّ - وكان دحية الكلبيّ تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل - عليه الصلاة والسلام - فأتاهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا علىٰ حكم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنه الذبح . قالوا : ننزل علىٰ حكم سعد بن معاذ [فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **انزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ** » . فنزلوا وبعث رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ سعد بن معاذ][٨] فأتي به على حمارٍ عليه إكاف[٩] من ليف قد حُمل عليه ، وحَفّ به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل النّكاية[١٠] ومن قد علمت . قالت : ولا يَرْجِعُ إليهم شيئًا ، ولا يلتفت إليهم ، حتىٰ إذا دنا من دورهم التفت إلىٰ قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في اللّٰه لومة لائم ، قال : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قوموا إلىٰ سيدكم فأنزلوه** » . فقال عمر : سيدنا اللّٰه . قال : « **أنزلوه** » . فأنزلوه ، قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **احكم فيهم** » . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبىٰ ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فقال رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم :

---

[١] - في ز ، خ : « لي » .
[٢] - في ز ، خ : « المسبغة » .
[٣] - في ز ، خ : « فأصابت » .
[٤] - رقأ الدم : سكن وجفّ وانقطع بعد جريانه . والكلْم : الجرح .
[٥] - في ز ، خ : « قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في خ ، ز : « تميم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - الإكاف : البرذعة التي توضع علىٰظهر الحمار .
[١٠] - في ز ، خ : « الكتابة » .

« **لقد حكمت فيهم بحكم اللَّه وحكم رسوله** » . ثم دعا سعد فقال : اللهم ؛ إن كنت أبقيتَ علىٰ نبيك من حرب قريش شيئًا فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . قال : فانفجر كَلْمُه ، وكان قد برئ منه إلا مثل الخُرْص[١] ، ورجع إلىٰ قبته التي ضرب عليه رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فَحَضَره[٢] رسولُ اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وأبو[٣] بكر ، وعمر . قالت : فوالذي نفس محمد بيده ، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر ، وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **رحماء بينهم** ﴾ .

قال علقمة : فقلت : أيْ أمّه ؛ فكيف[٤] كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع علىٰ أحد ، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته .

وقد أخرج البخاري ومسلم(٥٧) من حديث عبد اللَّه بن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة نحوًا من هذا ، ولكنه[٥] أخصر منه ، وفيه دُعاء سعد رضي اللَّه عنه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

هذا أمر من اللَّه لرسوله[٦] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بأن يُخَيِّر نساءه بين أن يفارقهن ، فيذهبن إلىٰ غيره ممن يَحصُلُ لهن [من] عنده الحياةُ الدنيا وزينتها ، وبين الصبر علىٰ ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند اللَّه في ذلك الثواب الجزيل : فاخترن - رضي اللَّه عنهن وأرضاهن - اللَّه ورسوله والدار الآخرة ، فجمع اللَّه لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة .

---

(٥٧) - صحيح البخارى في المغازى ، باب فرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ، حديث (٤١٢٢) ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب : إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حديث (١٧٦٩) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

---

[١] - الخرص : الحلقة الصغيرة من الذهب أو الفضة . [٢] - في ز ، خ : « ويحضره » .
[٣] - في ز ، خ : « أبي » . [٤] - في ز ، خ : « كيف » .
[٥] - في ز ، خ : « لكن » . [٦] - في ز ، خ : « رسوله » .

قال البخاري (٥٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهريّ ، قال[١] : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عائشة -رضي اللَّه عنها- زوج النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أخبرته : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم جاءها حين أمره اللَّه أن يخير أزواجه ، فبدأ بي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **إني ذاكر لك أمرًا ، فلا عليك أن تستعجلي حتىٰ تستأمري أبويك** » . وقد عَلِمَ أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه ، قالت : ثم قال : إن اللَّه قال : ﴿ **يا أيها النبيّ قل لأزواجك** ﴾ إلىٰ تمام الآيتين ، فقلت له : ففي أي هذا استأمر أبويّ ، فإني أريد اللَّه ورسوله والدار الآخرة ؟

وكذا رواه معلقًا عن الليث : حدثني يونس ، عن الزهريّ ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، فذكره وزاد ، قالت : ثم فعل أزواج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مثل ما فعلت(٥٩) .

وقد حكىٰ البخاريّ أن معمرًا اضطرب ، فتارة رواه عن الزهري ، عن أبي سلمة ، وتارة رواه عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة .

وقال ابن جرير(٦٠) : حدثنا أحمد بن عَبدة الضبي ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه قال : قالت عائشة : لما نزل الخيار قال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني أريد أن أذكر لك أمرًا ، فلا تقضي فيه شيئًا حتىٰ تستأمري أبويك** » . قالت : قلت : وما هو يا رسول اللَّه ؟ قال[٢] : فردّه عليها فقالت : فما هو يا رسول اللَّه ؟ قالت : فقرأ عليها : ﴿ **يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، قالت : فقلت : بل نختار اللَّه ورسوله والدار الآخرة . قالت : ففرح بذلك النبيّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وحدثنا ابن وكيع (٦١) ، حدثنا محمد بن بشر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : لما نزلت آية التخيير ، بدأ بي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : « **يا عائشة ؛ إني عارض عليك أمرًا ، فلا تفتاتي فيه بشيء[٣] حتىٰ تعرضيه علىٰ أبويك أبي بكر وأم رومان** » . فقلت : يا رسول اللَّه ؛ وما هو ؟ قال : قال اللَّه عز وجل :

(٥٨) - صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب : ﴿ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا . . . ﴾ حديث (٤٧٨٥) ، وأخرجه مسلم في الطلاق ، حديث (١٤٧٥) من طريق يونس بن يزيد عن الزهرى به .

(٥٩) - صحيح البخارى في التفسير ، باب : ﴿ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا ﴾ .

(٦٠) - تفسير الطبرى (٢١/١٥٧) ، وأخرجه أحمد (٦/٧٧،١٥٢) من طريق أبي عوانة به .

(٦١) - تفسير الطبرى (٢١/١٥٨) ، وأخرجه أحمد (٦/٢١١) عن محمد بن بشر به .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ: « قالت » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

﴿ يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا وإن كنتن تردن اللّٰه ورسوله والدار الآخرة فإن اللّٰه أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا ﴾ . قالت : فإني أريد اللّٰه ورسوله والدار الآخرة ، ولا أؤامر في ذلك أبويّ أبا بكر وأم رومان ، فضحك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم استقرأ الحُجَر فقال : « **إن عائشة قالت كذا وكذا** » . فقلن : ونحن نقول مثل ما قالت عائشة . رضي اللّٰه عنهن كلهن .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الأشج ، عن أبي أسامة ، عن محمد بن عمرو ، به .

قال ابن جرير [(٦٢)] : وحدثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد اللّٰه بن أبي بكر ، عن عَمرة ، عن عائشة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما نزل إلىٰ نسائه أمر أن يخيرهن ، فدخل عَليّ فقال : « **سأذكر لك أمرًا فلا تعجلي حتىٰ تستشيري أباك** » : فقلت . وما هو يا نبيّ اللّٰه ؟ قال : « **إني أمرت أن أخيركن** » ، وتلا عليها آية التخيير ، إلىٰ آخر الآيتين . قالت : فقلت : وما الذي تقول لا تستعجلي[١] حتىٰ تستشيري أباك ؟ فإني أختار اللّٰه ورسوله . فَسُرّ بذلك ، وعَرَض علىٰ نسائه فتتابعن كُلّهن ، فاخترن اللّٰه ورسوله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يزيد بن سنان البصري ، حدثنا أبو صالح عبد اللّٰه بن صالح ، حدثني الليث ، حدثني عُقَيل ، عن الزهريّ ، أخبرني عبيد اللّٰه بن [عبد الله بن][٢] أبي ثَوْر ، عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - قال : قالت عائشة - رضي اللّٰه عنها - : أنزلت آية التخيير ، فبدأ بي أول امرأة من نسائه ، فقال : إني ذاكر لك أمرًا ، فلا عليك أن لا تعجلي حتىٰ تستأمري أبويك » قالت : قد عَلِمَ أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه قالت : ثم قال : إن اللّٰه قال : **﴿ يا أيها النبيّ قل لأزواجك ...﴾** الآيتين . قالت عائشة : فقلت : أفي هذا أستأمر أبويّ ؟ فإني أريد اللّٰه ورسوله والدار الآخرة . ثم خير نساءه كلهن ، فقلن مثل ما قالت عائشة رضي اللّٰه عنهن .

وأخرجه البخاري ومسلم جميعًا[(٦٣)] عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة عن عائشة مثله .

وقال الإمام أحمد[(٦٤)] : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم بن صَبيح ، عن

---

(٦٢) - تفسير الطبرى (٢١/١٥٨) .

(٦٣) - لم أجده بهذا الإسناد فيهما ، ولا ذكره الحافظ المزي في تحفة الأشراف .

(٦٤) - المسند (٦/٤٥،٤٧) ، وأخرجه البخارى في الطلاق باب : من خير أزواجه ، حديث (٥٢٦٢) ، ومسلم في الطلاق حديث (١٤٧٧) (٢٨) من طريق الأعمش به .

---

[١] - في ت : « تعجلي » . [٢] - سقط في : ز ، خ.

مسروق ، عن عائشة قالت : خيرنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فاخترناه ، فلم يعدها علينا شيئًا . أخرجاه من حديث الأعمش .

وقال الإمام أحمد (٦٥) : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : أقبل أبو بكر - رضي اللّٰه عنه - يستأذن علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، والناس ببابه جلوس ، والنبيّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جالس . فلم يؤذن له . ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له . ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا ، والنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جالس وحوله نساؤه ، وهو ساكت ، فقال عمر : لأكلمن النبيّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لعله يضحك ، فقال عمر : يا رسول اللّٰه ؛ لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة آنفًا ، فوجأت عُنقها ، فضحك النبي صلى اللّٰه عليه وسلم حتى بدا ناجذه . وقال: « **هن حولي يسألنني النفقة** » . فقام أبو بكر رضي اللّٰه عنه إلىٰ عائشة ليضربها ، وقام عمر - رضي اللّٰه عنه - إلىٰ حفصة ، كلاهما يقولان : تسألان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ما ليس عنده ! فنهاهما رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقلن نساؤه : واللّٰه لا نسأل رسول اللّٰه بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال : وأنزل اللّٰه - عز وجل - الخيار ، فبدأ بعائشة فقال : « **إني أذكر لك أمرًا ما أحب أن تعجلي فيه حتىٰ تستأمري أبويك** » . قالت : وما هو ؟ قال: فتلا عليها : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك ...** ﴾ الآية . قالت عائشة -رضي اللّٰه عنها- : أفيك أستأمر أبوي ، بل أختار اللّٰه ورسوله ، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت . فقال : « **إن اللّٰه تعالىٰ لم يبعثني معنفًا ، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا ، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتُها** » . انفرد بإخراجه مسلم[١] دون البخاري ، فرواه هو والنسائي ، من حديث زكريا بن إسحاق المكيّ به .

وقال عبد اللّٰه ابن الإمام أحمد(٦٦) : حدثنا سريج[٢] بن يونس ، حدثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن محمد بن عبيد [اللّٰه بن عليّ][٣] بن أبي رافع ، عن عثمان بن عليّ بن الحسين ،

---

(٦٥) - المسند (٣/٣٢٨) ، وأخرجه مسلم في الطلاق ، حديث (١٤٧٨) ، والنسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء ، باب : إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امرأته هل يخير امرأته ، حديث (٩٢٠٨) من طريق زكريا بن إسحاق به .

(٦٦) - المسند (١/٧٨) ، وأخرجه في نفس الموضع عن يحيى بن أيوب عن على بن هاشم به .

ومحمد بن عبيدالله أبي رافع منكر الحديث وقد وقع اسمه في جميع النسخ « محمد بن عبيدالله بن أبي رافع » والصواب « عبيد الله أبي رافع » بدون (ابن) وهو منكر الحديث ترجمته في التاريخ الكبير للبخارى (١/١٧١) ، وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على المسند (٢/٣٠) حديث (٥٨٨،٥٨٩) .

---

[١] - سقط في : ز ، خ. [٢] - في ز ، خ: « شريح » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

عن أبيه ، عن عليّ رضي الله عنه : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خَيَّر نساءه الدنيا والآخرة ، ولم يخيرهن الطلاق .

وهذا منقطع ، وقد رُوي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك . وهو خلاف الظاهر من الآية ، فإنه قال : ﴿ **فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا** ﴾ أي : أعطيكن حقوقكن ، وأطلق سراحكن .

وقد اختلف العلماء في جواز تزويج غيره لهن لو طلقهن ، علىٰ قولين ، وأصحهما : نعم لو وقع ، ليحصل المقصود من السراح ، والله أعلم .

قال عكرمة : وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وكانت تحته صلىٰ الله عليه وسلم صفية بنت حُيَيّ النَّضَرِيَّة ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، رضي الله عنهن وأرضاهن .

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ واعظًا نساء النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، واستقر أمرهن تحت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يخبرهن[١] بحكمهن دون سائر النساء ، بأن[٢] من يأت منهن بفاحشة مبينة - قال ابن عباس : وهي النشوز وسوء الخلق - وعلىٰ كل تقدير فهو شرط ، والشرط لا يقتضي الوقوع ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ ، وكقوله : ﴿**ولوا أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون**﴾ ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ ﴿**لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار**﴾ فلما كانت محلتهن رفيعة ، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظًا ، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ؛ ولهذا قال : ﴿ **من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين** ﴾ . قال مالك عن زيد ابن أسلم : ﴿**يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾. قال : في الدنيا والآخرة .

وعن ابن أبي نجيح ، [عن مجاهد][٣] مثله .

---

[١] - في ز ، خ: « يخترن » . [٢] - في ز ، خ: « فإن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

﴿ **وكان ذلك على الله يسيرا** ﴾ أي: سهلًا هينًا ثم، ذكر عدله وفضله في قوله: ﴿ **ومن يقنت منكن لله ورسوله** ﴾، أي: يطيع[١] الله ورسوله ويستجيب ﴿ **نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا** ﴾، أي: في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، في أعلىٰ عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلىٰ العرش.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

هذه آداب أمر الله بها نساء النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطبًا لنساء النبي بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن، فإنهن[٢] لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال: ﴿ **فلا تخضعن بالقول** ﴾. قال السدي وغيره: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال، ولهذا قال: ﴿ **فيطمع الذي في قلبه مرض** ﴾، أي: دَغَل، ﴿ **وقلن قولًا معروفًا** ﴾ قال ابن زيد: قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخير، ومعنىٰ هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

وقوله: ﴿ **وقرن في بيوتكن** ﴾، أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة. ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه، كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجن وهن تَفِلاتٌ**»[٣]. وفي رواية: «**وبيوتهن خير لهن**»(٦٧).

(٦٧) - أخرجه أحمد (٥٢٨،٤٧٥،٤٣٨/٢)، وأبو داود في الصلاة، باب: ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، حديث (٥٦٥) والدارمي (١٢٨٢)، وابن خزيمة (١٦٧٩) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعاً. =

[١] - في ت: «يطع».
[٢] - في ت: «فإنه».
[٣] - غير متعطرات.

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا حميد بن مسعدة[١] ، حدثنا أبو رجاء الكلبيّ : روح بن المسيب - ثقة - حدثنا ثابت البناني ، عن أنس - رضي اللَّه عنه - قال : جئن النساء إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقلن : يا رسول اللَّه ؛ ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل اللَّه تعالىٰ ، فمالنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل اللَّه ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قعد - أو كلمة نحوها - منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهد[٢] في سبيل اللَّه** » .

ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت إلا روح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور .

وقال البزار(٦٨) أيضًا : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن مُوَرِّق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « **إن المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها** » .

ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه .

وروىٰ البزار بإسناده المتقدم ، وأبوداود أيضًا(٦٩) ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « **صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها** » . وهذا إسناد جيد .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ** ﴾ ، قال مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية .

وقال قتادة : ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾ يقول : إذا خرجتن من بيوتكن - وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج[٣] - فنهىٰ اللَّه عن ذلك .

= وروى أوله البخارى في صحيحه في الجمعة ، حديث (٩٠٠) ، ومسلم في الصلاة ، حديث (٤٤٢) (١٣٦) من حديث عبدالله بن عمر ، والرواية الثانية : « و بيوتهن خير لهن » عند أبي داود في الصلاة ، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد ، حديث (٥٦٧) من حديث ابن عمر .

(٦٨) - مسند البزار (٢٠٦١) وأخرجه الترمذي في الرضاع ، باب : (١٨) ، حديث (١١٧٣) عن محمد ابن بشار عن عمرو بن عاصم به مختصرًا ، وأخرجه ابن خزيمة (١٦٨٥) عن أبي موسى عن عمرو بن عاصم به .

(٦٩) - مسند البزار (٢٠٦٠) ، وسنن أبي داود في الصلاة ، باب : التشديد في ذلك ، حديث (٥٧٠) عن ابن المثنى بإسناد البزار السابق . وأخرجه ابن خزيمة (١٦٨٨، ١٦٩٠) من طريقين عن عمرو بن عاصم به .

---

[١] - في خ ، ز : « مسعود » . [٢] - في ت : « المجاهدين » .

[٣] - في ز ، خ: « وتقبح » .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ ﴾ ، والتبرج : أنها تلقي[١] الخمار علىٰ رأسها ، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها ، وذلك التبرج ، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج .

وقال ابن جرير(٧٠) : حدثني ابن[٢] زهير ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا داود - يعني ابن أبي الفرات - حدثنا علي بن أحمر ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : تلا هذه الآية : ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ ﴾ . قال : كانت فيما بين نوح وإدريس ، فكانت[٣] ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحًا وفي النساء دمامة ، وكان نساء السهل صباحًا وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس أتىٰ رجلًا من أهل السهل في صورة غلام ، فآجر[٤] نفسه منه ، فكان يخدمه واتخذ إبليس شيئًا مثل الذي يُزَمِّر فيه الرِّعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حوله ، فانتابوهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيدًا يجتمعون إليه في السنة ، فيتبرَّجُ [النساء للرجال][٥] - قال : ويتزين[٦] الرجال لهن ، وإن رجلًا من أهل الجبل هَجَم عليهم في عيدهم ذلك ، فرأىٰ النساء وصباحتهن ، فأتىٰ أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهن . فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قوله تعالىٰ : ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ ﴾

وقوله : ﴿ وأقمن الصلاة وآتين الذكاة وأطعن الله ورسوله ﴾ نهاهن أولًا عن الشر ثم أمرهن بالخير ، من إقامة الصلاة - وهي : عبادة اللّٰه وحده لا شريك له - وإيتاء الزكاة ، وهي : الإحسان إلىٰ المخلوقين ، ﴿ وأطعن اللّٰه ورسوله ﴾ ، وهذا من باب عطف العام علىٰ الخاص .

وقوله : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ وهذا نص في دخول أزواج النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - في أهل البيت هاهنا . لأنهن سبب نزول هذه[٧] الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .

ورویٰ ابن جرير ، عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ ، نزلت في نساء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خاصة ،

(٧٠) - تفسير الطبري (٤/٢٢) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٥١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٤/٥) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - في خ : « ترمي » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « وكانت » .
[٤] - في خ : « فأخرجه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «الرجال للنساء» .
[٦] - في خ ، ز : « وينزل » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .

وهكذا روىٰ ابن أبي حاتم قال[١] : حدثنا عليّ بن حرب الموصلي ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا حسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ ، قال : نزلت في نساء النبي صلىٰ الله عليه وسلم خاصة .

وقال عكرمة : من شاء باهلته(*) أنها نزلت في أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم(٧١) .

فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ، ففي هذا نظر ؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل علىٰ أن المراد أعم من ذلك :

(الحديث الأول) : قال الإمام أحمد(٧٢) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا عليّ بن زيد ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلىٰ صلاة الفجر ، يقول : الصلاة يا أهل البيت ، ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ .

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به ، وقال : حسن غريب .

(حديث آخر) ، قال ابن جرير (٧٣) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء قال : رابطت المدينة سبعة أشهر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، [قال : رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٢] إذا طلع الفجر ، جاء إلىٰ باب عليّ وفاطمة فقال : « **الصلاة الصلاة** ، ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ » .

أبو داود الأعمى هو نفيع[٣] بن الحارث كذّاب .

(*) باهل القومُ بعضُهم بعضًا : اجتمعوا وتداعَوْا ، فاستنزلوا لعنة الله على الظالم منهم .

(٧١) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٦/٥) إلى ابن أبي حاتم وابن عساكر .

(٧٢) - المسند (٢٨٥/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٣٠ منتخب) - وعنه الترمذي في السنن ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب حديث (٣٢٠٦) - عن عفان به . وأخرجه أحمد (٢٥٩/٣) من طريق حماد بن سلمة به .

(٧٣) - تفسير الطبري (٦/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٨/٥) إلى ابن مردويه ، وإسناد الحديث ضعيف جدًا ؛ نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى متروك كذبه ابن معين ، وهو من رجال التهذيب روى له الترمذي وابن ماجة .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « بضع » .

(حديث آخر) : وقال الإمام أحمد أيضًا(٧٤) : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا شداد أبو[١] عمار قال: دخلت علىٰ واثلة بن الأسقع وعنده قوم، فذكروا عليًا - رضي اللّٰه عنه - فلما قاموا قال لي : ألا أخبرك بما رأيتُ من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ قلت : بلىٰ . قال : أتيت فاطمة أسألها عن عليّ فقالت : تَوَجّه إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فجلست أنتظره حتىٰ جاء رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ومعه عليّ[٢] وحسن وحسين ، آخذ كل واحد منهما بيده حتىٰ دخل ، فأدنىٰ عليًا وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما علىٰ فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه - أو قال : كساءه - ثم تلا هذه الآية : ﴿ **إنما يريد اللّٰه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، « **اللهم؛ هؤلاء أهل بيتي ، وأهل بيتي أحق** » .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير(٧٥) عن عبد الكريم بن[٣] أبي عمير ، عن الوليد بن مسلم ، عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه ، زاد في آخره : قال واثلة : فقلت : وأنا ، يا رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليك - من أهلك ؟ قال : « **وأنت من أهلي** » . قال واثلة : إنها من أرجىٰ ما أرتجي .

ثم رواه أيضًا(٧٦) عن عبد الأعلىٰ بن واصل[٤] ، عن الفضل بن دكين ، عن عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم المحاربي ، عن شداد أبي[٥] عمار قال[٦] : إني لجالس عند واثلة بن الأسقع، إذ ذكروا عليًا فشتموه ، فلما قاموا قال : اجلس حتىٰ أخبرك عن الذي شتموه : إني عند رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذ جاء عليّ وفاطمة وحسن وحسين فألقىٰ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عليهم كساء له ، ثم قال : « **اللهم؛ هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** ». قلت: يا رسول اللّٰه ؛ وأنا ؟ قال : « **وأنت** » . قال : فواللّٰه إنها لأوثق عملي عندي .

[حديث آخر][٧] : قال الإمام أحمد (٧٧) : حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، حدثنا عبد الملك بن

(٧٤) - المسند (١٠٧/٤) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٠١/٧) عن محمد بن مصعب به ، وأخرجه الحاكم (٤١٦/٢) والبيهقي في السنن (١٥٢/٢) من طريق الوليد بن مزيد عن الأوزاعي به . وانظر الحديثين التاليين .

(٧٥) - تفسير الطبري (٧/٢٢) .

(٧٦) - تفسير الطبري (٦/٢٢، ٧) .

(٧٧) - المسند (٢٩٢/٦) وللحديث طرق أخرى عن أم سلمة يأتي تخريجها عند المصنف .

[١] - في خ ، ز : « بن » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : عن ، وسقط من : خ .

[٤] - في خ ، ز : « زامل » .

[٥] - في ز ، خ : ابن أبي .

[٦] - سقط في : ز، خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز، خ .

أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح ، حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - كان في بيتها ، فأتته فاطمة - رضي اللَّه عنها - ببرمة فيها خزيرة(*) ، فدخلت بها عليه فقال لها : « **ادعي زوجك وابنيك**[١] » . قالت : فجاء عليّ وحسن وحسين فدخلوا عليه ، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة ، وهو علىٰ منامة(**) له علىٰ دكان تحته كساء خيبري ، قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل اللَّه - عز وجل - هذه الآية : ﴿ **إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرًا** ﴾ قالت : فأخذ فضل الكساء فغطاهم به ، ثم أخرج[٢] يده فألوى بها إلىٰ السماء ، ثم قال : « **اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي وحامَّتي**(***) ، **فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » . قالت : فأدخلت رأسي البيت ، فقلت : وأنا معكم يا رسول اللَّه ؟ فقال : « **إنك إلىٰ خير إنك إلىٰ خير** » .

في إسناده من لم يسم[٣] وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات .

(طريق أخرىٰ) ، قال الإمام أحمد(٧٨) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن أبي المعدل [عطية](****) الطفاوي ، عن أبيه أن أم سلمة حدثته قالت : بينما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيتي يومًا ؛ [إذ قالت][٤] الخادم : إن فاطمة وعليًا بالسدة(*****) قالت : فقال لي : قومي فَتَنَحي عن أهل بيتي . قالت : فقمت فتنحيت في البيت قريبًا ، فدخل علي وفاطمة ، ومعهما الحسن والحسين ، وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما ، واعتنق عليًا بإحدىٰ يديه وفاطمة باليد الأخرىٰ ، وقبل فاطمة وقبل عليًا ، وأغدف[٥](******) عليهم خَميصَة سوداء وقال : « **اللهم ؛ إليك لا إلىٰ النار أنا وأهل بيتي** » . قالت : قلت[٦] : وأنا يا رسول اللَّه ؟ صلىٰ اللَّه عليك ! قال : « **وأنت** » .

(*) الخزيرة : لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق .

(**) أي قطيفة .

(***) في ت : خاصتي ، كذا في مطبوعة المسند ، والمثبت من ز ، خ ، وكذا هو في مخطوطة المسند الأزهرية ، وحامة الإنسان : خاصته ومن يقرب منه ، وهو الحميم أيضًا . [النهاية : ١/٤٤٦] .

(٧٨) - المسند (٦/٢٩٦) ، وأخرجه في (٦/٣٠٤) عن عبد الوهاب بن عطاء عن عوف به .

(****) في ز ، خ : عن عطية ، وهو تحريف ؛ لأن عطية هو نفسه أبو المعدل .

(*****) السدة كالظلة على الباب ، لتقي الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه ، وقيل : الساحة بين يديه . النهاية [٢/٣٥٣] .

(******) أي : أرسلها وأسبلها .

---

[١] - في ز ، خ: « وبنيك » .

[٢] - في ت : « أخرجه » .

[٣] - في خ ، ز : « يسمع » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقالت » .

[٥] - في ز : « أغرف » .

[٦] - في ت : « فقلت » .

(طريق أخرىٰ) قال ابن جرير(٧٩) : حدثنا أبو كريب ، [حدثنا الحسن بن عطية][١] ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿ **إنما يريد اللّٰه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، قالت : وأنا جالسة علىٰ باب البيت فقلت : يا رسول اللّٰه ؛ ألستُ من أهل البيت ؟ فقال : « **إنك إلىٰ خير ، أنت من أزواج النبي** » صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قالت : وفي البيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضي اللّٰه عنهم .

(طريق أخرىٰ) : رواه ابن جرير أيضًا(٨٠) ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عبد الحميد ابن بهرام ، عن شهر بن حوشب عن أم سلمة بنحوه .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير (٨١) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا خالد بن مخلد ، حدثني موسىٰ بن يعقوب ، حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن عبد اللّٰه بن وهب بن زمعة قال : أخبرتني أم سلمة -رضي اللّٰه عنها- أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جمع فاطمة والحسن والحسين ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأر إلىٰ اللّٰه -عز وجل- ثم قال : « **هؤلاء أهل بيتي** » . قالت أم سلمة : فقلت : يا رسول اللّٰه ؛ أدخلني معهم . فقال : « **أنت من أهلي** » .

(طريق أخرىٰ) : رواه ابن جرير أيضًا(٨٢) عن أحمد بن محمد الطوسي ، عن عبد الرحمن ابن صالح ، عن محمد بن سليمان الأصبهاني ، عن يحيىٰ بن عبيد المكي ، عن عطاء ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أمه بنحو ذلك .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير (٨٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا سعيد ابن زَرْبِيّ ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بِبُرْمة لها ، قد صنعت فيها عَصيدة تحملها علىٰ

---

(٧٩) - تفسير الطبري (٢٢/٧) ، وأخرجه الخطيب في تاريخه (١٠/٢٧٨) من طريق عمران بن مسلم عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري نحوه .

(٨٠) - المصدر السابق (٢٢/٧) .

(٨١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٧) عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد عن شهر عن فضيل بن مرزوق بنفس الإسناد السابق ، وأخرجه في (٢٢/٦) عن موسى بن عبد الرحمن المسروقي عن يحيى بن إبراهيم عن هلال بن مقلاص ، عن زبيد عن شهر عن أم سلمة .

(٨٢) - تفسير الطبري (٢٢/٨) .

(٨٣) - تفسير الطبري (٢٢/٧) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

طبق ، فوضعتها بين يديه فقال : « **أين ابن عمك وابناك ؟** » فقالت : في البيت . فقال : « **ادعيهم** » ، فجاءت إلىٰ عليّ فقالت : أجِبْ رسولَ الله أنت وابناك . قالت أم سلمة : فلما رآهم مقبلين مد يده إلىٰ كساء كان علىٰ المنامة ، فمده وبسطه ، وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله ، فضمه فوق رءوسهم ، وأومأ بيده اليمنىٰ إلىٰ ربه - عز وجل - فقال : « **اللهم ؛ هؤلاء[١] أهل البيت ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير (٨٤) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن حكيم بن سعد قال : ذكرنا عليّ بن أبي طالب عند أم سلمة ، فقالت : في بيتي نزلت : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ . قالت أم سلمة : جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ بيتي فقال[٢] : « **لا تأذني لأحد** » . فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها . ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أحجبه عن أمه وجده . ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه، ثم جاء عليّ فلم أستطع أن أحجبه . فاجتمعوا فَجَلّلهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بكساء كان عليه ، ثم قال : « **هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » . فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا علىٰ البساط ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا[٣] ؟ قالت : فوالله ما أنعم وقال: « **إنك إلى خير** » .

(حديث آخر) : قال ابن جرير (٨٥) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة رضي الله عنها : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذات غداة ، وعليه مرط مرحل من شَعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله معه ، [ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه][٤] ، ثم جاء عليّ فأدخله معه ، ثم قال : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر به .

---

(٨٤) - تفسير الطبري (٨/٢٢) .

(٨٥) - تفسير الطبري (٦/٢٢) ، وأخرجه أحمد (١٦٢/٦) ، ومسلم في اللباس والزينة ، حديث (٢٠٨١)، وفي فضائل الصحابة ، حديث (٢٤٢٤) وأبو داود في اللباس ، باب : في لبس الصوف والشعر حديث (٤٠٣٢) ، والترمذي في الأدب ، باب : ما جاء في الثوب الأسود من حديث (٢٨٣١) من طريق زكريا بن أبي زائدة به .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « فأتانا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سُرَيج[١] بن يونس أبو الحارث ، حدثنا محمد بن يزيد ، عن العوام - يعني ابن حوشب - عن عم له قال : دخلت مع أبي علىٰ عائشة ، فسألتها عن عليّ -رضي اللَّه عنه- فقالت -رضي اللَّه عنها- : تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه ؟ لقد رأيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم دعا عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا . **فألقىٰ** عليهم ثوبًا فقال : « **اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » . قالت : فدنوت منه فقلت : يا رسول اللَّه ؛ وأنا من أهل بيتك ؟ فقال : « **تنحي ، فإنك علىٰ خير** » .

(حديث آخر) قال ابن جرير(٨٦) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا بكر بن يحيىٰ بن زبّان العنزي[٢] ، حدثنا مندل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نزلت هذه الآية في خمسة : في ، وفي عليّ ، وحسن ، وحسين ، وفاطمة : ﴿ إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾** » وقد تقدم أن فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة كما تقدم . وروىٰ ابن أبي حاتم من حديث هارون بن سعد[٣] العجلي ، عن عطية ، عن أبي سعيد موقوفًا ، فاللَّه أعلم .

(حديث آخر) : قال ابن جرير(٨٧) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا بكير بن مسمار قال[٤] : سمعت عامر بن سعد قال : قال سعد : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين نزل عليه الوحي ، فأخذ عليًا وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : « **رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي** » .

(حديث آخر) : وقال مسلم في صحيحه(٨٨) : حدثني زُهير بن حرب ، وشُجاع بن مَخْلَد - جميعًا - عن ابن عُلَيَّة قال زهير : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثني أبو[٥] حَيَّان ، حدثني يزيد بن حَيَّان قال : انطلقت أنا وحُصَين بن سَبْرَةَ وعمر بن مسلم[٦] إلىٰ زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا ؛ [رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه

(٨٦) - تفسير الطبري (٢٢/٦) ، وأخرجه الطبراني .

(٨٧) - تفسير الطبري (٢٢/٨) ، وأخرجه الحاكم (١٤٧/٣) من طريق بكير بن مسمار به . وزاد السيوطي في الدر (٣٧٧/٥) نسبته إلى ابن مردويه .

(٨٨) - صحيح مسلم في فضائل الصحابة ، حديث (٢٤٠٨) (٣٦) ، وانظر التالي .

[١] - في ز ، خ: « شُريح » .

[٢] - في ز ، خ: « العربي » .

[٣] - في ز : « سعيد » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في خ ، ز : « بن » .

[٦] - في ز : « سلمة » .

وسلم وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا] حَدّثنا يا زيد ما سمعتَ من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم. قال][١] : يا بن أخي ؛ واللّٰه لقد كَبِرَتْ سني، وقَدُم عهدي، ونسيتُ بعض الذي كنتُ أعي من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، فما حَدّثتُكم فاقبلوا، وما لا فلا تُكَلِّفونيه[٢]. ثم قال: قام فينا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومًا خطيبًا بماء يدعىٰ خُمًّا[٣] - بين مكة والمدينة - فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه، ووعظ وَذكّر، ثم قال: « **أما بعد، ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، وأولهما كتاب اللّٰه فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب اللّٰه واستمسكوا به** ». فَحَثّ علىٰ كتاب اللّٰه وَرَغّب فيه، ثم قال: « **وأهلُ بيتي، أذَكّركم اللّٰه في أهل بيتي، أذكركم اللّٰه في أهل بيتي** » ثلاثًا - فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرمَ الصّدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليّ، وآل عَقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرمَ الصدقة؟ قال: نعم.

ثم[٤] رواه(٨٩) عن محمد بن بكار بن الريّان، عن حسان بن إبراهيم، عن سعيد بن مسروق، عن يزيد بن حَيّان، عن زيد بن أرقم، فذكر الحديث كنحو[٥] ما تقدم، وفيه: فقلنا له: من أهل بيته نساؤه[٦]؟ قال: لا و[٧]ايم اللّٰه، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلىٰ أبيها وقومها[٨]، أهل بيته أصله وعَصَبته الذين حُرموا الصدقة بعده.

هكذا وقع في هذه الرواية والأُولىٰ[٩] أولىٰ، والأخذ بها أحرىٰ. وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه، إنما المراد بهم آله الذين حُرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح، جمعًا بينها وبين الرواية التي قبلها، وجمعًا أيضًا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت، فإن في بعض أسانيدها نظرًا[١٠]، واللّٰه أعلم.

---

(٨٩) - صحيح مسلم الموضع السابق حديث (٢٤٠٨) (٣٧). والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٦/٤)، وأبو داود (٤٩٧٣). مختصرًا على (أمّا بعد) وابن خزيمة (٢٣٥٧) من طريق أبي حيان التيمي به.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: « تكلفونه ».

[٣] - في ز، خ: « خمسًا ».

[٤] - سقط في: ز، خ.

[٥] - في ت: « بنحو ».

[٦] - في ز، خ " كذا" : « فتاوه ».

[٧] - سقط في: ز، خ.

[٨] - في خ، ز: « وأمها ».

[٩] - في ز، خ: « الأول ».

[١٠] - في ز، خ: « نظر ».

ثم الذي لا يَشُك فيه من تَدبّر القرآن أن نساء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم داخلات في قوله : ﴿ **إنما يريد اللّٰه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، فإن سياق الكلام معهن ؛ ولهذا قال بعد هذا كله : ﴿ **واذكرن ما يتلىٰ في بيوتكن من آيات اللّٰه والحكمة** ﴾ ، أي : اعملن بما نزل[١] اللّٰه علىٰ رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة ، قاله قتادة وغير واحد . واذكرن هذه النعمة التي [خصصتن بها][٢] من بين الناس ، إن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة بنت الصديق أولاهن بهذه النعمة ، وأحظاهن بهذه الغنيمة ، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة ، فإنه لم ينزل علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الوحيُ في فراش امرأة سواها ، كما نص علىٰ ذلك صلىٰ اللّٰه عليه وسلم (٩٠) .

قال بعض العلماء - رحمه اللّٰه - : لأنه لم يتزوج بكرًا سواها ، ولم ينم معها رجل في فراشها سواه ، فناسب أن تخصص بهذه المزية ، وأن تفرد بهذه الرتبة العلية ، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته ، فقرابته أحق بهذه التسمية ، كما تقدم في الحديث : « **وأهل بيتي أحق** » (٩١) .

وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم ، فقال : « **هو مسجدي هذا** » (٩٢) .

فهذا من هذا القبيل ؛ فإن الآية إنما نزلت في مسجد قُباء ، كما ورد في الأحاديث الأخر (٩٣) . ولكن إذا كان ذاك أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم ، فمسجد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أولىٰ بِتَسمِيتِه بذلك ، واللّٰه أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو[٣] الوليد ، حدثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن أبي[٤] جميلة قال[٥] : إن الحسن بن عليّ استُخلِفَ حين قُتِل عليّ - رضي

---

(٩٠) - أخرجه البخاري في صحيحه في الهبة ، باب : من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، حديث ، (٢٥٨١) من حديث عروة بن الزبير عن عائشة بحديث طويل فيه : « لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلّا عائشة » .

(٩١) - تقدم من حديث واثلة برقم (٧٧) .

(٩٢) - صحيح مسلم في الحج ، حديث (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري . بلفظ : « هو مسجدكم هذا » .

(٩٣) - تقدم في التوبة الآية (١٠٨) .

---

[١] - في ت : « ينزل » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ،خ : « خصصتهن» .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ ، ز : « ابن » .

[٥] - سقط في : ز ، خ.

الله عنهما - قال : فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجره[١] ، وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد ، وحسن ساجد ، قال : فيزعمون أن الطعنة وقعت في وَركه ، فمرض منها أشهرًا ، ثم بَرأ فقعد على المنبر ، فقال : يا أهل العراق ؛ اتقوا الله فينا ، فإنا أمراؤكم وضيفانكم ، ونحن أهل البيت الذي قال الله : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، قال : فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو[٢] يَحِنّ بكاء .

وقال السدي ، عن أبي الديلم قال : قال عليّ بن الحسين لرجل من أهل[٣] الشام : أما قرأت في الأحزاب : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ؟ قال : نعم ، ولأنتم هم ؟ قال : نعم .

وقوله : ﴿ **إن الله كان لطيفًا خبيرًا** ﴾ ، أي : بلطفه بكنّ بلغتُنّ هذه المنزلة ، وبخبرته[٤] بكن وأنكن أهل لذلك ، أعطاكن ذلك وخصكن بذلك .

قال ابن جرير ، رحمه الله : واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة ، فاشكرن الله على ذلك واحمدنه ﴿ **إن الله كان لطيفًا خبيرًا** ﴾ ، أي : ذا لطف بكن ، إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة . وهي السنة ، خبيرًا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجًا .

وقال قتادة : ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ قال : « **يَمْتَنُّ عليهن بذلك** » . رواه ابن جرير .

وقال عطية العوفي في قوله : ﴿ **إن الله كان لطيفًا خبيرًا** ﴾ ، يعني : لطيف باستخراجها ، خبير بموضعها . رواه ابن أبي حاتم ، ثم[٥] قال : وكذا روي عن[٦] الربيع بن أنس ، و[٧] قتادة .

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا

[١] - في ت : « بخنجر » .
[٢] - سقط في : ز ، خ.
[٣] - سقط في : ز ، خ.
[٤] - في ز ، خ: « بخيرته » .
[٥] - سقط في : ز ، خ.
[٦] - سقط في : ز ، خ.
[٧] - في ت : « عن » .

وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

قال الإمام أحمد (٩٤) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عثمان بن حكيم ، حدثنا عبد الرحمن بن شيبة ، سمعت أم سلمة زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تقول : قلت للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ما لنا لا نُذكَرُ في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يَرعني[١] منه ذات يوم إلا ونداؤه علىٰ المنبر ، قالت : وأنا أُسَرِّح شعري ، فلففت شعري ، ثم خرجت إلىٰ [حُجرة من][٢] حُجَر[٣] بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: « **يا أيها الناس ، إن اللَّه يقول : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ...﴾** إلىٰ آخر الآية .

وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد ، به مثله .

(طريق أخرىٰ عنها) قال النسائي أيضًا(٩٥) : حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا سويد، أخبرنا عبد اللَّه عن[٤] شريك ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة أنها قالت للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : يا نبي اللَّه ؛ ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن ، والنساء لا يذكرن[٥] ؟ فأنزل اللَّه : **﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾** .

وقد رواه ابن جرير(٩٦) ، عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة : أن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب ، حدثه عن أم سلمة - رضي اللَّه عنها - قالت : قلت[٦] : يا رسول اللَّه ؛ أيذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر؟ فأنزل اللَّه **﴿ إن المسلمين والمسلمات ...﴾** الآية .

(طريق أخرىٰ) قال سفيان الثوري(٩٧) ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم

---

(٩٤) - المسند (٦/٣٠١، ٣٠٥) ، وأخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٨١٩١) وهو في التفسير برقم (٤٢٥) من طريق عبد الواحد بن زياد به .

(٩٥) - أخرجه النسائي في التفسير (٤٢٤) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/٢٦٣) (٥٥٤) من طريق محمد بن عمرو به .

(٩٦) - تفسير الطبري (٢٢/١٠) .

(٩٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/١٠) والحاكم (٢/٤١٦) كلاهما من حديث سفيان الثوري به .

---

[١] - في ت : « يرعى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « حجرتى » .

[٣] - في ز ، خ: « حجرة » .

[٤] - في ت : « بن » .

[٥] - في ز ، خ: « يذكرون » .

[٦] - سقط في : ز ، خ.

سلمة : يا رسول اللَّه ؛ يذكر الرجال ولا نذكر ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ...﴾ الآية .

(حديث آخر) قال ابن جرير (٩٨) : [حدثنا أبو كريب ، قال][١] : حدثنا سنّان[٢] بن مظاهر العَنَزي[٣] ، حدثنا أبو كدينة يحيىٰ بن المهلب ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال النساء للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ...﴾ الآية .

وحدثنا بشر(٩٩) ، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال : دخل نساء علىٰ نساء النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقلن : قد ذكركُن اللَّه في القرآن ، ولم نُذكر بشيء ، أما فينا ما يذكر[٤] ؟ فأنزل اللَّه - عز وجل - : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ...﴾ الآية .

فقوله : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** ﴾ دليل علىٰ أن الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ . وفي الصحيحين(١٠٠) « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** » فسلبه[٥] الإيمان ، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين ، فدل علىٰ أنه أخص[٦] منه كما قررناه في أول شرح البخاري .

﴿ **والقانتين والقانتات** ﴾ القنوت : هو الطاعة في سكون ، ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وله من في السملوات والأرض كلٌّ له قانتون** ﴾ ﴿ **يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ . ﴿ **وقوموا للَّه قانتين** ﴾ فالإسلام بعده مرتبة يرتقىٰ إليها ، ثم القنوت ناشيء عنهما .

﴿ **والصادقين والصادقات** ﴾ هذا في الأقوال ، فإن الصدق خَصلة محمودة ؛ ولهذا كان بعض الصحابة لم تُجرب عليه كِذْبة لا في الجاهلية ولا [في الإسلام][٧] ، وهو علامة علىٰ الإيمان ، كما أن الكذب أمارة علىٰ النفاق ، ومن صدق نجا ، [« **عليكم بالصدق ، فإن**

(٩٨) - تفسير الطبري (١٠/٢٢) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٨/١٢) (١٢٦١٤) من طريق قابوس به . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٤/٧) : فيه قابوس وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات .
(٩٩) - تفسير الطبري (١٠/٢٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت ، وابن جرير : « سيار » .
[٣] - في ز ، خ: « العرى » .
[٤] - في ز ، خ: « نذكر » .
[٥] - في ت : « فيسلبه » .
[٦] - في خ : « أحق » ، وفي ز : « أخف » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « إسلام » .

الصدق يهدي إلىٰ البر ، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة ، وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور ، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار][١] **، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقًا ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذّابًا »**(١٠١) . والأحاديث فيه كثيرة جدًّا .

﴿ **والصابرين والصابرات** ﴾ ، هذه سَجية[٢] الأثبات ، وهي الصبر علىٰ المصائب ، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة ، وَتَلَقي ذلك بالصبر والثبات ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولىٰ ، أي : أصعبه في أول وهلة ، ثم ما بعده أسهل منه ، وهو صدق السجية وثباتها .

﴿ **والخاشعين والخاشعات** ﴾ ، الخشوع[٣] : السكون والطمأنينة ، والتؤدة والوقار والتواضع . والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته ، « **اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »(١٠٢) .

﴿ **والمتصدقين والمتصدقات** ﴾، الصدقة: هي الإحسان إلىٰ الناس المحاويج الضعفاء ، الذين لا كَسْبَ لهم ولا كاسب ، يعطون من فضول الأموال طاعة لله ، وإحسانًا إلىٰ خلقه ، وقد ثبت في الصحيحين(١٠٣) : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله – فذكر منهم – : ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** ».

وفي الحديث الآخر(١٠٤) : «**والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ**[٤] **الماء النار**». والأحاديث في الحث عليها كثيرة جدًّا ، له موضع بذاته .

﴿ **والصائمين والصائمات** ﴾، في الحديث الذي رواه ابن ماجه (١٠٥) : « **والصوم زكاة**

(١٠٠) – تقدم تخريجه في تفسير المائدة الآية (٩١) .

(١٠١) – حديث عبد الله بن مسعود تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة الآية (١١٩) .

(١٠٢) – يأتي تخريجه في سورة الحديد عند الآية (٦) .

(١٠٣) – تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة اللآية (٢٧١) .

(١٠٤) – أخرجه ابن ماجة في الزهد ، باب الحسد ، حديث (٤٢١٠) وأبو يعلى في مسنده (٣٦٥٦) من حديث أنس وإسناده ضعيف جدًّا فيه عيسى بن أبي عيسى ميسرة ، متروك الحديث ، وانظر مصباح الزجاجة (٢٩٨/٣) .

(١٠٥) – سنن ابن ماجة في الصيام ، باب : في الصوم زكاة الجسد ، حديث (١٧٤٥) من حديث أبي هريرة ، وفيه موسى بن عبيدة الترمذي وهو مجمع على ضعفه ، وانظر مصباح الزجاجة (٣٤/٢) .

[١] – ما بين المعكوفتين هذه الفقرة جاءت في خ ، ز بعد قوله : « عند الله كذابا » .

[٢] – في خ ، ز : « نتيجة » . [٣] – سقط من : خ ، وفي ز : « أي » .

[٤] – في ت : « تطفئ » .

البدن » . أي : تزكّيه وتطهره وتنقّيه من الأخلاط الرديئة طبعًا وشرعًا .

قال[١] سعيد بن جبير: من صام رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر؛ دخل في قوله: ﴿ **والصائمين والصائمات** ﴾ .

ولما كان الصوم من أكبر العون علىٰ كسر الشهوة - كما قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » (١٠٦) - ناسب أن يذكر بعده : ﴿ **والحافظين فروجهم والحافظات** ﴾ ، أي : عن المحارم والمآثم إلا عن المباح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون . إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ .

وقوله ﴿ **والذاكرين اللّٰه كثيرًا والذاكرات** ﴾ : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد اللّٰه ، حدثنا محمد بن جابر ، عن عليّ بن الأقمر ، عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللّٰه عنه - أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ، كتبا[٢] تلك الليلة من الذاكرين اللّٰه كثيرًا والذاكرات** » .

وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة (١٠٧) ، من حديث الأعمش عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بمثله .

وقال الإمام أحمد(١٠٨) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري -رضي اللّٰه عنه- أنه قال : قلت : يا رسول اللّٰه ؛ أيّ العباد أفضل درجة عند اللّٰه يوم القيامة ؟ قال : « **الذاكرون اللّٰه كثيرًا والذاكرات** » . قال[٣] : قلت : يا رسول اللّٰه ؛ ومن الغازي في سبيل اللّٰه ؟ قال : « **لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتىٰ**

(١٠٦) - تقدم تخريجه في تفسير البقرة الآية (١٨٣) .

(١٠٧) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : قيام الليل ، حديث (١٣٩٠) وفي باب : الحث على قيام الليل ، حديث (١٤٥١) ، والنسائي في قيام الليل ، باب : ثواب من استيقظ وأيقظ امرأته فصليا حديث (١٣١٠) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها باب : ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل ، حديث (١٣٣٥) من طريق شيبان عن الأعمش به .

(١٠٨) - المسند (٧٥/٣) ، وأخرجه الترمذي في الدعاء ، حديث (٣٣٧٦) عن قتيبة عن ابن لهيعة به . وقال الترمذي : حديث غريب إنما نعرفه من حديث دراج .

[١] - سقط في : ز .

[٢] - في ز ، خ: « كانا » .

[٣] - سقط من : خ .

ينكسر ويختضبَ دمًا لكان الذاكرون اللّٰه أفضل منه » .

وقال الإمام أحمد (١٠٩) : حدثنا عفان ، حدثنا [عبد الرحمن بن إبراهيم][١] ، عن العلاء ، عن أبيه، عن أبي هريرة – رضي اللّٰه عنه – قال : كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يسير في طريق مكة ، فأتىٰ علىٰ جُمْدان(*) . فقال : هذا جمدان ، سيروا فقد سبق المفرّدون قالوا : وما المُفَرّدون ؟ قال : « **الذاكرون اللّٰه كثيرًا** » . ثم قال : « **اللهم؛ اغفر للمحلقين** » . قالوا : والمقصرين ؟ قال : « **اللهم؛ اغفر للمحلقين** » . قالوا : والمقصرين ؟ قال : « **والمقصرين** » .

تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم دون آخره .

وقال الإمام أحمد(١١٠) : حدثنا حُجَين[٢] بن المثنىٰ ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن زياد بن أبي زياد – مولىٰ عبد اللّٰه بن عَيَّاش[٣] بن أبي ربيعة – أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي اللّٰه عنه ، أنه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما عمل آدميّ عملًا قطُّ أنجىٰ له من عذاب اللّٰه من ذكر اللّٰه** » .

وقال معاذ : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ألا أخبركم بخير أعمالكم [لكم][٤]، و[٥]أزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدًا[٦] فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟** » . قالوا : بلىٰ ، يا رسول اللّٰه . قال : « **ذكر اللّٰه عز وجل** » .

وقال الإمام أحمد (١١١) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زَبَّان بن فائد ، عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أن رجلًا سأله فقال : أيّ المجاهدين أعظم أجرًا يا رسول اللّٰه ؟ فقال : « **أكثرهم للّٰه ذكرًا** » . قال : فأيّ

(١٠٩) – المسند (٤١١/٢) ، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، حديث (٢٦٧٦) من طريق روح بن القاسم عن العلاء به . دون قوله : « ثم قال : اللهم اغفر للمحلقين ......الخ » .

(*) جمدان : جبل على بعد ليلة من المدينة .

(١١٠) – المسند (٢٣٩/٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦/١٠) : رجاله رجال الصحيح إلّا أن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش لم يدرك معاذًا .

(١١١) – المسند (٤٣٨/٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧/١٠) : رواه أحمد ، والطبراني ... وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف وقد وثق وكذلك ابن لهيعة ، وبقية رجاله ثقات .

[١] – ما بين المعكوفتين في خ، ز : « إبراهيم بن عبد الرحمن » .

[٢] – في ز ، خ: « حجير » .

[٣] – في ز ، خ: « عباس » .

[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٥] – سقط في : ز ، خ .

[٦] – سقط في : ز ، خ.

الصائمين أكثر أجرًا ؟ قال : « **أكثرهم لله ذكرًا** » . ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، كل ذلك يقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أكثرهم لله ذكرًا** » . فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : ذهب الذاكرون بكل خير ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أجل** » .

وسنذكر بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالىٰ في هذه السورة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا ...**﴾ الآية . إن شاء الله تعالى .

وقوله : ﴿ **أعد الله[١] لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا** ﴾ ، أي : هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ...**﴾ الآية . وذلك أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم انطلق ليخطب علىٰ فتاه زيد بن حارثة ، فدخل علىٰ زينب بنت جحش الأسدية فخطبها ، فقالت : لست بناكحته . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **بل فانكحيه** » . قالت : يا رسول الله ؛ أؤامر في نفسي ؟ فبينما هما يتحادثان أنزل الله هذه الآية علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمرًا ...**﴾ الآية . قالت : قد رضيته لي منكحًا يا رسول الله ؟ قال : نعم . قالت : إذًا لا أعصي رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قد أنكحته نفسي .

وقال ابن لهيعة ، عن ابن أبي عمرة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خطب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت(*) منه ، وقالت : أنا خير منه حسبًا - وكانت امرأة فيها حدة - فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ...**﴾ الآية كلها .

وهكذا قال مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : إنها نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ مولاه زيد بن حارثة ، فامتنعت ثم أجابت .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط ، وكانت

(*) استنكف من الشيء : امتنع عنه بكبْر .

[١] - سقط في : ز ، خ .

أول من هاجر من النساء - يعني بعد صلح الحديبية - فوهبت نفسها للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : قد قبلت . فزوجها زيد بن حارثة - يعني ، واللّٰه أعلم ، بعد فراقه زينب - فسخطت هي وأخوها وقالا : إنما أردنا رسولَ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فزوجنا عبده ، قال : فنزل القرآن : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ اللّٰه ورسوله أمرًا ...**﴾ إلىٰ آخر الآية . قال : وجاء أمر أجمع من هذا : ﴿ **النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ ، قال : فذاك خاص وهذا جماع .

وقال الإمام أحمد(١١٢) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ثابت البُناني ، عن أنس ، قال : خطب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ جُلَيْبيب امرأة من الأنصار إلىٰ أبيها ، فقال : حتىٰ أستأمر أمها . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **فنعم**[١] **إذًا** » . قال : فانطلق الرجل إلىٰ امرأته [فذكر ذلك لها][٢] ، فقالت : لاها [اللّٰه(*) ذا][٣] ، ما وجد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلا جُليبيبًا[٤] ، وقد منعناها من فلان وفلان . قال : والجارية في سترها تسمع ، قال : فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية : أتريدون أن تَرُدّوا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أمره ، إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه . قال : فكأنها جَلّت عن أبويها ، وقالا : صدقت فذهب أبوها إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : إن كنتَ رضيته فقد رضيناه . قال : « **فإني قد رضيته** » . قال : فزوجها ، ثم فزع أهل المدينة ، فركب جُلَيبيب فوجدوه قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس : فلقد رأيتها وإنها[٥] لمن أنفق(**) بيت بالمدينة .

وقال الإمام أحمد(١١٣) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن ثابت ، عن كنانة بن نعيم العدوي ، عن أبي برزة الأسلمي أن جليبيبًا كان امرءًا يدخل علىٰ النساء يَمُر بهنّ

---

(١١٢) - المسند (١٣٦/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٤٥- منتخب) عن عبد الرزاق به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧١/٩) : رواه أحمد والبزار ... ورجال أحمد رجال الصحيح .

(*) الهاء - هاهنا - داخلة في القسم على لفظ الجلالة ، وحرف القسم محذوف . وفي هذا الإسلوب لغات أخر ، وإعرابات كثيرة فانظر شرح الكافية الشافية لابن مالك (٨٥٩/٢ ، ٨٦٥، ٨٦٦)والمصباح المنير(٢/ ٦٤٤) .

(**) اسم تفضيل من النَّفاق - بفتح النون - وهو الرواج . يُقال : نفقت السلعة والمرأة نَفَاقًا : كثر طُلّابها وخُطّابها .

(١١٣) - المسند (٤٢٢/٤) ، وقد أخرجه أحمد (٤٢١/٤، ٤٢٥) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، حديث=

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « والله » .

[٤] - في ز ، خ: « جليبيب » .

[٥] - سقط في : ز .

ويلاعبهنّ ، فقلت لامرأتي : لا يدخلن اليوم عليكم جُليبيبٌ[١] ، فإنه إن دخل عليكن[٢] لأفعلن ولأفعلن. قال : وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيّم لم يزوجها حتىٰ يعلم : هل لنبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيها حاجة أم لا ؟ فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لرجل من الأنصار : « **زوجني ابنتك** » . قال : نعم ، وكرامة يا رسول اللّٰه ، ونُعْمَة عين . فقال : « **إني لست أريدها لنفسي** » . قال : فلمن [يا رسول اللّٰه][٣] ؟ قال : « **لجليبيب** » . فقال[٤] : يا رسول اللّٰه ؛ أشاور أمها . فأتىٰ أمها فقال : رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يخطب ابنتك ؟ فقالت : نعم ونُعمة عين . فقال : إنه ليس يخطبها لنفسه ، إنما يخطبها لجليبيب . فقالت : أجُلَيبيب إنيه(*) ؟ أجليبيب إنيه [٥]؟ لا ، لعمر اللّٰه لا نَزوّجه . فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها ، قالت الجارية : من خطبني إليكم ؟ فأخبرتها أمها . قالت : أتردون علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أمره ؟ ! ادفعوني إليه ، فإنه لن يضيعني . فانطلق أبوها إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : شأنك بها . فَزَوّجها جليبيبًا . قال : فخرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في غزاة له ، فلما أفاء اللّٰه عليه قال لأصحابه : « **هل تفقدون من أحد ؟** » . قالوا : نفقد فلانًا ونفقد فلانًا . قال : « **انظروا هل تفقدون من أحد ؟** » . قالوا : لا . قال : « **لكني أفقد جليبيبًا** » . قال : « **فاطلبوه في القتلىٰ** » . فطلبوه فوجدوه إلىٰ جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه . [فقالوا : يا رسول اللّٰه ، ها هو ذا إلىٰ جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه][٦] ، فأتاه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقام عليه ، فقال : « **قتل سبعة وقتلوه**[٧] ، **هذا مني وأنا منه** » - مرتين أو ثلاثًا - ، ثم وضعه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ ساعديه [وحفر له ، ما له سرير إلا ساعد النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثم][٨] وضعه في قبره ، ولم يذكر أنه غسله -رضي اللّٰه عنه- قال ثابت : فما كان في الأنصار أيّم[٩] أنفق منها . وحدث إسحاق بن عبد اللّٰه بن أبي طلحة ثابتًا : هل تعلم ما دعا لها رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؟ فقال : « **اللهم ؛ صب عليها الخير**[١٠] **صبًا ، [ولا تجعل عيشها كدًا]**[١١] » . كذا قال فما كان في الأنصار، أيمّ أنفق منها . هكذا أورده الإمام أحمد بطوله ، وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله .

= (٢٤٧٢) ، والنسائي في فضائل الصحابة (١٤٢) من طرق عن حماد بن سلمة به مختصرًا على (قصة الغزو) .

(*) لفظة تستعملها العرب في الإنكار ، يقول لك القائل : جاء زيد . فتقول أنت : أزيدُ نيه ! أو أزيدٌ إنيه ! كأنك استبعدت مجيئه . وقيل في معناها ولفظها غير ذلك ، فانظر النهاية لابن الأثير (٧٨/١ ، ٧٩) .

[١] - في ز ، خ: « جليبيبًا » .
[٢] - في ت : « عليكم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز ، خ.
[٤] - في ز ، خ: « قال » .
[٥] - كررت في ز ، خ بلفظ : « لجليبيب إنيه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط في : ز ، خ.
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز ، خ: « تأيم » .
[١٠] - سقط في : ز ، خ.
[١١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « واجعل عيشها كذا وكذا » .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب» أن الجارية لما قالت في خدرها : أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ؟ تلت هذه الآية : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ .

وقال ابن جريج : [أخبرني عامر بن مصعب ، عن طاوس ، قال : إنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر ، فنهاه ، وقرأ ابن عباس -رضي الله عنه- : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾][1] .

فهذه[2] الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء ، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول ، كما قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾ .

وفي الحديث(١١٤) : « **والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به** » . ولهذا شدد في خلاف ذلك ، فقال : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينًا** ﴾ كقوله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ .

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

يقول تعالى مخبرًا عن نبيه - صلى الله عليه وسلم -: إنه قال لمولاه زيد بن حارثة، وهو الذي ﴿ **أنعم الله عليه** ﴾ ، أي : بالإسلام ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿ **وأنعمت عليه** ﴾ ، أي : بالعتق من الرق ، وكان سيدًا كبير الشأن جليل القدر ، حبيبًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال له : الحبّ ، ويقال لابنه أسامة : الحب ابن الحبّ . قالت عائشة -رضي الله عنها- : ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمّره عليهم ، ولو عاش بعده لاستخلفه .

---

(١١٤) - تقدم تخريجه في تفسير التوبة الآية (٢٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز ، خ: « هذه » .

رواه أحمد(١١٥) ، عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد ، عن وائل بن داود ، عن عبد اللّٰه البهي ، عنها .

وقال البزار : حدثنا خالد بن يوسف ، حدثنا أبو عوانة (ح) ، وحدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو عوانة ، أخبرني عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه : حدثني أسامة بن زيد ، قال : كنت في المسجد ، فأتاني العباس وعليّ بن أبي طالب –رضي اللّٰه عنهما– فقالا : يا أسامة ؛ استأذن لنا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قال : فأتيتُ رسولَ اللّٰه فأخبرته ، فقلت : عليٌّ والعباس يستأذنان . فقال : « **أتدري ما حاجتهما ؟** » . فقلت : لا يا رسول اللّٰه . فقال : « **لكني أدري** » . قال : « **فأذن لهما** » . قالا : يا رسول اللّٰه ، جئناك لتخبرنا : أيُّ أهلك أحبُّ إليك ؟ فقال : « **أحب أهلي إليّ فاطمة بنت محمد** » . قالا : يا رسول اللّٰه ، ما نسألك عن فاطمة . قال : « **فأسامة بن زيد [ابن] حارثة ، الذي أنعم اللّٰه عليه وأنعمتُ عليه** » .

وكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قد زَوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية – وأمها أميمة بنت عبد المطلب – وأصدقها عشرة دنانير ، وستين درهمًا ، وخمارًا ، وملْحَفة ، ودرْعًا ، وخمسين مُدًّا من طعام ، وعشرة أمداد من تمر . قاله مقاتل بن حيان – فمكثتْ عنده قريبًا من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما ، فجاء زيد يشكوها إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [فجعل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][١] يقول له: « **أمسك عليك زوجك ، واتق اللّٰه** » . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللّٰه مبديه وتخشىٰ الناس واللّٰه أحق أن تخشاه** ﴾ .

ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم – هاهنا – آثارًا عن بعض السلف رضي اللّٰه عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحًا [لعدم صحتها][٢] فلا نوردها .

وقد روىٰ الإمام أحمد(١١٦) هاهنا أيضًا حديثًا ، من رواية حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، فيه غرابة تركنا سياقه أيضًا .

وقد روىٰ البخاري أيضًا(١١٧) بعضه مختصرًا فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا

---

(١١٥) – المسند (٦/٢٨١) ، وأخرجه أحمد (٦/٢٢٦، ٢٥٤) ، والنسائي في الكبرى (٨١٨٢) من طريق وائل بن داود به .

(١١٦) – المسند (٣/١٤٩، ١٥٠) عن مؤمل به سليمان عن حماد به .

(١١٧) – صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ حديث (٤٧٨٧) ، وأخرجه البخاري ايضًا في التوحيد ، باب : « وكان عرشه على الماء » حديث (٧٤٢٠) من طريق =

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط في : ز ،خ .

معلىٰ بن منصور ، عن حماد بن زيد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إن هذه الآية : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللَّه مبديه** ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة رضي اللَّه عنهما .

وقال ابن أبي حاتم (١١٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عليٌّ بن هاشم بن مرزوق ، حدثنا ابن عيينة ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان ، قال : سألني عليٌّ بن الحسين ما يقول الحسن في قوله : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللَّه مبديه** ﴾ ؟ فذكرت له فقال : لا ، ولكن اللَّه أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال : « **اتق اللَّه ، وأمسك عليك زوجك** » . فقال : قد أخبرتك أني مُزَوّجكها ، وتخفي في نفسك ما اللَّه مبديه . وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك .

وقال ابن جرير(١١٩) : حدثني إسحاق بن شاهين ، حدثني خالد عن داود ، عن عامر ، عن عائشة - رضي اللَّه عنها - أنها قالت : لو كتم محمد - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - شيئًا مما أوحي إليه من كتاب اللَّه لكتم : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللَّه مبديه وتخشىٰ الناس واللَّه أحق أن تخشاه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فلما قضىٰ زيد منها وطرًا زوجناكها** ﴾ ، الوطر : هو الحاجة والأرب ، أي : لما فَرَغ منها وفارقها زَوّجناكها ، وكان الذي وَلي تزويجها منه هو[١] اللَّه - عز وجل - بمعنىٰ : أنه أوحىٰ إليه أن يدخل عليها بلا وليّ ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر .

قال الإمام أحمد(١٢٠) : حدثنا هاشم - يعني : ابن القاسم - أبو[٢] النضر ، حدثنا سليمان ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس - رضي اللَّه عنه - قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لزيد بن حارثة : « **اذهب فاذكرها عليّ** » فانطلق حتىٰ أتاها وهي تُخَمّر عجينها ، قال : فلما رأيتها عظمت في صدري ، حتىٰ ما أستطيع أن أنظر إليها ؛أنّ

= أبي بكر المقدمي عن حماد بن زيد به نحوه .

(١١٨) - أخرجه الطبري (١٣/٢٢) ، والبيهقي في الدلائل (٤٦٦/٣) من طريق سفيان بن عيينة به وليس فيه عند ابن جرير ذكر الحسن . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٤/٥) أيضًا إلى الحكيم الترمذي .

(١١٩) - تفسير الطبري (١٣/٢٢) ، وأخرجه أحمد في المسند (٢٤١/٦) ومسلم في الإيمان ، حديث (١٧٧) (٢٢٨) من طريق داود به .

(١٢٠) - المسند (١٩٥/٣) ، وفيه حدثنا بهز ، حدثنا هاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة به . وأخرجه مسلم في النكاح ، حديث (١٤٢٨) ، والنسائي في النكاح ، باب : صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها (٧٩/٦) وفي الكبرى (٥٣٩٩) ، (١١٤١٠) من طريق سليمان بن المغيرة به .

---

[١] - سقط في : ز ، خ. [٢] - في ز : « أبا » .

رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت علىٰ عقبي ، وقلت : يا زينب ؛ أبشري ، أرسلني رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئًا حتىٰ أؤامر ربي عز وجل . فقامت إلىٰ مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن . ولقد رأيتنا حين دَخَلْتُ علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واتبعته[١] فجعل يَتَبَّع[٢] حُجر نسائه يسلم عليهن ، ويقلن : يا رسول اللَّه ؛ كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أُخبِرَ - قال : فانطلق حتىٰ دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقىٰ الستر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووُعظَ القوم بما وعظوا به : ﴿ **لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم...** ﴾ الآية . [ ][٣] .

ورواه[٤] مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به .

وقد روىٰ البخاري(١٢١) - رحمه اللَّه - عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - أن زينب بنت جحش كانت تفخر علىٰ أزواج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فتقول : زوجكنّ أهاليكنّ وزوجني اللَّه من فوق سبع سموات .

وقد قدمنا في « سورة النور » عن محمد بن عبد اللَّه بن جحش قال : تفاخرت زينب وعائشة ، فقالت زينب -رضي اللَّه عنها- : أنا التي نزل[٥] تزويجي من السماء . وقالت عائشة : أنا التي نزل عذري من السماء . فاعترفت لها زينب رضي اللَّه عنها .

وقال ابن جرير(١٢٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، قال[٦] : كانت زينب تقول للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : إني لأُدِلُّ عليكَ بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن : إن جدي وجدك واحد ، وإني أنكحنيك اللَّه من السماء ، وإن السفير جبريل عليه السلام .

وقوله : ﴿ **لكيلا يكون علىٰ المؤمنين حَرَج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا** ﴾ ، أي : إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك ، لئلا يبقىٰ حرج علىٰ المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء ، وذلك أنّ رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنىٰ زيد بن حارثة ،

---

(١٢١) - صحيح البخاري في التوحيد ، باب : « وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم » ، حديث (٧٤٢١) من حديث عيسى بن طمهان عن أنس به .

(١٢٢) - تفسير الطبري (١٤/٢٢) ، وأخرجه الحاكم (٢٥/٢) من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي نحوه.

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز ، خ: « يَتَّبِع » .

[٣] - في ت : به .

[٤] - في ت : « رواه » .

[٥] - سقط من : ز ، خ.

[٦] - في ز : « قالت » .

فكان يقال له : « زيد بن محمد » ، فلما قطع اللَّه هذه النسبة بقوله تعالىٰ : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم واللَّه يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللَّه** ﴾ ، ثم زاد ذلك بيانًا وتأكيدًا بوقوع تزويج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بزينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة ولهذا قال في آية التحريم : ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ ليحترز من الابن الدعي ؛ فإن ذلك كان كثيرًا فيهم .

وقوله : ﴿ **وكان أمر اللَّه مفعولًا** ﴾ أي : وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره اللَّه تعالىٰ وحتَّمه ، وهو كائن لا محالة ، كانت زينب في علم اللَّه ستصير من أزواج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ما كان علىٰ النبي من حرج فيما فرض اللَّه له** ﴾ ، أي : فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها دَعيه زيد بن حارثة .

وقوله : ﴿ **سنة اللَّه في الذين خلوا من قبل** ﴾ ، أي : هذا حكم اللَّه في الأنبياء قبله ، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حَرَج ، وهذا رَدٌّ علىٰ من تَوهم من المنافقين نقصًا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودَعيه الذي كان قد تبناه .

﴿ **وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا** ﴾ ، أي : وكان أمره الذي يقدره كائنًا لا محالة ، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

يمدح تعالىٰ : ﴿ **الذين يبلغون رسالات اللَّه** ﴾ ، أي : إلىٰ خلقه ويؤدونها[١] بأمانتها ، ﴿ **ويخشونه** ﴾ أي : يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه ، فلا تمنعهم[٢] سطوة أحد عن إبلاغ رسالات اللَّه ، ﴿ **وكفىٰ باللَّه حسيبًا** ﴾ ، أي : وكفىٰ باللَّه ناصرًا ومعينًا . وسيد الناس في هذا المقام -

---

[١] - في ز ، خ: « ويؤديها » .

[٢] - في ز ، خ: « يمنعهم » .

بل وفي كل مقام - محمد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلىٰ أهل المشارق والمغارب ، إلىٰ جميع أنواع بني آدم ، وأظهر اللَّه كلمته ودينه وشرعه علىٰ جميع الأديان والشرائع ، فإنه قد كان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة ، وأما هو - صلوات اللَّه وسلامه عليه - فإنه بعث إلىٰ جميع الخلق عربهم وعجمهم ، ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول اللَّه إليكم جميعًا** ﴾، ثم ورَّث مقام البلاغ عنه أمته من بعده ، فكان أعلىٰ من قام بها بعده أصحابه - رضي اللَّه عنهم - بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، في ليله ونهاره ، وحَضره وسفره ، وسره وعلانيته ، فرضي اللَّه عنهم وأرضاهم . ثم ورثه كُلّ خلف عن سلفهم إلىٰ زماننا هذا ، فبنورهم يقتدي المهتدون ، وعلىٰ منهجهم يسلك الموفقون . فنسأل اللَّه الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم .

قال الإمام أحمد(١٢٣) : حدثنا ابن نمير ، أخبرنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي البَخْتَرِيّ ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **لا يَحْقرن أحدكم نفسه أن يرىٰ أمر اللَّه فيه مقال ثم لا يقوله ، فيقول اللَّه : ما يمنعك أن تقول فيه**[١] **؟ فيقول : رب ، خشيت الناس ، فيقول : فأنا أحق أن يخشىٰ** » .

ورواه أيضًا عبد الرزاق عن الثوري عن زبيد عن عمرو بن مرة .

ورواه ابن ماجة عن أبي كريب عن عبد اللَّه بن نمير وأبي معاوية كلاهما عن الأعمش به .

وقوله : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم** ﴾ ، نهىٰ أن يقال بعد هذا : « **زيد بن محمد** » ، أي : لم يكن أباه وإن كان قد تبناه ، فإنه - صلوات اللَّه عليه وسلامه - لم يعش له ولد ذكر حتىٰ بلغ الحلم ، فإنه ولد له القاسم ، والطيب ، والطاهر ، من خديجة فماتوا صغارًا ، وولد له إبراهيم من مارية القبطية ، فمات أيضًا رضيعًا . وكان له من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي اللَّه عنهم أجمعين - فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتىٰ أصيبت به - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - ثم ماتت بعده لستة أشهر .

وقوله : ﴿ **ولكن رسول اللَّه وخاتم النبيين وكان اللَّه بكل شيء عليمًا** ﴾ كقوله : ﴿ **اللَّه أعلم حيث يجعل رسالاته** ﴾ فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا

(١٢٣) - المسند (٣/٣٠) ، وأخرجه ابن ماجة في الفتن ، باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث (٤٠٠٨) وعبد بن حميد (٩٧١منتخب) من طريق الأعمش به .
ورواه عبد االرزاق ، وعنه أحمد في المسند (٣/٤٧، ٧٣) عن سفيان الثوري عن زبيد عن عمرو بن مرة به وأخرجه عبد بن حميد (٩٧٢) عن أبي نعيم عن سفيان به .

[١] - في ز ، خ: « منه » .

رسول بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ، ولا ينعكس . وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة .

قال الإمام أحمد(١٢٤) : حدثنا أبو عامر الأزدي ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **مثلي في النبيين كمثل رجل بنىٰ دارًا فأحسنها[١] وأكملها ، وترك فيها موضع لَبنة لم يَضَعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ! فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة** » . ورواه الترمذي عن بندار عن أبي عامر العقدي به ، وقال : حسن صحيح .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (١٢٥) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا المختار بن فُلفُل ، [قال][٢] حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ولا نبي** » . قال : فشَقّ ذلك علىٰ الناس ، قال : « **ولكن المبشرات** » . قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ وما المبشرات ؟ قال : « **رؤيا الرجل المسلم ، وهي[٣] جزء من أجزاء النبوة** » .

وهكذا روىٰ الترمذي ، عن الحسن بن محمد الزعفراني ، عن عفان بن مسلم ، به ، وقال : صحيح غريب من حديث المختار بن فُلفل .

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي(١٢٦) : حدثنا سَليم بن حَيّان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد اللّٰه ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنىٰ دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لَبِنَة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ! فأنا موضع اللبنة ، ختم بي الأنبياء عليهم السلام** » .

---

(١٢٤) - المسند (١٣٦/٥) وفيه قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، وأبو عامر قالا : حدثنا زهير محمد به . وأخرجه الترمذي في المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ ، حديث (٣٦١٣) عن محمد بن بشار عن أبي عامر به .

(١٢٥) - المسند (٢٦٧/٣) ، وأخرجه الترمذي في الرؤيا ، باب : ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ، حديث (٢٢٧٢) عن الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به .

(١٢٦) - وأخرجه البخاري في المناقب باب : خاتم النبيين ﷺ ، حديث (٣٥٣٤) ، ومسلم في الفضائل ، حديث (٢٢٨٧) ، والترمذي في الأمثال ، باب : ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله ، حديث (٢٨٦٢) ، من طريق سليم بن حيان به .

---

[١] - في خ ، ز : « فأحكمها » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٣] - في ز ، خ: « وهو » .

ورواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، من طرق ، عن سليم بن حيان ، به . وقال الترمذي : صحيح غريب من هذا الوجه .

[حديث آخر][١] قال الإمام أحمد (١٢٧) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **مثلي ومثل النبيين [من قبلي][٢] كمثل رجل بنىٰ دارًا فأتمها إلا لبنة واحدة ، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة** » .

انفرد بإخراجه مسلم من رواية الأعمش به .

(حديث آخر) قال أحمد(١٢٨) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عثمان ابن عُبيد الراسبي ، قال[٣] : سمعت أبا الطفيل قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا نبوة بعدي إلا المبشرات** » . قال : قيل : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : « **الرؤيا الحسنة** » . أو قال : « **الرؤيا الصالحة** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (١٢٩) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن هَمَّام بن مُنبه ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنىٰ بيوتًا فأحسنها وأكملها وأجملها ، إلا موضع لَبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون : ألا وَضَعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك ؟ !** » . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فكنت أنا اللبنة** » . أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

(حديث آخر ، عن أبي هريرة أيضًا) قال الإمام مسلم (١٣٠) : حدثنا يحيىٰ بن أيوب وقتيبة وعليّ بن حجر[٤] ، قالوا : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **فُضلت علىٰ الأنبياء بست** :

---

(١٢٧) - المسند (٣/٩) ، وأخرجه مسلم في الفضائل ، حديث (٢٢٨٦) (٢٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب عن أبي معوية به .

(١٢٨) - المسند (٥/٤٥٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦/٧) : رجاله ثقات .

(١٢٩) - المسند (٣١٢/٢) ، وأخرجه مسلم في الفضائل ، حديث (٢٢٨٦٩ (٢١) عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به . والحديث ليس عند البخاري من طريق عبد الرزاق إنما رواه من غير طريقه .

(١٣٠) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٢٣) ، وأخرجه أحمد (٤١١/٢) ، والترمذي في السير ، باب : ما جاء في الغنيمة حديث (١٥٥٣) ، وابن ماجة في الطهارة وسننها ، ما =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط في : ز ، خ.
[٤] - في خ ، ز : « محمد » .

أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا ، وأرسلت إلىٰ الخلق كافة ، وختم بي النبيون » . ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث إسماعيل بن جعفر ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(حديث آخر) قال الإِمام أحمد (١٣١) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنىٰ دارًا فأتمها[١] إلا موضع لبنة واحدة[٢] ، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة** » .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب كليهما[٣] عن أبي معاوية به .

(حديث آخر) قال الإِمام أحمد(١٣٢) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُوَيد الكلبي ، عن عبد الأعلىٰ بن هلال السلمي ، عن العرباض بن سارية قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني عند اللّٰه لخاتم[٤] النبيين وإن آدم لمنجدل(*) في طينته** » .

(حديث آخر) قال الزهري : أخبرني محمد بن جبير[٥] بن مطعم ، عن أبيه - رضي اللّٰه عنه - قال : سمعت رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - يقول : « **إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو اللّٰه بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علىٰ قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي** » . أخرجاه في الصحيحين(١٣٣) .

وقال الإِمام أحمد (١٣٤) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عبد اللّٰه بن

= جاء في السبب من حديث (٥٦٧) مختصرًا - من طريق العلاء بن عبد الرحمن به .

(١٣١) - تقدم تخريجه في رقم (١٣٥)

(١٣٢) - المسند (١٢٧/٤) وفي المطبوع منه : « سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الله بن هلال السلمي » ثم رواه أحمد عن أبي العلاء وهو الحسين بن سوار عن ليث عن معاوية عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن عرباض بن سارية .

(*) أي ملقى على الجندلة وهي الأرض .

(١٣٣) - صحيح البخاري في المناقب ، باب : ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، حديث (٣٥٣٢) ، وفي التفسير ، باب : سورة الصف ، حديث (٤٨٩٦) ، ومسلم الفضائل ، حديث (٢٣٥٤) من طريق الزهري به .

(١٣٤) - المسند (١٧٢/٢، ٢١٢) (٦٦٠٧، ٦٩٨١- شاكر) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط في : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « كلاهما » .

[٤] - في ز، خ : « خاتم » .

[٥] - في خ ، ز : « حسين » .

هُبيرة ، عن عبد الرحمن بن جبير ، قال : سمعت عبد اللّٰه بن عمرو يقول : خرج علينا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومًا كالمودّع ، فقال : « **أنا محمد النبيّ[١] الأميّ - ثلاثًا - ولا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه ، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش ، وتجوز بي ، [وعُوفيتُ وعُوفيتْ][٢] أمتي ؛ فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذُهب بي فعليكم بكتاب اللّٰه ، أحلوا حلاله وحرموا حرامه** » . تفرد به الإمام أحمد .

ورواه أحمد أيضًا(١٣٥) عن يحيىٰ بن إسحاق ، عن ابن لهيعة ، عن عبد اللّٰه بن هُبيرة ، عن عبد اللّٰه(*) بن مريج[٣] الخولاني عن أبي قيس - مولى عمرو بن العاص - عن عبد اللّٰه بن عمرو ، فذكر مثله سواء .

والأحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة اللّٰه تعالىٰ بالعباد إرسال محمد - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - إليهم ، ثم من تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له . وقد أخبر تعالىٰ في كتابه ، ورسوله في السنة المتواترة عنه : أنه لا نبي بعده ليعلموا[٤] أن كل من ادعىٰ هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك ، دجال ضال مضل ، ولو تخرق[٥](**) وشعبذ ، وأتىٰ بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيّات(***) ، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب ، كما أجرىٰ اللّٰه سبحانه وتعالىٰ علىٰ يدي[٦] الأسود العَنْسي باليمن ، ومسيلمة الكذاب باليمامة ، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ، ما علم كل ذي لب وفهم وحجىً أنهما كاذبان ضالان ، لعنهما اللّٰه . وكذلك كل مدع لذلك[٧] إلىٰ يوم القيامة حتىٰ يختموا بالمسيح الدجال ، يخلق اللّٰه معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها . وهذا من تمام لطف اللّٰه تعالىٰ بخلقه ، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا علىٰ سبيل الاتفاق ، أو لما لهم فيه من المقاصد إلىٰ غيره ، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هل أنبئكم علىٰ من تنزل الشياطين . تنزل علىٰ كل أفاك أثيم** ...﴾ الآية . وهذا بخلاف حال الأنبياء - عليهم السلام - فإنهم في غاية البر والصدق

---

(١٣٥) - المسند (١٧٢/٢) (٦٦٠٦- شاكر) .

(*) كذا ، وقد أورده كل من ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٨٧/٥) والذهبي في الميزان (٣٠٣/٣) ، وابن حجر في اللسان (٥٢٩/٣) : عبد الرحمن ، وكلاهما صحيح .

(**) تخرق الكذب : اختلقه .

(***) قال في القاموس : النِّيرَج : أخذ كالسحر .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وعرفت وعرفت »[٣] - في خ ، ز : « سريج » .

[٤] - في ز ، خ: « لتعلموا » . [٥] - في ز : « تحرق » .

[٦] - في ت : « يد » . [٧] - في ز ، خ: « كذلك » .

والرشد والاستقامة فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات ، والأدلة الواضحات ، والبراهين الباهرات . فصلوات الله وسلامه عليهم دائمًا مستمرًا مادامت الأرض والسماوات .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالىٰ المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن ، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب ، وجميل المآب .

قال الإمام أحمد(١٣٦) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عبد الله بن سعيد ، حدثني[١] مولىٰ ابن عياش ، عن أبي بَحرية ، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء[٢] الذهب والوَرِق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟** » . قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « **ذكر الله عز وجل** » .

وهكذا رواه الترمذي وابن ماجة ، من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن زياد - مولىٰ ابن عياش - عن أبي بَحريّة - واسمه عبد الله بن قيس التراغمي - عن أبي الدرداء به .

قال الترمذي : ورواه بعضهم عنه فأرسله .

قلت : وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالىٰ : ﴿ **والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات** ﴾ في مسند أحمد ، من حديث زياد بن أبي زياد مولىٰ عبد الله بن عَيّاش أنه بلغه عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، بنحوه[٣] ، فالله أعلم .

---

(١٣٦) المسند (١٩٥/٥) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الدعاء ، باب : منه (٥ / ٤٥٩ / رقم : ٣٣٧٧) . وابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : فضل الذكر (٢ / ١٢٤٥ / رقم : ٣٧٩٠) . كلاهما من طريق عبد الله ابن سعيد بن أبي هند ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي بحرية به .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ: « إنفاق » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد (١٣٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا فرج[١] بن فضالة ، عن أبي سعيد[٢] الحمصي، قال[٣] : سمعت أبا هريرة يقول : دعاء سمعته[٤] من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لا أدعه : « **اللهم؛ اجعلني أعظم شكرَك ، وأتبع نصيحتك ، وأكثر ذكرك ، وأحفظ وصيتك** » .

ورواه الترمذي(١٣٨) عن يحيىٰ بن موسىٰ ، عن وكيع ، عن أبي فضالة الفرج بن فضالة ، عن أبي سعيد الحمصي عن أبي هريرة فذكر مثله وقال : غريب .

وهكذا رواه الإمام أحمد أيضًا عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن فرج بن فضالة ، عن أبي سعيد المدني[٥] ، عن أبي هريرة فذكره (١٣٩) .

وقال الإمام أحمد (١٤٠) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن عمرو ابن قيس ، قال : سمعت عبد اللَّه بن بُسْر[٦] يقول : جاء أعرابيان إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال أحدهما : يا رسول اللَّه ، أيّ الناس خير ؟ قال : « **من طال عمره وحسن عمله** » . وقال الآخر : يا رسول اللَّه ؛ إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا ، فمرني بأمر أتشبث به . قال : « **لا يزال لسانك رطبًا بذكر اللَّه** » .

وروىٰ الترمذي وابن ماجة الفصل الثاني (١٤١) ، من حديث معاوية بن صالح به . وقال الترمذي : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد (١٤٢) : حدثنا سُرَيج ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ،

---

(١٣٧) المسند (٢/٤٧٧) .

(١٣٨) سنن الترمذي برقم (٣٦٠٤) .

(١٣٩) المسند (٢/٣١١) .

(١٤٠) المسند (٤/١٩٠) . أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب : ما جاء في طول العمر للمؤمن (٤/ ٤٨٩) حديث (٢٣٢٩) . وحديث ٣٣٧٥ . وابن ماجه في الأدب ، باب : فضل الذكر (٢/١٢٤٦) حديث ٣٧٩٣ . والبيهقي في كتاب الجنائز ، باب : طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (٣/٣٧١) . وأبونعيم في الحلية (٩/٥١) .

(١٤١) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٥) ، وسنن ابن ماجة برقم (٣٧٩٣) .

(١٤٢) المسند (٣/٦٨) ، وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٣/٨١٧) ، وابن عدي في « الكامل » =

---

[١] - في ز ، خ: « روح » .

[٢] - في خ ، ز : « سعد » .

[٣] - سقط في : ز ، خ.

[٤] - في ز ، خ: « سمعه » .

[٥] - في خ ، ز : «المري » .

[٦] - في ز ،خ: « بشر » .

قال[١] : إنّ دَرّاجًا أبا السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **أكثروا ذكر الله حتىٰ يقولوا : مجنون** » .

وقال الطبراني (١٤٣) : حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا عقبة بن مُكرم العَمّي ، حدثنا سعيد ابن سفيان[٢] الجحدري ، حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن عقبة بن أبي ثُبيت[٣] الراسبي ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اذكروا الله[٤] ذكرًا كثيرًا حتىٰ[٥] يقول المنافقون : تراءون[٦]** » .

وقال الإمام أحمد (١٤٤) : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي، سمعت أبا الوازع[٧] جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من قوم جلسوا مجلسًا لم يذكروا الله فيه ، إلا رأوه[٨] حسرة يوم القيامة** » .

وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ **اذكروا الله ذكرًا كثيرًا** ﴾: إن الله لم يفرض [علىٰ عباده][٩] فريضة إلا [جعل لها حدًّا معلومًا ، ثم][١٠] عذر أهلها في حال عذر ، غير الذكر[١١] ، فإن الله لم يجعل له حدًّا[١٢] ينتهي إليه[١٣] ، ولم يعذر أحدًا[١٤] في تركه ، إلا مغلوبًا علىٰ تركه ، فقال : ﴿ **فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبكم** ﴾ ، بالليل والنهار ، [في البر والبحر][١٥] ، وفي السفر والحضر ، والغنىٰ والفقر ، والصحة والسقم ، والسر

= (٩٨٠/٣) . والحاكم في « المستدرك » (٤٩٩/١) وصححه ، وسكت عنه الذهبي . من طريقين عن عبد الله ابن وهب به . وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٢٥) ، وأبو يعلى في « مسنده » رقم (١٣٧٦) . من طريق الحسن بن موسى قال : حدثنا ابن لهيعة عن دراج به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧٨/١٠-٧٩) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى وفيه دراج وقد ضعفه جماعة ، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في « الضعيفة » (٥١٧) .

(١٤٣) المعجم الكبير للطبراني (١٦٩/١٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧٦٠/١٠) : « فيه الحسين بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف » .

(١٤٤) المسند (٢٢٤/٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨٠/١٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - سقط في : ز، خ .
[٢] - في ز ، خ: « سفر » .
[٣] - في ز ، خ: « نبيب » .
[٤] - سقط في : ز ، خ.
[٥] - بياض في : ز ، خ.
[٦] - في ز ، خ: « يراءون » .
[٧] - في ز ، خ: « الورع » .
[٨] - في خ ، ز : « زاده » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز ، خ.
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١١] - في ز ، خ: « الذاكر » .
[١٢] - في ز ، خ: « حد » .
[١٣] - سقط من : ز ،خ .
[١٤] - في ز ، خ : « حد » .
[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز .

والعلانية، وعلىٰ كل حال، وقال: ﴿ **وسبحوه بكرة وأصيلًا** ﴾. فإذا[١] فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته.

والأحاديث والآيات والآثار في الحث علىٰ ذكر الله كثيرة جدًا، وفي هذه الآية الكريمة الحث علىٰ الإكثار من ذلك، وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي[٢] والمعمري وغيرهما، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب « **الأذكار** » للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالىٰ.

وقوله: ﴿ **وسبحوه بكرة وأصيلًا** ﴾ أي: عند الصباح والمساء، كقوله: ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيًا وحين تظهرون** ﴾.

وقوله: ﴿ **هو الذي يصلي عليكم وملائكته** ﴾، هذا تهييج إلىٰ الذكر، أي: إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله تعالىٰ: ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: « **يقول الله: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم** »(١٤٥).

والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة. حكاه البخاري عن أبي العالية، ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه. وقال غيره: الصلاة من الله الرحمة وقد يقال: لا منافاة بين القولين والله أعلم.

وأما الصلاة من الملائكة فبمعنىٰ الدعاء للناس والاستغفار، كقوله: ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم [ويؤمنون به][٣] ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات** ﴾ الآية.

وقوله: ﴿ **ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور** ﴾، أي: بسبب رحمته بكم[٤] وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلىٰ نور الهدىٰ واليقين، ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيمًا** ﴾، أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه هداهم إلىٰ الحق الذي جهله

---

(١٤٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

---

[١] - في ت: « وإذا ».
[٢] - في ز، خ: « كالنسى ».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط في: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: « لكم ».

غيرهم ، وبَصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه مَن سواهم من الدعاة إلىٰ الكفر أو البدعة وأشياعهم من الطغام (*) . وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر ، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار ، وما ذاك إلا لمحبته[١] لهم ورأفته بهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عديّ ، عن حميد ، عن أنس رضي اللَّه عنه قال : مر رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - في نفر من أصحابه وصبي في الطريق ، فلما رأت أمه القوم خشيت علىٰ ولدها أن يوطأ ، فأقبلت تسعىٰ وتقول : ابني ! ابني ! وَسَعَت فأخذته ، فقال القوم : يا رسول اللَّه ، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار . قال : فَخَفَّضهم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وقال : « **لا واللَّه لا يلقي حبيبه في النار** » .

إسناده علىٰ شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة (١٤٦) ، ولكن في صحيح الإمام البخاري ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم رأىٰ امرأة من السبي قد أخذت صبيًا لها ، فألصقته إلىٰ صدرها ، وأرضعته فقال : « **أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر علىٰ ذلك ؟** » . قالوا : لا . قال : « **فواللَّه للَّه أرحم بعباده من هذه بولدها** » (١٤٧) .

وقوله : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾ ، الظاهر أن المراد - واللَّه أعلم - ﴿ **تحيتهم** ﴾ أي : من اللَّه تعالىٰ يوم يلقونه ﴿ **سلام** ﴾ ، أي : يوم يسلم عليهم كما قال تعالىٰ : ﴿ **سلام قولًا من رب رحيم** ﴾ .

وزعم قتادة أن المراد أنهم يتحون[٢] بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون اللَّه في الدار الآخرة ، واختاره ابن جرير .

قلت : وقد يستدل له بقوله تعالىٰ : ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد للَّه رب العالمين** ﴾ .

(*) الطغام : أراذل الناس وأوساخهم .

(١٤٦) المسند (١٠٤/٣) . ورواه الحاكم (١٧٧/٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورواه الحاكم أيضًا (٥٨/١) وقال : صحيح علىٰ شرط الشيخين . ورواه أحمد ١٣٤٩٢ - (٢٣٥/٣) . وأبو يعلى حديث ٣٧٤٨ - (٣٩٨/٦) . وذكره في مجمع الزوائد (٣٨٣/١٠) وقال : رواه أحمد والبزار بنحوه وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح .

وللحديث شاهد من حديث عمر بن الخطاب عند البخاري في كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته حديث ٥٩٩٩ .

(١٤٧) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٩) .

---

[١] - في ز : « لهبته » . [٢] - في ت : « يحيي » .

وقوله : ﴿ وأعد لهم أجرًا كريمًا ﴾ ، يعني : الجنة وما فيها من المآكل والمشارب ، والملابس والمساكن ، والمناكح والملاذ والمناظر ، وما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾

قال الإمام أحمد(١٤٨) : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا فُليح بن سليمان ، عن هلال بن عليّ ، عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة . قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ، وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل [لست بفظّ][١] ولا غليظ ولا سخاب[٢] [في الأسواق][٣] ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله[٤] حتى [يقيمَ به][٥] الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا .

وقد رواه البخاري في « البيوع » عن محمد بن سنان ، عن فليح بن سليمان ، عن هلال ابن عليّ ، به . ورواه في التفسير عن عبد الله - قيل : ابن رجاء ، وقيل : ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو ، به . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن رجاء ، عن عبد العزيز بن [أبي سلمة][٦] الماجشون به .

وقال البخاري في البيوع : وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام .

وقال وهب بن منبه : إن الله أوحى إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل - يقال له : شعياء - : « أن قم في قومك بني إسرائيل ، فإني[٧] منطق لسانك بوحي وأبعث أميًا من الأميين ، أبعثه

(١٤٨) المسند (٢/١٧٤) وصحيح البخاري برقم (٢١٢٥) ورقم (٤٨٣٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لا فظّ » .
[٢] - في ت : « صخاب » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالأسواق » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « يقيموا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٧] - في ت : « إني » .

ليس بفظّ ولا غليظ ولا سخاب[١] [بالأسواق][٢] ، لو يمر إلىٰ جنب سراج لم يطفئه ، من سكينته ، ولو يمشي علىٰ القصب لم يسمع من تحت قدميه[٣] ، أبعثه مبشرًا ونذيرًا ، لا يقول الخنا ، أفتح به أعينًا كُمهًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا ، أسَدده لكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوىٰ ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدىٰ إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمدَ اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخَمَالة ، وأعرف به بعد النُّكْرَة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العَيْلَة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فئامًا من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاءت به رسلي ، ألهمهم التسبيح والتحميد ، والثناء والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم، ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم ، يصلون لي قيامًا وقعودًا ، ويقاتلون في سبيل الله صفوفًا وزحوفًا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفًا ، يطهرون الوجوه والأطراف ، ويشدون الثياب في الأنصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، أعز من نصرهم ، وأؤيد من دعا لهم ، وأجعل دائرة السوء علىٰ من خالفهم أو بغىٰ عليهم ، أو أراد أن ينتزع شيئًا مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلىٰ ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم ، أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ، ذلك فضلي أوتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم » .

هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني -رحمه الله .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن عبيد الله العَرْزَميّ[٤] ، عن شيبان النحوي ، أخبرني قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت : ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا** ﴾ - وقد كان أمر عليًّا ومعاذًا أن يسيرا إلىٰ اليمن - فقال : « **انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل عليّ : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ﴾** » .

ورواه الطبراني(١٤٩) عن محمد بن نصر بن حميد البزاز البغدادي ، عن عبد الرحمن بن

(١٤٩) المعجم الكبير (٣١٢/١١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٧) : « وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف » .

[١] - في ت : « صخاب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « في الأسواق» .

[٣] - في ز ، خ: « قدمه » .

[٤] - في خ ، ز : « القرشي » .

صالح الأزدي ، عن عبد الرحمن [بن محمد][١] بن عبيد الله العرزمي ، بإسناده مثله ، وقال في آخره : « **فإنه قد أنزل عليّ : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا علىٰ أمتك ومبشرًا بالجنة ، ونذيرًا من النار ، وداعيًا إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه ، وسراجًا منيرًا بالقرآن** » .

وقوله : ﴿ **شاهدًا** ﴾ ، أي : للّه بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره ، وعلىٰ الناس بأعمالهم يوم القيامة ، ﴿ **وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدًا** ﴾ ، [كقوله : ﴿ **لتكونوا شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا** ﴾][٢] .

وقوله : ﴿ **ومبشرًا ونذيرًا** ﴾ ، أي : بشيرًا للمؤمنين بجزيل الثواب ، ونذيرًا للكافرين من وبيل العقاب .

وقوله : ﴿ **وداعيًا إلىٰ الله بإذنه** ﴾ ، أي : داعيًا للخلق إلىٰ عبادة ربهم عن أمره لك بذلك ، ﴿ **وسراجًا منيرًا** ﴾ ، أي : وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق ، كالشمس في إشراقها وإضاءتها ، لا يجحدها إلا معاند .

وقوله : ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم** ﴾ ، أي : لا تطعهم وتسمع[٣] منهم في الذي يقولونه ، ﴿ **ودع أذاهم** ﴾ ، أي : اصفح وتجاوز عنهم ، وكِلْ أمرهم إلىٰ الله ، فإن فيه كفايةً لهم ، ولهذا قال : ﴿ **وتوكل علىٰ الله وكفىٰ بالله وكيلًا** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة ، منها : إطلاق النكاح علىٰ العقد وحده ، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح : هل هو حقيقة في العقد وحده ، أو في الوطء ، أو فيهما ؟ علىٰ ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده ، إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده ، لقوله : ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهنّ** ﴾ ، وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها .

وقوله : ﴿ **المؤمنات** ﴾ خرج مخرج الغالب ؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق ، وقد استدل ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعليّ بن الحسين زين العابدين ، وجماعة من السلف بهذه الآية علىٰ أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح ، لأن الله تعالىٰ قال : ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن** ﴾ ، فعقب النكاح بالطلاق ، فدل علىٰ أنه لا يصح ولا يقع قبله . وهذا مذهب الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وطائفة كبيرة[٤] من

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز ، خ: « اسمع » .
[٤] - في ت : « كثيرة » .

السلف والخلف رحمهم اللّٰه تعالىٰ .

وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما اللّٰه إلىٰ صحة الطلاق قبل النكاح ؛ فيما إذا قال : إن تزوجت فلانة فهي طالق . فعندهما متىٰ تزوجها طلقت منه . واختلفا فيما إذا قال : كل امرأة أتزوجها فهي طالق . فقال مالك : لا تطلق حتىٰ يعين المرأة . وقال أبو حنيفة - رحمه اللّٰه - : كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه . فأما الجمهور فاحتجوا علىٰ عدم وقوع الطلاق بهذه الآية .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور المروزي ، حدثنا النضر بن شميل ، حدثنا يونس - يعني : ابن أبي إسحاق - سمعت آدم مولىٰ خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :[إذا قال][١] : كل امرأة أتزوجها فهي طالق . قال : ليس بشيء من أجل أن اللّٰه تعالىٰ يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن** ...﴾ الآية .

وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن مطر ، عن الحسن بن مسلم بن يَنّاق[٢] ، عن ابن عباس ، قال : إنما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن** ﴾ ، ألا ترىٰ أن الطلاق بعد النكاح .

وهكذا روىٰ محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال اللّٰه : ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن** ﴾ فلا طلاق [قبل النكاح][٣] .

وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك** » (١٥٠) . رواه الإمام أحمد والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب . وهكذا روىٰ ابن ماجة عن عليّ ، والمسور بن مخرمة عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **لا طلاق قبل نكاح** » (١٥١) .

---

(١٥٠) المسند (٢/١٨٩) ، وسنن الترمذي برقم (١١٨١) ، وسنن أبي داود برقم (٢١٩١) ، وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٤٧) .

(١٥١) سنن ابن ماجه برقم (٢٠٤٨) من طريق علي بن الحسين ، عن هشام بن سعد، عن الزهري ، عن عروة، عن المسور ، به . وقال البوصيري في الزوائد (٢/١٣٢) : « هذا إسناد حسن ، علي بن الحسين ، وهشام بن سعد مختلف فيهما » . وبرقم (٢٠٤٩) من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن النزال بن سبرة ، عن علي ، به . وقال البوصيري في الزوائد (٢/١٣٢) : « هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف جويبر بن سعيد البجلي ، لكن لم ينفرد به جويبر ، فقد رواه البيهقي في الكبرى (٧/٣٢٠) من طريق معاذ العنبرى =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز ، خ : « نيّاق » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقال : ﴿ **فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** ﴾ ، هذا أمر مجمع عليه بين العلماء : أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت ، ولا يستثنىٰ من هذا إلا المتوفىٰ عنها زوجها ، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرًا ، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضًا .

وقوله : ﴿ **فمتعوهن وسرحوهن سراحًا جميلًا** ﴾ المتعة هاهنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمىٰ ، أو المتعة الخاصة ، إن لم يكن قد سمىٰ لها ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم** ﴾ وقال : ﴿ **لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن علىٰ الموسع قدره وعلىٰ المقتر قدره متاعًا بالمعروف حقًّا علىٰ المحسنين** ﴾ .

وفي صحيح البخاري ، عن سهل بن سعد وأبي أُسيد أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تزوج أُميمة بنت شَرَاحيل ، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أَسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيّين (١٥٢)(*) .

قال عليٌّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - : إن كان سمّىٰ لها صداقًا فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن سمّىٰ لها صداقًا فأمتعها علىٰ قدر عسره ويسره ، وهو السراح الجميل .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا نبيه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي

= عن حميد الطويل ، عن الحسن عن علي به ، ثم رواه من طريق سعيد عن جويبر به موقوفًا من الطريقين معًا.

(١٥٢) صحيح البخاري برقم (٥٢٥٦ ، ٥٢٥٧) .

(*) وفي رواية : رازقيتين . والرازقية : ثياب كتان بيض . والرازقي : الضعيف من كل شيء .

أعطاهن مهورهن ، وهي الأُجور هاهنا . كما قاله مجاهد وغير واحد ، وقد كان مَهْرُه لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونَشًا وهو نصف أوقية ، فالجميع خمسمائة درهم . إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشي رحمه اللّٰه أربعمائة دينار ، وإلا صفية بنت حُيَيّ فإنه اصطفاها من سَبْي خيبر ، ثم[١] أعتقها وجعل عتقها صداقها . وكذلك جُوَيْرِيَة بنت الحارث المصطلقية ، أدّىٰ عنها كتابتها إلىٰ ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها ، رضي اللّٰه عن جميعهن .

وقوله : ﴿ **وما ملكت يمينك مما أفاء اللّٰه عليك** ﴾ ، أي : وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم ، وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما . وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ، ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليه السلام ، وكانتا من السراري ، رضي اللّٰه عنهما .

وقوله : ﴿ **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك** ﴾ هذا عدل وَسَط بين الإفراط والتفريط ؛ فإن النصارىٰ لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدًا ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارىٰ ، فأباح[٢] بنت العم والعمة ، وبنت الخال والخالة ، وتحريم ما أفرّطت[٣] فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت ، وهذا بشع فظيع .

وإنما قال : ﴿ **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك** ﴾ فَوَحّدَ لفظ الذكر لشرفه ، وجمع الإناث لنقصهن، كقوله : ﴿ **عن اليمين والشمائل** ﴾ ﴿ **يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾ وله نظائر كثيرة .

وقوله : ﴿ **اللاتي هاجرن معك** ﴾ قال ابن أبي حاتم - رحمه اللّٰه - : حدثنا محمد بن عمار ابن الحارث الرازي ، حدثنا عبيد اللّٰه بن موسىٰ ، حدثنا إسرائيل، عن السدي، عن أبي صالح، عن أم هانئ قالت: خطبني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني[٤]، ثم أنزل اللّٰه : ﴿ **إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء اللّٰه عليك وبنات عمك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **اللاتي هاجرن[٥] معك** ﴾ ، قالت : فلم أكن أحل له ، ولم أكن ممن هاجر معه ، كنت من الطلقاء .

ورواه ابن جرير (١٥٣) عن أبي كريب ، عن عبيد اللّٰه بن موسى به . ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، عنها بنحوه . ورواه الترمذيّ في جامعه (١٥٤) .

---

(١٥٣) تفسير الطبري (١٥/٢٢) .

(١٥٤) سنن الترمذي برقم (٣٢١٤) وقال : « هذا حديث حسن صحيح لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي » .

---

[١] - في ز ، خ: « فإنه » .

[٢] - في خ ، ز : « مما بلغ » .

[٣] - في ت : « فرطت » .

[٤] - في ز ، خ: « فعذر لي » .

[٥] - في ز ، خ: « هاجرت » .

وهكذا قال أبو رزين وقتادة : إن المراد : من هاجر معه إلىٰ المدينة . وفي رواية عن قتادة : ﴿ **اللاتي هاجرن معك** ﴾، أي: أسلمن . وقال الضحاك : قرأ ابن مسعود: (**واللاتي هاجرت**[١] **معك**) .

وقوله : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها** ﴾ ، أي : ويحل لك - يا أيها النبي - المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . وهذه الآية توالى [فيها شرطان][٢] ، كقوله تعالىٰ إخبارًا عن نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه : ﴿ **ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان اللّٰه يريد أن يغويكم** ﴾ . وكقول موسى : ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم باللّٰه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها** ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد (١٥٥) : حدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جاءته امرأة فقالت : يا رسول اللّٰه ؛ إني قد وَهَبت نفسي لك . فقامت قيامًا طويلًا ، فقام رجل فقال : يا رسول اللّٰه ؛ زَوّجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ! فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هل عندك من شيء تُصدقها إياه ؟** » فقال : ما عندي إلا إزاري هذا ! فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن أعطيتها إزارك جلستَ لا إزار لك ، فالتمس شيئًا** » . فقال : لا أجد شيئًا . فقال : « **التمس ولو خاتمًا من حديد** » . فالتمس فلم يجد شيئًا ، فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هل معك من القرآن شيء ؟** » . قال : نعم ، سورة كذا ، وسورة كذا - لِسُور يسميها - فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **زوجتكها بما معك من القرآن** » . أخرجاه من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد (١٥٦) : حدثنا عفان ، حدثنا مرحوم ، سمعت ثابتًا يقول : كنت مع أنس جالسًا وعنده ابنة له ، فقال أنس : جاءت امرأة إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالت : يا نبي اللّٰه ، هل لك فيَّ حاجة؟ فقالت ابنته: ما كان أقل حياءها! فقال : « **هي خير منك، رغبت في**

---

(١٥٥) المسند (٣٣٦/٥) ، أخرجه البخاري في كتاب الوكالة ، باب : وكالة المرأة الإمام في النكاح (٤/ ٥٦٧/رقم: ٢٣١٠) . وأطرافه في (٥٠٢٩، ٥٠٣٠، ٥٠٨٧، ٥١٢١، ٥٢٢٦، ٥١٣٢، ٥١٣٥، ٥١٤١، ٥١٤٩، ٥١٥٠، ٥٨٧١ ، ٧٤١٧) . ومسلم في كتاب النكاح ، باب : الصداق وجواز كونه تعليم قرآن أو خاتم حديد (٢/ ١٠٤٠، ١٠٤١/رقم: ١٤٢٥) .

(١٥٦) المسند (٢٦٨/٣) (١٣٨٦٣) ، وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح ، باب : عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، حديث (٥١٢٠) (١٧٤/٩) . والنسائي في كتاب النكاح ، باب : عرض المرأة نفسها على من ترضى (٧٨/٦ - ٧٩) . وفي الكبرى ، حديث (٥٣٦١) - (٢٧٧/٣) . وابن ماجه=

---

[١] - في ت : « هاجرن » . [٢] - في ز ، خ: « شرطًا » .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرضت عليه نفسها » .

انفرد بإخراجه البخاري ، من حديث مرحوم بن عبد العزيز[١] ، عن ثابت البناني ، عن أنس به .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا عبد اللّٰه بن بكر[٢] ، حدثنا سنان بن ربيعة ، عن الحضرمي ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة أتت النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فقالت : يا رسول اللّٰه ، ابنة لي كذا وكذا . فذكرت من حسنها وجمالها ، فآثرتك[٣] بها . فقال : « **قد قبلتها** » . فلم تزل تمدحها حتىٰ ذكرت أنها لم تصدع ولم تَشْتَكِ شيئًا قطُّ ، فقال : « **لا حاجة لي في ابنتك** » . لم يخرجوه (١٥٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا ابن أبي الوضاح - يعني محمد بن مسلم - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : التي وهبت نفسها للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خولة بنت حكيم (١٥٨) .

وقال ابن وهب ، عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن خولة بنت حكيم بن الأوقص، من بني سليم، كانت من اللاتي وَهَبْنَ أنفسهن لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم (١٥٩) .

= في كتاب النكاح ، باب : التي وهبت نفسها للنبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - حديث (٢٠٠١) (١/ ٦٤٥) . من طرقٍ عن مرحوم بن عبد العزيز عن ثابت ، به ..

(١٥٧) المسند (١٥٥/٣) . وحضرمي بن لاحق التميمي السعدي : قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن الحضرمي الذي حدث عنه سليمان التيمي . قال : كان قاصًا ، فزعم معتمر قال : قد رأيته قال : لا أعلم من يروي عنه غير سليمان التيمي . وقال عبد الله : وسألت يحيى بن معين فقال : ليس به بأس ، وليس هو بالحضرمي بن لاحق . وقال أبو حاتم : حضرمي اليمامي وحضرمي بن لاحق هما عندي واحد . وقال عكرمة بن عمار : كان فقيهًا وخرجت معه إلى مكة سنة مائة ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن حجر : وفرق بين الحضرمي بن لاحق وحضرمي الذي يروي عنه سليمان التيمي ، فقال في الثاني : لا أدري من هو ولا ابن من هو . انتهى كلامه. وكذلك قال ابن المديني : حضرمي شيخ بالبصرة ، روى عنه التيمي مجهول ، وكان قاصًا ، وليس هو بالحضرمي بن لاحق ، قال ابن حجر : والذي يظهر لي أنهما اثنان . دس . والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤/٢) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى (٤٢٣٤) (٧/ ٢٣٢) ورجاله ثقات .

(١٥٨) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٥٥/٧) من طريق منصور بن أبي مزاحم ، به .

(١٥٩) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٢) .

[١] - في خ ، ز : « الغفار » .

[٢] - في ز ، خ: « بكير » .

[٣] - في ز ، خ: « فآثرك » .

وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن هشام ، عن أبيه ، كنا نتحدث أن خولة بنت حكيم كانت وهبت نفسها لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وكانت امرأة صالحة (١٦٠) .

فيحتمل أن أم سليم هي خولة بنت حكيم ، أو هي امرأة أخرى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، وعمر بن الحكم ، وعبد اللّٰه بن عبيدة قالوا : تزوج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة ، ست من قريش ، خديجة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة . وثلاث من بني عامر بن صعصعة ، وامرأتان[١] من بني هلال بن عامر : ميمونة بنت الحارث ، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وزينب أم المساكين ، وامرأة من بني أبي بكر بن كلاب من القَرطاء ، وهي التي اختارت الدنيا . وامرأة من بني الجون ، وهي التي استعاذت منه ، وزينب بنت جحش الأسدية ، والسبيتان[٢] صفية بنت حيي بن أخطب ، وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية (١٦١) .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي** ﴾ ، قال : هي ميمونة بنت الحارث .

فيه انقطاع ، هذا مرسل ، والمشهور أن زينب التي كانت تدعىٰ أم المساكين هي زينب بنت خُزيمة الأنصارية ، وقد ماتت عند النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في حياته ، فاللّٰه أعلم .

والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كثير[٣] ، كما قال البخاري : حدثنا زكريا بن يحيىٰ ، حدثنا أبو أسامة قال هشام بن عروة : حدثنا عن أبيه ، عن عائشة قالت : كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأقول : أتهب امرأة نفسها ؟ فلما أنزل اللّٰه : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ ، قلت : ما أرىٰ ربك إلا يسارع في هواك (١٦٢) .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن منصور الجعفي ، حدثنا يونس بن بكير ، عن عنبسة بن الأزهر ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لم

---

(١٦٠) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٣) .

(١٦١) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/٢٧٠) من طريق وكيع بلفظ : « تزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – امرأة بنى الجون فطلقها وهى التى استعاذت منه » .

(١٦٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٨) .

---

[١] – في ز ، خ: « امرأتين » .

[٢] – في ز ، خ: « السبيتين » .

[٣] – في ز ، خ: « كثيرًا » .

يكن عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له .

ورواه ابن جرير (١٦٣) ، عن أبي كريب عن يونس بن بكير . أي إنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له[١] ، وإن كان ذلك مباحًا له ومخصوصًا به ؛ لأنه مردود إلىٰ مشيئته ، كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **إن أراد النبي أن يستنكحها** ﴾ ، أي : إن اختار ذلك .

وقوله : ﴿ **خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ ، قال عكرمة : أي لا تحل الموهوبة لغيرك ، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتىٰ يعطيها شيئًا . وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما .

أي : إنها إذا فوضت المرأة نفسها إلىٰ رجل فإنه متىٰ دخل بها وجب لها عليه مهر مثلها ، كما حكم به رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بَرْوَع بنت واشق لما فوضت ، فحكم لها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بصداق مثلها لما توفىٰ عنها زوجها ، والموت والدخول سواء في تقرير المهر، وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأما هو - عليه السلام - فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها ؛ لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود ، كما في قصة زينب بنت جحش، رضي اللَّه عنها؛ ولهذا قال قتادة في قوله : ﴿ **خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ ، يقول : ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

[وقوله تعالىٰ : ﴿ **قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت إيمانهم** ﴾][٢] قال أبي بن كعب ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة وابن جرير في قوله : ﴿ **قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم** ﴾ ، أي : منْ حَصْرِهم في أربع نسوة حرائر وما شاءوا من الإماء ، واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم ، وهم الأمة ، وقد رخصنا لك في ذلك ، فلم نوجب عليك شيئًا منه ، ﴿ **لكيلا[٣] يكون عليك حرج وكان اللَّه غفورًا رحيمًا** ﴾ .

۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

(١٦٣) تفسير الطبري (١٧/٢٢) .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ: « لئلا » .

قال الإمام أحمد (١٦٤) : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللَّه عنها : أنها كانت تُعَيِّر النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قالت : ألا تستحي المرأة أن[١] تعرض نفسها بغير صداق ؟ فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ ، قالت : إني أرىٰ ربك يسارع لك في هواك .

وقد تقدم أنَّ البخاري رواه من حديث أبي[٢] أسامة ، عن هشام بن عروة ، فدل هذا علىٰ أن المراد بقوله : ﴿ **ترجي** ﴾ ، [أي : تؤخر][٣] ﴿ **من تشاء منهن** ﴾ ، أي : من الواهبات ، ﴿ **وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ ، أي : من شئت قبلتها ، ومن شئت رددتها ، ومن رددتها فأنت[٤] فيها أيضًا بالخيار بعد ذلك ، إن شئت عُدْتَ فيها فآويتها ؛ ولهذا قال ﴿ **ومن ابتغيت ممن**[٥] **عزلت فلا جناح عليك** ﴾ .

قال عامر الشعبي في قوله : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ كن نساء وهبن أنفسهن للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم يُنْكحن بعده ، منهن أم شريك .

وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ ، أي : من أزواجك ، لا حرج عليك أن تترك القَسم لهن ، فتقدم من شئت ، وتؤخر من شئت ، وتجامع من شئت ، وتترك من شئت .

هكذا يروىٰ عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وأبي رَزين ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وغيرهم ، ومع هذا كان صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقسم لهن ؛ ولهذا ذهب طائفة من

---

(١٦٤) المسند (٦/١٥٨) . وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ من سورة الأحزاب (٨/٣٨٥/رقم : ٤٧٨٨) وطرفه في (٥١١٣) . ومسلم في كتاب الرضاع ، باب : جواز هبتها نوبتها لضرتها . (٢/١٠٨٥ ، ١٠٨٦/رقم : ١٤٦٤) . والنسائي في كتاب النكاح ، ، باب : ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح وأزواجه . (٦/٥٤/رقم : ٣١٩٩) . وفي الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب : تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ (٥/٢٩٤/رقم : ٨٩٢٧) . وكتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ . (٦/٤٣٤/رقم : ١١٤١٤) . وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . (١/٦٤٤/رقم : ٢٠٠٠) . كلهم من طريق هشام بن عروة به .

---

[١] – سقط من : ز ، خ.

[٢] – سقط من : ز ، خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] – في ز ، خ: « أنت » .

[٥] – في ز ، خ: « من » .

الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلىٰ أنه لم يكن القسم واجبًا عليه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة .

وقال البخاري (١٦٥) : حدثنا حبان بن موسىٰ ، حدثنا عبد اللَّه - هو ابن المبارك - أخبرنا عاصم الأُحول ، عن مُعَاذة ، عن عائشة : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يستأذن في اليوم[١] المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ ، فقلت لها : ما كنت تقولين ؟ فقالت : كنت أقول : إن كان ذاك إلي فاني لا أريد يا رسول اللَّه ؛ أن أوثر عليك أحدًا .

فهذا الحديث عنها يدل علىٰ أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم ، وحديثها الأُول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ، ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات ، وفي النساء اللاتي عنده ، أنه مخير[٢] فيهن ، إن شاء قسم ، وإن شاء لم يقسم ، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي ، وفيه جمع بين الأحاديث ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك أدنىٰ أن تقر أعينهن ولا يحزَن ويرضين بما آتيتهن كلهن** ﴾ ، أي : إذا علمن أن اللَّه قد وضع عنك الحرج في القسم ، فإن شئت قسمت ، وإن شئت لم تقسم ، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارًا منك لا أنه علىٰ سبيل الوجوب ، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك[٣] في ذلك ، واعترفن بمنتك[٤] عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن .

وقوله : ﴿ **واللَّه يعلم ما في قلوبكم** ﴾ ، أي : من الميل إلىٰ بعضهن دون بعض ، مما لا يمكن دفعه ، كما قال الإمام أحمد[٥] (١٦٦) :

حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن عبد اللَّه بن يزيد ، عن عائشة قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول :

(١٦٥) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٩) .
(١٦٦) المسند (٦/١٤٤) (٢٥٢٢٢) ، وأخرجه أبو داود في كتاب النكاح ، باب : القسم بين النساء . (٢/ ٢٤٢/رقم : ٢١٣٤) . والترمذي في كتاب النكاح ، باب : ما جاء في التسوية بين الضرائر . (٣/٤٣٧/ رقم: ١١٤٠) . والنسائي في كتاب عشرة النساء ، باب : ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض . (٧/ ٦٣ ، ٦٤/رقم : ٣٩٤٣) . وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : القسمة بين النساء . (١/٦٣٣/رقم : ١٩٧١) . والدارمي في سننه (٢/١٩٣) . وابن حبان في صحيحه (٦/٢٠٣حديث ٤١٩٢) . والحاكم في مستدركه (٢/١٨٧) . كلهم من طريق حماد بن سلمة به . وقال الحافظ في التلخيص : وأعله النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال . وقال أبو زرعة : لا أعلم أحدًا تابع حماد بن سلمة على وصله . .

[١] - في ت : « يوم » .
[٢] - في ز : « يخير » .
[٣] - في ز ، خ: « جميلتك » .
[٤] - في ز ، خ: « بمانتك » .
[٥] - سقط من : ز ، خ.

« **اللهم هذا فعلي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك** » .

ورواه أهل السنن الأربعة ، من حديث حماد بن سلمة - وزاد أبو داود بعد قوله : « **فلا تلمني فيما تملك ولا أملك** » يعني القلب . وإسناده صحيح ، و[١]رجاله كلهم ثقات . ولهذا عقب ذلك بقوله : ﴿ **وكان الله عليمًا** ﴾ ، أي : بضمائر السرائر ، ﴿ **حليمًا** ﴾ ، أي : يحلم ويغفر .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ ﴾

ذكر غير واحد من العلماء - كابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وابن زيد ، وابن جرير ، وغيرهم - أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضًا عنهن ، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة ، لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية . فلما اخترن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان جزاؤهن أن قَصَره عليهن ، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن ، أو يستبدل بهن أزواجًا غيرهن ، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن . ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية . وأباح له التزوج ، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوّج لتكون المنة للرسول صلى الله عليه وسلم عليهن .

قال الإمام أحمد (١٦٧) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء .

ورواه أيضًا(١٦٨) من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة .

ورواه الترمذي والنسائي في سننيهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة ، حدثني

(١٦٧) المسند (٤١/٦) (٢٤٢٤٦).

(١٦٨) المسند (١٨٠/٦) (٢٥٥٧٤) ، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب (٣٣٢/٥/رقم : ٣٢١٦) . والنسائي في كتاب النكاح ، باب : ما افترض الله عز وجل على رسوله عليه السلام وحرمه على خلقه .(٥٦/٦/رقم : ٣٢٠٤، ٣٢٠٥) . وفي الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد** ﴾ .(٤٣٤/٦/رقم : ١١٤١٥) . وابن حبان (٢٨١/١٤ رقم ٦٣٦٦) . والبيهقي (٥٤/٧) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

[١] - سقط من : ز ، خ.

عمر بن أبي بكر، حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي النضر مولىٰ عمر بن عبيد الله ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، عن أم سلمة أنها قالت : لم يمت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء ، إلا ذات محرم ، وذلك قول الله - عز وجل - ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ .

فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كآيتي عدة الوفاة في البقرة الأُولى ناسخة للتي بعدها ، فالله[1] أعلم .

وقال آخرون : بل معنىٰ الآية : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد** ﴾ ، أي : من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ، وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وما سوىٰ ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك ، هذا مرويّ عن أبي بن كعب ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك - في رواية - وأبي رزين - في رواية عنه - وأبي صالح ، والحسن ، وقتادة - في رواية - والسدي ، وغيرهم .

قال ابن جرير (١٦٩) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، حدثني محمد بن أبي موسىٰ ، عن زياد - رجل من الأنصار - قال : قلت لأبي بن كعب : أرأيت لو أن أزواج النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - تُوفين ، أما كان له أن يتزوج ؟ فقال : وما يمنعه من ذلك ؟ قال : قلت : قوله : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد** ﴾ . فقال : إنما أحل الله له ضربًا من النساء ، فقال : ﴿ **يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **إن وهبت نفسها للنبي** ﴾ . ثم قيل له : ﴿ **لا يحل**[2] **لك النساء من بعد** ﴾ .

ورواه عبد الله بن أحمد من طرق ، عن داود به .

وروىٰ الترمذي (١٧٠) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال . نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أصناف النساء ، إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله : ﴿ **لا يحل**[3] **لك**

---

(١٦٩) تفسير الطبري (٢٢/٢١) ، وزوائد المسند (٥/١٣٢) . وإسناده ضعيف : محمد بن أبي موسى : مجهول ورواه الضياء في المختارة حديث ١١٧٢ (٣/٣٧٧) بإسناده من طريق يزيد بن زريع وعبد الأعلى . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٢، ٩٣) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد وزاد : كذا رأيت في ثقات ابن حبان : زياد أبو يحيى الأنصارى يروى عن ابن عباس فإن كان هو فهو ثقة ، والظاهر أنه هو ، ومحمد بن أبي موسى ذكره ابن حبان في الثقات ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، والحديث آخرجه أيضًا الدارمي في سننه (٢/ ١٥٣، ١٥٤) من طريق يعلى بن شداد عن وهيب عن داود به .

(١٧٠) سنن الترمذي برقم (٣٢١٥) وقال : « هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث عبد الرحميد بن بهرام ، قال : سمعت أحمد بن الحسن يقول : قال أحمد بن حنبل : لا بأس بحديث عبد الحميد بن =

---

[١] - في ت : « والله » .
[٢] - في ز ،خ : « تحل » .
[٣] - في ز ، خ: « تحل » .

النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ﴾ ، فأحل اللَّه فتياتكم المؤمنات ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي** ﴾ ، وحرم كل ذات دين غير الإسلام ، ثم قال : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**[١] ﴾ وقال : ﴿ **يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ ، وحرم ما سوىٰ ذلك من أصناف النساء .

وقال مجاهد : ﴿ **لا يحل**[٢] **لك النساء من بعد** ﴾ ، أي : من بعد ما سمي لك ، لا[٣] مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة .

وقال أبو صالح : ﴿ **لا يحل**[٤] **لك النساء من بعد** ﴾ ، أُمِرَ أن لا[٥] يتزوج أعرابية ولا عربية ، ويتزوج بعدُ من نساء تهامة ، وما شاء من بنات العم والعمة ، والخال والخالة ، إن شاء ثلاثمائة .

وقال عكرمة : ﴿ **لا يحل**[٦] **لك النساء من بعد** ﴾ أي : التي سمى اللَّه .

واختار ابن جرير -رحمه اللَّه- أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعًا . وهذا الذي قاله جيد ، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف ؛ فإن كثيرًا منهم روى عنه هذا وهذا ، ولا منافاة ، واللَّه أعلم .

ثم أورد ابن جرير علىٰ نفسه ما روي أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها ، وعزم علىٰ فراق سودة حتىٰ وهبته يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله : ﴿ **لا يحل**[٧] **لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن** ﴾ ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية - صحيح ، ولكن لا يحتاج إلىٰ ذلك ؛ فإن الآية إنما دلت علىٰ أنه[٨] لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته ، وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ، ولا يدل ذلك علىٰ أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال ، واللَّه أعلم .

فأما قضية سودة ففي الصحيح عن عائشة - رضي اللَّه عنها - وهي سبب نزول قوله

= بهرام عن شهر بن حوشب » .

---

[١] - في ز ، خ: « الأخسرين » .
[٢] - في ز ، خ : « تحل » .
[٣] - في خ ، ز : « من » .
[٤] - في ز ، خ: « تحل » .
[٥] - سقط من : ز ، خ.
[٦] - في ز ،خ : « تحل » .
[٧] - في ز ، خ: « تحل » .
[٨] - في ز ، خ: « أن » .

تعالىٰ : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحا**[١] **بينهما صلحًا** ﴾ الآية(١٧١) .

وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه ، من طرق عن يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة ، عن صالح بن صالح بن حَي ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن عمر : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها . وهذا إسناد قوي(١٧٢) .

وقال الحافظ أبو يعلى (١٧٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن ابن عمر قال : دخل عمر علىٰ حفصة وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ لعل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم طلقك ؟ إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي ، واللّٰه لئن كان طلقك مرة أخرىٰ لا أكلمك أبدًا . ورجاله علىٰ شرط الصحيحين .

وقوله : ﴿ **ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن** ﴾ ، فنهاه عن الزيادة عليهن ، أو طلاق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه[٢] .

وقد روىٰ الحافظ أبو بكر البزار حديثًا مناسبًا ذكره هاهنا ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن نصر ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد اللّٰه القُرَشي ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي هُرَيرة - رضي اللّٰه عنه - قال : كان البَدلُ في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل : باذلني امرأتك وأبادلك بامرأتي . أي : تنزل لي عن امرأتك ، وأنزل لك عن امرأتي . فأنزل اللّٰه : ﴿ **ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن** ﴾ . قال : فدخل عيينة بن حصن علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وعنده عائشة ، فدخل بغير إذن ، فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **فأين الاستئذان ؟** » . فقال : يا رسول اللّٰه ، ما استأذنت علىٰ رجل من مُضَر منذ أدركت . ثم قال : من هذه الحُميراء إلىٰ جنبك ؟ فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هذه عائشة أم المؤمنين** » . قال : أفلا أنزل لك علىٰ أحسن الخلق ؟ قال : « **يا عيينة إن اللّٰه قد حرم ذلك** » . فلما أن خرج قالت عائشة : من هذا ؟ قال : « **هذا**[٣] **أحمقُ مطاع ، وإنه - على**

---

(١٧١) انظر تخريج هذا الحديث عند تفسير الآية : ١٢٨ من سورة النساء .

(١٧٢) سنن أبي داود برقم (٢٢٨٣) ، وسنن النسائي (٢١٣/٦) ، وسنن ابن ماجة برقم (٢٠١٦) .

(١٧٣) مسند أبي يعلى (١٦٠/١) .

---

[١] - في ز ، خ: « يصالحا » .

[٢] - في ز ، خ: « يمينك » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

ما ترين - لسيد قومه » .

ثم قال البزار (١٧٤) : إسحاق بن عبد الله : لين الحديث جدًّا ، وإنما ذكرناه لأنا لم نحفظه إلا من هذا الوجه ، وبينا العلة فيه .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤)﴾

هذه آية الحجاب ، وفيها أحكام وآداب شرعية ، وهي مما وافق تنزيلها قول[١] عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال : وافقت ربي في ثلاث فقلت : يا رسول الله ؛ لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلىً ؟ فأنزل الله : **﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً ﴾** : وقلت : يا رسول الله ؛ إن نساءك ليدخل[٢] عليهن البر والفاجر ، فلو حجبتهن ؟ فأنزل الله آية الحجاب . وقلت لأزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما[٣] تمالأن عليه في الغيرة : **﴿ عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ﴾** ، فنزلت كذلك(١٧٥) .

وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهي قضية رابعة .

وقد قال البخاري : حدثنا مسدد ، عن يحيىٰ ، عن حميد ، عن أنس بن مالك قال[٤] :

---

(١٧٤) مسند البزار برقم (٢٢٥١) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٧) : « وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك » .

(١٧٥) صحيح البخاري برقم (٤٠٢) .

---

[١] - في ز ، خ: « لقول » .
[٢] - في ت : « يدخل » .
[٣] - في ز ، خ: « إنما » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.

قال عمر بن الخطاب : يا رسول اللَّه ؛ يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل اللَّه آية الحجاب (١٧٦) .

وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بزينب بنت جحش ، التي تولىٰ اللَّه تعالىٰ تزويجها بنفسه ، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة ، في قول قتادة والواقدي وغيرهما .

وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وخليفة بن خياط ؛ أن ذلك كان في سنة ثلاث ، فاللَّه[١] أعلم .

قال البخاري (١٧٧) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه الرّقاشي ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، حدثنا أبو مجلز ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : لما تزوج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم زينب بنت جحش ، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، فإذا هو كأنه[٢] يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، [فلما قام قام][٣] من قام، وقعد ثلاثة نفر . فجاء النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليدخل ، فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا . فانطلقت[٤] فجئت فأخبرت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنهم قد انطلقوا . فجاء حتىٰ دخل ، فذهبت أدخل ، فألقىٰ الحجاب[٥] بيني وبينه ، فأنزل اللَّه ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي** ...﴾ الآية .

وقد رواه أيضًا في موضع آخر، ومسلم والنسائي ، من طرق ، عن معتمر بن سليمان ، به .

ثم رواه البخاري متفردًا[٦] به من حديث أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه [بنحوه(١٧٨) .

ثم قال : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك][٧] قال : بنىٰ[٨] النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - بزينب بنت جحش بخبز ولحم ،

---

(١٧٦) صحيح مسلم برقم (٢٣٩٩) .
(١٧٧) صحيح البخاري برقم (٤٧٩١) وبرقم (٦٢٣٩ ، ٦٢٧١) ، وصحيح مسلم برقم (١٤٢٨) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٠) .
(١٧٨) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٢) .

---

[١] - في ت : « والله » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز ، خ: « فانطلقوا » .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ت : « منفردًا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ت : « بني على » .

فَأُرسِلْتُ علىٰ الطعام داعيًا ، فيجيء القوم[١] فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون . فدعوتُ حتىٰ ما أجد أحدًا أدعوه ، فقلت : يا نبي اللّٰه ، ما أجد أحدًا أدعوه . قال : « **ارفعوا طعامكم** » وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فانطلق إلىٰ حجرة عائشة ، فقال : « **السلام عليكم - أهل البيت - ورحمةُ اللّٰه وبركاته** » . فقالت[٢] : وعليك السلام ورحمة اللّٰه ، كيف وجدت أهلك ، بارك اللّٰه لك ؟ فَتَقَرىٰ(*) حُجر نسائه كلهن ، ويقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة . ثم رجع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة [في البيت][٣] يتحدثون . وكان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج منطلقًا نحو حُجْرة عائشة ، فما أدري أخبرتُه أم أُخبِرَ أن القوم خَرَجوا ؟ فرجع حتىٰ إذا وضع رجله في أُسْكُفَّةِ(**) الباب داخله وأخرى خارجه ، أرخى الستر بيني وبينه ، وأُنزلت آية الحجاب .

انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة[٤] سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث(١٧٩) .

ثم رواه عن إسحاق - هو ابن منصور - عن عبد اللّٰه بن بكر السهمي ، عن حُمَيْد ، عن أنس ، بنحو ذلك(١٨٠) ، وقال : « **رجلان** » . انفرد به من هذا الوجه . وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو المظفر ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد - أبي عثمان اليشكري - عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ببعض نسائه ، فصنعت أم سليم حيسًا(***) ثم وضعته في تَوْر(****) ، فقالت : اذهب بهذا إلى رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأقرئه[٥] مني السلام ، وأخبره أن هذا منا له قليل - قال أنس : والناس يومئذ في جَهد ، فجئت به فقلت : يا رسول اللّٰه ؛ بعثت بهذا أم سُليم إليك ، وهي

(*) أي : تتبعها .

(**) أسكفة الباب : عتبته .

(١٧٩) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٣) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠١٠١) .

(١٨٠) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٤) .

(***) الحيس : تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن وتسوَّى كالثريد .

(****) التور : إناء يشرب فيه .

[١] - في ت : « قوم » .

[٢] - في ت : « قالت » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

[٤] - سقط من : ز ،خ.

[٥] - في ز ، خ: « وأقره » .

تقرئك السلام ، وتقول : أخبره أن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال : « **ضعه** » فوضعته في ناحية البيت ، ثم قال : « **اذهب فادع لي فلانًا وفلانًا** » ، وسمىٰ رجالًا كثيرًا ، و[١]قال : « **ومن لقيتَ من المسلمين** » . [فدعوتُ مَن قال لي ، ومن لقيت من المسلمين][٢] ، فجئت والبيت والصفة والحجرة مَلأَىٰ من الناس - فقلت : يا أبا عثمان ؛ كم كانوا ؟ فقال : كانوا زهاء ثلاثمائة - قال أنس : فقال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **جئْ به** » . فجئتُ به إليه ، فوضع يده عليه ، ودعا وقال : ما شاء اللَّه . ثم قال : « **ليتَحلّق عَشَرة عَشَرة ، وليسموا ، وليأكل كل إنسان مما يليه** ». فجعلوا يسمون ويأكلون ، حتىٰ أكلوا كلهم . فقال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ارفعه** » . قال[٣] : فجئتُ فأخذت التَور فما أدري أهو حين وضعتُ أكثر أم حين أخذتُ ؟ قال : وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول اللَّه ، وزوج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [التي دخل بها][٤] معهم مُولية وجهها إلىٰ الحائط، فأطالوا الحديث، فشقوا علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [وكان أشد الناس حياء - ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزًا][٥]- فقام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فخرج فسلم علىٰ حُجره وعلىٰ نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ أرخىٰ الستر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيته يسيرًا ، وأنزل اللَّه عليه القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلىٰ طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **بكل شيء عليمًا** ﴾ . قال أنس : فقرأهن عليَّ قبل الناس[٦] ، فأنا أحدث الناس بهن عهدًا .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعًا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به(١٨١) . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال :

وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبي عثمان ، عن أنس ، فذكر نحوه(١٨٢) .

ورواه مسلم أيضًا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به(١٨٣) .

(١٨١) صحيح مسلم برقم (١٤٢٨) ، وسنن الترمذي برقم (٣٢١٨) ، وسنن النسائي (١٣٦/٦) .
(١٨٢) صحيح البخاري برقم (٥١٦٣) .
(١٨٣) صحيح مسلم برقم (١٤٢٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٤] - سقط من : ز ، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز ، خ : « النساء » .

وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشر عن أنس بنحوه.

[وروىٰ البخاري والترمذي ، من طريقين آخرين ، عن بَيَان بن بشر الأَحمسي الكوفي ، عن أنس ، بنحوه(١٨٤)][١].

ورواه ابن أبي حاتم أيضًا ، من حديث أبي نضرة العبدي ، عن أنس بن مالك ، بنحوه .

ورواه ابن جرير(١٨٥) من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهري ، عن أنس بنحو ذلك .

وقال الإِمام أحمد(١٨٦) : حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [لزيد][٢]: « **اذهب فاذكرها علي** » . قال : فانطلق زيد حتىٰ أتاها ، قال : وهي تُخمر عجينها ، فلما رأيتُها عَظُمت في صدري . .. وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله : ﴿ **فلما قضىٰ زيد منها وطرا** ﴾ ، وزاد في آخره بعد قوله : وَوَعَظَ القوم بما وعظوا به . قال هاشم في حديثه : ﴿ **لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلىٰ طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق** ﴾ به[٣] .

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث [سليمان بن المغيرة][٤] .

قال ابن جرير(١٨٧) : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب ، حدثني عمي عبد الله ابن وهب ، حدثني يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : إن أزواج رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - كنّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلىٰ المناصع - وهو صعيد أفيح - وكان عمر يقول لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : احجب نساءك . فلم يكن رسول الله صلىٰ

(١٨٤) صحيح البخاري ، كتاب النكاح (٥١٧٠) ، وسنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن (٣٢١٩) .
(١٨٥) تفسير الطبري (٢٢/٢٧) .
(١٨٦) المسند (٣/١٩٥) ، (١٣٠٤٨) رواه مسلم في النكاح حديث ٨٩ - (١٤٢٨) عن محمد بن حاتم ، عن بهز . وعن محمد بن رافع ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم . والنسائي في النكاح ، باب : صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها (٦/٧٩) . وفي التفسير في الكبرى (١١٤١٠) (٦/٤٣٣) عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك . ثلاثتهم عن سليمان به .
(١٨٧) تفسير الطبري (٢٢/٢٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « جعفر بن سليمان به » .

اللَّه عليه وسلم ليفعل . فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر بصوته الأعلىٰ : قد عرفناك يا سودة ، حرْصًا أن ينزل الحجاب ، قالت : فأنزل اللَّه الحجاب .

هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب ، كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم (١٨٨) ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جَسيمة لا تَخفَى علىٰ من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب فقال : يا سودة ؛ أما واللَّه ما تَخْفَين علينا ، فانظري كيف تخرجين ؟ . قالت : فانكفأت راجعة ، ورسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيتي ، وإنه ليتعشىٰ ، وفي يده عَرْقٌ (*) ، فدخلت فقالت[١] : يا رسول اللَّه ؛ إني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا وكذا . قالت : فأوحىٰ اللَّه إليه ، ثم رُفِعَ عنه وإن العرق في يده ، ما وضعه . فقال : « **إنه قد[٢] أذنَ لكن أن تخرجن لحاجتكن** » . لفظ البخاري .

فقوله : ﴿ **لا تدخلوا بيوت النبي** ﴾ حَظَر علىٰ المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإِسلام ، حتىٰ غار اللَّه لهذه الأمة ، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالىٰ على هذه الأمة؛ ولهذا قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إياكم والدخول علىٰ النساء!** »(١٨٩) .

ثم استثنى من ذلك فقال: ﴿ **إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه** ﴾ .

قال مجاهد وقتادة وغيرهما : أي غير متحينين نضجه واستواءه ، أي : لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فإن هذا يكرهه اللَّه ويذمه . وهذا دليل علىٰ تحريم التطفيل ، وهو الذي تسميه العرب الضيفن[٣] ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين ، وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **[ولكن إذا][٤] دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا** ﴾ ، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا**

(١٨٨) المسند (٦/٥٦) (٢٤٤٠١) ، وأخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، باب : خروج النساء إلى البراز (١/٢٩٩/رقم : ١٤٦) . وأطرافه في (١٤٧ - ٤٧٩٥ - ٥٢٣٧- ٦٢٤٠) . ومسلم في كتاب السلام ، باب : إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان . (٤/ ١٧٠٩، ١٧١٠/رقم : ٢١٧٠) .

(*) العرق : العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة .

(١٨٩) رواه البخاري في كتاب النكاح برقم (٥٢٣٢) ، ومسلم في كتاب السلام برقم (٢١٧٢) من حديث عقبة بن عامر ، رضي الله عنه .

[١] - في ز : « فقلت » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ: « الطيفن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « فإذا » .

دعا أحدكم أخاه فَلْيُجِب ، عُرسًا كان أو غيره » (١٩٠) . وأصله في الصحيحين .

وفي الصحيح أيضًا(١٩١) ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو دُعيت إلىٰ ذراع لأجبت ، ولو أهدي إليَّ كُرَاع لقبلت . فإذا فَرَغتم من الذي دُعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل ، وانتشروا في الأرض** » . ولهذا قال : ﴿ **ولا مستأنسين لحديث** ﴾ ، أي : كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ، ونسُوا أنفسهم ، حتىٰ شَق ذلك علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي**[١] **منكم** ﴾ .

وقيل : المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذىٰ به ، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه - عليه السلام - حتىٰ أنزل الله عليه النهي عن ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **والله لا يستحي**[٢] **من الحق** ﴾ ، أي : ولهذا نهاكم عن ذلكم وزجركم عنه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ ، أي : وكما نهيتكم عن الدخول عليهن ، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مسعر ، عن موسىٰ بن أبي كثير ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : كنت آكل مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم حَيسًا في قَعْب[٣] (*) فمر عمر فدعاه فأصابت إصبعه إصبعي فقال : حسّ(**) - أو : أوه[٤] - لو أطاع فيكن ما رأتك عين . فنزل الحجاب(١٩٢) .

﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾ أي : هذا الذي أمرتكم به ، وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب .

وقوله : ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا إن**

---

(١٩٠) صحيح مسلم ، كتاب النكاح برقم (١٤٢٩) .

(١٩١) في صحيح البخاري ، كتاب الهبة برقم (٢٥٦٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(*) القعب : القدح الضخم .

(**) في ز ، خ : خير . وفي ت : حسن ، وكلاهما تحريف غير ملائم للسياق . وقال ابن الأثير في النهاية : «٣٨٥/١» كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضّه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما .

(١٩٢) ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤١٩) من طريق زكريا بن يحيى عن ابن أبي عمر ، به .

---

[١] - في ز ، خ: « فيستحيي » .

[٢] - في ز ، خ : « يستحيي » .

[٣] - في ز ، خ: « لعب » .

[٤] - في ز ، خ: « آه » .

ذلكم كان عند الله عظيمًا ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي[١] حماد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : **﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾**، قال : نزلت في رَجُل هَمَّ أن يتزوج بعضَ نساء النبي صلىٰ الله عليه وسلم . قال رجل لسفيان : أهي عائشة ؟ قال : قد ذكروا ذاك .

وكذا قال مقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكر بسنده عن السّدي أن الذي عزم علىٰ ذلك طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، حتىٰ نزل التنبيه علىٰ[٢] تحريم ذلك ؛ ولهذا أجمع العلماء قاطبة علىٰ أن من توفي عنها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم علىٰ غيره تزويجها من بعده ؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم . واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل[٣] لغيره أن يتزوجها ؟ علىٰ قولين : مأخذهما : هل دخلت هذه في عموم قوله **﴿ من بعده ﴾** أم لا ؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فما نعلم في حلها لغيره - والحالة هذه - نزاعًا . والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني [محمد][٤] بن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا داود ، عن عامر : أن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة بنت الأشعث - يعني ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك ، فشق ذلك علىٰ أبي بكر مشقة شديدة ؛ فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها ليست من نسائه ، إنها لم يُخَيّرها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولم يحجبها ، وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها . قال : فاطمأن أبو بكر - رضي الله عنهما - وسكن (١٩٣) .

وقد عظم تبارك وتعالىٰ ذلك ، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله : **﴿ إن ذلكم كان عند الله عظيمًا ﴾** ، ثم قال : **﴿ إن تبدوا شيئًا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليمًا ﴾** ، أي : مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم ، فإن الله يعلمه ، فإنه لا تخفىٰ عليه خافية ، **﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾** .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ

---

(١٩٣) تفسير الطبري (٢٢/٢٩) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ: « في » .

[٣] - في ز ، خ: « تحل » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

لما أمر تعالىٰ النساء بالحجاب من الأجانب ، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم ، كما استثناهم في « سورة النور » ، عند قوله : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن** ﴾ إلىٰ آخرها ، وفيها زيادات علىٰ هذه . وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته ، وقد سأل بعض السلف فقال : لم لم يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرا ؛ لأنهما قد يصفان ذلك لبنيهما .

قال ابن جرير : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، حدثنا داود ، عن الشعبي وعكرمة في قوله : ﴿ **لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن** ﴾ ، قلت : ما شأن العم والخال لم يذكرا ؟ قالا : هما ينعتانها[١] لأبنائهما . وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها .

وقوله : ﴿ **ولا نسائهن** ﴾ يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات .

وقوله : ﴿ **ولا ما ملكت أيمانهن** ﴾ يعني به أرقاؤهن من الذكور والإناث كما تقدم التنبيه عليه ، وإيراد الحديث فيه(١٩٤) .

قال سعيد بن المسيب : إنما يعنى به الإماء فقط . رواه ابن أبي حاتم

وقوله : ﴿ **واتقين الله إن الله كان علىٰ كل شيء شهيدًا** ﴾ ، أي : واخشينه في الخلوة والعلانية ، فإنه شهيد علىٰ كل شيء ، لا تخفىٰ عليه خافية ، فراقبن الرقيب .

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

قال البخاري (١٩٥) : قال أبو العالية : صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء. وقال ابن عباس : يصلون : يبركون . هكذا علقه البخاري عنهما.

---

(١٩٤) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٣١ من سورة النور .

(١٩٥) صحيح البخاري (٥٣٢/٨) « فتح » .

---

[١] - في ز ، خ: « ينعتاها » .

وقد رواه أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية كذلك . وروىٰ مثله عن الربيع أيضًا : وروىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس كما قاله سواء . رواهما ابن أبي حاتم .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي : و[١]روي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب : الرحمة ، وصلاة الملائكة : الاستغفار .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو[٢] الأودي ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرة قال الأعمش عن عطاء بن أبي رباح : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي** ﴾ ، قال : صلاته تبارك وتعالىٰ : سبوح قدوس ، سبقت رحمتي غضبي .

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملإ الأعلىٰ ، بأنه[٣] يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر تعالىٰ أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه . ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر - يعني : ابن المغيرة - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن بني إسرائيل قالوا لموسىٰ - عليه السلام - هل يصلي ربك ؟ فناداه ربه : « **يا موسىٰ ، سألوك : هل يصلي ربك ؟ فقل : نعم ، إنما أصلي أنا[٤] وملائكتي علىٰ أنبيائي ورسلي** » . فأنزل الله - عز وجل - علىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ .

وقد أخبر أنه سبحانه وتعالىٰ يصلي علىٰ عباده المؤمنين في قوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور وكان بالمؤمنين رحيمًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ .

وفي الحديث : « **إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف** » (١٩٦)

وفي الحديث الآخر : « **اللهم ؛ صل علىٰ آل أبي أوفى** » (١٩٧) .

---

(١٩٦) - رواه أبو داود في الصلاة حديث (٦٧٦) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة حديث (١٠٠٥) .

(١٩٧) - رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٨) ، ومسلم في الزكاة حديث (١٠٧٨) من حديث عائشة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز ، خ : « عمر » .

[٣] - في ز ، خ: « فإنه » .

[٤] - سقط من : ز ، خ.

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لامرأة جابر - وقد سألته أن يصلي عليها وعلىٰ زوجها - : « **صلىٰ الله عليك ، وعلىٰ زوجك** » (١٩٨) .

وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ، ونحن نذكر منها إن شاء الله تعالىٰ ما تيسر ، وبالله[١] المستعان .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية (١٩٩) : حدثنا سعيد بن يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا أبي ، عن مسعر ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن كعب بن عجرة قال : قيل : يا رسول الله ، أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة ؟ فقال : « **قولوا : اللهم ؛ صل علىٰ محمد ، وعلىٰ آل محمد ، [كما صليت علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . اللهم ؛ بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد]**[٢] ، **كما باركت علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد**» .

وقال الإمام أحمد (٢٠٠) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : سمعت ابن أبي ليلىٰ قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ؛ قد علمنا - أو : عرفنا - كيف السلام عليك ، فكيف الصلاة ؟ قال : «**قولوا : اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ آل**[٣] **إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد** ».

وهذ الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم ، من طرق متعددة ، عن الحكم - وهو [ابن عتيبة][٤] - زاد البخاري : وعبد الله بن عيسىٰ ، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، فذكره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا هشيم بن بُشير ، عن يزيد بن أبي زياد ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن كعب بن عُجرة ، قال : لما نزلت : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا** ﴾ . قال : قلنا : يارسول الله ؛ قد علمنا السلام ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : « **قولوا : اللهم؛ صل**

---

(١٩٨) رواه أحمد في مسنده (٣٩٨/٣) (١٥٣٢١) ، وابن حبان في صحيحه برقم (١٩٥١) « موارد » من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر رضي الله عنه .

(١٩٩) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٧) .

(٢٠٠) المسند (٢٤١/٤) (١٨١٥٦) ، والحديث أخرجه : البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب : رقم=

---

[١] - في ت : « والله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « بن أبي عيينة » .

علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ [إبراهيم و علىٰ][١] آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ[٢] آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

وكان عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ يقول : « **وعلينا معهم** » .

ورواه الترمذي بهذه الزيادة(٢٠١) .

ومعنىٰ قولهم : أما السلام عليك فقد عرفناه ، هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه ، كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، وفيه : « **السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته** » .

حديث آخر ، قال البخاري :حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، عن ابن الهاد ، عن عبد الله بن خَبّاب ، عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه – قال : قلنا : يا رسول الله ؛ هذا السلام ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : « **قولوا : اللهم صل علىٰ محمد عبدك ورسولك ، كما صليت علىٰ آل إبراهيم . وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم** » . [قال أبو صالح ، عن الليث : علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم][٣] .

حدثنا إبراهيم بن حمزة ، حدثنا ابن أبي حازم والدّراوَرْدِي ، عن يزيد – يعني ابن الهاد[٤] – قال[٥] : « **كما صليت علىٰ إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد وآل محمد ، كما**

= (١٠) ، (٦/٤٠٨) حديث (٣٣٧٠) . وطرفاه حديث رقم (٤٧٩٧) ، (٦٣٥٧) . ومسلم في كتاب الصلاة . باب : الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد التشهد (٤/١٦٥) حديث (٤٠٦) . وأبو داود في كتاب الصلاة باب : الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد التشهد (١/٢٥٧) حديث (٩٧٦) وحديث ٩٧٧ ، و٩٧٨ . والترمذي في كتاب الصلاة . باب : ما جاء في صفة الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – (٢/٣٥٢) حديث (٤٨٣) . والنسائي في المجتبى في كتاب الصلاة . باب : كيف الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – نوع آخر (٣/ ٤٧) . وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب : الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – (١/٢٩٣) حديث (٩٠٤) . وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص١٤٢ – ١٤٣/حديث ١٠٦١) . والبيهقي في سننه الكبرى (٢/١٤٧ – ١٤٨) . وأبو عوانة في مسنده (٢/٢٣١ – ٢٣٢) . وأبو نعيم في الحلية الأولياء (٤/٣٥٦) . وابن الجارود في المنتقى حديث (٢٠٦) . والطبراني في الكبير (١٩/١١٦) حديث (٢٤١) ، (٢٤٢) .

(٢٠١) سنن الترمذي ، في الصلاة برقم (٤٨٣) وقال : « حديث حسن صحيح » .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] – سقط من : ز، خ .
[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] – في خ ، ز : « المنهال » .
[٥] – سقط من : خ ، ز .

باركت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم » .

وأخرجه النسائي وابن ماجة من حديث ابن الهاد[١] به (٢٠٢) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد (٢٠٣) : قرأت علىٰ عبد الرحمن : مالك ، عن عبد اللّٰه بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن عمرو بن سليم أنه قال : أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : **« اللهم ،صل علىٰ محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت علىٰ آل[٢] إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد »** . وقد أخرجه بقية الجماعة سوى الترمذي من حديث مالك به .

حديث آخر ، قال مسلم (٢٠٤) : حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ التيمي قال : قرأت علىٰ مالك ، عن نُعيم بن عبد اللّٰه المُجمر ، أخبرني محمد بن عبد اللّٰه بن زيد الأنصاري - قال : وعبد اللّٰه ابن زيد هو الذي كان أري[٣] النداء بالصلاة - أخبره عن أبي مسعود الأنصاري ، قال : أتانا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عُبادَةَ ، فقال له بَشير بن سَعد : أمرنا اللّٰه أن نصلي عليك يا رسول اللّٰه ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : قولوا : **« اللهم ؛ صلّ علىٰ محمد ، وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ آل إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد ، وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم ، في العالمين ، إنك حميد مجيد ، والسلام كما [قد علمتم][٤] »** .

وقد رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث مالك به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

---

(٢٠٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٨) .

(٢٠٣) المسند (٥/٤٢٤) (٢٣٧٠٣) ، وأخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : رقم (١٠) (٦/٤٦٩/رقم : ٣٣٦٩) وطرفه في (٦٣٦٠) . ومسلم في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (١/٣٠٦/رقم : ٤٠٧) . وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (١/٢٥٧/رقم : ٩٧٩) . والنسائي في كتاب السهو ، باب : نوع آخر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) (٣/٤٩/رقم : ١٢٩٤) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (١/٢٩٣/رقم : ٩٠٥) . كلهم من طريق مالك به .

(٢٠٤) صحيح مسلم كتاب الصلاة برقم (٤٠٥) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (٩٨٠) ، وسنن الترمذي كتاب الصلاة برقم (٣٢٢٠) ، وسنن النسائي ، كتاب السهو (٣/٤٥) .

---

[١] - في ت : « الهادية » .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ز ، خ: « رأى » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « علمهم » ، وفي ز : « علمتم » .

وروىٰ الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم في مستدركه ، من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن محمد بن عبد اللّٰه بن زيد بن عبد ربه ، عن أبي مسعود البدري أنهم قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ أما السلام فقد عرفناه ، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا ؟ فقال : « **قولوا : اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد** ...» . وذكره (٢٠٥) .

ورواه الشافعي(٢٠٦) - رحمه اللّٰه - في مسنده، عن أبي هريرة ، بمثله . ومن هاهنا ذهب الشافعي - رحمه اللّٰه - إلىٰ أنه يجب علىٰ المصلي أن يصلي علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في التشهد الأخير ، فإن تركه لم تصح صلاته . وقد شَرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يُشَنّع علىٰ الإمام الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة ، ويزعم أنه قد تفرد بذلك ، وحكىٰ الإجماعَ علىٰ خلافه أبو جعفر الطبري والطحاوي والخطابي وغيرهم فيما نقله القاضي عياض . وقد تعسّف القائل في رده علىٰ الشافعي ، وتكلف في دعواه الإجماع في ذلك . فإنه قد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الصلاة كما هو ظاهر الآية ، ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة ، منهم ابن مسعود ، وأبو مسعود البدري وجابر بن عبد اللّٰه . ومن التابعين : الشعبي ، وأبو جعفر الباقر ، ومقاتل بن حيان . وإليه ذهب الشافعي ، لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضًا ، وإليه ذهب أحمد أخيرًا فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقيّ [ ][١] . وبه قال إسحاق بن راهويه، والفقيه الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المَوّاز المالكي ، رحمهم اللّٰه ، حتىٰ إن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كما علمهم[٢] أن يقولوا لما سألوه ، وحتىٰ إن بعض أصحابنا أوجب الصلاة علىٰ الآل ممن حكاه البَنْدَنيجِيّ وسليم الرازي وصاحبه نصر بن إبراهيم المقدسي ، ونقله إمام الحرمين وصاحبه الغزالي قولًا عن الشافعي ، والصحيح أنه وجه ، علىٰ أن الجمهور علىٰ خلافه ، وحكوا الإجماع علىٰ خلافه ، وللقول بوجوبه [ظواهر الحديث][٣] ، واللّٰه أعلم .

والغَرَض أن الشافعي - رحمه اللّٰه - لقوله بوجوب الصلاة علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم

---

(٢٠٥) المسند (١١٩/٤) (١٧١٢٣) ، وأخرجه أحمد حديث ٢٢٤٥٣ (٢٧٣/٥ - ٢٧٤) . وأبو داود في الصلاة ، باب : الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد حديث ٩٨٠ ، ٩٨١ . والترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث ٣٢٢٠ . وقال أبو عيسى : حسن صحيح . والنسائي في الصلاة (٤٥/٣ - ٤٦) . والحاكم (٢٦٨/١) . والدارقطني (٣٥٤/١ - ٣٥٥) . والبيهقي (١٤٦/٢ - ١٤٧) .

(٢٠٦) مسند الشافعي برقم (٢٦٨) « بدائع المنن » ، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٩٨٧٥) من طريق داود بن قيس ، عن نعيم بن عبد الله ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : به .
[٢] - في ز ، خ: « علمتم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «ظهور للحديث».

في الصلاة - سَلَفٌ وخَلَفٌ كما تقدم ، ولله الحمد والمنة ، فلا إجماع علىٰ خلافه في هذه المسألة لا قديمًا ولا حديثًا ، والله أعلم .

ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود ، والترمذي - وصححه - والنسائي ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، من رواية حَيْوة بن شُريح المصري ، عن أبي هانئ حميد بن هانئ ، عن عمرو بن مالك أبي علي الجَنْبي ، عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - قال : سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رجلًا يدعو في صلاته ، لم يمجد الله ولم يصل[١] علىٰ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **عَجِل هذا** » . ثم دعاه فقال له ولغيره : « **إذا صلىٰ أحدكم فليبدأ بتمجيد[٢] الله - عز وجل - والثناء عليه ، ثم ليصل[٣] علىٰ النبي ثم ليدع بعد[٤] بما شاء** » (٢٠٧) .

وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجة ، من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم[٥] الله عليه ، ولا صلاة لمن لم يصل علىٰ النبي ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار** » (٢٠٨) .

ولكن عبد المهيمن هذا متروك . وقد رواه الطبراني من رواية أخيه « **أبيّ بن عباس** » ، ولكن في ذلك نظر (٢٠٩) ، وإنما يعرف من رواية « **عبد المهيمن** » ، والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢١٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إسماعيل ، عن أبي

(٢٠٧) المسند (١٨/٦) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الدعاء . (٢/ ٧٧/ رقم : ١٤٨١) . عن أحمد بن حنبل به . والترمذي في كتاب الدعوات ، باب : رقم : (٦٥) . (٥/ ٤٨٢/ رقم : ٣٤٧٦، ٣٤٧٧) . عن محمود بن غيلان عن أبي عبد الرحمن المقرئ وقال : صحيح . والنسائي في كتاب الصلاة ، باب : التمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة . (٣/ ٤٤/ رقم : ١٢٨٤) . عن محمد بن سلمة عن وهب عن حيوة به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . والبيهقي (١٤٨/٢) . وابن خزيمة (٧١٠) . وابن حبان ح ١٩٦٠. والحاكم (١/ ٢٣٠، ٢٦٨) . وقال مرة : على شرط مسلم ، ومرة على شرط الشيخين ولم يتعقبه الذهبي .

(٢٠٨) سنن ابن ماجة ، كتاب الطهارة وسننها (٤٠٠) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٦٧/١) : « هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبد المهيمن ، لكن لم ينفرد به فقد تابعه عليه ابن أخي عبد المهيمن» .

(٢٠٩) المعجم الكبير للطبراني (١٢١/٦) .

(٢١٠) المسند (٣٥٣/٥) (٢٣٠٩٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٤٤) و(١٠/ ١٦٣)=

[١] - في ز ، خ: « يصلي » .

[٢] - في ت : « بتحميد » .

[٣] - في ز ، خ: « ليصلي » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ .

داود الأعمى ، عن بُريدة قال : قلنا : يا رسول اللّه ؛ قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : « **قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما جعلتها علىٰ إبراهيم[١] وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد** » .

أبو داود الأعمى اسمه : نفيع بن الحارث متروك .

(حديث آخر موقوف) رويناه من طريق سعيد بن منصور وزيد بن الحباب ويزيد ابن هارون ، ثلاثتهم عن نوح بن قيس : حدثنا سلامة الكندي أن عليًا - رضي اللّه عنه - كان يعلم الناس هذا الدعاء : اللهم داحي المدْحُوّات (١) وبارئ المسموكات (٢) ، وجبار (٣) القلوب علىٰ فِطْرَتِها[٢] شقيها وسعيدها . اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، ورأفة تحننك[٣] ، علىٰ محمد عبدك ورسولك ، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما أغلق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ (٤) جيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع (٥) بأمرك لطاعتك مستوفزًا (٦) في[٤] مرضاتك ، غير نَكل في قَدَم (٧) ولا واهن في عزم (٨) ، داعيًا[٥] بوحيك[٦] ، حافظًا لعهدك[٧] ، ماضيًا علىٰ نفاذ أمرك ، حتىٰ أورىٰ [قبسًا لقابس][٨] ، آلاء اللّه تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأقام[٩] موضحات الأعلام ، ومُنيرات الإسلام ونائرات الأحكام ، فهو

= وعزاه لأحمد وقال : « وفيه أبو داود الأعمى ، وهو ضعيف » ..

(١) - دحى الشيءَ : بسطه ووسعه . والمدحوات : الأرضون .

(٢) - سمك الشيء : رفعه . والمسموكات : السماوات السبع .

(٣) - قال ابن الأثير [٢٣٦/١] : هو من جَبَرَ العظمَ المكسور ، كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والإقرار به ، شقيها وسعيدها .

(٤) - أي : مهلكها . ودمغ فلان فلانًا : غلبه وعلاه ، ودمغ الحق الباطل : محاه . والجيشات جمع جيشة ، وهي المرة من جاش إذا ارتفع .

(٥) - اضطلع بالشيء : نهض به .

(٦) - استوفز : قعد على هيئة كأنه يريد القيام . والمعنى أنه صلى اللّه عليه وسلم يسرع في مرضاة الله عز وجل .

(٧) - القَدَم : الإقدام ، ونَكِل : جبن وتقاعد .

(٨) - الواهن : الضعيف .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ: « فطْرَاتها » .

[٣] - في ز ،خ: « تحيتك » .

[٤] - في ز ، خ: « لي » .

[٥] - في ز ، خ: « واعيًا » .

[٦] - في ز ، خ: « لوحيك » .

[٧] - في ز : « لوحيك » .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «قبسًا لقابس».

[٩] - سقط من : خ ، ز .

أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبَعِيثُك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة . اللهم؛ أفسح له مُفسحات في عدلك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك [مهنآت له][١] غير مكدرات من فوز ثوابك المعلول[٢]، وجزيل عطائك المجمول. اللهم؛ أعل[٣] على بناء البانين[٤] بنيانه ، وأكرم مثواه لديك ونزله . وأتمم له نوره ، واجزه من ابتعاثك له [مقبول الشهادة][٥] ، مرضي المقالة ، ذا منطق عدل ، وخُطَّة فصل، وحجة وبرهان عظيم (٢١١) .

هذا مشهور من كلام عليّ رضي اللَّه عنه ، وقد تكلم عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث ، وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلا أن في إسناده نظرًا .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : سلامة الكندي(٢١٢) هذا ليس بمعروف ، ولم يدرك عليًا - كذا قال - وقد روىٰ الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر عن محمد بن عليّ الصائغ ، عن سعيد ابن منصور ، حدثنا نوح بن قيس ، عن سلامة الكندي قال : كان عليّ - رضي اللَّه عنه - يعلمنا الصلاة علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيقول : « **اللهم داحي المَدْحُوات ...** » وذكره (٢١٣) .

(حديث آخر موقوف) قال ابن ماجة(٢١٤) : [حدثنا الحسين بن بيان][٦] ، حدثنا زياد بن عبد اللَّه ، حدثنا المسعودي ، عن عون بن عبد اللَّه ، عن أبي فاختة ، عن الأسود بن يزيد[٧] ، عن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : إذا صليتم علىٰ رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فأحسنوا الصلاة عليه ؛ فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعْرَض عليه . قال : فقالوا له :

---

(٢١١) رواه أبو نعيم في عوالي سعيد بن منصور برقم (١٨) فقال : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا مسعدة ابن سعد ، حدثنا سعيد بن منصور فذكره ، ورواه الحنائي في الفوائد (١٠/١٦٢/ب) - كما في حاشية العوالي - من طريق يزيد بن هارون ، به .

(٢١٢) سلامة الكندي ذكره البخاري في التاريخ الكبير (١٩٥/٤) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٣٠٠) وأشار ابن أبي حاتم إلى هذا الحديث وقال : « مرسل » .

(٢١٣) المعجم الأوسط برقم (٤٦٥٣) « مجمع البحرين » لكن فيه : « حدثنا مسعدة بن سعد ، حدثنا سعيد بن منصور » فلعل الحافظ نقله هنا من مسند العشرة .

(٢١٤) سنن ابن ماجة ، إقامة الصلاة والسنة فيها برقم (٩٠٦) ، وقال البوصيري في الزوائد (٣١١/١) : « هذا إسناد رجاله ثقات إلا أن المسعودي واسمه عبد الرحمن بن عتبة بن مسعود اختلط بآخره ، ولم يتميز حديثه الأول بالآخر ، فاستحق الترك . قاله ابن حبان » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « له مهنئات».

[٢] - في ز ، خ: « المعلون » .

[٣] - في ز ، خ: « عَلِّي » .

[٤] - في ز ، خ: « المبنيين» .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ: « زيد » .

فَعَلِّمْنا . قال : قولوا : اللهم ؛ اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك علىٰ سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ؛ ابعثه مقامًا محمودًا يَغْبِطُهُ به الأولون والآخرون . اللهم ؛ صل[١] علىٰ محمد [وعلىٰ آل محمد][٢] ، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . اللهم ؛ بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

وهذا موقوف ، وقد روى إسماعيل القاضي(٢١٥) عن عبد الله بن عمرو - أو : عمر ، علىٰ الشك من الراوي - قريبًا من هذا .

(حديث آخر) قال ابن جرير(٢١٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا أبو إسرائيل ، عن يونس بن خباب قال : خطبنا بفارس فقال : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا** ﴾ ، فقال : أنبأني من سمع ابن عباس يقول : هكذا أنزل . فقلنا - أو : قالوا - : يا رسول الله ، عَلِمْنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : « **اللهم ؛ صلِّ[٣] علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ إبراهيم ، وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وارحم محمدًا وآل محمد ، كما رحمت آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، [وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ إبراهيم ، إنك حميد مجيد][٤]** » .

فيستدل[٥] بهذا الحديث مَنْ ذهب إلىٰ جواز الترحم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، كما هو قول الجمهور ، ويعضده حديث الأعرابي الذي قال : اللهم ارحمني ومحمدًا ، ولا ترحم معنا أحدًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد حجرت واسعًا** » وحكى القاضى عياض عن جمهور المالكية منعه ، قال :وأجازه أبو محمد بن أبي زيد .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢١٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا شعبة ، عن

---

(٢١٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٦٢) .

(٢١٦) تفسير الطبري (٢٢/٣١) .

(٢١٧) المسند (٣/٤٤٥) (١٥٧٢١) ، وإسناده ضعيف من أجل عاصم بن عبيد الله . والحديث رواه ابن ماجه ، في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، (١/ ٢٩٤) حديث ٩٠٧ . وقال في الزوائد : إسناده ضعيف ؛ لأن عاصم بن عبيد الله قال فيه البخاري وغيره : منكر الحديث . ورواه أبو يعلى في مسنده (١٣/١٥٤) ح ٧١٩٦ . وعبد الرزاق (٥/٣١) . وأبو نعيم في الحلية (١/١٢٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « صلي » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ: « صلي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز ، خ: « فدل » .

عاصم بن عبيد الله قال : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من صلىٰ عليّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلىٰ عليّ ، فَلْيُقِلَّ عبد من ذلك أو ليكثر** » . ورواه ابن ماجة من حديث شعبة به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٢١٨) : حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعي ، ويونس - هو ابن محمد - قالا : حدثنا ليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فاتبعته حتىٰ دخل نخلًا ، فسجد فأطال السجود ، حتىٰ خفت - أو : خشيت - أن يكون الله قد توفاه أو قبضه . قال : فجئت أنظر . فرفع رأسه فقال : « **ما لك يا عبد الرحمن ؟** » . قال : فذكرت ذلك له . فقال : « **إنَّ جبريل - عليه السلام - قال لي : ألا أبشرك ؟ إن الله - عز وجل - يقول : من صلىٰ عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه** » .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد (٢١٩) : حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا سليمان ابن بلال ، حدثنا عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الرحمن بن عوف [قال : خرج][١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقته ، فدخل فاستقبل القبلة ، فخر ساجدًا فأطال السجود ، حتىٰ ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها ، فدنوت منه ثم جلست ، فرفع رأسه فقال : « **من هذا ؟** » . فقلت : عبد الرحمن . قال : « **ما شأنك ؟** » . قلت : يا رسول الله ، سجدت سجدة خشيت أن يكون[٢] الله - عز وجل - قبض نفسك فيها . فقال : « **إن جبريل أتاني فبشرني[٣] أن الله - عز وجل - يقول لك : من صلىٰ عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه . فسجدتُ لله - عز وجل - شكرًا** » .

(حديث آخر) قال [الحافظ][٤] أبو القاسم الطبراني (٢٢٠) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم[٥] ابن بَحير بن عبد الله بن معاوية بن بحير بن ريسان ، [نا عمرو بن الربيع بن طارق][٦] حدثنا

---

(٢١٨) المسند (١٩١/١) .

(٢١٩) المسند (١٩١/١) .

(٢٢٠) المعجم الصغير (٨٩/٢) ، والمختارة برقم (٩٣) . وقال الطبراني : « لم يروه عن عبيد الله بن عمر إلا يحيى بن أيوب ، تفرد به عمرو ابن الربيع » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « قال : قال » . [٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - في ز ، خ: « وبشرني » . [٤] - سقط من : ت .

[٥] - كذا في ز ، خ . لكن الذي في الأوسط : عبد الرحمن . وكذا أورده الدارقطني في المؤتلف [١/ ٣٥٢]، وابن ماكولا في الإكمال [٢٠٠/١] ، وابن ناصر الدين في التوضيح [٣٥٢/١] وابن حجر في تبصير المنتبه [٦٠/١] .

[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . وأثبتناه من المعجم الأوسط .

يحيىٰ بن أيوب ، حدثنا عبيد[١] اللّٰه بن عمر ، عن الحكم بن عتيبة[٢] ، عن إبراهيم النخعي ، عن الأسود بن يزيد ، عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه قال : خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لحاجة فلم يجد أحدًا يتبعه ، ففزع عمر ، فأتاه بمطهَرة(١) من خلفه فوجد النبي ساجدًا في مشربة(٢) ، فتنحىٰ عنه من خلفه حتىٰ رفع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رأسه ، فقال : « أحسنت[٣] **يا عمر حين وجدتني ساجدًا فتنحيت عني ، إن جبريل أتاني فقال : من صلىٰ عليك من أمتك واحدة ، صلىٰ اللّٰه عليه [عشرًا][٤] ، ورفعه عشر درجات** » .

وقد اختار هذا الحديثَ الحافظُ الضياء المقدسي في كتابه « **المستخرج علىٰ الصحيحين** » .

وقد رواه إسماعيل القاضي ، عن القعنبي ، عن سلمة بن وردان ، عن أنس ، عن عمر بنحوه (٢٢١) .

ورواه أيضًا عن يعقوب بن حميد ، عن أنس بن عياض ، عن سلمة بن وردان ، عن مالك ابن أوس بن الحدثان ، عن عمر بن الخطاب ، بنحوه (٢٢٢) .

(حديث آخر) قال أبو عيسىٰ الترمذي (٢٢٣) : حدثنا بندار ، حدثنا محمد بن خالد بن عَثْمة ، حدثني موسىٰ بن يعقوب الزّمعي ، حدثني عبد اللّٰه بن كيسان ، أن عبد اللّٰه بن شداد أخبره ، عن عبد اللّٰه بن مسعود أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **أولىٰ الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة** » . تفرد بروايته الترمذي رحمه اللّٰه ، ثم قال : هذا[٥] حديث حسن غريب .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي (٢٢٤) : [حدثنا عليّ بن عبد اللّٰه ، حدثنا سفيان][٦] ، عن يعقو ب بن زيد بن طلحة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أتاني آت من ربي فقال لي : ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلىٰ اللّٰه عليه بها عشرًا** » .

---

(١) – المطهرة : كل إناء يتطهر به كالإبريق والسطل وغيرها .
(٢) – المشربة : الغرفة .
(٢٢١) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٤) .
(٢٢٢) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٥) .
(٢٢٣) سنن الترمذي ، كتاب الصلاة برقم (٤٨٤) .
(٢٢٤) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (١٣) .

---

[١] – في ز ، خ : عبيد الله . وهو تحريف .
[٢] – في ز : « عيينة » .
[٣] – في ز : « أخشيت » .
[٤] – ما بين المعكوفتين في ت : « عشر صلوات » .
[٥] – سقط من : ز ، خ .
[٦] – ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « حدثنا شقيق » .

فقام رجل فقال : يا رسول اللَّه ، ألا أجعل نصف دعائي لك ؟ قال[١] : « **إن شئت** » . قال : ألا أجعل ثلثي دعائي لك ؟ قال : « **إن شئت** » . قال : ألا أجعل دعائي [كله لك][٢] ؟ قال : « **إذن يكفيك اللَّه هم الدنيا وهم الآخرة** » . فقال شيخ - كان بمكة يقال له : منيع[٣] - لسفيان : عمن أسنده قال : لا أدري .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي (٢٢٥) : حدثنا سعيد بن سَلام العطار ، حدثنا سفيان - يعني: الثوري - عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب، عن أبيه قال: كان رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم يخرج في جوف الليل فيقول : « **جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة جاء[٤] الموت بما فيه** » . قال أبي : يا رسول اللَّه؛ إني أصلي من الليل أفأجعل[٥] لك ثلث صلاتي ؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الشطر** » . قال : أفأجعل[٦] لك شطر صلاتي ؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الثلثان** » . قال : أفأجعل[٧] لك صلاتي كلها ؟ قال : « **إذن يغفر اللَّه لك ذنبك كله** » .

وقد رواه الترمذي بنحوه(٢٢٦) فقال : حدثنا هَنّاد ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : « **يا أيها الناس ؛ اذكروا اللَّه ، [اذكروا اللَّه][٨] ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه** » قال أبي : قلت[٩] : يا رسول اللَّه ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : « **ما شئت** » . قلت : الربع ؟ قال : « **ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك** » . قلت : فالنصف ؟ قال : « **ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك** » . قلت : فالثلثين ؟ قال : « **ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك** » . قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : « **إذن تكفىٰ هَمّك ، ويغفر لك ذنبك** » . ثم قال : هذا[١٠] حديث حسن.

وقال الإمام أحمد (٢٢٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ،

---

(٢٢٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (١٤) .

(٢٢٦) سنن الترمذي ، صفة القيامة برقم (٢٤٥٧) .

(٢٢٧) المسند (١٣٦/٥) (٢١٣٢٢) . وأخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب : رقم (٢٣) . =

---

[١] - في ز ، خ: « قال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لك كله » .

[٣] - في ز ، خ: « نسيع » .

[٤] - في ز ، خ: « جاءت » .

[٥] - في خ ، ز : « إنما جعل » .

[٦] - في خ ، ز : « إنما جعل » .

[٧] - في خ ، ز : « إنما جعل » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٩] - سقط من : ز، خ .

[١٠] - سقط من : ز ، خ.

عن الطفيل بن أبيّ ، عن أبيه قال : قال رجل : يا رسول الله ؛ أرأيت إن جعلتُ صلاتي كلها عليك ؟ قال : « **إذن يكفيك الله ما أهَمّك من دنياك وآخرتك** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٢٨) : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت بن سليمان مولىٰ الحسن بن عليّ ، عن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جاء ذات يوم ، والسرور يرىٰ في وجهه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا لنرىٰ السرور في وجهك . فقال : « **إنه أتاني الملك فقال : يا محمد ؛ أما يرضيك أن ربك - عز وجل - يقول : إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا ؟ قال : بلىٰ** » .

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به .

وقد رواه إسماعيل القاضي (٢٢٩) ، عن إسماعيل ابن أبي أويس ، عن أخيه ، عن سليمان بن بلال ، عن عُبيد الله بن عمر ، عن ثابت ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، بنحوه .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد (٢٣٠) : حدثنا سُريج ، حدثنا أبو معشر ، عن إسحاق بن كعب ابن عُجرة ، عن أبي طلحة الأنصاري قال : أصبح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا طيب النفس ، يرىٰ في وجهه البشر ، قالوا : يا رسول الله ؛ أصبحت اليوم طيب النفس ، يرىٰ في وجهك البشر ؟ قال : « **أجل ، أتاني آت من ربي - عز وجل - فقال : من صلىٰ عليك من أمتك صلاة ، كَتَبَ الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، ورد عليه[١] مثلها** » . هذا أيضًا إسناد جيد ولم يخرجوه .

(حديث آخر) روىٰ مسلم(٢٣١) وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث إسماعيل بن

= (٤/ ٦٣٦، ٦٣٧/ رقم : ٢٤٥٧) . من طريق هناد عن قبيصة به . ورواه عبد بن حميد مطولًا عن قبيصة ابن عقبة حديث ١٧٠ . ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٥١٣) من طريق معاذ بن نجدة ، عن قبيصة بن عقبة بنحوه . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٠) وقال : « قلت : رواه الترمذي ولفظه إذًا تكفى همك ، ويغفر ذنبك - رواه أحمد وإسناده جيد » .

(٢٢٨) المسند (٤/٣٠) (١٦٤١٥) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٨٨٨) .

(٢٢٩) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (١) .

(٢٣٠) المسند (٤/٢٩) (١٦٤٠٤) إسحاق بن كعب بن عجرة : في التقريب : مجهول الحال ، وفي التهذيب : قال ابن القطان : مجهول الحال ، ما روى عنه غير ابنه سعد . قد روى عنه أبو معشر كما هنا . والحديث أخرجه النسائى (٣/٤٤ - ٥٠) . والحاكم (٢/٤٢٠) . والطبرانى (٥/١٠٢) حديث (٤٧٢٤) ، (٤٧١٧) . وحسنه الشيخ الألباني ، انظر صحيح النسائى (١/٢٧٤ - ٢٧٥) .

(٢٣١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة برقم (٤٠٨) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (١٥٣٠) ، وسنن الترمذي كتاب الصلاة برقم (٤٨٥) ، وسنن النسائي كتاب السهو (٣/٥٠) .

---

[١] - في ز ، خ: « له » .

جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من صلىٰ عَلَيّ واحدة صلىٰ الله عليه بها عشرًا** » . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن ربيعة ، وعمار ، وأبي طلحة ، وأنس ، وأُبيّ بن كعب .

وقال[١] الإمام أحمد(٢٣٢) : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن كعب[٢] عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **صلوا عليّ ؛ فإنها زكاة لكم . وسلوا الله لي الوسيلة ، فإنها درجة في أعلىٰ الجنة ، لا[٣] ينالها إلا رجل ، وأرجو أن أكون أنا هو** » .

تفرد به أحمد .

وقد رواه البزار(٢٣٣) من طريق مجاهد ، عن أبي هريرة بنحوه فقال : حدثنا محمد بن إسحاق البَكالي ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا ذَوَّاد بن عُلبة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي هُرَيْرَة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **صلوا عليّ فإنها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة** » . فسألناه - أو : أخبرنا - فقال : « **هي درجة في أعلىٰ الجنة ، وهي لرجل ، وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل** » .

في إسناده بعض من تكلم فيهم[٤] .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٣٤) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، [عن عبد الله بن هبيرة][٥] ، عن عبد الرحمن بن مريج[٦] الخولاني ، سمعت أبا قيس - مولىٰ عمرو ابن العاص - سمعت عبد الله بن عمرو[٧] يقول : من صلىٰ علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام صلاة، صلىٰ الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فَلْيُقِلَّ عبد من ذلك أو ليكثر.

---

(٢٣٢) المسند (٢/٣٦٥) .

(٢٣٣) مسند البزار برقم (٣٦٣) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي : « فيه ذَوَّاد بن علبة ، ضعفه ابن معين والنسائي غيرهما ووثقه ابن نمير ، وقال موسى بن داود الضبي : ثنا ذَوَّاد بن علبة وأُثني عليه خيرًا ، وقال ابن عدي : هو في جملة الضعفاء ممن يكتب حديثه » . كذا فيه ذؤاد بن علبة وهو الصواب . انظر : الكامل (٣/ ١٢١) ، والتهذيب (٣/٢٢١) ، والميزان (٢/٣٢) .

(٢٣٤) المسند (٢/١٧٢) .

---

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - في خ ، ز : « ثابت » .

[٣] - في ز : « ولا » .

[٤] - في خ ، ز : « به » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في خ ، ز : « شريح » .

[٧] - في ز ، خ: « عمر » .

وسمعت عبد الله ابن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا كالمودع فقال : « **أنا محمد النبي الأمي** - قاله ثلاث مرات - **ولا نبي بعدي ، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ، وعَلمْتُ كم خزنة النار وحملة العرش ، وتجوز بي ، وعُوفيت وعُوفيتْ أمتي ، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذُهِب بي فعليكم بكتاب الله ، أحلوا حلاله ، وحرموا حرامه** » .

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو سَلَمة الخراساني ، حدثنا أبو إسحاق ، عن أنس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من ذُكرتُ عنده فَلْيُصَلّ عليّ ، ومن صَلّىٰ عليّ مرة واحدة[١] صلىٰ الله عليه عشرًا** » .

ورواه النسائي في « **اليوم والليلة** » ، من حديث أبي داود الطيالسي ، عن أبي سلمة - وهو المغيرة بن مسلم الخراساني - عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي ، عن أنس به (٢٣٥) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا يونس بن عمرو ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن بُريد[٢] بن أبي مريم ، عن أنس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من صلىٰ عليّ صلاة واحدة ، صلىٰ الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطيئات** »(٢٣٦) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٢٣٧) : حدثنا عبد الملك بن عمرو وأبو سعيد؛ قالا[٣] : حدثنا سليمان بن بلال ، عن عمارة بن[٤] غزية ، عن عبد الله بن علي بن الحسين ، عن [أبيه

(٢٣٥) السنن الكبرى برقم (٩٨٨٩) .

(٢٣٦) المسند (١٠٢/٣) (١٢٠١٦) . بريد بن أبي مريم السلولي : قال ابن معين وأبو زرعة : ثقة . وقال أبو حاتم : صالح . وقال العجلي : ثقة . وقال الدارقطني : على شرط الصحيح . وذكره ابن حبان في الثقات وأخرج له في الصحيح ، وكذلك الحاكم . والحديث رواه النسائي في كتاب السهو ، باب : الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٥٠/٣) من حديث يونس ، به . وفي « اليوم والليلة » حديث ٣٦٢ عن إسحاق بن منصور ، عن محمد بن يوسف ، عن يونس بن أبى إسحاق ، عن بريد بن أبي مريم : حدثنا أنس ... فذكره . وفي « اليوم والليلة » حديث ٣٦٣ عن عبد الله بن محمد بن تميم ، عن حجاج . وحديث ٣٦٤ عن إسحاق بن إبراهيم ، عن يحيى بن آدم ، وأبى نعيم - ثلاثتهم - عن يونس ، عن بريد بمعناه ورواه مخلد بن يزيد ، عن يونس ، عن بريد ، عن الحسن عن أنس . ورواه أحمد حديث ١٣٧٨١ - (٢٦١/٣) . قال ابن كثير في جامع المسانيد : ورُوي عن يونس ، عن أبيه ، عن بريد . وروي عن بريد ، عن الحسن ، عن أنس . وقد ثبت سماع بريد من أنس لهذا الحديث . واختاره الضياء ، في صحيحه - المختارة . ورواه أحمد ١٢٥٩١ - (١٥٤/٣) . وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، مثله .

(٢٣٧) المسند (٢٠١/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في خ ، ز : « زيد » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ: « عن » .

علي بن الحسين عن [١] أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **البخيل من ذكرت عنده ، ثم لم يصل عليّ** » . وقال أبو سعيد : « **فلم يصل عليّ** » .

ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

و[٢]من الرواة من جعله من مسند « **الحسين بن علي** » ، ومنهم من جعله من مسند « **عليّ** » نفسه .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي (٢٣٨) : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن معبد بن هلال العَنَزي ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن أبخل الناس من ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ** » .

(حديث آخر مرسل) قال إسماعيل (٢٣٩) : وحدثنا سُليمان بن حرب ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يُصَلّي عليّ** » . صلوات الله عليه .

(حديث آخر) قال الترمذي (٢٤٠) : حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا رِبْعيّ بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المَقبري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **رَغِمَ أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ . [ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له]**[٣] ، **ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة** » . ثم قال : حسن غريب .

قلت : وقد رواه البخاري في « **الأدب** »(٢٤١) عن محمد بن عبيد الله ، حدثنا ابن أبي حازم ، عن كثير بن زيد ، عن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، [بنحوه ، ورويناه من حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة][٤] ، به . قال الترمذي : وفي الباب عن جابر وأنس .

قلت: وابن عباس، وكعب بن عجرة، وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب

---

(٢٣٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٣٧) .

(٢٣٩) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٣٨) .

(٢٤٠) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٥) .

(٢٤١) - رواه الترمذي كتاب الدعوات (٣٥٤٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الصيام ، وعند قوله تعالى : ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما**﴾ .

وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة عليه صلى اللّٰه عليه وسلم كلما ذُكر، وهو مذهب طائفة من العلماء .

ويتقوى بالحديث الآخر الذى رواه ابن ماجة (٢٤٢) :

حدثنا جُبَارة بن المغلس ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **من نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة** » .

جُبَارة ضعيف .

ولكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه (٢٤٣) ، عن أبي جعفر محمد بن على الباقر قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **من نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة** » . وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله .

وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة في المجلس مرة واحدة ، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس ، بل تستحب . نقله الترمذي عن بعضهم ، ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي (٢٤٤) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن صالح – مولى التوأمة – عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا اللّٰه فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرَةً**(*) ، **فإن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم** » .

تفرد به الترمذي من هذا الوجه . ورواه الإمام أحمد عن حجاج ويزيد[١] بن هارون ، كلاهما عن ابن أبي ذئب ، عن صالح – مولى التوأمة – عن أبي هريرة ، مرفوعًا مثله[٢] . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقد روي عن أبي هريرة (٢٤٥) ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، من غير وجه . وقد رواه

(٢٤٢) سنن ابن ماجة ، إقامة الصلاة والسنة فيها برقم (٩٠٨) ، وقال البوصيري في الزوائد (٣١٣/١) : « هذا إسناد ضعيف لضعف جبارة بن المغلس » .

(٢٤٣) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٤١) .

(٢٤٤) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات برقم (٣٣٨٠) ، والمسند (٤٥٣/٢) .

(*) – أي : نقصًا . يقال : وَتَرَه يَتِرُه تِرَةً ، وعلى ذلك تكون الهاء في « ترة » عوضًا من الواو المحذوفة ، وقيل : أراد بالترة هاهنا : التبعة .

(٢٤٥) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٥٥) .

[١] – في ز ، خ : « زيد » .

[٢] – سقط من : خ .

إسماعيل القاضي من حديث شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن أبي سعيد قال: ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة لمَاّ يرون من الثواب.

وحكي عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه -عليه السلام- في العمر مرة واحدة، امتثالًا لأمر الآية، ثم هي مستحبة في كل حال. وهذا هو الذى نصره القاضي عياض بعدما حكى الإجماع[١] على وجوب الصلاة عليه صلى اللّٰه عليه وسلم في الجملة. قال: وقد حكى الطبري[٢] أن محمل الآية على الندب، وادعى فيه الإجماع. قال: ولعله فيما زاد على المرة، والواجب منه مرة كالشهادة له بالنبوة، وما زاد على ذلك فمندوب مُرَغَّب فيه من سنن الإسلام، وشعار أهله.

قلت: وهذا قول غريب، فإنه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبينه:

فمنه[٣] بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الإمام أحمد (٢٤٦):

حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، حدثنا كعب بن علقمة، أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول: إنه سمع عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول: «**إذا سمعتم مؤذنًا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علَيّ صلى اللّٰه عليه بها عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللّٰه، وأرجو أن أكون أنا هو[٤]، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**».

وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث كعب بن علقمة.

(طريق أخرىٰ) قال إسماعيل القاضي (٢٤٧): حدثنا محمد بن أبي بكر[٥]، حدثنا عمرو[٦] ابن علي، عن أبي بكر الجشمي، عن صفوان بن سليم، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**من[٧] سأل اللّٰه لي الوسيلة، حلت[٨] عليه شفاعتي يوم القيامة**».

---

(٢٤٦) المسند (٢/١٦٨)، وصحيح مسلم، الصلاة برقم (٣٨٤)، وسنن أبي داود، الصلاة برقم (٥٢٣)، وسنن الترمذي، المناقب برقم (٣٦١٤)، وسنن النسائي في الأذان (٢/٢٥).

(٢٤٧) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥٠).

---

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ت: «الطبراني».

[٣] - في خ، ز: «عنه».

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - في خ، ز: «بكير».

[٦] - في ز، خ: «عمر».

[٧] - في ز: «أو».

[٨] - في خ، ز: «حقت».

(حديث آخر) : قال إسماعيل القاضي : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا سعيد بن [زيد ، عن][١] ليث ، عن كعب - هو كعب الأحبار ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **صلوا عليّ ، فإن صلاتكم عليَّ زكاة لكم ، وسلوا اللّه لي الوسيلة** » قال : فإما حدّثنا وإما سألناه ؛ فقال : « **الوسيلة أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل ، وأرجو أن أكون ذلك الرجل** » .

ثم رواه(٢٤٨) عن محمد بن أبي بكر ، عن معتمر ، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - به . وكذا الحديث الآخر .

قال الإمام أحمد(٢٤٩) : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا بكر بن سوادة ، عن زياد بن نعيم ، عن وفاء[٢] الحضرمي ، عن رويفع بن ثابت الأنصاري : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **من صلى على محمد وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ؛ وجبت له شفاعتي** » . وهذا إسناد لا بأس به ، ولم يخرجوه .

(أثر آخر) : قال إسماعيل القاضي : حدثنا على بن عبد اللّه ، حدثنا سفيان ، حدثني معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى ، وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤله في الآخرة والأولى ، كما آتيت [إبراهيم وموسى][٣] عليهما السلام . إسناد جيد قوي صحيح(٢٥٠) .

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه ، للحديث الذي رواه الإمام أحمد(٢٥١) :

حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا ليث بن أبي سليم ، عن عبد اللّه بن الحسن[٤] ، عن أمه فاطمة بنت الحسين ، عن جدته فاطمة[٥] بنت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قالت[٦] : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم إذا دخل المسجد صلىٰ علىٰ محمد وسلم وقال : « **اللهم اغفر**

(٢٤٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٤٦ ، ٤٧) .

(٢٤٩) المسند (٤/١٠٨) (١٧٠٤١) . في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف . ووفاء الحضرمي : مقبول . زياد بن نعيم : ثقة . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٦) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيده حسنة . اهـ . وأخرجه الطبراني في الكبير (٥/٢٦) حديث (٤٤٨٠ ، ٤٤٨١) .

(٢٥٠) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥٢) .

(٢٥١) المسند (٦/٢٨٢) . ليث بن أبي سليم : صدوق اختلط جدًا ، ولم يتميز حديثه فترك . والحديث =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٢] - في خ ، ز : « ورقاء » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «موسى وإبراهيم».

[٤] - في خ ، ز : « الحسين » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز ، خ : « قال » .

لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك » . وإذا خرج صلىٰ علىٰ محمد وسلم ، ثم قال : « اللهم ؛ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك » .

وقال إسماعيل القاضي(٢٥٢) : حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد ، حدثنا سفيان بن عمر التميمي ، عن سليمان الضبي ، عن عليّ بن الحسين قال : قال عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- : إذا مررتم بالمساجد فصلوا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وأما الصلاة عليه صلىٰ الله عليه وسلم في الصلاة ؛ فقد قدمنا الكلام عليها في التشهد الأخير ، ومن ذهب إلىٰ ذلك من العلماء مع الشافعي رحمه الله . وأما التشهد الأول فلا تجب فيه قولًا واحدًا وهل تستحب ؟ على قولَين للشافعي .

ومن ذلك الصلاة عليه صلىٰ الله عليه وسلم في صلاة الجنازة ، فإنّ السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولىٰ فاتحة الكتاب ، وفي الثانية يصلي علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وفي الثالثة يدعو للميت ، وفي الرابعة يقول : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .

قال الشافعي رحمه الله (٢٥٣) : حدثنا مُطرف بن مازن ، عن معمر ، عن الزهري : أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حُنيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم : أن السنة في الصلاة علىٰ الجنازة أن يكبر الإمام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولىٰ سرًّا في نفسه ، ثم يصلي علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ويخلص الدعاء للجنازة ، وفي التكبيرات لا يقرأ في شيء منها ، ثم يسلم سرًّا في نفسه .

ورواه[١] النسائي(٢٥٤) عن أبي أمامة نفسه أنه قال : من السنة ... فذكره .

وهذا من الصحابي في حكم المرفوع علىٰ الصحيح .

ورواه إسماعيل القاضي(٢٥٥) ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن عبد الأعلىٰ ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي أمامة بن[٢] سهل ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : السنة في الصلاة علىٰ

= أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء ما يقول عند دخول المسجد . (٢/١٢٧ ، ١٢٨/رقم : ٣١٤) . وابن ماجة في سننه في كتاب المساجد ، باب : الدعاء عند دخول المسجد . (١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤/رقم : ٧٧١) . كلاهما من طريق ليث بن أبي سليم به . والحديث صححه الألباني في صحاح السنن المذكورة - الترمذي حديث ٢٥٩ /٣١٤ ، وابن ماجه ٦٢٥/ ٧٧١.

(٢٥٢) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨٠) .

(٢٥٣) سنن النسائي (٤/٧٥) .

(٢٥٤) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٩٤) .

(٢٥٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨٨) .

[١] - في ت : « رواه » . [٢] - في ز ، خ: « عن » .

الجنازة ... فذكره .

وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عمر والشعبي .

ومن ذلك في صلاة العيد ، قال إسماعيل القاضي : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائي ، حدثنا حمّاد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أن ابن مسعود وأبا موسىٰ وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة [يومًا قبل العيد][١] فقال لهم : إن هذا العيد قد دنا[٢] فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله : تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة ، وتحمد ربك وتصلي علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم تدعو ، وتكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر و[٣]تفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثمّ تقرأ ثم تكبر ، وتركع ، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر ، وتفعل مثل ذلك ، ثم تركع . فقال حذيفة وأبو موسىٰ : صدق أبو عبد الرحمن . إسناده[٤] صحيح .

ومن ذلك أنه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الترمذي (٢٥٦) :

حدثنا أبو داود ، أخبرنا النضر بن شميل ، عن أبي قُرّة الأسدي ، عن سعيد بن المسيّب ، عن عمر بن الخطاب قال : الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتىٰ تصلى علىٰ نبيك .

وهكذا رواه أيوب بن موسىٰ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب - قوله - . ورواه معاذ بن الحارث ، عن أبي قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر مرفوعًا (٢٥٧) .

وكذا رواه رزين بن معاوية في « **كتابه** » مرفوعًا ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد حتىٰ يصلىٰ عليّ ، فلا تجعلوني كغُمَر[٥] (*) الراكب ، صلوا عليّ أول الدعاء وأوسطه وآخره »** (٢٥٨) .

---

(٢٥٦) سنن الترمذي ، كتاب الصلاة برقم (٤٨٦) . وإسناده ضعيف لجهالة أبي قرة . وأما أبو داود فهو سليمان بن مسلم المصاحفي : ثقة .

(٢٥٧) أخرجه الواحدي ومن طريقه الحافظ الرهاوي في الأربعين كما في تخريج الكشاف لابن حجر (ص ١٣٧) .

(*) - قال ابن الأثير في النهاية [٣/٣٨٥] : « الغُمَر - بضم الغين وفتح الميم - : القَدَح الصغير ، أراد أن الراكب يحمل رحله وأزواده على راحلته ويترك قَعْبَه إلى آخر تَرْحاله ، ثم يُعَلِّقه على رحله كالعِلاوة ، فليس عنده بمهمّ ، فنهاهم أن يجعلوا الصلاة عليه كالغُمَر الذي لا يُقَدَّم في المهامّ ويُجْعَل تَبَعًا » . اهـ .

(٢٥٨) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٤/١٥٥) رواية رزين .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « صلى العيد يوما » . [٢] - في خ ، ز : « وفىٰ » .

[٣] - في ز ، خ: « ثم » . [٤] - في ز ، خ: « إسناد » .

[٥] - في ز : « لعمر » .

وهذه الزيادة إنما تروىٰ من رواية جابر بن عبد اللّٰه في « **مسند الإمام عبد بن حميد الكَشي** » قال (٢٥٩) : حدثنا جعفر بن عون ، أخبرنا موسىٰ بن عبيدة ، عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : قال جابر : قال لنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تجعلوني كقدح الراكب ، إذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء ، فإن كان له حاجة في الوضوء توضأ ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب ، وإلا أهراق ما فيه ، اجعلوني في أول الدعاء ، وفي وسط الدعاء ، وفي آخر الدعاء** » .

فهذا حديث غريب ، وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث .

ومن ذلك دعاء القنوت ، لما رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، وابن خزيمة ، وابن حبَّان ، والحاكم ، من حديث أبي الجوزَاء ، عن الحسن بن عليّ - رضي اللّٰه عنهما - قال : علَّمني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر : « **اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضىٰ عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا[١] وتعاليت** » (٢٦٠) .

وزاد النسائي في سننه بعد هذا : « **وصلىٰ اللّٰه[٢] على النبي محمد[٣]** » .

ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الإمام أحمد(٢٦١) : حدثنا حسين بن عليّ الجعفي ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي[٤]

---

(٢٥٩) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١١٣٠) ، ورواه البزار في مسنده برقم (٣١٥٦) « كشف الأستار » من طريق موسى بن عبيدة به .

(٢٦٠) المسند (١/١٩٩) ، وسنن أبي داود برقم (١٤٢٥) ، وسنن الترمذي برقم (٤٦٤) ، وسنن النسائي (٣/٢٤٨) ، وسنن ابن ماجة برقم (١١٧٨) ، وصحيح ابن خزيمة (١٠٩٥) ، وصحيح ابن حبان (٢/ ١٤٨) ، والمستدرك (٣/١٧١) .

(٢٦١) المسند (٤/٨) ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر : ثقة ، روى له الجماعة . وأبو الأشعث الصنعاني : هو شراحيل بن آدة ، ويقال : آدة جد أبيه ، وهو شرحبيل بن كليب ، ثقة ، روى له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (١/ ٢٧٥) . حديث ١٠٤٧ . وفي كتاب الصلاة ، باب : الاستغفار حديث (١٥٣١) (٢/ ٨٨) من طريق هارون بن عبد اللّٰه ، ثنا حسين بن علي ، عن عبد الرحمن به . والنسائي في كتاب الجمعة ، باب : إكثار الصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم يوم الجمعة (٣/٩١ - ٩٢) . من طريق إسحاق بن منصور ، ثنا حسين الجعفي به . وابن ماجة في كتاب الجنائز ، باب : ذكر وفاته ودفنه صلى اللّٰه عليه وسلم (١/٥٢٤) حديث (١٦٣٦) . من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، ثنا الحسين بن علي ، عن عبد الرحمن به . وحديث ١٠٨٥ . والحاكم في المستدرك (١/٢٧٨) . وابن حبان كما في الموارد (٥٥٠) . والحديث صححه الشيخ الألبانى صحيح أبي داود (١/١٩٦).

---

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في ت : « اللهم » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ : « ابن » .

الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس الثقفي - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ** » . قالوا : يا رسول اللَّه ؛ وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمْتَ؟ - يعنى : وقد بليت - قال : « **إن اللَّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** » .

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث حسين بن على الجعفى . وقد صحح هذا الحديث ابنُ خزيمة ، وابن حبان ، والدارقطني ، والنووي في « **الأذكار** » .

(حديث آخر) قال أبو عبد اللَّه بن ماجة (٢٦٢) : حدثنا عمرو بن سوّاد المصري ، حدثنا عبد اللَّه ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد[١] بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نُسيّ ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده الملائكة . وإن أحدًا لن يصلي عليّ إلا عرضت [عَلَيّ صلاته]**[٢] **حتىٰ يفرغ منها** ». قال: قلت: وبعد الموت ؟ قال : « **[وبعد الموت]**[٣] . **إن اللَّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** » [فنبى اللَّه حى يرزقَ][٤] . هذا حديث غريب[٥] من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسيّ وأبي الدرداء فإنه لم يدركه ، واللَّه أعلم .

وقد روىٰ البيهقي(٢٦٣) من حديث أبي أمامة وابن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الأمر بالإِكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، ولكن في إسنادهما ضعف ، واللَّه أعلم .

ورُوي مرسلًا عن الحسن البصرى فقال إسماعيل القاضي(٢٦٤) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسنَ - هو البصري - يقول : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تأكل الأرض جسدَ من كَلَّمهُ روحُ القدس** » . مرسل حسن .

وقال الشافعي : أخبرنا إبراهيم بن محمد ، أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلىٰ اللَّه عليه

---

(٢٦٢) سنن ابن ماجة برقم (١٦٣٧) . وفيه أيضًا انقطاعصا آخر بين زيد وعبادة ، قاله البخاري .

(٢٦٣) السنن الكبرى للبيهقي (٣/٢٤٩) من حديث أبي أمامة ، رضي الله عنه ، ولم أجده عنده من حديث أبي مسعود وإنما هو من حديث أنس ، رضي الله عنه .

(٢٦٤) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٢٣) .

---

[١] - في ز ، خ: « شعيب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « صلاته عَلَيّ » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

وسلم قال: «**إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة، فأكثروا الصلاة عليّ**». هذا مرسل.

وهكذا يجب علىٰ الخطيب أن يصلي علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم الجمعة علىٰ المنبر في الخطبتين، ولا تصح الخطبتان إلا بذلك، لأنها عبادة، و[١]ذكر اللّٰه فيها شرط، فوجب ذكر الرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيها كالأذان والصلاة. هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما اللّٰه.

ومن ذلك أنه[٢] يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلوات اللّٰه وسلامه عليه، قال أبو داود(٢٦٥): حدثنا[٣] ابن عوف - هو محمد - حدثنا المقريّ، حدثنا حيوة، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبد اللّٰه بن قسيط، عن أبي هريرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: «**ما من أحد يسلم عليّ إلا رَدّ اللّٰه عليّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام**».

تفرد به أبو داود، وصححه النووي في «**الأذكار**»، ثم قال أبو داود(٢٦٦):

حدثنا أحمد بن صالح؛ قال: قرأت على عبد اللّٰه بن نافع، أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبُري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسولُ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**لا تجعلوا بيوتكم قُبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**».

تفرد به أبو داود أيضًا.

وقد رواه الإمام أحمد(٢٦٧) عن سُرّيج[٤]، عن عبد اللّٰه بن نافع -وهو الصائغ- به. وصححه النووي أيضًا.

وقد روي من وجه آخر عن على -رضي اللّٰه عنه- قال القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه «**فضل الصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم**»(٢٦٨):

حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن جعفر ابن أبي طالب [عمن أخبره][٥] من أهل بيته، عن علي بن الحسين بن[٦] علي؛ أن رجلًا كان

---

(٢٦٥) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب: زيارة القبور برقم (٢٠٤١).

(٢٦٦) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب: زيارة القبور برقم (٢٠٤٢).

(٢٦٧) المسند (٢/٣٦٧).

(٢٦٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٢٠).

---

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: «أن».

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - في ز، خ: «شريح».

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «عن أخيه».

[٦] - في ز، خ: «عن».

يأتي كل[١] غداة فيزور قبرَ النبي صلى اللَّه عليه وسلم ويصلي عليه، ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه علي ابن الحسين، فقال له عليٌّ بن الحسين: ما يحملك على هذا؟ قال: أحب السلام على النبي صلى اللَّه عليه وسلم. فقال له علي بن الحسين: هل لك أن أحدثك حديثًا عن أبي؟ قال: نعم. فقال له على بن الحسين: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**لا تجعلوا قبري عيدًا ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ وسلموا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم**».

في إسناده رجل مبهم[٢] لم يُسَمّ.

وقد رُوي من وجه آخر مرسلًا، قال عبد الرزاق في «**مصنفه**»(٢٦٩)، عن الثوري، عن ابن عجلان، عن رجل - يقال له: سهيل - عن الحسن بن الحسن بن علي؛ أنه[٣] رأى قومًا عند القبر فنهاهم، وقال: إن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**».فلعله رآهم يسيئون الأدب برفع أصواتهم، فنهاهم.

وقد رُوي أنه رأى رجلًا ينتاب القبر فقال: يا هذا؛ ما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء. أي: الجميع يبلغه. صلوات اللَّه وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

وقال الطبراني(٢٧٠) في «**معجمه الكبير**»: حدثنا أحمد بن رشدين[٤] المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرني حميد بن أبي زينب، عن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنهم - عن أبيه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: «**صلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**».

ثم قال الطبراني(٢٧١): حدثنا العباس بن حمدان الأصبهاني، حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان، أخبرنا يزيد بن هارون [أنا][٥] شيبان، عن الحكم بن عبد اللَّه بن خُطّاف[٦]، عن أم أنيس بنت الحسن بن علي، عن أبيها؛ قال: [قالوا: يا][٧] رسول اللَّه صلى اللَّه عليه

(٢٦٩) المصنف برقم (٦٧٢٦).

(٢٧٠) المعجم الكبير (٨٢/٣)، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٢/١٠): «فيه حميد بن أبي زينب لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢٧١) المعجم الكبير (٨٩/٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٩٣/٧): «فيه الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب».

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز، خ: «متهم».
[٣] - في ز، خ: «قال».
[٤] - في ز: «رشد».
[٥] - ما بين المعكوفين في ز، خ: بن أبي. والمثبت من المعجم الكبير
[٦] - في ز، خ: خطاب. وهو تحريف.
[٧] - ما بين المعكوفين في ز، خ: قال.

وسلم: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾؟ فقال: «**إن هذا من المكتوم، ولولا أنكم سألتموني عنه لما أخبرتكم، إن الله وكل بي ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك. وقال**[١] **الله وملائكته جوابًا لذينك الملكين: آمين ولا يصلي أحد إلا قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك. وقال**[٢] **الله وملائكته جوابًا لذينك الملكين: آمين**».

غريب جدًّا، وإسناده فيه ضعف شديد.

وقد قال الإمام أحمد(٢٧٢): حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول[٣]: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني عن**[٤] **أمتي السلام**».

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الأعمش، كلاهما عن عبد الله بن السائب به.

فأما الحديث الآخر: «**من صلى عَلَيّ عند قبري سمعته، ومن صلى علي من بعيد بلغته**»(٢٧٣). ففي إسناده نظر. تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا.

قال أصحابنا: ويستحب للمحرم إذا لبى وفرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، لما روى [ ][٥] الشافعي(٢٧٤) والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق؛ قال: كان يُؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال.

وقال إسماعيل القاضي(٢٧٥): حدثنا عارم بن الفضل، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا زكريا، عن الشعبي، عن وهب بن الأجدع؛ قال: سمعت عمر بن الخطاب؛ يقول: إذا قدمتم

---

(٢٧٢) المسند (٤٤١/١)، وسنن النسائي (٤٣/٣).

(٢٧٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٩٢/٣) من طريق الاصمعي عن السدي به، ثم روى بإسناد عن ابن قتيبة قال: سألت ابن نمير عن حديث: «من صلى عليَّ عند قبري» فقال: «دع ذا، محمد بن مروان ليس بشيء».

(٢٧٤) الأم (١٣٤/٢).

(٢٧٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨١).

---

[١] - في ز: «قال».

[٢] - في ت: «قال».

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - في ت: «من».

[٥] - في ز، خ: عن.

فطوفوا بالبيت سبعًا، وصلوا عند المقام ركعتين، ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت، فكبروا سبع تكبيرات، تكبيرًا بين حمد اللّه وثناء عليه، وصلاة علي النبي صلى اللّه عليه وسلم، ومسألة لنفسك، وعلى المروة مثل ذلك.

إسناد جيد حسن قوي.

وقالوا: ويستحب الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم مع ذكر اللّه عند الذبح، واستأنسوا بقوله تعالى: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ قال بعض المفسرين: يقول اللّه تعالى: «**لا أذكر إلا ذكرت معي**». وخالفهم في ذلك الجمهور، وقالوا: هذا موطن يفرد فيه ذكر الرب تعالى، كما عند الأكل، والدخول، والوقاع وغير ذلك، مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم.

(حديث آخر) قال [القاضي إسماعيل][٢٧٦]: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا عمر ابن هارون، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن ثابت، عن أبي هريرة؛ أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ قال: «**صلوا على أنبياء اللّه ورسله، فإن اللّه بعثهم كما بعثني**».

في إسناده ضعيفان، وهما عمر بن هارون وشيخه، واللّه أعلم.

وقد رواه عبد الرزاق[٢٧٧]، عن الثوري، عن موسى بن عبيدة الرَّبَذي به.

ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن، إن صح الخبر في ذلك، على أن الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة قد رواه في صحيحه[٢٧٨]؛ فقال: حدثنا زياد بن يحيى، حدثنا معمر بن محمد بن عبيد اللّه، عن[١] علي بن أبي رافع، عن أبيه [ ][٢] أبي رافع؛ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**إذا طنت أذن أحدكم فَلْيذكرني وليصل عليّ، وَلْيَقُلْ: ذَكَر اللّه مَن ذكرني بخير**». إسناده غريب، وفي ثبوته نظر، واللّه أعلم.

[مسألة]

(٢٧٦) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٤٥) وعمر بن هارون متروك، وموسى بن عبيدة ضعيف.

(٢٧٧) المصنف لعبد الرزاق برقم (٣١١٨).

(٢٧٨) ورواه الطبراني في المعجم الصغير (١٢٠/٢) وابن عدي في الكامل (٤٥١/٦) من طريق معمر به، وقال ابن عدي: «معمر بن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه منكر الحديث، مقدار ما يرويه لا يتابع عليه».

[١] - في خ، ز: «بن».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «عن».

وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم كلما كتبه، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة، عن نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: **«من صلى عليّ في كتاب، لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»**(٢٧٩).

وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة.

وقد رُوي من حديث أبي هريرة، ولا يصح أيضًا(٢٨٠)، قال الحافظُ أبو عبد اللّٰه الذهبي شيخُنا: أحسبه موضوعًا.

وقد رُوي نَحوُه عن أبي بكر، وابن عباس(٢٨١). ولا يصح من ذلك شيء. واللّٰه أعلم.

وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه: «**الجامع لآداب الراوي والسامع**[١]»، قال: رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّٰه كثيرًا ما يكتب اسم النبي صلى اللّٰه عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة، قال: وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظًا(٢٨٢).

[فصل]

وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت[٢] على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث: «**اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته**»، فهذا جائز بالإجماع، وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون: يجوز ذلك. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**هو الذي يصلي عليكم وملائكته**﴾، وبقوله: ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**﴾ وبقوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إنّ صلاتك سكن لهم**﴾، وبحديث عبد اللّٰه بن أبي أوفى؛ قال: كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «**اللهم صلّ عليهم**». وأتاه أبي بصدقته فقال: «**اللهم صلّ على آل أبي أوفى**». أخرجاه في الصحيحين.

(٢٧٩) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٦٩٩) من طريق أحمد بن جعفر الهاشمي عن سليمان بن الربيع عن كادح بن رحمة به.

(٢٨٠) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٢٣٤) «مجمع البحرين» من طريق يزيد بن عياض عن الأعرج، عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢٨١) أما حديث ابن عباس فسبق، وأما حديث أبي بكر فرواه ابن عدي في الكامل (٢٤٩/٣) من طريق أبي داود النخعي، عن أيوب بن موسى، عن القاسم، عن أبي بكر، رضي الله عنه، وداود النخعي وضاع.

(٢٨٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢٧١/١) ثم قال عقبه: «وقد خالفه غيره من الأئمة المتقدمين في ذلك».

[١] - في خ، ز: «والسائل». [٢] - في ز، خ: «كان».

وبحديث جابر: أن امرأته قالت: يا رسول الله؛ صل عليّ وعلى زوجي. فقال: « **صلى الله عليك وعلى زوجك** »(٢٨٣).

وقال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة، لأن هذا قد صار شعارًا للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: قال أبو بكر صلى الله عليه. أو قال علي صلى الله عليه. وإن كان المعنى صحيحًا. كما لا يقال: قال محمد عز وجل، وإن كان عزيزًا جليلًا؛ لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل. وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم؛ ولهذا لم يثبت شعارًا لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته. وهذا مسلك حسن.

وقال آخرون: لا يجوز ذلك؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت[١] من شعار أهل الأهواء، يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدى بهم في ذلك، والله أعلم.

ثم اختلف المانعون من ذلك: هل هو من باب التحريم، أو الكراهة[٢] التنزيهية، أو خلاف الأولى؟ على ثلاثة أقوال، حكاها الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب « **الأذكار** ». ثم قال: والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود.

قال أصحابنا: والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في اللسان بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - كما أن قولنا. عز وجل، مخصوص بالله سبحانه وتعالى، فكما لا يقال: محمد عز وجل، وإن كان عزيزًا جليلًا، لا يقال: أبو بكر - أو: علي - صلى الله عليه. هذا لفظه بحروفه. قال: وأما السلام، فقال الشيخ أبو محمد الجُوَيني من أصحابنا: هو في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب، ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: عليٌّ عليه السلام، وسواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به، فيقال: سلام عليكم، أو سلام عليك، أو السلام عليك أو عليكم. وهذا مجمع عليه. انتهى ما ذكره(٢٨٤).

قلت: وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، أن يفرد عليّ رضي الله عنه بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو: كرم الله وجهه وهذا وإن كان معناه صحيحًا، لكن ينبغي أن يُسَاوى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان[٣] وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(٢٨٣) - تقدم تخريج هذين الحديثين في هذه السورة.

(٢٨٤) الأذكار ص (١٥٩، ١٦٠).

---

[١] - في ز، خ: « صار ».

[٢] - في ز، خ: « الكراهية ».

[٣] - في خ: « قال شيخنا ».

قال إسماعيل القاضي (٢٨٥) : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، [حدثنا عبد الواحد][١] بن زياد ، حدثني عثمان بن حكيم بن عَبَّاد بن حُنَيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : لا تصلح[٢] الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار[٣] .

وقال أيضًا : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة (٢٨٦) ، حدثنا حسين بن علي ، عن جعفر بن بَرْقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فإن أناسًا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة ، وإن ناسًا من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عِدْلَ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءك كتابي هذا فَمُرْهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ، ويدعوا ما سوى ذلك . أثر حسن .

قال إسماعيل القاضي (٢٨٧) : حدثنا معاذ بن أسد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني خالد بن يَزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نُبَيه بن وهب : أن كعبًا دخل على عائشة رضي الله عنها ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، سبعون ألفًا بالليل ، وسبعون ألفًا بالنهار ، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يزفونه .

[فرع]

قال النووي : إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ، فلا يقتصر على أحدهما فلا يقل[٤] : صلى الله عليه فقط ، ولا : عليه السلام فقط . وهذا الذى قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا** ﴾ ، فالأولى أن يقال : صلى الله عليه وسلم تسليمًا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ

(٢٨٥) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٧٥) ولفظه عنده « لا تصلوا على أحد إلا على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار » .

(٢٨٦) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٧٦) .

(٢٨٧) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (١٠٢) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] – في ت : « تصح » .

[٣] – في ت : « بالمغفرة » .

[٤] – في ت : « يقول » .

ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

يقول تعالى متهددًا ومتوعدًا من آذاه ، بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك ، وآذى رسوله بعيب أو تنقص ، عياذًا بالله من ذلك .

قال عكرمة : في قوله : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله** ﴾ ، نزلت في المصوّرين .

وفي الصحيحين(٢٨٨) ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب ليله ونهاره** » . ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون : يا خيبة الدهر ؛ فعل بنا كذا وكذا . فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه ، وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل ، فنهى عن ذلك .

هكذا قرره[١] الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من العلماء رحمهم الله .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يؤذون الله ورسوله** ﴾ ، نزلت في الذين طعنوا في تزويجه صفية بنت حُيَي بن أخطب .

والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال الإمام أحمد(٢٨٩) :

حدثنا يونس ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن عَبيدة بن أبي رائطة الحذاء التميمي[٢] ، عن عبدالرحمن [بن زياد][٣] ، عن عبد الله بن المغفل المزني قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(٢٨٨) صحيح البخاري برقم (٤٨٢٦) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٤٦) .

(٢٨٩) المسند (٤/٨٧) (١٦٨٥٣) ، وعبيدة بن أبي رائطة : قال في التقريب : صدوق ، روى له الترمذي .
وعبد الله بن عبد الرحمن : وقيل : عبد الرحمن بن زياد ، وقيل : عبد الرحمن بن عبد الله ، قال ابن معين : لا أعرفه . وذكره ابن حبان في الثقات . قال الحافظ : لكن ابن حبان لم يذكره إلا في عبد الله بن عبدالرحمن وتبع في ذلك البخاري وابن أبي حاتم ، ثم إن البخاري لما ذكره حكى كلام من قال فيه عبدالرحمن بن زياد ؛ قال : وفيه نظر .
والحديث رواه الترمذي حديث ٣٨٦٢ من حديث عبد الرحمن بن زياد ويقال : إنه أخو عبيد الله بن زياد - عن ابن مغفل به نحوه . وقال : غريب لا أعرفه إلا من هذا الوجه . وأخرجه أيضًا المزي في تهذيب الكمال في ترجمة عبد الرحمن بن زياد . والحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث (٢٠٦٠٥ ، ٢٠٦٠٦ ، ٢٠٦٣٥) (٥ / ٥٤ ، ٥٥، ٥٧).

---

[١] - في خ ، ز : « رواه » .
[٢] - في خ ، ز : « التيمي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

« اللَّه اللَّه في أصحابي ، لا تتخذوهم غَرضًا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى اللَّه ، ومن آذى اللَّه يوشك أن يأخذه » .

وقد رواه الترمذي من حديث عُبيدة بن أبي رائطة ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد اللَّه ابن المغفل به . ثم قال : وهذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا** ﴾ ، أي : ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه ، ﴿ **فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ ، وهذا هو البهت البيّن أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه[١] ، على سبيل العيب والتنقص لهم ، ومن أكثر من يدخل في هذا[٢] الوعيد الكفرةُ باللَّه ورسوله ، ثم الرافضة الذين ينتقصون[٣] الصحابة ويعيبونهم بما قد برّأهم اللَّه منه ، ويصفونهم بنقيض ما أخبر اللَّه عنهم ؛ فإن اللَّه -عز وجل- قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم ، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا ، فهم في الحقيقة منكوسو[٤] القلوب ، يذمون الممدوحين ، ويمدحون المذمومين .

وقال أبو داود :(٢٩٠) حدثنا القعنبي ، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنه قيل : يا رسول اللَّه ، ما الغيبة ؟ قال : **« ذكرُكَ أخاك بما يكره »** . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : **« إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه »** .

وهكذا رواه الترمذي ، عن قتيبة ، عن الدراوردي ، به . [ثم][٥] قال : حسن صحيح .

وقد قال ابن أبي حاتم(٢٩١) : حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن عمار بن أنس ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لأصحابه : **« أي الربا أربى عند اللَّه ؟ »** قالوا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : **« أربى الربا عند اللَّه استحلالُ عرض امرئ مسلم »** ، ثم قرأ : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ .

---

(٢٩٠) سنن أبي داود ، كتاب الأدب برقم (٤٨٧٤) ، وسنن الترمذي كتاب البر والصلة برقم (١٩٣٤) .

(٢٩١) ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٧١١) من طريق يحيى بن واضح عن عمار بن أنس ، به .

---

[١] - في خ ، ز : « ينقلوه » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « يتنقصون » .
[٤] - في ز ، خ : « منكوسي » .
[٥] - سقط من ت .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (٥٩) ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا (٦٠) مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا (٦١) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا (٦٢)﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله صلى اللَّه عليه وسلم تسليمًا أن يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء. والجلباب هو: الرداء فوق الخمار. قاله[١] ابن مسعود، وعبيدة، وقتادة[٢]، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد. وهو بمنزلة الإزار اليوم.

قال الجوهري: الجلباب: الملحفة، قالت[٣] امرأة من هذيل ترثي قتيلًا لها:

تَمْشي النّسور إليه وَهْي لاهيَةٌ مَشْيَ العَذَارَى عَلَيْهِنّ الجَلابيبُ(٢٩٢)

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أمر اللَّه نساء المؤمنات[٤] إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة.

وقال محمد بن سيرين: سألت عَبِيدَةَ السلماني عن قول اللَّه تعالى: **﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾**، فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى.

وقال عكرمة: تغطي ثُغْرَة نحرها بجلبابها تدنيه عليها.

وقال ابن أبي حاتم(٢٩٣): أخبرنا أبو عبد اللَّه الطِّهراني[٥] فيما كتب إليّ، حدثنا[٦] عبد

(٢٩٢) الصحاح (١٠١/١).

(٢٩٣) تفسير عبد الرزاق (١٠١/٢) ورواه الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة عن عائشة مثله، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٧٥٩).

[١] - في ز، خ: «قال».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «قال».
[٤] - في ت: «المؤمنين».
[٥] - في ت: «الظهراني».
[٦] - سقط من: خ.

الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن خُثَيم، عن صفية بنت شيبة، عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾، خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سُود يلبسنها.

و[١]قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثني الليث، حدثنا يونس بن يزيد قال: وسألناه - يعني الزهري -: هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة؟ قال: عليها الخمار إن كانت متزوجة، وتنهى عن الجلباب لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر إلا محصنات، وقد قال الله تعالى: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾.

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة، إنما ينهى عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهن. واستدل بقوله تعالى: ﴿**ونساء المؤمنين**﴾.

وقوله: ﴿**ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**﴾، أي: إذا فعلن ذلك عُرِفْن أنَّهن حرائر، لسن بإماء ولا عواهر.

قال السدي في قوله تعالى: ﴿**قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**﴾، قال: كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة، يتعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضَيِّقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة، كفوا عنها. وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب، قالوا: هذه أمة. فوثبوا إليها.

وقال مجاهد: يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذىً ولا ريبة.

وقوله: ﴿**وكان الله غفورًا رحيمًا**﴾، أي: لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك.

ثم قال تعالى متوعدًا للمنافقين، وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر: ﴿**والذين في قلوبهم مرض**﴾ - قال عكرمة وغيره: هم الزناة هاهنا. ﴿**والمرجفون في المدينة**﴾، يعني: الذين يقولون: «جاء الأعداء»، «وجاءت الحروب». وهو كذب وافتراء - لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿**لنغرينك بهم**﴾، قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي لنسلطنَّك عليهم.

---

[١] - سقط من: ز، خ.

وقال قتادة رحمه اللَّه: لنحرشنّك[١] بهم.

وقال السدي: لنعلمنك بهم. ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾، أي: في[٢] المدينة ﴿إلا قليلًا * ملعونين﴾ حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين، ﴿أينما ثقفوا﴾، أي: وجدوا، ﴿أخذوا﴾ لذلتهم وقلتهم، ﴿وقتلوا تقتيلًا﴾.

ثم قال: ﴿سنة اللَّه في الذين خلوا من قبل﴾، أي: هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه. إن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، ﴿ولن تجد لسنة اللَّه تبديلًا﴾، أي: وسنة اللَّه في ذلك لا تبدل ولا تغير.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

يقول تعالى مخبرًا لرسوله صلى اللَّه عليه وسلم: أنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك. وأرشده أن يرد علمها إلى اللَّه -عز وجل- كما قال له في «سورة الأعراف». وهي مكية وهذه مدنية، فاستمر الحال في رَدّ علمها إلى الذي يقيمها، لكن أخبره أنها قريبة بقوله: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا﴾، كما قال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾. وقال: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾. وقال: ﴿أتى أمر اللَّه فلا تستعجلوه﴾.

ثم قال: ﴿إن اللَّه لعن الكافرين﴾، أي: أبعدهم من رحمته ﴿وأعد لهم سعيرًا﴾، أي: في الدار الآخرة، ﴿خالدين فيها أبدًا﴾، أي: ماكثين مستمرين، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها، ﴿لا يجدون وليًّا ولا نصيرًا﴾، أي: وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه.

ثم قال: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا﴾، أي:

---

[١] - بعده في خ: «عليهم».

[٢] - سقط من: ز، خ.

يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم، يقولون وهم كذلك، يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول، كما أخبر عنهم في حال العرصات بقوله: ﴿**ويوم يَعَضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾.

وقال تعالى: ﴿**ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**﴾. وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يَوَدون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا، ﴿**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا**﴾. وقال طاوس: سادتنا يعني الأشراف،وكبراءنا يعني العلماء. رواه ابن أبي حاتم.

أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئًا، وأنهم على شيء [فإذا هم ليسوا على شيء][١]، ﴿**ربنا آتهم ضعفين من العذاب**﴾، أي: بكفرهم وإغوائهم إيانا، ﴿**والعنهم لعنًا كبيرًا**[٢]﴾ قرأ بعض القراء(*) بالباء الموحدة. وقرأ آخرون(**) بالثاء المثلثة، وهما [قريبًا المعنى][٣]، كما في حديث عبد الله بن عمرو: أن أبا بكر قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «**قل: اللهم، إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**». أخرجاه في الصحيحين(٢٩٤)، يروى «**كبيرًا**» و «**كثيرًا**» وكلاهما بمعنى صحيح.

واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه، وفي ذلك نظر. بل الأولى أن يقول هذا تارة. وهذا تارة كما أن القارئ مخير بين القراءتين أيتهما قرأ فَحَسَن، وليس له الجمع بينهما، والله أعلم.

وقال أبو القاسم الطبراني(٢٩٥): حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا ضرار بن صُرَد، حدثنا علي بن هاشم[٤]، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه: الحجاج بن عمرو بن غَزِيَّة[٥]، وهو الذي كان يقول عند اللقاء: يا معشر

(*) - وهم: ابن عامر، وعاصم.

(**) - وهم: ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي.

(٢٩٤) صحيح البخاري، الأذان برقم (٨٣٤)، وصحيح مسلم، الذكر والدعاء برقم (٢٧٠٥).

(٢٩٥) المعجم الكبير (٣/٢٢٣).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٢] - في ز: «كثيرًا».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «قريبان، يعني».

[٤] - في خ، ز: «هشام».

[٥] - في خ، ز: «عزمة».

الأنصار، أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه: ﴿**ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا* ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا**[١]﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

قال البخاري عند تفسير هذه الآية(٢٩٦): حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا عوف، عن الحسن ومحمد[٢] وخلاس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن موسى كان رجلًا حَيِيًّا، وذلك قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا﴾**».

هكذا أورد هذا الحديث هاهنا مختصرًا جدًّا، وقد رواه في أحاديث «**الأنبياء**» بهذا السند بعينه(٢٩٧)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن موسى عليه السلام كان رجلًا حييًّا ستيرًا، لا يُرَىٰ من جلده شيء استحياءً منه، فآذاهُ من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أُدْرَة(*)** وإما آفة».
وإن الله عز وجل أراد أن يبرّئه مما قالوا لموسى عليه السلام، فخلا يومًا وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلمَّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حَجَرُ، ثوبي حَجَرُ، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لَنَدبًا(**) من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا - قال: فذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا**﴾».

وهذا سياق حسن مطول. وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم.

وقال الإمام أحمد(٢٩٨): حدثنا روح، حدثنا عوف، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه

(٢٩٦) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٩).

(٢٩٧) صحيح البخاري برقم (٣٤٠٤).

(*) - الأدرة: انتفاخ كيس الصفن من سائل يتجمع فيه.

(**) - النَّدَب: أثر الجرح. والمقصود أثر العصا.

(٢٩٨) المسند (٢/١٥٤).

[١] - في ز، خ: «كثيرًا».

[٢] - سقط من: خ، ز.

وسلم. وخلاس ومحمد، عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال في هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه اللّٰه مما قالوا**﴾، قال: قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: «**إن موسى كان رجلًا حييًّا ستيرًا، لا يكاد يرى من جلده شيء استحياءً منه ...**».

ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولًا. ورواه(*) في تفسيره عن روح، عن عوف، به. ورواه ابن جرير من حديث الثوري، عن جابر الجعفي، عن عامر الشعبي، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللّٰه عليه بنحو هذا(٢٩٩).

وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، وعبد اللّٰه بن الحارث، عن ابن عباس في قوله: ﴿**لا تكونوا كالذين آذوا موسى**﴾ قال: قال قومه له: إنك آدر، فخرج ذات يوم يغتسل، فوضع ثيابه على صخرة، فخرجت الصخرة تشتد بثيابه، وخرج يتبعها عريانًا حتى انتهت به مجالس بني إسرائيل، قال: فرأوه ليس بآدر، فذلك قوله: ﴿**فبرأه اللّٰه مما قالوا**﴾.

وهكذا روى[١] العوفي، عن ابن عباس سواء.

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٣٠٠): حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الأدمي قالا: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم؛ قال: «**كان موسى عليه السلام رجلًا حييًّا، وإنه أتى - أحسبه قال: الماء - ليغتسل، فوضع ثيابه على صخرة، وكان لا يكاد تبدو عورته، فقال بنو إسرائيل: إن موسى آدر أو به آفة يعنون أنه لا يضع ثيابه - فاحتملت الصخرة ثيابه حتى صارت بحذاء مجالس بني إسرائيل، فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال، أو كما قال، فذلك قوله: ﴿فبرأه اللّٰه مما قالوا وكان عند اللّٰه وجيهًا﴾**».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد بن العوام، عن سفيان ابن حسين، حدثنا الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنهم في قوله: ﴿**فبرأه اللّٰه مما قالوا**﴾.

قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون عليه السلام، فقال بنو إسرائيل لموسى عليه

(*) - أي: البخاري.

(٢٩٩) تفسير الطبري (٢٢/٣٦).

(٣٠٠) مسند البزار برقم (٢٢٥٢) «كشف الأستار»، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٢): «وفيه إسحاق بن عبد اللّٰه بن أبي فروة وهو متروك».

---

[١] - في ت: «رواه».

السلام: أنت قتلته، كان ألين [لنا منك][١] وأشد حياء. فآذوه من ذلك، فأمر الله الملائكة فحملته، فمروا به على مجالس بني إسرائيل، فتكلمت بموته، فما عرف موضع قبره إلا الرخم، وإن الله جعله أصم أبكم.

وهكذا رواه ابن جرير(٣٠١)، عن علي بن موسى الطوسي، عن عباد بن العوام، به.

ثم قال: وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذى، وجائز أن يكون الأول هو المراد، فلا قول أولى من قول الله عز وجل.

قلت: يحتمل أن يكون الكل مرادًا، وأن يكون معه غيره، والله أعلم.

قال الإمام أحمد(٣٠٢): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسمًا، فقال رجل من الأنصار: إن هذه لقسمة[٢] ما أريد بها وجه الله. قال: فقلت: يا عدو الله، أما لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت. قال: فذكر ذلك[٣] للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمرَّ وجهُه، ثم قال: «**رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش، به.

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد(٣٠٣): حدثنا حجاج، سمعت إسرائيل بن يونس، عن الوليد بن أبي هاشم - مولى الهمداني - عن زيد بن أبي زائد، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «**لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا**[٤] [**سليم الصدر**[٥]]»، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال[٦] فقسمه، قال: فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة. قال: فَتَثَبَّتُ حتى سمعتُ ما قالا، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إنك قلت لنا: «**لا يبلغني أحد**[٧] **عن أصحابي شيئًا**»، وإني مررت بفلان وفلان، وهما يقولان كذا وكذا. فاحمرَّ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٠١) تفسير الطبري (٢٢/٣٧).
(٣٠٢) المسند (١/٣٨٠)، وصحيح البخاري برقم (٣٤٠٥)، وصحيح مسلم برقم (١٠٦٢).
(٣٠٣) المسند (١/٣٩٥).

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: «منك لنا». [٢] - في ت: «القسمة».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في حاشية ز، خ هنا: «هاهنا سقط لعله ورقتين فإنه في نصف الكراس».
[٥] - ما بين المعكوفتين بياض في: ز. [٦] - في خ: «قال».
[٧] - في ز، خ: «أحدًا».

وشَق عليه، ثم قال: «**دعنا منك، لقد أوذي موسى بأكثر من هذا، فصبر**».

وقد رواه أبو داود(٣٠٤) في الأدب، عن محمد [بن يحيى الذهلي، عن محمد بن يوسف الفريابي، عن إسرائيل عن الوليد][١] بن أبي هاشم به مختصرًا: «**لا يبلغني أحد [من أصحابي][٢] عن أحد شيئًا؛ إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**».

وكذا رواه الترمذي(٣٠٥) في «المناقب» عن الذهلي سواء، إلا أنه قال: «زيد بن زائدة». ورواه أيضًا عن محمد بن إسماعيل، عن عبد الله بن محمد، عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد، كلاهما عن إسرائيل، عن السدي، عن الوليد بن أبي هاشم، به مختصرًا أيضًا، فزاد في إسناده السدى، ثم قال: غريب من هذا الوجه.

وقوله: ﴿**وكان عند الله وجيهًا**﴾. أي: له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل.

قال الحسن البصري: كان مستجاب الدعوة عند الله. وقال غيره من السلف: لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل.

وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة: أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فأجاب الله سؤله، وقال: ﴿**ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًا**﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا ﴿**قولًا سديدًا**﴾، أي: مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف. ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك، أثابهم عليه بأن يصلح لهم[٣] أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية. وما قد يقع منهم[٤] في المستقبل يلهمهم التوبة منها[٥].

ثم قال: ﴿**ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا**﴾، وذلك أنه يجار من النار، ويصير إلى النعيم المقيم.

---

(٣٠٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب برقم (٤٨٦٠).

(٣٠٥) سنن الترمذي، كتاب المناقب برقم (٣٨٩٦).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - في ز، خ: «لهم».

[٥] - في ز، خ: «فيها».

وقال ابن أبي حاتم (٣٠٦) : حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عون، حدثنا خالد، عن ليث، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري قال[١]، صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر، فلما انصرف أومأ إلينا بيده فجلسنا، فقال: «**إن الله أمرني أن آمركم، أن تتقوا الله وتقولوا قولًا سديدًا**». ثم أتى النساء فقال: «**إن الله أمرني أن آمركن: أن تتقين الله وتقلن قولًا سديدًا**».

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب «**التقوى**»: حدثنا محمد بن عباد بن موسى، حدثنا عبد العزيز ابن عمران الزهري. حدثنا عيسى بن سَمُرة[٢]، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر إلا سمعته يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا**﴾ الآية. غريب جدًا.

وروي [من حديث][٣] عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفًا: من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله.

قال عكرمة: القول السديد: لا إله إلا الله.

وقال غيره: السديد: الصدق. وقال مجاهد: هو السداد. وقال غيره: هو الصواب. والكل حق.

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

قال العوفي، عن ابن عباس: يعني بالأمانة: الطاعة، وعرضها عليهم قبل أن يعرضها على

(٣٠٦) ورواه أحمد في مسنده (٣٩١/٤) (١٩٥٤٥) من طريق شيبان عن ليث، به. وإسناده ضعيف ليث هو ابن أبي سليم - كما جاء مصرحًا به في رواية البزار. ورواه البزار حديث ٣١٤٨ «البحر الزخار». وهو في كشف الأستار، باب: الأمر بالتقوى (٦٨/٤) حديث ٣٢١٧. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٧/٧) وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مضطرب الحديث وبقية رجالهما رجال الصحيح.

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: «سبرة».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

آدم، فلم يطقنها. فقال لآدم: إني قد عرضتُ الأمانةَ على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب، وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت. فأخذها آدم فتحملها، وذلك[١] قوله: ﴿**وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا**﴾.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الأمانة: الفرائض، عرضها الله على السماوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم [الله][٢]، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيمًا لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله: ﴿**وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا**﴾، يعني: غِرًّا بأمر الله.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**﴾. قال: عرضت على آدم فقال: خذها بما فيها، فإن أطعت غَفَرتُ لك، وإن عَصَيت عذبتك. قال: قبلت. فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم، حتى أصاب الخطيئة.

وقد روى الضحاك، عن ابن عباس، قريبًا من هذا. وفيه نظر وانقطاع بين الضحاك وبينه، والله أعلم. وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن البصري، وغير واحد: إن الأمانة هي الفرائض.

وقال آخرون: هي الطاعة.

وقال الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق: قال أبي بن كعب: من الأمانة [أن المرأة][٣] اؤتمنت على فرجها.

وقال قتادة: الأمانة الدين والفرائض والحدود.

وقال بعضهم: الغسل من الجنابة.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم قال: الأمانة ثلاثة: الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة.

وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عُوقِبَ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان.

---

[١] - في ت: «فذلك».

[٢] - سقط من ت.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة، حدثنا حماد بن واقد- يعني أبا عمر الصفار- سمعت أبا معمر- يعنى عون بن معمر - يحدث عن الحسن- يعني البصري- أنه تلا هذه الآية: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال**﴾، قال: عرضها على السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم، وحملة العرش العظيم، فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت. قالت: لا. ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد، التي شدت بالأوتاد، وذللت بالمهاد، قال: فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسات عوقبت، قالت: لا. ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب، قال: قيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، قالت: لا.

وقال مقاتل بن حيان: إن الله حين خلق خلقه، جمع بين الإنس والجن، والسماوات والأرض والجبال، فبدأ بالسماوات فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة، ولكنّ عليّ الفضل والكرامة والثواب في الجنة؟ فقلن: يا رب، إنا لا نستطيع هذا الأمر، وليست بنا قوة، ولكنا لك مطيعين(*). ثم عرض الأمانة على الأرضين، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة وتقبلنها مني، وأعطيكن الفضل والكرامة؟ فقلن: لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيق، ولكنا لك سامعين مطيعين(*)، لا نعصيك في شيء تأمرنا به. ثم قرب آدم فقال له: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال عند ذلك آدم: ما لي عندك؟ قال: يا آدم، إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة؛ فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة. وإن عصيت ولَم ترعَها حق رعايتها وأسأت؛ فإني معذبك ومعاقبك وأنزلك النار. قال: رضيت رب.

وتَحَمَّلها، فقال الله عز وجل: قد حَمَّلْتُكَهَا. فذلك قوله: ﴿**وحملها الإنسان**﴾. رواه ابن أبي حاتم.

وعن مجاهد أنه قال: عرضها على السماوات فقالت: يا رب، حملتني الكواكب وسكان السماء وما ذكر، وما أريد ثوابًا ولا أحمل فريضة. قال: وعرضها على الأرض فقالت: يا رب، غرست في الأشجار، وأجريت في الأنهار وسكان الأرض وما ذكر، وما أريد ثوابًا ولا أحمل فريضة. وقالت الجبال مثل ذلك، قال الله تعالى: ﴿**وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا**﴾ في عاقبة أمره. وهكذا قال ابن جريج.

و[١]عن ابن أشوع أنه قال: لما عرض الله عليهن حمل الأمانة، ضَجَجْنَ إلى الله ثلاثة أيام

(*) كذا في ز، خ.

[١] - سقط من: ز، خ.

وليالیهن، وقلن: ربنا، لا طاقة لنا بالعمل، ولا نريد الثواب.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء الموصلي، حدثنا أبي، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم في هذه الآية: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾**، فقال الإنسان: بين أذني وعاتقي. فقال الله تعالى: إني مُعينك عليها، أي: معينك على عينيك بطبقتين[١]، فإذا نازعاك إلى ما أكره فأطبق. ومعينك على لسانك بطبقتين[٢]، فإذا نازعك[٣] إلى ما أكره فأطبق. ومعينك على فرجك بلباس، فلا تكشفه إلى ما أكره.

ثم روى عن أبي حازم نحو هذا.

وقال ابن جرير: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله عز وجل: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾**، قال: إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين، ويجعل لهن ثوابًا وعقابًا، ويستأمنهن على الدين. فقلن: لا، نحن مسخرات لأمرك [لا نريد ثوابًا ولا عقابًا][٤]، قال: وعرضها الله على آدم فقال: بين أذني وعاتقي. قال ابن زيد: فقال الله تعالى له: أما إذ تحملت هذا فسأعينك: أجعل لبصرك حجابًا، فإذا خشيت[٥] أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه، وأجعل للسانك بابًا وغلقًا، فإذا خشيت فأغلق. وأجعل لفرجك لباسًا فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك[٦].

وقال ابن جرير(٣٠٧): حدثني سعيد بن عمرو السَّكُوني[٧]، حدثنا بقية، حدثنا عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حبيب، عن الحكم بن عمير- وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الأنبياء، فأرسلوا به، فمنهم رسول [الله، ومنهم نبي][٨]، ومنهم نبي رسول، ونزل القرآن وهو كلام الله، ونزلت العربية والعجمية، فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم، ولم يدع الله شيئًا من أمره مما يأتون وما يجتنبون وهي الحجج عليهم، إلا بينه لهم. فليس**

(٣٠٧) تفسير الطبري (٢٢/٣٩) وله شاهد من حديث حذيفة أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٩٧) وسيأتي.

[١] - في خ: «تطيعين». [٢] - في خ: «قطيعين».
[٣] - في ز، خ: نازعا.
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: «لا ثوابًا ولا عقابًا». [٥] - في ز، خ: «شئت».
[٦] - سقط من: ز، خ. [٧] - في ز، خ: «السكوتي».
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن والقبيح، ثم الأمانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب، فعالم يعمل، وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها، حتى وصل إليّ وإلى أمتى، ولا يهلك على اللّه إلا هالك، ولا يغفله إلا تارك. فالحذر أيها الناس. وإياكم والوسواس الخناس، فإنما يبلوكم أيكم أحسن عملًا».

هذا حديث غريب جدًّا، وله شواهد من وجوه أخر[١].

ثم قال ابن جرير(٣٠٨) : حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا عبيد اللّه بن عبد المجيد الحنفي، أخبرنا أبو العوام القطان، حدثنا قتادة، وأبان بن أبي عياش، عن خُلَيد العَصَريّ[٢]، عن أبي الدرداء- رضي اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: **«خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن[٣]، وأعطى الزكاة من ماله طَيّب النفس بها، وكان يقول: وايم اللّه لا يفعل ذلك إلا مؤمن، [وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلًا][٤]، وأدى الأمانة»**. قالوا: يا أبا الدرداء؛ وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة، فإن اللّه لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.

وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبد الرحمن العنبري، عن أبي علي عبيد اللّه بن عبد المجيد الحنفي، عن أبي العوام عمران بن داور[٥] القطان به.

وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا تميم بن المنتصر، أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش، عن عبد اللّه بن السائب، عن زاذان، عن عبد اللّه بن مسعود، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم؛ أنه قال: **«القتل في سبيل اللّه يكفر الذنوب كلها -أو قال: يكفر كل شيء- إلا الأمانة، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك. فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له: أد أمانتك فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له: أد أمانتك. فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول: اذهبوا به[٦] إلى أمه الهاوية. فيذهب به إلى الهاوية، فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هنالك كهيئتها، فيحملها فيضعها على عاتقه، فيصعد بها إلى شفير جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج زَلّت، فيهوى[٧] في أثرها أبد الآبدين. قال: والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الوضوء، والأمانة في الحديث، وأشد**

(٣٠٨) تفسير الطبري (٣٩/٢٢)، وسنن أبي داود، كتاب الصلاة برقم (٤٢٩).

[١] - في ت: «أخرى».

[٢] - في ز، خ: «القيصري».

[٣] - في ز، خ: «مراقبتهن».

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٥] - في ت: «داود».

[٦] - سقط من: ز، خ.

[٧] - في ت: «فهوى».

ذلك الودائع. فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق.

قال شريك: وحدثنا عياش[١] العامري، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه. ولم يذكر «**الأمانة في الصلاة وفي كل شيء**»(٣٠٩). إسناده جيد، ولم يخرجوه.

ومما يتعلق بالأمانة الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٣١٠):

حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة؛ قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أن الأمانة نزلت في جذر**(١) **قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة**». ثم حدثنا عن رفع الأمانة. فقال: «**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه. فيظل أثرها مثل أثر [الوكت**(٢)، **فتقبض الأمانة من قلبه. فيظل أثرها]**[٢] **مثل أثر المجل**(٣) **كجمر دحرجته [على رجلك، تراه مُنتبرا**(٤) **وليس فيه شيء**» قال: ثم أخذ حصى فدحرجه][٣] على رجله- قال: «**فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، حتى يقال للرجل: ما أجلده وأظرفه**[٤] **وأعقله، وما في قلبه حبة من خردل من إيمان.**» ولقد أتى عَلَيّ زمان وما أبالي أيكم بايعت، إن كان مسلمًا ليردنه على دينه، وإن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليردنه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا.

وأخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به.

---

(٣٠٩) تفسير الطبري (٢٢/٤٠).

(٣١٠) المسند (٥/٣٨٣) (٢٣٣٦٢)، وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة (١١/٣٤١/ رقم: ٦٤٩٧) وطرفاه في (٧٠٨٦،٧٢٧٦). ومسلم في كتاب الإيمان، باب: رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب (١/١٢٦،١٢٧/رقم: ١٤٣). والترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء في رفع الأمانة. (٤/٤٧٤،٤٧٥/رقم: ٢١٧٩). وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجة في كتاب الفتن، باب: ذهاب الأمانه (٢/١٣٤٦/رقم: ٤٠٥٣). كلهم من طريق الأعمش به.

(١) - أي: في أصلها.

(٢) - الوكت: جمع وكتة وهي الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه.

(٣) - يقال: مجلت يده من العمل مَجْلًا: إذا تقرّحت من العمل وتكوّن بين الجلد واللحم فيها ماء بإصابة نار أو مشقة أو معالجة الشيء الخشن.

(٤) - أي: وَرِمًا.

---

[١] - في ز: «عبد الله».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - في ز: «وأطرفه».

وقال الإمام أحمد(٣١١) : حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن عبد الله بن عمرو؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طُعمة**».

هكذا رواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقد قال الطبراني(٣١٢) في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب: حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ابن حُجَيرة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة**». فزاد في الإسناد: «**ابن حُجَيرة**»، وجعله من مسند ابن عمر.

وقد ورد النهي عن الحلف بالأمانة، قال عبد الله بن المبارك في «كتاب الزهد»(٣١٣) : حدثنا شريك، عن أبي إسحاق الشيباني، عن خُنَاس بن سُحَيم - أو قال: جَبَلَة[١] بن سُحَيم - قال: أقبلت مع زياد بن حُدير من الجابية فقلتُ في كلامي: لا والأمانة. فجعل زياد يبكي ويبكي، فظننت أني أتيتُ أمرًا عظيمًا، فقلت له: أكان يكره هذا؟ فقال: نعم. كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع، قال أبو داود(٣١٤) : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائي، عن ابن بُرَيدة، عن أبيه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من حلف بالأمانة فليس منا**». تفرد به أبو داود، رحمه الله.

وقوله تعالى: ﴿**ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات**﴾، أي: إنما حمل ابن آدم الأمانة - وهي التكاليف - ليعذب الله[٢] المنافقين منهم والمنافقات، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفًا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله، ﴿**والمشركين والمشركات**﴾، وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله -عز وجل- ومخالفة رسله، ﴿**ويتوب الله على المؤمنين**

(٣١١) المسند (١٧٧/٢).

(٣١٢) مجمع الزوائد (١٤٥/٤) وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٣١٣) الزهد برقم (٢١٣).

(٣١٤) سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالأمانة برقم (٣٢٥٣)، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٣١٨) «موارد» من طريق وكيع عن الوليد بن ثعلبة، به.

[١] - في ز، خ: «خيلة».

[٢] - سقط من: خ.

والمؤمنات﴾، أي : وليرحم المؤمنين من الخلق [الذين آمنوا][١] بالله وملائكته[٢] وكتبه ورسله العاملين بطاعته، وكان الله غفورًا رحيمًا .



[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز ، خ.

تفسير سورة سبأ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ (٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٣)﴾

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة؛ أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك، كما قال: **﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾**؛ ولهذا قال هاهنا: **﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾**، أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه، كما قال: **﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾**.

ثم قال: **﴿وله الحمد في الآخرة﴾**، فهو المعبود أبدًا، المحمود على طول المدى. وقال: **﴿وهو الحكيم﴾**، أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره، **﴿الخبير﴾** الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء.

وقال مالك عن[١] الزهري: خبير بخلقه، حكيم بأمره؛ ولهذا قال: **﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾**، أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك. عدده وكيفيته وصفاته.

﴿وما ينزل من السماء﴾، أي: من قطر ورزق، **﴿وما يعرج فيها﴾**، أي[٢]: من الأعمال الصالحة وغير ذلك، **﴿وهو الرحيم الغفور﴾**، أي: الرحيم بعباده فلا يعاجل عُصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - سقط من: ز.

لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

هذه إحدى الآيات الثلاث التي[١] لا رابع لهن، مما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لَمَّا أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في «سورة يونس»: ﴿**ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين**﴾، والثانية هذه: ﴿**وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم**﴾: والثالثة في «التغابن» ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير**﴾، فقوله: ﴿**قل بلى وربي لتأتينكم**﴾، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره: ﴿**عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**﴾.

قال مجاهد وقتادة: ﴿**لا يعزب عنه**﴾، لا يغيب عنه، أي: الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى[٢] عليه منه شيء فالعظام - وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت - فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم.

ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: ﴿**ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين[٣]**﴾، أي: سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله، ﴿**أولئك لهم عذاب من رجز أليم**﴾، أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين، كما قال: ﴿**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾. وقال تعالى: ﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**﴾.

وقوله: ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق**﴾، هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها. وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة

---

[١] - في ز: «اللاتي».
[٢] - في ت: «تخفى».
[٣] - في ز: «معجزين».

ومجازاة الأبرار والفجار بالذي[١] كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ،ويقولون يومئذ أيضًا : ﴿**لقد جاءت رسل ربنا بالحق**﴾ ، ويقال أيضًا : ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ ، ﴿**لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث**﴾ ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد**﴾ - العزيز هو : المنيع الجناب ، الذي لا يُغالب ولا يُمانَع ، بل قد قهر كل شيء ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله[٢] وشرعه وقدره ، وهو المحمود في ذلك كله .

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾

هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيامَ الساعة واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم في[٣] إخباره بذلك : ﴿**وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مُزقتم كل ممزق**﴾ ، أي : تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب ،وتمزقت كل ممزق : ﴿**إنكم**﴾ ، أي : بعد هذا الحال ﴿**لفي خلق جديد**﴾ ، أي : تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك . وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين : إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك . أو أنه لم يتعمد لكن لُبس عليه كما يُلبَّس على المعتوه والمجنون ؛ ولهذا قالوا : ﴿**أفترى على الله كذبًا أم به جنة**﴾ ؟ قال الله تعالى رادًا عليهم : ﴿**بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد**﴾ ، أي : ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه ، بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق ، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء ، ﴿**في العذاب**﴾ ، أي : الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله ، ﴿**والضلال البعيد**﴾ ، من الحق في الدنيا .

ثم قال منبهًا لهم على قدرته في خلق السماوات والأرض- فقال : ﴿**أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض**﴾ ، أي : حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مُظّلة مظللة عليهم ، والأرض تحتهم ، كما قال : ﴿**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون * والأرض فرشناها**

---

[١] - في ز : « الذي » .
[٢] - في ز : « وأقواله » .
[٣] - في ز : « و » .

فنعم الماهدون﴾.

قال عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: **﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾**، قال: إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو من بين يديك أو من خلفك، رأيت السماء والأرض.

وقوله: **﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾**، أي: لو شئنا لفعلنا بهم ذلك؛ لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا.

ثم قال: **﴿إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾**، قال معمر، عن قتادة: **﴿منيب﴾** تائب.

وقال سفيان عن قتادة: المنيب: المقبل إلى الله عز وجل.

أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فَطِن لبيب رَجّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد، لأن من قدر على خلق [السماوات في][١] ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: **﴿أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن [يخلق مثلهم][٢] بلى﴾** وقال: **﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق[٣] الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**.

أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود - صلوات الله وسلامه عليه - مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العدد والعُدَدَ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات. وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري يقرأ من الليل،

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «هذه السماوات و».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «يحيي الموتى». [٣] - سقط من: ز.

فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال: «**لقد أوتي هذا مِزْمَارًا من مزامير آل داود**»(١) .

و[١]قال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صَنج ولا بَرْبَط[٢] ولا وَتَر أحسنَ من صوت أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه.

ومعنى قوله: ﴿**أوبي معه**﴾، أي: سبحي. قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد.

وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سَبِّحي بلسان الحبشة. وفي هذا نظر، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها.

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه «**الجُمل**» في باب النداء منه ﴿**يا جبال أوبي معه**﴾، أي: سيري معه بالنهار كله، والتأويب: سير النهار كله، والإسار: سير الليل كله[٣]. وهذا لفظه، وهو غريب جدًّا لم أجده لغيره، وإن كان له مساعدة من حيث[٤] اللفظ في اللغة، لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا. والصواب أن المعنى في قوله تعالى: ﴿**أوبي معه**﴾، أي: رَجِّعي مُسَبِّحة معه، كما تقدم، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿**وألنا له الحديد**﴾، قال الحسن البصري، وقتادة، والأعمش وغيرهم: كان لا يحتاج أن يُدخلَه نارًا ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط، ولهذا قال: ﴿**أن اعمل سابغات**﴾، وهي: الدروع - قال قتادة: وهو أول من عملها من الخلق، وإنما كانت قبل ذلك صفائح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا ابن[٥] سماعة، حدثنا ابن ضَمْرة، عن ابن شوذب؛ قال: كان داود - عليه السلام - يرفع في كل يوم درعًا فيبيعها بستة آلاف درهم: ألفين له ولأهله، وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني إسرائيل خبز الحوارى.

﴿**وقدر في السرد**﴾، هذا إرشاد من اللَّه لنبيه، داود عليه السلام، في تعليمه صنعة الدروع.

قال مجاهد في قوله: ﴿**وقدر في السرد**﴾: لا تُدِق[٦] المسمار فَيقلَق في الحلقة، ولا تُغَلِّظه فيفصمها[٧]، واجعله بقدر.

---

(١) تقدم تخريج الحديث .

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «بَرْبَط».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - في ز: «بدق».
[٧] - في ز: «فيقصمها».

وقال الحكم بن عُتيبة[١]: لا تُغَلظه فيفصم[٢]، ولا تدقه فيقلَق. وهكذا روي عن قتادة، وغير واحد.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: السرد: حَلَقُ[٣] الحديد. وقال بعضهم: يقال: درع مسرودة[٤]: إذا كانت مسمورة الحلق، واستشهد بقول الشاعر:

وَعَليهما مَسْرُودتَان قَضَاهُما[٥] «دَاوُد»، أو صَنَعُ السَّوابغ «تُبَّعُ»

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام(٢) من طريق إسحاق بن بشر[٦] - وفيه كلام - عن أبي إلياس، عن وهب بن مُنَبه ما مضمونه: أن داود عليه السلام كان يخرج متنكرًا، فيسأل الركبان عنه وعن سيرته، فلا يسأل أحدًا إلا أثني عليه خيرًا في عبادته وسيرته ومعدلته - صلوات الله وسلامه عليه - قال وهب: حتى بعث الله ملكًا في صورة رجل، فلقيه داود فسأله كما كان يسأل غيره، فقال: هو خير الناس لنفسه ولأمته، إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملًا. [قال: ما هي؟][٧] قال: يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين - يعني بيت المال - فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه في الدعاء أن يعلمه عملًا بيده يستغني به[٨] ويغني به عياله، فألان له الحديد، وعلمه صنعة الدروع، فعمل الدرع، وهو أول من عملها، فقال الله: ﴿**أن اعمل سابغات وقدر في السرد**﴾، يعني مسامير الحلق، قال: وكان يعمل الدرع، فإذا ارتفع من عمله درع باعها، فتصدق بثلثها، واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله، وأمسك الثلث يتصدق به يومًا[٩] بيوم إلى أن يعمل غيرها. وقال: إن الله أعطى داود شيئًا لم يعطه غيره من حسن الصوت، إنه كان إذا قرأ الزبور تسمع الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته. وكان شديد الاجتهاد، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير، وكان قد أعطي سبعين مزمارًا[١٠] في حلقه.

وقوله: ﴿**واعملوا صالحًا**﴾، أي: في الذى أعطاكم الله من النعم، ﴿**إني بما تعملون بصير**﴾، أي: مراقب لكم، بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى عليّ من ذلك شيء.

---

(٢) تاريخ دمشق (٥/٧٠٨ المخطوط).

---

[١] - في ز: «عيينة».
[٢] - في ز: «فيقصم».
[٣] - في ز: «هو».
[٤] - في ز: «مسرود».
[٥] - في ز: «يضاهما».
[٦] - في ز: «بسر».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٨] - سقط من: خ، ز.
[٩] - سقط من: خ، ز.
[١٠] - سقط من: خ، ز.

يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى سليمان بن داود، من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر.

قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغدّى بها، ويذهب [رائحا][١] من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع.

وقوله: ﴿**وأسلنا له عين القطر**﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء الخراساني، وقتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد: القطر النحاس. قال قتادة: وكانت باليمن، فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام.

قال السدي: وإنما أسيلت له ثلاثة أيام.

وقوله: ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه**﴾، أي: وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله، أي: بقدره[٢]، وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك. ﴿**ومن يزغ منهم عن أمرنا**﴾، أي: ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿**نذقه من عذاب السعير**﴾، وهو الحريق.

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا غريبًا فقال(٣): [حدثنا أبي][٣]، حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نُفَير، عن أبي ثعلبة الخُشَني؛ أن رسول

---

(٣) ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٥٦) وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (٢٢/٢١٤) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح به، ورواه ابن حبان في صحيحه حديث (٢٠٠٧) من طريق ابن وهب، عن معاوية بن صالح، به.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز.

[٢] - في ز: «القدري».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: «**الجن على ثلاثة أصناف: صنف له أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون**». رفعه غريب جدًّا.

وقال أيضًا: حدثنا أبي، حدثنا حرملة، حدثنا ابن وهب، أخبرني بكر بن مضر، عن محمد، عن ابن أنعم؛ أنه قال: الجن ثلاثة: صنف لهم الثواب وعليهم العقاب، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض، وصنف حيات وكلاب.

قال بكر بن مضر: ولا أعلم إلا أنه قال[١]: حدثني أن الإنس ثلاثة: صنف يظلهم اللَّه بظل عرشه يوم القيامة، وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلًا، وصنف في صُور الناس على قلوب الشياطين.

وقال أيضًا: حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا سلمة - يعني ابن الفضل - عن إسماعيل، عن الحسن؛ قال: الجن ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون، وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنًا فهو ولي اللَّه، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرًا فهو شيطان.

وقوله: ﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل**﴾، أما المحاريب فهي البناء الحسن، وهو أشرف شيء في المسكن وصدره.

وقال مجاهد: المحاريب بنيان دون القصور. وقال الضحاك: هي المساجد. وقال قتادة: هي المساجد والقصور. وقال ابن زيد: هي المساكن.

وأما التماثيل فقال عطية العوفي، والضحاك والسدي: التماثيل: الصور. قال مجاهد: وكانت من نحاس. وقال قتادة: من طين وزجاج.

وقوله: ﴿**وجفان كالجواب وقدور راسيات**﴾، الجواب: جمع جابية، وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

تَرُوحُ عَلَى آلِ المحلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشَّيخِ العِرَاقِي تَفْهَقُ

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**كالجواب**﴾، أي: كالجَوبة من الأرض.

وقال العوفي، عنه: كالحياض. وكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك وغيرهم.

والقدور الراسيات: أي الثابتات في أماكنها[٢] لا تتحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها.

كذا قال مجاهد والضحاك، وغيرهما.

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في ز: «أماكنهم».

وقال عكرمة: أثافيها منها.

وقوله: ﴿**اعملوا آل داود شكرًا**﴾، أي: وقلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين.

وشكرًا: مصدر من غير الفعل، أو أنه مفعول له، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية، كما قال:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلاثَةً يدِي، ولِسَانِي، وَالضَّمِيرَ المُحَجَّبَا

قال أبو عبد الرحمن الحُبُلي[١]: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله شكر. وأفضل الشكر الحمد. رواه ابن جرير.

وروى هو وابن أبي حاتم، عن محمد بن كعب القرظي؛ قال: الشكر تقوى الله والعمل الصالح.

وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود - عليه السلام - كذلك قائمين بشكر الله قولًا وعملًا.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي بكر، حدثنا جعفر - يعني ابن سليمان - عن ثابت البُناني؛ قال: كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة، فكان لا تأتي[٢] عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي، فغمرتهم هذه الآية: ﴿**اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور**﴾.

وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «**إن أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داودَ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يَفِر إذا لاقى**»(٤).

وقد روى أبو عبد الله بن ماجة من حديث سُنَيد بن داود، حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قالت أمّ سليمان بن داود لسليمان: يا بني؛ لا تكثر النوم بالليل؛ فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا يوم القيامة**»(٥).

---

(٤) صحيح البخاري، كتاب التهجد حديث (١١٣١)، وصحيح مسلم، كتاب الصيام حديث (١١٥٩).

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها حديث (١٣٣٢)، وقال البوصيري في الزوائد (١/ ٤٣٣): «هذا إسناد ضعيف».

---

[١] - في خ، ز: «السلمي». [٢] - في ز: «يأتي».

وروى ابن أبي حاتم عن [عن أبي حاتم][١] داود - عليه السلام - هاهنا أثرًا غريبًا مطولًا جدًّا، وقال أيضًا:

حدثنا أبي، حدثنا عمران بن موسى، حدثنا أبو يزيد[٢] قبيصة بن إسحاق الرقي؛ قال: قال فضيل في قوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾. فقال داود: يا رب؛ كيف أشكرك، والشكر نعمة منك؟ قال: «الآن شكرتني حين علمت[٣] أن النعمة[٤] مني».

وقوله: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾، إخبار عن الواقع.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام، وكيف عَمَّى الله موته على الجانّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه - وهي منسأته - كما قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغير واحد - مدة طويلة نحوًا من سنة، فلما أكلتها دابةُ الأرض، وهي الأرضة، ضعفت[٥] وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة - تبينت الجن والإنس أيضًا أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب، وفي صحته نظر.

وقال ابن جرير(٦): حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن[٦] السائب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**كان سليمان نبي الله - عليه السلام - إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا. فيقول: لأي شيء أنت؟ فإن كانت لغرس غُرِسَتْ، وإن كانت لدواء كُتِبَتْ. فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب. قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت. فقال سليمان: اللهم، عَمِّ علي الجن موتي[٧] حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب. فنحتها عصًا، فتوكأ عليها حولًا ميتًا، والجن تعمل. فأكلتها الأرضة، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولًا[٨] في العذاب المهين**».

---

(٦) تفسير الطبري (٢٢/٧٤).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٢] - في خ: «زيد».
[٣] - في ز: «قلت».
[٤] - في خ: «النعم».
[٥] - في ز: «فضعفت».
[٦] - في ت: «عن».
[٧] - في ز: «موتتي».
[٨] - سقط من: ز.

قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك. قال: فشكرت الجن الأرضة، فكانت تأتيها[١] بالماء).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث إبراهيم بن طهمان به. وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفًا، وعطاء بن أبي مسلم[٢] الخراساني له غرابات، وفي بعض حديثه نكارة.

وقال السدي(٧)، في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مُرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: كان سليمان يتحرَّد(*) في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخل طعامه وشرابه، فأدخله في المرة التي توفي فيها، وكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة، فيأتيها فيسألها، فيقول: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا وكذا. فإن كانت لغرس غرسها، وإن كانت نبتَ دواء قالت: نَبَتُّ دواء لكذا وكذا. فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها: الخرّوبة، فسألها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخروبة. قال: ولأي شيء نَبَتِّ؟ قالت: نبت لخراب هذا المسجد. قال سليمان: ما كان الله ليخرّبه وأنا حي؟ أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها[٣] وغرسها في حائط له، ثم دخل المحراب فقام[٤] يصلى متكئًا على عصاه، فمات ولا تعلم به الشياطين، وهم في ذلك يعملون له، يخافون أن يخرج فيعاقبهم. وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كُوى بين يديه وخلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن[٥] يخلع يقول: ألست جلدًا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق. فمر ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق. ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتًا. فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، [ففتحوا عليه][٦] فأخرجوه، وَوَجدوا منسأته - وهي: العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا منذ كم مات؟ فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يومًا وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة. وهي في قراءة ابن مسعود: (فمكثوا يدأبون[٧] له من بعد موته حولًا كاملًا) فأيقن

(٧) - أخرجه ابن جرير من طريق السدي (٢٢/٧٥)
(*) أي يعتزل ويتنحَّىٰ.

[١] - في ز: « تأتيه ».
[٢] - في ز: « سليم ».
[٣] - في خ، ز: « فتزوجها ».
[٤] - في ز: « فدخل ».
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: « فتنحوا عنه ».
[٧] - في ز: « بدئون ».

الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب؛ لعلموا بموت سليمان، ولم يلبثوا في العذاب يعملون له سنة، وذلك قول اللّٰه عز وجل: ﴿**ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين**﴾، يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين[١] الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكنا سننقل إليك الماء والطين- قال: فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت- قال: ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب؟ فهو ما تأتيها به الشياطين، شكرًا لها(٨).

وهذا الأثر- واللّٰه أعلم- إنما هو مما تلقي من علماء أهل الكتاب، وهي وَقفٌ، لا يصدق منها إلا ما وافق الحق، ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدق ولا يكذب.

وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿**ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته**﴾، قال: قال سليمان عليه السلام لملك الموت: إذا أمرتَ بي فأعلمني. فأتاه فقالَ: يا سليمان؛ قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة؟ فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير، وليس له[٢] باب، فقام يصلي فاتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت، فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارًا من ملك الموت- قال: والجن يعملون بين يديه وينظرون إليه، يحسبون أنه حي. قال: فبعث اللّٰه عز وجل دابة الأرض، قال: والدابة تأكل العيدان- يقال لها: القادح- فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت، وثقل عليها فخر ميتًا، فلما رأت ذلك الجن انفضوا[٣] وذهبوا، قال: فذلك قوله: ﴿**ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته**﴾.

قال أصبغ: بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر.

وقد ذكر غير واحد من السلف نحوًا من هذا، [واللّٰه أعلم][٤].

فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا

---

(٨) تفسير الطبري (٢٢/٧٥ - ٧٦).

---

[١] - في خ، ز: «تشتهين».

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - في ز: «انفضت».

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾

كانت سبأ ملوكَ اليمن وأهلها، وكانت التبابعة[١] منهم، وبلقيس صاحبة سليمان منهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم، واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم. وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا[٢] كذلك ما شاء الله، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذرمَذرَ؛ كما يأتي تفصيله وبيانه قريبًا إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

قال الإمام أحمد رحمه الله(٩) : حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا ابن لهيعة، عن عبد الله ابن هُبَيرة، عن عبد الرحمن بن وَعلة[٣]؛ قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ: ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال: «**بل هو رجل، ولد عَشَرَة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فَمَذْحِجٌ، وكِندَةُ، والأزد، والأشعريون وأنمار، وحمير، وأما الشامية فلخم، وجُذام، وعاملة، وغسّان**».

ورواه عَبد، عن الحسن بن موسى، [عن ابن لهيعة][٤] به. وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه. وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب «**القصد والأمَم**، **بمعرفة أصول[٥] أنساب العرب والعجم**»، من حديث ابن لهيعة، عن علقمة بن وعلة، عن ابن عباس فذكر نحوه. وقد روى نحوه من وجه آخر.

وقال الإمام أحمد[٦] أيضًا وعبد بن حميد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا أبو جَنَاب يحيى ابن أبي حية[٧] الكلبي، عن يحيى بن هانئ بن عروة، عن فروة بن مُسَيك؛ قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله؛ أقاتل بمقبل قومي مدبرهم؟ قال: «**نعم، فقاتل بمقبل قومك مدبرهم**». فلما وليت دعاني فقال: «**لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام**». فقلت: يا رسول الله؛ أرأيت سبأ أواد هو، أو رجل، أو[٨] ما هو؟ قال: «**بل رجل من العرب، ولد له عشرة فتَيَامَنَ ستة وتشاءم أربعة، تيامن الأزد، والأشعريون، وحمير، وكندة، ومذحج، وأنمار الذين يقال لهم: بجيلة[٩]، وخثعم. وتشاءم لخم، وجذام، وعاملة،**

(٩) المسند (٣١٦/١).

[١] - في ز: «التتابعة».
[٢] - في ز: «وكانوا».
[٣] - في ز: «وعكة».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - بياض في خ، ز.
[٨] - في ز: «أم».
[٩] - في ز: «بجلة».

وغسَّان »(١٠) .

وهذا أيضًا إسناد جيد وإن كان فيه أبو جَنَاب[١] الكلبي ، وقد تكلموا فيه . لكن رواه ابن جرير(١١) عن أبي كريب ، عن العنقزيّ ، عن أسباط بن نصر ، عن يحيى بن هانئ المرادي ، عن عمه أو عن أبيه - يشك أسباط - قال : قدم فروة بن مُسَيك على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فذكره .

(طريق أخرى لهذا الحديث) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، حدثني ابن لهيعة ، عن توبة بن نَمِر[٢] ، عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال : كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بإفريقية فقال يومًا : ما أظن قومًا بأرض إلا هم من أهلها . فقال عليّ بن رباح : كلا ، قد حدثني فلان أن فروة بن مُسَيك الغُطيفي قدم على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ؛ إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية ، وإني أخشى أن يرتدّوا عن الإسلام ، أفأقاتلهم ؟ فقال : « **ما أمرت فيهم بشيء بعد** » . فأنزلت هذه الآية : ﴿ **لقد كان لسبأ في [مسكنهم آية]**[٣] ﴾ الآيات ، فقال له رجل : يا رسول اللَّه ؛ ما سبأ ؟ فذكر مثل [هذا الحديث الذي][٤] قبله : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم سُئل عن سبأ : ما هو ؟ أبلد ، أم رجل ، أم امرأة ؟ قال : « **بل رجل ، وَلَدَ عَشَرَة ، فسكن اليمن منهم ستة ، والشام أربعة ، أما اليمانيون فمذحج ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأنمار ، وحمير غير ما حلها . وأما الشام فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة** » .

فيه غرابة من حيث[٥] ذكر الآية بالمدينة ، والسورة مكية كلها ، واللَّه[٦] أعلم .

(طريق أخرى) ، قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني الحسن بن الحكم ، حدثنا أبو سبرة النخعي ، عن فروة بن مسيك الغطيفي ؛ قال : قال رجل : يا رسول اللَّه ؛ أخبرني عن[٧] سبأ : ما هو ؟ أرض ، أم امرأة ؟ قال : « **ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من الولد ، فتيامن ستة وتشاءم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان ، وأما الذين تيامنوا فكندة ، والأشعريون ، والأزد ، ومذحج ، وحمير ،وأنمار** » . فقال رجل : ما أنمار ؟ قال : « **الذين منهم خثعم وبجيلة** » .

---

(١٠) مسند الإمام أحمد ، طبعة مؤسسة قرطبة ، حديث (٢٧٨٥٧) ، وهو ساقط من باقي النسخ المطبوعة .

(١١) تفسير الطبري (٧٧/٢٢) .

---

[١] - في ز : « خباب » .

[٢] - في ز : « نمير » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « مساكنهم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « حديث » .

[٥] - في ز : « حديث » .

[٦] - في ز : « فالله » .

[٧] - سقط من : ز .

ورواه الترمذي في جامعه(١٢)، عن أبي كريب وعبد بن حميد؛ قالا: حدثنا أبو أسامة... فذكره أبسط من هذا، ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

وقال أبو عمر بن عبد البر: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد ابن زهير، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى، حدثنا ابن كثير - هو عثمان بن كثير - عن الليث بن سعد، عن موسى بن علي، عن يزيد بن حصين، عن تميم الداري؛ أن رجلًا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ... فذكر مثله، فقوى[١] هذا الحديث وحسّن.

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يقال له: الرائش؛ لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه، فسمي الرائش، والعرب تسمي المال: ريشًا ورياشًا. وذكروا أنه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه المتقدم، وقال في ذلك شعرًا:

سَيَمْلكُ بَعْدَنَا مُلْكًا عظيمًا ... نَبيّ لا يُرَخّصُ في الحَرَام
وَيَمْلك بَعْدَه منهُم مُلُوك ... يدينون العبادَ بغير ذام
ويَملك بَعدهم منا مُلُوك ... يَصير المُلك فينَا باقتسَام[٢]
وَيَملك بَعْدَ قَحطَان نَبي ... تَقي خَبتَة[٣] خير الأنام
وسُمّي أحْمَدًا يَالَيتَ أني ... أعَمّرُ بَعْدَ مَبعَثه بِعَام
فأعضُده وأحبُوه بنَصْري ... بكُل مُدَجّج وبكُل رام
متى يَظْهَرْ فَكُونُوا نَاصريه ... وَمَنْ يَلْقَاهُ يُبْلغُهُ سَلامي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب «الإكليل».

واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من سلالة إرم بن سام بن نوح، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق.

والثاني: أنه من سلالة عَابر، وهو هود عليه الصلاة والسلام، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به[٤] على ثلاث طرائق أيضًا.

---

(١٢) تفسير الطبري (٢٢/٧٦ - ٧٧)، وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة سبأ، حديث (٣٢٢٢).

---

[١] - في ز: «تقوى».
[٢] - في ز: «باقتسام».
[٣] - في خ: «حبيه».
[٤] - سقط من: ز.

والثالث: أنه من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما السلام- واختلفوا في كيفية[١] اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضًا.

وقد ذكر ذلك مستقصى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النَّمري رحمه الله، في كتابه: «**الإنباه على ذكر أصول القبائل الرواه**».

ومعنى قوله عليه السلام: «**كان رجلًا من العرب**»، يعني: العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه السلام، من سلالة سام بن نوح. وعلى القول الثالث: كان من سلالة الخليل عليه السلام، وليس هذا بالمشهور عندهم، والله أعلم.

وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر من «**أسلَمَ**» ينتضلون، فقال: «**ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا**»(١٣).

فأسلم قبيلة من الأنصار، والأنصار[٢] أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ نزلوا بيثرب لما تفرقت سبأ في البلاد، حين بعث الله عليهم سيل[٣] العرم، ونزلت طائفة منهم بالشام، وإنما قيل: لهم: غَسَّان بماء نزلوا عليه؛ قيلَ: باليمن. وقيل: إنه قريب من المُشَلَّل[٤]، كما قال حسان بن ثابت:

إمَّا سَألت فَإنَّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ[٥] الأَزْدُ نِسْبَتُنَا، والماء غَسَّانُ

ومعنى قوله: «**ولد له**[٦] **عشرة من العرب**»، أي: كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن، لا أنهم ولدوا من صلبه، بل منهم من بينه وبينه[٧] الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر، كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب.

ومعنى قوله: «**فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة**»، أي: بعد ما أرسل الله عليهم سيل العرم، منهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزح[٨] عنها إلى غيرها. وكان من أمرالسد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين، وتجتمع إليه أيضًا سيول أمطارهم وأوديتهم، فعَمَدَ[٩] ملوكهم الأقادم، فبنوا بينهما سدًّا عظيمًا محكمًا حتى ارتفع الماء، وحُكِمَ على حافات ذينك الجبلين، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن. كما ذكره غير واحد من

(١٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: نسبة اليمن إلى إسماعيل حديث (٣٥٠٧) من حديث سلمة، رضي الله عنه.

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز: «المسلك».
[٥] - في ز: «نُجُبٌ».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - سقط من: ز.
[٨] - في خ، ز: «نزع».
[٩] - في ز: «فتعمد».

السلف، منهم قتادة: أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، وهو الذي تخترف فيه الثمار، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه[١] من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قُطَّاف، لكثرته ونضجه واستوائه. وكان هذا السد بمأرب: بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل، ويعرف بسد مأرب.

وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية اللَّه بهم، ليوحدوه ويعبدوه، كما قال تعالى: ﴿**لقد كان لسبأ في مسكنهم**[٢] **آية**﴾، ثم فسرها بقوله: ﴿**جنتان عن يمين وشمال**﴾، أي: من ناحيتَي[٣] الجبلين والبلدة بين ذلك، ﴿**كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور**﴾، أي: غفور لكم إن استمررتم[٤] على التوحيد.

وقوله: ﴿**فأعرضوا**﴾، أي: عن توحيد اللَّه وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس، كما قال هدهد سليمان: ﴿**وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون اللَّه وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون**﴾.

وقال محمد بن إسحاق، عن وهب بن مُنَبِّه: بعث اللَّه إليهم ثلاثة عشر نبيًّا.

وقال السّدّي: أرسل اللَّه إليهم اثني عشر ألف نبي. واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿**فأرسلنا عليهم سيل العرم**﴾، قيل المراد بالعرم المياه. وقيل: الوادي. وقيل: الجُرَذ: وقيل الماء الغزير. فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته، مثل: «**مسجد الجامع**» و «**سعيد**[٥] **كرز**»، حكى ذلك السهيلي.

وذكر غير واحد منهم ابن عباس، ووهب بن منبه، وقتادة، والضحاك: أن اللَّه عز وجل لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم، بعث على السد دابة من الأرض، يقال لها: «**الجُرَذ**» نقبته[٦]. قال وهب بن منبه: وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجُرَذ فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان، فلما جاء القدر غلبت الفأر السنانير، وولجت إلى السّدّ فنقبته، فانهار عليهم.

وقال قتادة وغيره: الجُرَذ: هو الخَلْد، نقبت أسافله حتى إذا ضَعف ووَهَى، وجاءت أيام

---

[١] - في خ: «علاه».
[٢] - في ز: «مساكنهم».
[٣] - في ز: «ناحية».
[٤] - في ز: «استمريتم».
[٥] - في ز: «معبد».
[٦] - في ز: «نقبت».

السيول، صَدمَ الماءُ البناءَ فسقط، فانساب الماء في أسفل الوادي، وخرّبَ[١] ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال، فيبست وتحطمت، وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة، كما قال اللَّه[٢] تعالى: ﴿**وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط**﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء الخراساني، والحسن، وقتادة، والسدي: وهو الأراك، وأُكُله البرير.

﴿**وأثل**﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: هو الطَّرْفاء.

وقال غيره: هو شجر يشبه الطرفاء. وقيل: هو السَّمرُ. فاللَّه أعلم.

وقوله: ﴿**وشيء من سدر قليل**﴾، لما كان أجودَ هذه الأشجار المبدل بها هو السّدرُ قال: ﴿**وشيء من سدر قليل**﴾، فهذا الذي صار أمر تَيْنِك[٣] الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل. وذلك بسبب كفرهم وشركهم باللَّه، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل.

ولهذا قال: ﴿**ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور**﴾؟ أي: عاقبناهم بكفرهم.

قال مجاهد: ولا يعاقب إلا الكفور.

وقال الحسن البصري: صدق اللَّه العظيم. لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور.

وقال طاوس: لا يناقش إلا الكفور.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملي، حدثنا حجاج ابن محمد، حدثنا أبو البيداء، عن هشام بن صالح التغلبي[٤]، عن ابن خيرة - وكان من أصحاب علي رضي اللَّه عنه - قال: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة. قيل: وما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلالًا إلا جاءه من يُنَغِّصه إياها.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ

[١] - في ز: «خربت».
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - في ز: «تلك».
[٤] - في ز: «الثعلبي».

﴿ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾

يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغبطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها**﴾ - قال وهب بن منبه: هي قرى بصنعاء. وكذا قال أبو مالك.

وقال مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، ومالك عن زيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد، وغيرهم: يعني قرى الشام. يعنون أنهم كانوا يسيرون من[١] اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة[٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس: القرى التي باركنا فيها بيت المقدس.

وقال العوفي، عنه أيضًا: هي قرى عربية بين المدينة والشام.

﴿**قرى ظاهرة**﴾، أي: بينة واضحة، يعرفها المسافرون، يَقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى؛ ولهذا قال: ﴿**وقدرنا فيها السير**﴾، أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه، ﴿**سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين**﴾، أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا.

﴿**فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم**﴾ - وقرأ آخرون: ﴿**بَعِّدْ بين أسفارنا**﴾ - وذلك أنهم بَطروا هذه النعمة - كما قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وغير واحد - وأحبُّوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحَرُور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى وما يشتهون من [مآكل ومشارب][٣] وملابس مرتفعة، ولهذا قال لهم: ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله**﴾، وقال تعالى: ﴿**وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها**﴾. وقال تعالى: ﴿**و**[٤]**ضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس [الجوع والخوف] بما كانوا يصنعون**﴾. وقال في حق هؤلاء: ﴿**وظلموا أنفسهم**﴾، أي: بكفرهم، ﴿**فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق**﴾، أي: جعلناهم حديثًا للناس، وسَمَرًا يتحدثون به من

---

[١] - في ز: «بين».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - سقط من: ز.

خبرهم،وكيف مكر اللَّه بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء، تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: «**تفرقوا أيدي سبأ**» «**وأيادي سبأ**» و «**تفرقوا شَذَرَمَذَرَ**».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا إبراهيم بن حبيب ابن الشهيد، سمعت أبي يقول: سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ، قال: ﴿**لقد كان لسبأ في مسكنهم**[١] **آية جنتان**﴾ إلى قوله: ﴿**فأرسلنا عليهم سيل العرم**﴾: وكانت فيهم كهنة، وكانت الشياطين يسترقون السمع، فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال، وإنه خُبِّر أن زوال أمرهم قد دنا، وأن العذاب قد أظلهم. فلم يدر كيف يصنع، لأنه كان له مال كثير من عقار[٢]، فقال لرجل من بنيه - وهو أعزهم أخوالًا -: إذا كان غدًا وأمرتك بأمر فلا تفعل، فإذا انتهرتك فانتهرني، فإذا تناولتك فالطمني. فقال: يا أبت؛ لا تفعل، إن هذا أمر عظيم، وأمر شديد. قال: يا بني؛ قد حدث أمر لابد منه.

فلم يزل به[٣] حتى وافاه على ذلك. فلما أصبحوا واجتمع الناس، قال: يا بني؛ افعل كذا وكذا. فأبى، فانتهره أبوه، فأجابه، فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه، فوثب على أبيه فلطمه، فقال: ابني يلطمني؟. عَلَي بالشفرة، قالوا: وما تصنع بالشفرة؟ قال: أذبحه. قالوا: تذبح ابنك ؟! الطمه[٤] أواصنع ما بدا لك. قال: فأبى، قال: فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم[٥] ذلك، فجاء أخواله فقالوا: خذ منا ما بدا لك. فأبى إلا أن يذبحه. قالوا: فلتموتن قبل أن تذبحه. قال: فإذا كان الحديث هكذا فإني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ولدي فيه، اشتروا مني دوري، اشتروا مني أرضي. فلم يزل حتى باع دوره وأراضيه وعقاره، فلما صار الثمن في يده وأحرزه[٦]، قال: أي قوم؛ إن العذاب قد أظلكم، وزوال أمركم قد دنا، فمن أراد منكم دارًا جديدًا، وجملًا شديدًا، وسفرًا بعيدًا، فليلحق بعمان. ومن أراد منكم الخَمْر والخَمير والعَصير وكلمة، - قال إبراهيم: لم أحفظها - فليلحق بِبُصْرَى، ومن أراد الراسخات في الوحل، والمطعمات في المحل، المقيمات في الضحل[٧]، فليلحق بيثرب ذات نخل. فأطاعه قومه، فخرج أهل عمان إلى عمان. وخرجت غسان إلى بصرى. وخرجت الأوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل. قال: فأتوا على بطن مُر فقال بنو عثمان: هذا مكان صالح، لا نبغي به بدلًا. فأقاموا به، فسموا لذلك خزاعة؛ لأنهم انخزعوا من أصحابهم، واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة، وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى.

---

[١] - في ز: «مساكنهم».
[٢] - في ز: «عقر».
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - في ز: «للطمة».
[٥] - في ز: «فأعلموه».
[٦] - سقط من: خ، ز.
[٧] - في ز: «الفحل».

هذا أثر غريب عجيب، وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم.

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر [عمرو بن][١] عامر الذي كان أول من خرج من بلاد اليمن، بسبب استشعاره بإرسال العَرِم فقال: وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن- فيما حدثني أبو زيد الأنصاري- أنه رأى جرذًا يَحفر[٢] في سد مأرب، الذي كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النُّقْلة عن اليمن فكاد[٣] قومه، فأمر أصغر أولاده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فقال عمرو: لا أقيم ببلد لَطَم وجهي فيها[٤] أصغر ولدي. وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غَضْبَةَ عمرو. فاشتروا منه أمواله. وانتقل في ولده وولد ولده. وقالت الأزد[٥]: لا نتخلف عن عمرو بن عامر. فباعوا أموالهم، وخرجوا [معه فساروا][٦] حتى نزلوا بلاد «**عك**»[٧] مجتازين يرتادون البلدان، فحاربتهم عك، وكانت[٨] حربهم سجَالًا. ففي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي:

وَعَكُّ بنُ عَدنَانَ الذين تَغَلَّبُوا بَغَسَّانَ، حتى طُرِّدُوا كُلَّ مَطْرَدِ

وهذا البيت من[٩] قصيدة له.

قال: ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلاد، فنزل[١٠] آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الأوس والخزرج يثرب، ونزلت خزاعة مَرًّا. ونزلت أزد السراة السراة[١١]، ونزلت أزد عُمَان عُمَان، ثم أرسل الله على السد السيل فهدمَه، وفي ذلك أنزل الله -عز وجل- هذه الآيات(١٤)[١٢].

وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو ما[١٣] ذكر محمد بن إسحاق، إلا أنه قال: «**فأمر ابن أخيه**»، مكان «**ابنه**»، إلى قوله: «**فباع ماله وارتحل بأهله، فتفرقوا**». رواه ابن أبي حاتم.

---

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٠).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٢] - في ز: «تحفر».
[٣] - في ز: «وكاد».
[٤] - في ز: «فيه».
[٥] - في ز: «الأسد».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٧] - في خ، ز: «محل».
[٨] - في ز: «فكان».
[٩] - في ز: «في».
[١٠] - في خ، ز: «فتفرق».
[١١] - سقط من: ز.
[١٢] - في ز: «الآية».
[١٣] - في ت: «مما».

وقال ابن جرير(١٥) : حدثنا ابن[١] حميد، أخبرنا سلمة[٢] ، عن ابن إسحاق؛ قال: يزعمون أن عمرو بن عامر، وهو عم القوم كان كاهنًا، فرأى في كهانته أن قومه سَيمزَّقون ويباعَدُ بين أسفارهم. فقال لهم: إني قد[٣] علمت أنكم ستمزقون، فمن كان منكم ذا هَمٍّ بعيد وجمل شديد، ومَزَاد جَديد[٤]- فليلحق بكاس أو كرود. قال: فكانت وادعة بن عمرو. ومن كان منكم ذا هَمٍّ مُدْن، وأمر دَعْن، فليلحق بأرض شَنّ. فكانت عوف بن عمرو، وهم الذين يقال لهم: بارق. ومن كان منكم يريد عيشًا آنيا، وحرمًا آمنًا، فليلحق بالأرزين[٥]. فكانت خزاعة، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل، والمطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل. فكانت الأوس والخزرج، وهماهذان الحيان من الأنصار. ومن كان منكم يريد خمرًا وخَميرا، وذهبًا وحريرًا، وملكا وتأميرًا، فليلحق بكُوثى وبُصرى، فكانت غسان بنو جَفنة ملوك الشام. ومن كان منهم بالعراق.

قال ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت[٦] هذه المقالة طريفةُ امرأة عمرو بن عامر، وكانت كاهنة، فرأت في كهانتها ذلك[٧]، فالله أعلم أي ذلك كان.

وقال سعيد، عن قتادة، عن الشعبي: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

ثم قال محمد بن إسحاق: حدثني أبو عبيدة؛ قال: قال الأعشى - أعشى بني قيس بن ثعلبة - واسمه: ميمون بن قيس.

وَفي ذَاكَ[٨] لِلمُؤْتَسي[٩] أسْوَةٌ ... ومَأربُ عَفَّى عليها العَرِمْ
رُخَام بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرُ ... إذا جاءَ مَوَّارهُ لم يَرِمْ
فَأرْوَى الزُّرُوعَ وَأعنَابَها ... عَلَى سَعَةٍ مَاؤهُمْ إذْ قُسِمْ
فَصَارُوا أيَادي مَا يَقْدرُو ... نَ منه علَىَ شُربِ طِفْلٍ فُطِم(١٦)

وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾، أي: إن في هذا الذي حل

(١٥) تفسير الطبري (٢٢/٨٦).
(١٦) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٤).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - في ز: «حديد».
[٥] - في ز: «بالأردين».
[٦] - في ز: «قال».
[٧] - سقط من: خ، ز.
[٨] - في ز: «ذلك».
[٩] - في ز: «للمتوسي».

بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبةً على ما ارتكبوه من الكفر والآثام- لعبرةً ودَلالةً لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم.

قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى، قالا: أخبرنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن العَيْزَار بن حُرَيْث عن عمر بن سعد، عن أبيه- هو سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«عجبت من قضاء الله للمؤمن، إن أصابه خير حَمِدَ رَبَّه وشكر، وإن أصابته مصيبة حَمد ربه وصَبَر، يؤجر المؤمن في كل شيء، حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته»**.

وقد رواه النسائي في **«اليوم والليلة»**، من حديث أبي إسحاق السَّبيعي به وهو حديث عزيز- من رواية عمر بن سعد، عن أبيه. ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة: **«عجبًا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا، إن أصابته سراء شكر فكان[١] خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له؛ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»**(١٨).

قال عبد: حدثنا يونس، عن شيبان. عن قتادة **﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾**، قال: كان مطرِّف يقول: نعم العبد الصبار الشكور، الذي إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر.

وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى، وخالف الرشاد والهدى، فقال: **﴿ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه﴾**.

قال ابن عباس وغيره: هذه الآية[٢] كقوله تعالى إخبارًا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم، ثم قال: **﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي، لئن أخرتن إلى يوم القيامة، لأحتنكن ذريته**

(١٧) المسند (١/١٧٣)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول إذا أصابته مصيبة، حديث (١٠٩٠٦).

(١٨) لم أجده من حديث أبي هريرة، وقد رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٩٩٩) من حديث صهيب، رضي الله عنه. وانظر حديث (١٣٣) من سورة الأعراف، آية (٩٥).

[١] - في ز: «وكان». [٢] - سقط من: ز.

إلا قليلًا﴾، ثم قال: ﴿**ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾... والآيات في هذا كثيرة.

و[١]قال الحسن البصري: لما أهبط اللَّه آدم من الجنة ومعه حواء، هبط إبليس فَرِحًا بما أصاب منهما، وقال: إذا أصبت من الأبوين ما أصبت، فالذرية أضعف وأضعف. وكان ذلك ظنًّا من إبليس، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿**ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين**﴾، فقال عند ذلك إبليس: «**لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح، أعدُه وأُمَنِّيه وأخدعه**». فقال اللَّه: «**وعزتي، لا أحجب عنه التوبة ما لم يُغَرغِر بالموت، ولا يدعوني إلا أجبته، ولا يسألني إلا أعطيته، ولا يستغفرني إلا غفرت له**». رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿**وما كان له عليهم من سلطان**﴾ - قال ابن عباس: أي من حجة.

وقال الحسن البصري: واللَّه ما ضربهم بعصا، ولا أكرههم على شيء، وما كان إلا غرورا وأماني دعاهم إليها فأجابوه.

وقوله: ﴿**إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك**﴾، أي: إنما سلطناه عليهم ليظهرَ أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء، فيُحسنَ عبادة ربه - عز وجل - في الدنيا، ممن هو منها في شك.

وقوله: ﴿**وربك على كل شيء حفيظ**﴾، أي: ومع حفظه ضَلَّ من ضلَّ من أتباع إبليس، وبحفظه وكلاءته سَلِم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾

يبيِّن[٢] تعالى أنه الإله[٣] الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فقال: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون اللَّه**﴾، أي: من الآلهة التي عبدت من دونه [﴿**لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**﴾، كما قال تبارك وتعالى: ﴿**والذين تدعون من دونه**][٤] **ما**

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ت: «بيِّن».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

يملكون من قطمير﴾ .

وقوله: ﴿**وما لهم فيهما من شرك**﴾، أي: لا يملكون شيئًا استقلالًا ولا على سبيل الشركة، ﴿**وما له منهم من ظهير**﴾، أي: وليس للّٰه من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه.

قال قتادة في قوله: ﴿**وما له منهم من ظهير**﴾، من عون يعينه بشيء.

وقال: ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾، أي: لعظمته وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء، إلا بعد إذنه له في الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿**من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه**﴾، وقال: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللّٰه لمن يشاء**﴾، وقال: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾.

ولهذا ثبت في الصحيحين(١٩)، من غير وجه عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم - وهو سيد ولد آدم، وأكبر شفيع عند اللّٰه - أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلّهم أن يأتي ربّهم لفصل القضاء، قال: «**فأسجد للّٰه فيدعني ما شاء اللّٰه[١] أن يدعني، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، ثم يقال: يا محمد؛ ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعطَه، واشفع تشفع**»... الحديث بتمامه.

وقوله: ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**﴾. وهذا أيضًا مقام رفيع في العظمة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، فسمع أهل السماوات كلامه، أرْعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي. قاله ابن مسعود ومسروق، وغيرهما.

﴿**[حتى إذا][٢] فزع عن قلوبهم**﴾، أي: زال الفزع عنها، قال ابن عباس، وابن عمر، وأبو عبد الرحمن السلمي، والشعبي، وإبراهيم النخعي، والضحاك والحسن، وقتادة في قوله تعالى: ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم**﴾، يقول: جُلّي عن قلوبهم. وقرأ بعض السلف - وجاء مرفوعًا -: ﴿**حتى إذا فرّغ**﴾ بالغين المعجمة، ويرجع إلى الأول.

فإذا كان كذلك يسأل[٣] بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش الذين[٤] يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿**قالوا الحق**﴾، أي: أخبروا[٥] بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿**وهو العلي**

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «فإذا».
[٣] - في ز: «سأل».
[٤] - في ز: «للذين».
[٥] - في ز: «خبروا».

الكبير﴾ .

وقال آخرون : بل معنى قوله : **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾** ، يعني المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة حتى إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا ، ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ فقيل لهم : الحق . وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا .

قال ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد : **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾** ، كشف عنها الغطاء يوم القيامة .

وقال الحسن : **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾** ، يعني : ما فيها من الشك والتكذيب .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾** ، [يعني : ما فيها من الشك ،][١] قال : فزع الشيطان عن قلوبهم ومآربهم[٢] وأمانيهم وما كان يضلهم ، **﴿قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾** ، قال : و[٣]هذا في بني آدم ، هذا عند الموت ، أقروا حين لا ينفعهم الإقرار .

وقد اختار ابن جرير القول الأول(٢٠) : أن الضمير عائد على الملائكة . هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ، لصحة الأحاديث فيه والآثار ، ولنذكر منها طرفًا يدل على غيره .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه(٢١) . حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، سمعت عكرمة ، سمعت أبا هُرَيرة يقول : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : **« إذا قضى الله الأمرَ في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله : كأنه سلسلة على صفوانٍ ، فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحقّ ، وهو العلي الكبير ، فيسمعها مُسْتَرِق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – ووصف سفيان بيده فَحَرّفها وبَدّد بين أصابعه – فيَسمع الكلمة ، فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيَها على لسان الساحر[٤] أو الكاهن . فربما أدركه الشّهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذْبَة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا**

(١٩) تقدمت أحاديث الشفاعة عند تفسير الآية : ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢٠) تفسير الطبري (٢٢/٩٢) .

(٢١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ حتى إذا فزع .... ﴾ حديث (٤٨٠٠) ، وسنن أبي داود حديث (٣٩٨٩) ، وسنن الترمذي حديث (٣٢٢٣) ، وسنن ابن ماجه حديث (١٩٤) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] – في م : « وفارقهم » .

[٣] – سقط من : ز .

[٤] – في خ ، ز : « الآخر » .

وكذا، كذا وكذا؟ فيصدّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء».

انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه.

وقد رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، من حديث سفيان بن عيينة به.

حديث آخر، قال الإمام أحمد(٢٢): حدثنا محمد بن جعفر [ثنا معمر][١] وعبد الرزاق أخبرنا معمر، أخبرنا الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا[٢] في نفر من أصحابة - قال عبد الرزاق: من الأنصار - فرُمِيَ بنجم فاستنار، قال[٣]: «**ما كنتم تقولون إذا كان مثلُ هذا في الجاهلية؟**» قالوا: كنا نقول يُولدَ عظيم، أو[٤] يموت عظيم - قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكن غُلّظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم - قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا -تبارك وتعالى، إذا قضى أمرًا سبح حَمَلةُ العرش، [ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يَلونَ حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش][٥]: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن السمع فيرمون، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون**».

هكذا[٦] رواه الإمام أحمد. وقد أخرجه مسلم في صحيحه(٢٣)، من حديث صالح بن كيسان، والأوزاعي، ويونس ومعقل بن عبيد[٧] الله، أربعتهم عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس عن رجل من الأنصار به. ورواه[٨] وقال يونس: عن رجال من الأنصار.

وكذا رواه النسائي(٢٤) في «**التفسير**» من حديث الزبيدي، عن الزهري به.

---

(٢٢) المسند (١/٢١٨).

(٢٣) - صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان العراف حديث (٢٢٢٩).

(٢٤) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٢٧٢).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت.

[٢] - سقط من: خ، ز.

[٣] - سقط من: خ، ز.

[٤] - في ز: «و».

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٦] - في ز: «هذا».

[٧] - في خ، ز: «عبد».

[٨] - سقط من: ز.

ورواه الترمذي فيه(٢٥) عن الحُسَين بن حريث، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن عُبيد[١] الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن رجل من الأنصار- رضي الله عنه - والله أعلم.

حديث آخر، قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، وأحمد بن منصور بن سيار الرمادي[٢]- والسياق لمحمد بن عوف -قالا: حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا الوليد، هو ابن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عبد الله بن أبي زكرياء، عن رجاء بن حيوة، عن النواس بن سمْعان؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السماوات منه**[٣] **رجفة- أو قال: رعدة شديدة من خوف الله. فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فيمضي به جبريل على الملائكة، كلما مَرّ بسماء سماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال: الحقّ، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله من السماء والأرض**».

وكذا رواه ابن جرير وابن خُزَيمة(٢٦)، عن زكريا بن أبان المصري، عن نعيم بن حماد به.

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: ليس هذا الحديث بالشام عن الوليد بن مسلم رحمه الله.

وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العَوفي، عن ابن عباس عن قتادة: أنهما فسرا هذه الآية بابتداء إيحاء الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى. ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا

(٢٥) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة سبأ، عقب حديث رقم (٣٢٢٤).
(٢٦) تفسير الطبري (٩٥/٢٢)، والتوحيد لابن خزيمة ص (٩٥)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة حديث (٥١٥) من طريق محمد بن عوف، عن نعيم بن حماد، به.

[١] - في خ، ز: «عبد».
[٢] - في ز: «الزيادي».
[٣] - في ز: «منها».

﴿كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى مُقَرِّرًا [تفردَه بالخلق][١] والرزق، وانفراده بالإلهية أيضًا، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء[٢] والأرض - أي: بما ينزل من المطر وينبت من الزرع - [إلا الله][٣]، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره.

وقوله: ﴿**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾، هذا من باب اللف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله؛ ولهذا قال: ﴿**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾.

قال قتادة: قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين: والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد.

وقال عكرمة، وزياد بن أبي مريم: معناه: إنا نحن لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين.

وقوله: ﴿**قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون**﴾، معناه التبري منهم، أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتم فنحن بُرآء منكم وأنتم برآء منا. كما قال تعالى: ﴿**فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**﴾. وقال: ﴿**قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين**﴾.

وقوله: ﴿**قل يجمع بيننا ربنا**﴾، أي: يوم القيامة، يجمع الخلائق في صعيد واحد، ثم يفتح بيننا بالحق، أي: يحكم بيننا بالعدل، فيجزى كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. وستعلمون يومئذ لمن [العزة والنصرة] والسعادة الأبدية، كما قال تعالى: ﴿**ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون. فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون. وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون**﴾؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**وهو الفتاح العليم**﴾، أي: الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور.

وقوله: ﴿**قل أرونيَ الذين ألحقتم به شركاء**﴾، أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادًا وصَيَّرتموها له عدلًا؟ كلا، أي: ليس له نظير ولا نَدِيد ولا شريك ولا عديل؛ ولهذا

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: « تفرد بالحق ». [٢] - في ز: « السماوات ».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ ز.

قال: ﴿بل هو الله﴾، أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له العزيز الحكيم، أي: ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء، وَغَلَبت كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾، أي: إلا إلى جميع الخلق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿قل: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا﴾، ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا﴾، ﴿بشيرًا ونذيرًا﴾، أي: [تبشر من][1] أطاعك بالجنة، وتنذر من عصاك بالنار.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، كقوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾، ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾.

قال محمد بن كعب في قوله: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾، يعني إلى الناس عامة.

وقال قتادة في هذه الآية: أرسل الله محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم، فأكرمُهم على الله أطوعهم لله عز وجل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطهراني، حدثنا حفص بن[2] عمر العدني، حدثنا الحكم - يعني ابن أبان - عن عكرمة؛ قال: سمعت ابن عباس؛ يقول: إن الله فضل محمدًا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا: يا بن عباس؛ فيم فضله الله على الأنبياء؟ قال: إن الله قال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾، فأرسله الله إلى الجن والإنس.

وهذا الذي قاله ابن عباس قد ثبت في الصحيحين(٢٧) رَفعهُ عن جابر؛ قال: قال رسول الله

---

(٢٧) صحيح البخاري، كتاب التيمم حديث (٣٣٥)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة حديث (٥٢١).

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «بشيرًا لمن». [٢] - في ز: «عن».

صلى الله عليه وسلم: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة**».

وفي الصحيح أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**بعثت إلى الأسود والأحمر**»(٢٨).

قال مجاهد: يعني الجن والإنس. وقال غيره: يعني العرب والعجم. والكل صحيح.

ثم قال تعالى مخبرًا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة: ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾، كما قال تعالى: ﴿**يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق**﴾... الآية.

ثم قال: ﴿**قل: لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**﴾، أي: لكم ميعاد مؤجل معدود محرر، لا يزداد ولا ينتقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، كما قال تعالى: ﴿**إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر**﴾ وقال ﴿**وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد**﴾.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾

يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد؛ ولهذا قال: ﴿**وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه**﴾، قال الله تعالى متهددًا لهم ومتوعدًا، ومخبرًا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم: ﴿**يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا**﴾ منهم وهم

(٢٨) وهو قطعة من حديث جابر السابق عند مسلم في صحيحه حديث (٥٢١).

الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾، وهم قادتهم وسادتهم: ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾، أي: لولا أنتم تصدونا لكنا[١] اتبعنا الرسل وآمنا بما جاءونا به. فقال لهم القادة والسادة، وهم الذين استكبروا: ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾، أي: نحن ما فعلنا بكم ذلك[٢] أكثر من أنَّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء، لشهوتكم واختياركم لذلك، ولهذا قالوا: ﴿بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾، أي: بل كنتم تمكرون بنا ليلًا ونهارًا، وتَغُرّونا وتُمَنّونا، وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكَذِبٌ ومَين[٣].

قال قتادة، وابن زيد: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾، يقول: بل[٤] مكرهم بالليل والنهار. وكذا قال مالك، عن زيد بن أسلم: مكرهم بالليل والنهار.

﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾، أي: نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شُبَهًا وأشياءَ من المحال، تضلونا بها. ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾، أي: الجميع من السادة والأتباع، كُلٌّ نَدِم على ما سَلَف منه.

﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾، وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم، ﴿هل يجزون إلا ما [كانوا يعملون][٥]﴾، أي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كُلٌّ بحسبه، للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم؛ قال: ﴿لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا محمد بن سليمان ابن الأصبهاني، عن أبي سنان ضرار بن صُرد، عن عبد الله بن أبي الهُذَيل، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن جهنم لما سيق إليها أهلها تَلَقَّاهم لهبها، ثم لَفَحتهم[٦] لَفحةً فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب»**(٢٩).

وحدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا الطيب أبو الحسن، عن الحسن بن يحيى الخُشَني؛ قال: ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد، إلا اسم صاحبها عليه مكتوب. قال: فحدثتُه أبا سليمان - يعني الداراني، رحمة الله عليه، فبكى ثم قال: ويحك! فكيف به لو جمع هذا كله عليه، فجعل القيد في رجليه، والغُلّ في يديه، والسلسلة في عنقه،

(٢٩) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط حديث (٢٧٨، ٩٣٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٦٣) من طرق عن محمد بن سليمان الأصبهاني، به. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٩): «وفيه محمد بن سليمان الأصبهاني وهو ضعيف».

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: ت.
[٣] - في خ: «مبين».
[٤] - في ت: «بكل».
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز: «كنتم تعملون».
[٦] - في ز: «لحقتهم».

ثم أدخل الدار وأدخل المغار[١].

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)

يقول تعالى مسليًا لنبيه، وآمرًا له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبيًا في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤهم، كما قال قوم نوح: ﴿**أنؤمن[٢] لك واتبعك الأرذلون**﴾، ﴿**وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي**﴾، وقال الكبراء من قوم صالح: ﴿**للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون**﴾ وقال تعالى: ﴿**وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين**﴾ وقال: ﴿**وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها**﴾، وقال: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها**﴾.

وقال هاهنا: ﴿**وما أرسلنا في قرية من نذير**﴾، أي: نبي أو رسول ﴿**إلا قال مترفوها**﴾، وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة.

قال قتادة: هم جَبَابرتهم وقادتهم ورءوسهم في الشر. ﴿**إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾، أي: لا نؤمن به ولا نتبعه.

قال ابن أبي حاتم(٣٠): حدثنا علي بن الحسين، حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا محمد

---

(٣٠) ورواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر المنثور (٧٠٤/٦) ووقع في الدر: «ابن زيد» بدل: «أبو رزين».

---

[١] - في ز: «الغار».
[٢] - في ز: «لن نؤمن».

ابن عبد الوهاب، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين؛ قال: كان رجلان شريكين[١]، خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله: ما فعل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش، إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم. قال: فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه - قال: وكان يقرأ الكتب، أو بعض الكتب - قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إلام تدعو؟ فقال: إلى كذا وكذا. قال: أشهد أنك رسول الله. قال: «وما علمك بذلك؟» قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رُذَالة الناس ومساكينهم. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾، قال: فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أنزل تصديق ما قلت.

وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل، قال فيها: وسألتك: أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم؟ فزعمت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل.

وقوله تعالى إخبارًا عن المترفين المكذبين: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن بمعذبين﴾، أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك. قال الله: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾. وقال: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾. وقال تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدًا وجعلت له مالًا ممدودًا وبنين شهودًا ومَهَّدت له تمهيدًا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا سأرهقه صعودًا﴾.

وقد أخبر الله عن صاحب تينك الجنتين؛ أنه كان ذا مال وولد وثمر، ثم لم تُغن عنه شيئًا، بل سُلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة، ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب، فيفقر من يشاء ويغني من يشاء، وله الحكمة التامة البالغة والحجة الدامغة القاطعة ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

ثم قال: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ أي: ليست هذه دليلًا على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم.

قال الإمام أحمد رحمه الله(٣١): حدثنا كُثير، حدثنا جعفر، حدثنا يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى

---

(٣١) المسند (٥٣٩/٢)، وصحيح مسلم وكتاب البر والصلة، والآداب، حديث (٢٥٦٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: القناعة حديث (٤١٤٣).

[١] - في ت: «شريكان».

صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

رواه مسلم وابن ماجة، من حديث كثير بن هشام، عن جعفر بن بُرْقَان[١] به.

ولهذا قال: ﴿**إلا من آمن وعمل صالحًا**﴾، أي: إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمانُ والعمل الصالح، ﴿**فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا**﴾، أي: تضاعف لهم الحسنة بعشر[٢] أمثالها، إلى سبعمائة ضعف. ﴿**وهم في الغرفات آمنون**﴾. [أي: في منازل الجنة العالية آمنون][٣] من كل بأس وخوف وأذىً، ومن كل شر يُحذر منه.

قال ابن أبي حاتم(٣٢): حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي، حدثنا القاسم وعلي ابن مُسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي - رضي اللّه عنه - قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**إن في الجنة لغرفًا ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**». فقال أعرابي: لمن هي؟ قال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام**».

﴿**والذين يسعون في آياتنا معاجزين**[٤]﴾، أي: يسعون في الصد عن سبيل اللّه، واتباع الرسل والتصديق بآياته: ﴿**فأولئك في العذاب محضرون**﴾، أي: جميعهم مَجْزيون[٥] بأعمالهم فيها بحسبهم.

وقوله: ﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له**﴾، أي: بحسب مَالَه في ذلك من الحكمة، [يبسط على هذا من المال كثيرًا، ويضيق على هذا ويقتر عليه رزقه جدًّا، وله في ذلك من الحكمة][٦] مالا يدركها غيره، كما قال تعالى: ﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا**﴾، أي: كما هم متفاوتون في الدنيا: هذا فقير مدقع، وهذا غنى مُوَسَّع عليه، فكذلك هم في الآخرة: هذا في الغُرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغَمَرَات في أسفل الدركات. وأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**قد أفلح من أسلم ورُزق كَفَافًا، وقنّعه اللّه بما آتاه**». رواه مسلم من حديث ابن عمرو(٣٣)[٧].

(٣٢) ورواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في قول المعروف، حديث (١٩٨٤) من طريق على ابن مسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق بأطول منه، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، وقد تكلم أهل الحديث في عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قبل حفظه وهو كوفى». قلت: وله شواهد من حديث عبد الله بن عمرو وأبي مالك الأشعري، رضي الله عنهم.

(٣٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة حديث (١٠٥٤).

[١] - في خ: «رومان» في ز: «رمان».
[٢] - في ت: «بعشرة».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - في ز: «معجزين».
[٥] - في ز: «مجتزئون».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٧] - في ز: «عمر».

وقوله: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**﴾، أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: «**يقول اللّٰه تعالى: أنفق أُنفِق عليك**»(٣٤). وفي الحديث «أن ملكين يصيحان[١] كل يوم، يقول أحدهما: اللهم أعط ممسكًا تلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقًا خلفًا»(٣٥). وقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم «**أنفق بلال**[٢]، **ولا تخش من ذي العرش إقلالًا**»(٣٦).

وقال ابن أبي حاتم ذكر[٣] عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر[٤] بن حكيم، عن مكحول قال: بلغني عن حذيفة قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**ألا إن بعدكم زمان عضوض، يعض الموسر على ما في يديه**[٥] **حذار الإنفاق**». ثم تلا هذه الآية: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين**﴾(٣٧).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٣٨): حدثنا روح بن حاتم، حدثنا هُشَيم، عن الكوثر بن حكيم، عن مكحول قال: بلغني عن حذيفة أنه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض، يعض الموسر على ما في يديه حذار الإنفاق**»، قال اللّٰه تعالى: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾، وَيَنْهَل شرار الخلق يبايعون كل مضطر، ألا إن بيع المضطرين حرام، [ألا إن بيع المضطرين حرام][٦]، المسلم أخو المسلم،

---

(٣٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، حديث (٤٦٨٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة حديث (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة حديث (١٤٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة حديث (١٠١٠) من حديث أبي هريرة، رضي اله عنه.

(٣٦) جاء عن جماعة من الصحابة، فرواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٠/١) من طريق قيس بن الربيع، عن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن مسروق، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، وقيس بن الربيع ضعفوه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٢/١)، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٩/١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢٨٠/٢) عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، رضي الله عنه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٩/١) من طريق أبي إسحاق عن مسروق عن بلال، رضي الله عنه، وفيه ابن زبالة وهو ضعيف.

(٣٧) ذكره السيوطي في الدر (٧٠٧/٦) وقال: «أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف فذكره».

(٣٨) ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٦١/١) وعزاه لأبي يعلى في مسنده.

---

[١] - في ت: «يتصيحان».

[٢] - في ت: «بلالًا».

[٣] - سقط من: ت.

[٤] - في ز: «المكوثر».

[٥] - في ت: «يده».

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

لا يظلمه ولا يخذله، إن كان عندك معروف، فَعُدْ به على أخيك،وإلا فلا تَزده هلاكًا إلى هلاكه».

هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي إسناده ضعف.

وقال سفيان الثوري، عن أبي يونس الحسن بن يزيد قال: قال مجاهد: لا يتأولن[١] أحدكم هذه الآية: ﴿و[٢]ما أنفقتم من شيء فَهو يخلفه﴾: إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه، فإن الرزق مقسوم.

قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رءوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صور الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾، أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ كما قال في سورة الفرقان: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾؟ وكما يقول لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾.

وهكذا تقول الملائكة: ﴿سبحانك﴾، أي[٣]: تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إلٰه. ﴿أنت ولينا من دونهم﴾، أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾، يعنون الشياطين [لأنهم هم][٤] الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم[٥]، ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾، كما قال تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثًا وإن يدعون إلا شيطانًا[٦] مريدًا﴾ قال الله تعالى: ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًّا﴾، أي: لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم

[١] - في ز: «يتناولن».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ز: «و».
[٤] - في ز: «ثم».
[٥] - في ز: «يضلوهم».
[٦] - في ز: «شيطان».

وكُرَبكم، اليوم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًا، ﴿**ونقول للذين ظلموا**﴾ - وهم المشركون - ﴿**ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون**﴾، أي: يقال لهم ذلك، تقريعًا وتوبيخًا.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب، لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غَضَّةً[١] طرية من لسان رسوله صلى اللّه عليه وسلم، ﴿**قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم**﴾، يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل - عليهم وعلى آبائهم لعائن اللّه - ﴿**وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى**﴾، يعنون القرآن ﴿**وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين**﴾. قال اللّه تعالى: ﴿**وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير**﴾، أي: ما أنزل اللّه على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًّا قبل محمد صلى اللّه عليه وسلم، وقد كانوا يَوَدّون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكنا أهدى من غيرنا، فلما مَنَّ اللّه عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه. ثم قال: ﴿**وكذب الذين من قبلهم**﴾، أي: من الأمم، ﴿**وما بلغوا معشار ما آتيناهم**﴾ - قال ابن عباس: أي من القوة في الدنيا. وكذلك[٢] قال قتادة، والسدّي وابن زيد. كما قال تعالى: ﴿**ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات اللّه وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**﴾، ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة**﴾، أي: وما دفع ذلك عنهم عذاب اللّه ولا رده، بل دمر اللّه عليهم لما[٣] كذبوا رسله، ولهذا قال: ﴿**فكذبوا رسلي فكيف كان نكير**﴾، أي: كيف كان نكالي وعقابي وانتصاري لرسلي؟.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

[١] - في خ، ز: «محضة». [٢] - في ز: «كذا».

[٣] - في ز: «ما».

شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿**إنما أعظكم بواحدة**﴾، أي: إنما آمركم بواحدة، وهي: ﴿**أن تقوموا لله مثنىٰ وفرادىٰ ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة**﴾، أي: تقوموا قيامًا خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضًا، ﴿**ثم تتفكروا**﴾، أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك، ولهذا قال: ﴿**أن تقوموا لله مثنىٰ وفرادىٰ، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة**﴾.

هذا معنى ما ذكره مجاهد، ومحمد بن كعب، والسدي، وقتادة، وغيرهم، وهذا هو المراد من الآية. فأما الحديث الذى رواه ابن أبي حاتم:

حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**أعطيت ثلاثًا لم يعطهن مَن قبلي ولا فخر: أحلت لي الغنائم، ولم تحل لمن قبلي، كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها. وبُعثت إلى كل أحمر وأسود، وكان كل نبي يبعث إلى قومه، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، أتيمم بالصعيد، وأصلي حيث أدركتني الصلاة، قال الله: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾ وأعنت بالرعب مسيرة شهر بين يدي**».

فهو حديث ضعيف الإسناد، وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادىٰ، بعيد، ولعله مقحم في[١] الحديث من بعض الرواة، فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها(٣٩)، والله أعلم.

وقوله: ﴿**إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**﴾- قال البخاري عندها(٤٠):

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن خَازم[٢]، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صَعدَ النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم، فقال: يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: أرأيتم لو[٣] أخبرتكم أن العدو يُصَبِّحكم أو يُمَسِّيكم، أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى؟ قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب

---

(٣٩) سبق تخريج حديث جابر، رضي الله عنه، في الصحيحين عند تفسير الآية: ٢٨ من هذه السورة.

(٤٠) صحيح البخاري، كتاب التفسير حديث (٤٨٠١).

---

[١] - في ز: «من».

[٢] - في خ: «محازم»، وفي ز: «حازم».

[٣] - في ز: «إن».

شديد: فقال أبو لهب: تبًا لك! ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾.

وقد تقدم عند قوله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾.

وقال الإمام أحمد(٤١): حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن المهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فنادى ثلاث مرات فقال: «**أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إنما مثلي ومثلكم مثل قوم**[١] **خافوا عدوًّا يأتيهم، فبعثوا رجلًا يتراءى لهم، فبينما هو كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس، أوتيتم. أيها الناس، أوتيتم. ثلاث مرات**».

وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بعثت أنا والساعة جميعًا، إن كادت لتسبقني**». تفرد به الإمام أحمد في مسنده(٤٢).

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله أن يقول للمشركين: ﴿**ما سألتكم من أجر فهو لكم**﴾، أي: لا أريد منكم جُعلًا ولا عطاءًا على أداء رسالة الله إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله، ﴿**إن أجرى إلا على الله**﴾، أي: إنما أطلب ثواب ذلك عند الله، ﴿**وهو على كل شيء شهيد**﴾، أي: عالم بجميع الأمور، بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم، وما أنتم عليه.

وقوله: ﴿**قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب**﴾، كقوله تعالى: ﴿**يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده**﴾. أي: يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض، وهو

(٤١) المسند (٣٤٨/٥) (٢٣٠٥٤). ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٨٨) وعزاه لأحمد وقال: «ورجاله رجال الصحيح».

(٤٢) - المسند (٣٤٨/٥) (٢٣٠٥٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١١) وقال: «رواه أحمد والبزار؛ إلا أنه قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**». وضم أصبعيه السبابة والوسطى، ورجال أحمد رجال الصحيح.

[١] - في ز: «قومًا».

علام الغيوب، فلا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض.

وقوله: ﴿**قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**﴾، أي: جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهبَ الباطل وزهق واضمحل، كقوله: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه**﴾، ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يَطعُن الصنم بسيَة قَوْسه، ويقرأ: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا**﴾، ﴿**قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**﴾.

رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عند هذه الآية، كلهم من حديث الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر عبد الله بن سَخْبَرَة، عن ابن مسعود به[٤٣].

أي: لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة.

وزعم قتادة والسدي: أن المراد بالباطل هاهنا إبليس، أي: إنه لا يخلق أحدًا ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك. وهذا وإن كان حقًا ولكن ليس هو المراد هاهنا، والله أعلم.

وقوله: ﴿**قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربي**﴾، أي: الخير كله من عند الله، وفيما أنزله الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد، ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لما سئل عن تلك المسألة في المفوّضة: أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه[٤٤].

وقوله: ﴿**إنه سميع قريب**﴾، أي: سميع لأقوال عباده، قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وقد روى النسائي هاهنا حديث أبي موسى الذي في الصحيحين: «**إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا مجيبًا**»[٤٥].

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ

---

(٤٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم حديث (٢٤٧٨)، وكتاب المغازي (٤٢٨٧)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير حديث (١٧٨١)، وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، حديث (٣١٣٨)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، حديث (١١٤٢٨).

(٤٤) انظر الأثر في المسند (٤٧٧/١).

(٤٥) النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير حديث (١١٤٢٧)، وصحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث (٤٢٠٥) وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار حديث (٢٧٠٤).

كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى: ولو ترى- يا محمد- إذ فَزِع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، ﴿ فلا فوت ﴾، أي: فلا مفر لهم، ولا وزر ولا ملجأ. ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾، أي: لم يُمكّنوا أن يُمعِنوا في الهرب، بل أخذوا من أول وهلة.

قال الحسن البصري: «حين خرجوا من قبورهم».

وقال مجاهد، وعطية العوفي، وقتادة: «من تحت أقدامهم».

وعن ابن عباس والضحاك: «يعني عذابهم في الدنيا».

وقال عبد الرحمن بن زيد: «يعني قتلهم يوم بدر».

والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلًا[١] بذلك.

وحكى ابن جرير عن بعضهم قال: إن المراد بذلك جيش يخسف[٢] بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس. ثم أورد في ذلك حديثًا موضوعًا بالكلية. ثم لم ينبه على ذلك، وهذا أمر عجيب غريب منه.

﴿ وقالوا آمنا به ﴾، أي: يوم القيامة يقولون: آمنا بالله وبكتبه ورسله. كما قال تعالى: ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿ وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾، أي: وكيف لهم [ ][٣] تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار[٤] الآخرة، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد.

قال مجاهد: ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾، قال: التناول لذلك.

وقال الزهري: التناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة، وقد انقطعت عنهم الدنيا[٥].

وقال الحسن البصري: أما إنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال، تعاطوا الإيمان من مكان بعيد.

---

[١] - في ز: «متصل».

[٢] - في خ: «خسف، وفي ز: «حشف».

[٣] - ما بين المكوفتين في ز: «عن».

[٤] - سقط من: ز.

[٥] - سقط من: خ، ز.

وقال ابن عباس: طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه، وليس بحين رجعة ولا توبة.

وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله.

وقوله: ﴿وقد كفروا به من قبل﴾، أي: كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل؟.

﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾، قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿ويقذفون بالغيب﴾، قال: بالظن.

قلت: كما قال تعالى: ﴿رجمًا بالغيب﴾، فتارة يقولون: شاعر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ويكذبون بالغيب والنشور والمعاد: ﴿ويقولون إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين﴾.

قال قتادة: يرجمون بالظن، لا بعث ولا جنة ولا نار.

وقوله: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾، قال الحسن البصري، والضحاك، وغيرهما: يعني الإيمان.

وقال السدي: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾، وهي: التوبة. وهذا اختيار ابن جرير، رحمه الله.

وقال مجاهد: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من هذه الدنيا، من مال وزهرة وأهل.

وروي عن ابن عباس وابن عمر والربيع بن[١] أنس. وهو قول البخاري وجماعة.

والصحيح أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين[٢] ما طلبوه في الآخرة، فمنعوا منه.

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا جدًا، فلنذكره بطوله فإنه قال: حدثنا محمد ابن يحيى، حدثنا بشر بن حجر السامي، حدثنا علي بن منصور الأنباري، عن الشَرَقَى بن قُطَامى، عن سعد بن طريف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ إلى آخر الآية، قال: كان رجل من بنى إسرائيل فاتحًا أي: فتح الله له مالًا - فمات فورثه ابن له تافه - أي: فاسد - فكان يعمل في مال الله بمعاصي الله. فلما رأى ذلك إخوان أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه، فضجر الفتى فباع عقاره بصامت، ثم رحل فأتى عينًا

---

[١] - في خ: «و».

[٢] - في خ: «وهى».

ثجاجة فسرح فيها ماله، وابتنى قصرًا. فبينما هو ذات يوم جالس إذ شَملت عليه ريح[١] بامرأة من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرَجًا - أي: ريحًا - فقالت: من أنت يا عبد اللَّه؟ فقال: أنا امرؤ من بني إسرائيل. قالت: فلك هذا القصر، وهذا المال؟ قال: نعم، قالت: فهل لك من زوجة؟ قال: لا. قالت: فكيف يَهْنيك العيش ولا زوجة لك؟ قال: قد كان ذلك. فهل لك من بَعل؟ قالت: لا. قال: فهل لك إلى أن أتزوجك؟ قالت: إني امرأة منك على مسيرة ميل، فإذا كان غد فتزود زاد يوم وأتني، وإن رأيت في طريقك هولًا فلا يَهُولَنَّكَ. فلما كان من الغد تزود زاد يوم، وانطلق فانتهى إلى قصر، فقرع رتاجه، فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرَجًا - أي: ريحًا - فقال: من أنت يا عبد اللَّه؟ فقال: أنا الإسرائيلي. قال: فما حاجتك؟ قال: دعتني صاحبة هذا القصر إلى نفسها. قال: صدقت، فهل رأيت في طريقك هولًا[٢]؟ قال: نعم، ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس عليَّ لهالني الذي رأيت. [قال: ما رأيت؟][٣] قال: أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذ أنا بكلبة فاتحة فاها، ففزعت، فَوَثَبت فإذا أنا من ورائها، وإذا جراؤها ينبحن في بطنها، فقال له الشاب: لست تدرك هذا، هذا يكون في آخر الزمان، يقاعد الغلام المشيخة في مجلسهم ويبتزهم[٤] حديثهم.

قال: ثم أقبلت حتى إذا[٥] انفرج بي السبيل، إذا أنا بمائة عنز حُفَّل[٦]، وإذا فيها جدي يمصّها، فإذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئًا، فتح فاه يلتمس الزيادة. فقال[٧]: لست تدرك هذا، هذا يكون في آخر الزمان، ملك يجمع صامت الناس كلّهم، حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئًا فتح فاه يلتمس الزيادة.

قال: ثم أقبلت حتى إذا[٨] انفرج بي السبيل إذا أنا[٩] بشجر، فأعجبني غصن من شجرة منها ناضر، فأردت قطعه، فنادتني شجرة أخرى: «**يا عبد اللَّه، مني فخذ**». حتى ناداني الشجر أجمع: «**يا عبد اللَّه؛ منا فخذ**». قال: لست تدرك هذا، هذا يكون في آخر الزمان، يقل الرجال ويكثر النساء، حتى إن الرجل ليخطب امرأة فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهن.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل قائم على عين، يغرف لكل إنسان من الماء، فإذا تَصَدّعوا عنه صَبَّ في جَرَّته فلم تَعلَق جَرَّتُه من الماء بشيء. قال: لست تدرك هذا، هذا يكون في آخر الزمان، القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصي اللَّه.

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - سقط من: خ، ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - في ت: «يبذهم».

[٥] - سقط من: خ، ز.

[٦] - في ز: «جُفَّل».

[٧] - في ز: «قال».

[٨] - سقط من: خ، ز.

[٩] - سقط من: ز.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بعنز، وإذا قوم[١] قد أخذوا بقوائمها، وإذا رجل قد أخذ بقرنيها، وإذا رجل قد أخذ بذنَبها، وإذا رجل قد ركبها، وإذا رجل يحلبها. فقال: أما العنز فهي الدنيا، والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها، وأما الذي قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقًا، وأما الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه، وأما الذي[٢] ركبها فقد تركها. وأما الذي يحلبها فَبخٍ بخ، ذهب ذلك بها.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل، و[٣]إذا أنا برجل يمْتح على قَليب، كلما أخرج دلوه صبَّه في الحوض، فانساب الماء راجعًا إلى القليب. قال: هذا رجل رَدّ الله صالح عمله، فلم يقبله.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل، إذا أنا برجل يبذُر بذرًا فيستحصد، فإذا حنطة طيبة. قال: هذا رجل قبل الله صالح عمله، وأزكاه له.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل، إذا أنا برجل مستلق على قفاه، قال[٤]: يا عبد الله، ادن مني فخذ بيدي وأقعدني، فوالله ما قعدت منذ خلقني الله - عز وجل - فأخذت بيده، فقام يسعى حتى ما أراه. فقال له الفتى: هذا عمر الأبعد نَفَد، أنا[٥] ملك الموت [وأنا المرأة التي أتتك][٦] ... أمرني الله عز وجل بقبض روح الأبعد في هذا المكان، ثم أصيره[٧] إلى نار جهنم. قال: ففيه نزلت هذه: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ الآية.

هذا أثر غريب(٤٦)، وفي صحته نظر، وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفاركلهم يتوفون[٨] وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا، كما جرى لهذا المغرور المفتون، ذهب بطلب[٩] مراده فجاءه الموت فجأة بغتة، وحيل بينه وبين ما يشتهي.

وقوله: ﴿كما فعل بأشياعهم من قبل﴾، أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل، لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم، ﴿**فلما رأوا بأسنا قالوا: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين* فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده. وخسر هنالك الكافرون**﴾.

---

(٤٦) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧١٦/٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

---

[١] - في ت: « بقوم ».
[٢] - بعده في خ، ز: « قد ».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز: « فقال ».
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٧] - في ز: « أصبره ».
[٨] - في خ: « يتوقفون ».
[٩] - في ز: « يطلب ».

وقوله : ﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ ، أي : كانوا في الدنيا في شك وريبة ، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب .

قال قتادة : إياكم والشك والريبة ! فإنه من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه .

آخر تفسير سورة سبأ ، ولله الحمد والمنة .



تفسير سورة فاطر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾

قال سفيان الثوري، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها. فقال ابن عباس أيضًا: ﴿**فاطر السموات والأرض**﴾، بديع السموات والأرض(١).

وقال الضحاك: كل شيء في القرآن: فاطر السموات والأرض؛ فهو خالق السموات والأرض(٢).

وقوله: ﴿**جاعل الملائكة رسلًا**﴾، أي: بينه وبين أنبيائه، ﴿**أولي أجنحة**﴾، أي: يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعًا ﴿**مثنى وثلاث ورباع**﴾، أي: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل ليلة الإسراء وله ستمائة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب(٣). ولهذا قال: ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير**﴾.

قال السدي: يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء. وقال الزهري، وابن جريج في قوله: ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء**﴾، يعني: حسن الصوت. رواه عن الزهري[١] البخاري في الأدب، وابن أبي حاتم في تفسيره(٤).

---

(١) - رواه أبو عبيد في فضائله ص (٣٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٦٨٢) من طريق يحيى بن سعيد، عن سفيان، به. وأورده السيوطي في الدر (٤٥٨/٥) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) - أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه إليه السيوطي في الدر (٤٥٨/٥).

(٣) - تقدم في سورة الإسراء.

(٤) - وأورده السيوطي (٤٥٨/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في الشعب.

---

[١] - في خ، ز: «السدي».

وقُرئ في الشاذ: (يزيد في الحلق)، بالحاء المهملة، والله أعلم.

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

يخبر تعالى أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع.

قال الإمام أحمد(٥): حدثنا علي بن عاصم، حدثنا مغيرة، أخبرنا عامر، عن وَرَّاد[١] – مولى المغيرة بن شعبة– قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: اكتب إليَّ بما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدعاني المغيرة فكتبت إليه: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة قال: «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجدّ**». وسمعته ينهى عن: «**قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال، وعن وأد البنات، وعقوق الأمهات، ومَنْع وَهَات**».

وأخرجاه من طرق عن وَرَّاد[٢] به.

وثبت في صحيح مسلم(٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، [ملء السموات وملء الأرض][٣]، وملء ما شئت من شيء بعد. اللهم، أهلَ الثناء والمجد. أحقّ ما قال العبد –وكلنا لك عبد– اللهمّ لا مانع لما أعطيت، ولامعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ**».

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله**﴾. ولهذا نظائر كثيرة.

وقال الإمام مالك(٧): كان أبو هريرة إذا مُطروا يقول: مُطرنا بنَوء الفتح، ثم يقرأ هذه

(٥) – رواه أحمد ١٨٢٨٥ – (٤/٢٥٤)، ١٨١٩١ – (٤/٢٤٥)، والبخاري في الأذان برقم (٨٤٤)، وأطرافه (٦٣٣٠، ٦٤٧٣، ٦٦٥١، ٧٢٩٢)، ومسلم في المساجد، ومواضع الصلاة برقم (٥٩٣).

(٦) – مسلم في الصلاة برقم (٤٧٧).

(٧) – الموطأ (١/١٩٢).

[١] – في ز: «وارد».
[٢] – في ز: «وارد».

[٣] – ما بين المعكوفتين في ت: «ملء السماء والأرض».

الآية : ﴿ما يفتح اللّه للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ . ورواه ابن أبي حاتم ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له ، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فَلْيفرد بالعبادة ، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان . ولهذا قال : ﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ ، أي :فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ، ووضوح هذا البرهان ، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان ؟ .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ



يقول : وإن يكذبوك -يا محمد- هؤلاء المشركون باللّه ويخالفوك[١] فيما جئتهم به من التوحيد ، فلك فيمن[٢] سلف قبلك من الرسل أسوة ؛ فإنهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم ، ﴿وإلى اللّه ترجع الأمور﴾ ، [أي : وسنجزيهم][٣] على ذلك أوفر الجزاء .

ثم قال : ﴿يا أيها الناس إن وعد اللّه حق﴾ ، أي : المعاد كائن لا محالة ، ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ ، أي : العيشة الدنيئة[٤] بالنسبة إلى ما أعد اللّه لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تَتَلَهوا[٥] عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ، ﴿ولا يغرنكم باللّه الغرور﴾ ، وهو الشيطان ، قاله ابن عباس . أي : لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل اللّه وتصديق كلماته ، فإنه غرّار كذاب أفاك . وهذه الآية كالآية التي في آخر لقمان : ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم باللّه الغرور﴾ .

---

[١] - في ز : « ويخالفونك » .
[٢] - في ز : « ممن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وستجزيهم » .
[٤] - في ز : « الدنية » .
[٥] - في ز : « تلتهوا » .

قال مالك، عن زيد بن أسلم: هو الشيطان. كما قال: يقول المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب ﴿ **بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور** ﴾.

ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا** ﴾، أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿ **إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾، أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوى العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والاقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. وهذه كقوله: ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلًا** ﴾.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ 

لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير، ذكر بعد ذلك أن [الذين كفروا لهم][١] عذاب شديد، لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿ **وعملوا الصالحات لهم مغفرة** ﴾، أي: لما كان منهم من ذنب، ﴿ **وأجر كبير** ﴾ على ما عملوه من خير.

ثم قال: ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا** ﴾، يعنى كالكفار والفجار، يعملون أعمالًا سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن[٢] كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه، ﴿ **فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾، أي: بقدره كان ذلك، ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾، أي: لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم[٣] في قدره إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: « للذين كفروا ». [٢] - في ز: « فمن ».

[٣] - في ز: « حليم ».

البالغة، والعلم التام، ولهذا قال: ﴿**إن الله عليم بما يصنعون**﴾.

وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي[١] عمرو السيباني[٢] [أو: ربيعة]، عن عبد الله بن الديلمي[٣] قال: أتيت[٤] عبد الله بن عمرو، وهو في حائط بالطائف يقال له: الوهط، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من نوره يومئذٍ فقد اهتدىٰ، ومن أخطأه منه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على ما علم الله عز وجل**»(٨).

ثم قال: حدثنا يحيى بن عبدك القزويني، حدثنا حسان بن حسان البصري، حدثنا إبراهيم ابن بشر[٥]، حدثنا يحيى بن مَعنٍ، حدثنا إبراهيم القرشي، عن سعيد[٦] بن شرحبيل، عن زيد ابن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**الحمد لله الذي يهدي من الضلالة، ويلبس الضلالة على من أحب**»(٩).

---

(٨) - رواه الطيالسي ٥٧ - (٣١/١) من طريق ابن المبارك، وأحمد (١٧٦/٢)، والحاكم (٣٠/١ - ٣١) من طريق أبي إسحاق الفزاري، والحاكم (٣٠/١ - ٣١) من طريق الوليد بن مزيد، ومحمد بن كثير المصيصي. ورواه ابن حبان في صحيحه (١٨١٢) «موارد»، من طريق ابن المبارك، جميعهم عن الأوزاعي، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الله الديلمي، بنحوه.

ورواه الترمذي في السنن برقم (٢٦٤٤) من طريق إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن عبد الله الديلمي، بنحوه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

ورواه أحمد (١٩٧/٢) من طريق أبي المغيرة، ثنا محمد بن مهاجر، أخبرنا عروة بن رويم، عن عبد الله الديلمي، به نحوه.

(٩) - إبراهيم بن بشر، قال أبو حاتم (٩٠/٢): هو مجهول، ويحيى مجهول. وهذا الحديث هو جزء من حديث طويل في المؤاخاة بين الصحابة، رواه البخاري في التاريخ الصغير (٢٥٠/١) فقال: حدثنا حسان بن حسان، عن إبراهيم بن بشر، عن يحيى بن [معنٍ] المدني، عن إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى فذكره، ثم قال بعدما أورده: «وهذا إسناد مجهول لا يتابع عليه، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض». ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٠/٥) من طريق عبد المؤمن بن عباد، عن يزيد ابن معن، عن عبد الله بن شرحبيل، عن رجل من قريش، عن زيد بن أبي أوفى بطوله، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة (٢٧٨/٢) من طريق شعيب بن يونس، عن موسى بن صهيب، عن يحيى بن زكريا، عن عبدالله بن شرحبيل، عن رجل من قريش، عن زيد بن أبي أوفى. وقال ابن السكن: روي حديثه من ثلاث طرق، ليس فيها ما يصح. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤١/٤) في ترجمة زيد: روىٰ حديثَ المؤاخاة بتمامه؛ إلا أنَّ في إسناده ضعفًا.

---

[١] - سقط من: خ، ز.
[٢] - في ز: «الشيباني».
[٣] - في خ، ز: «الديلي».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ت، والجرح والتعديل: «بشير».
[٦] - في ت: «سعد».

وهذا أيضًا حديث غريب جدًا.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

كثيرًا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها - كما في سورة الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها، **﴿اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾**، كذلك الأجساد[١]، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطرًا يعم[٢] الأرض جميعًا فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض ولهذا جاء في الصحيح: «**كل ابن آدم يبلى[٣] إلا عَجْبُ[٤] الذَّنب، منه خلق ومنه[٥] يركب**». ولهذا قال تعالى: **﴿كذلك النشور﴾**.

وتقدم في «**الحج**» حديث أبي رزين قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟. قال: «**يا أبا رزين، أما مررت بوادي قومك محلًا[٦] ثم مررت به يهتز خضِرًا؟**» قلت: بلى. قال: «**فكذلك يحيي الله الموتى**».

وقوله: **﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا﴾**، أي: من كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم[٧] طاعة الله فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها [كما قال تعالى: **﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا﴾**][٨].

---

[١] - في خ، ز: «الأجسام».
[٢] - في ز: «فعم».
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - في ز: «عجم».
[٥] - في ز: «وفيه».
[٦] - في ز: «ممحلًا».
[٧] - في ز: «فليزم».
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وقال تعالى: ﴿**ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعًا**﴾، وقال: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**[١]﴾.

قال مجاهد: ﴿**من كان يريد العزة**﴾ بعبادة الأوثان، ﴿**فإن العزة لله جميعًا**﴾.

وقال قتادة: ﴿**من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعًا**﴾، أي: فليتعزز بطاعة الله عز وجل.

وقيل: من كان يريد علم العزة، لمن هي؟ ﴿**فإن العزة لله جميعًا**﴾، حكاه ابن جرير.

وقوله: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾، يعني: الذكر والتلاوة والدعاء. قاله غير واحد من السلف.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، أخبرني جعفر بن عون، عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، عن عبد الله بن المخارق، عن أبيه المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد الله - هو ابن مسعود - إذا حدثناكم حديثًا أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله: إن العبد المسلم إذا قال: «سبحان الله وبحمده، والحمد لله، و[٢] لا إله إلا الله، و[٣] الله أكبر، تبارك الله[٤]»، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه، ثم صَعد بهن إلى السماء فلا يمرّ بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمن عز وجل، ثم قرأ عبد الله: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلية، أخبرنا سعيد[٥] الجُرَيْري، عن عبد الله بن شقيق قال: قال كعب الأحبار: إن لـ «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» لدويًّا حول العرش كدويّ النحل، يُذَكِّرن بصاحبهن، والعمل الصالح في الخزائن(١٠).

وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار رحمه الله، وقد روي مرفوعًا.

قال الإمام أحمد(١١): حدثنا ابن نمير، حدثنا موسى - يعني بن مسلم الطحان - عن عون ابن عبد الله، عن أبيه - أو: عن أخيه - عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله

---

(١٠) - تفسير ابن جرير (١٢٠/٢٢).

(١١) - المسند ١٨٤١٥ - (٢٦٨/٤) ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٩/١٠). والدَّوِيُّ: صوت ليس بالعالي. نهاية [١٤٣/٢].

---

[١] - في ز: «يفقهون».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - بعده في ز «بن».

عليه وسلم: «**الذين يذكرون الله من جلال الله ، من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله، يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرون بصاحبهن ؛ ألا يحب**[١] **أحدكم أن لا يزال**[٢] **له عند الله شيء يذكر به**».

وهكذا رواه ابن ماجة(١٢) عن أبي بشر[٣] بكر بن خلف، عن يحيى بن سعيد القطان، عن موسى بن أبي عيسى[٤] الطحان، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبيه - أو: عن أخيه - عن النعمان بن بشير، به[٥] .

وقوله: ﴿**والعمل الصالح يرفعه**﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الكلم الطيب: ذكر الله ، يصعد به إلى الله عز وجل، [والعمل الصالح أداء فرائضه][٦] ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه، رد كلامه على عمله، فكان أولى به.

وكذا قال مجاهد: العمل الصالح[٧] يرفع الكلام الطيب. وكذا قال أبو العالية، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والسدي، والربيع بن أنس، وشهر بن حوشب، وغير واحد. وقال إياس بن معاوية القاضي: لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام. وقال الحسن، وقتادة: لا يقبل قول إلا بعمل.

وقوله: ﴿**والذين يمكرون السيئات**﴾، قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وشهر بن حوشب: هم المراءون بأعمالهم، يعني يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله ، وهم بُغَضاء إلى الله عز وجل، يراءون بأعمالهم، ﴿**ولا يذكرون الله إلا قليلا**﴾. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون.

والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى. ولهذا قال: ﴿**لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور**﴾،أي: يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولى البصائر والنهى، فإنه ما أسرَّ عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم، بل يُكشَفُ لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.

---

(١٢) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب، باب: فضل التسبيح، حديث (٣٨٠٩)، (١٢٥٢/٢)، وقال البوصيري في الزوائد (١٩٣/٣) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ».

---

[١] - في ز: « يحبن » والمثبت موافق للمسند.

[٢] - في خ، ز: « يكون » والمثبت موافق للمسند. [٣] - بعده في ز: « بن ».

[٤] - سقط من: خ، ز. [٥] - سقط من: خ، ز.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٧] - سقط من: ز.

وقوله: ﴿**والله خلقكم من تراب، ثم من نطفة**﴾، أي: ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿**ثم جعلكم أزواجًا**﴾، أي: ذكرًا وأنثى، لطفًا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجًا من جنسكم، لتسكنوا إليها.

وقوله: ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾، أي: هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء، بل ﴿**ما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس، إلا في كتاب مبين**﴾.

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿**الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام**﴾، إلى قوله: ﴿**المتعال**﴾.

وقوله: ﴿**وما يعمر من معمر، ولا ينقص من عمره إلا في كتاب**﴾، أي: ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه، وهو عنده في الكتاب الأول، ﴿**وما ينقص من عمره**﴾ [الضمير عائد][١] على الجنس، لا على العين، لأن العين الطويل العمر في الكتاب وفي[٢] علم الله لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس.

قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «**عندي ثوب ونصفه**»، أي: ونصف آخر.

وروى من طريق العَوْفي، عن ابن عباس(١٣) في قوله: ﴿**وما يعمر من معمَّر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك** [**على الله يسير**﴾، يقول: ليس أحد قضيت له طول عُمُر وحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك][٣] له، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزاد عليه، وليس أحد قَضَيتُ له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله: ﴿**ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، إن ذلك على الله يسير**﴾، يقول: كل ذلك في كتاب عنده. وهكذا قال الضحاك بن مزاحم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه: ﴿**ولا ينقص من عمره إلا في كتاب**﴾، قال: ما لَفَظت الأرحام من الأولاد من غير تمام. وقال عبد الرحمن في تفسيرها: ألا ترى الناس، يعيش الإنسان مائة سنة، وآخر يموت حين يولد، فهذا هذا. وقال قتادة: والذي ينقص من عمره: فالذي يموت قبل ستين سنة. وقال مجاهد: ﴿**وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب**﴾، أي: في بطن أمه يكتب له ذلك، لم يخلق الخلق على عمر واحد، بل[٤] لهذا عمر، ولهذا عمر هو أنقص من عمره، وكل ذلك مكتوب لصاحبه، بالغ ما بلغ.

(١٣) - تفسير الطبري (١٢٢/٢٢).

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «عائد الضمير». [٢] - في ز: «أن».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٤] - سقط من: ز.

وقال بعضهم: بل معناه: ﴿وما يعمر من معمر﴾، أي: ما يكتب من الأجل ﴿ولا[١] ينقص من عمره﴾، وهو ذهابه قليلًا قليلًا، الجميع معلوم عند اللّه سنة بعد سنة، وشهرًا بعد شهر، وجمعة بعد جمعة، ويومًا بعد يوم، وساعة بعد ساعة، الجميع مكتوب عند اللّه في كتاب.

نقله ابن جرير عن أبي مالك(١٤). وإليه ذهب السدي، وعطاء الخراساني. واختار ابن جرير الأول، وهو كما قال.

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان، سمعت ابن وهب، يقول: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله فليصل رحمه**».

وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود، من حديث يونس بن يزيد الأيلي به(١٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين[٢]، حدثنا الوليد بن عبد الملك بن عبيد اللّه أبو مسرح، حدثنا [عثمان بن عطاء][٣]، عن مسلمة[٤] بن عبد اللّه، عن عمه أبي مَشْجَعَةَ ابن ربعي، عن أبي الدرداء - رضي اللّه عنه - قال: ذكرنا عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال: «**إن اللّه لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد، فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر**»(١٦).

وقوله: ﴿إن ذلك على اللّه يسير﴾، أي: سهل عليه يسير، لديه علمه بذلك وبتفصيله

---

(١٤) - تفسير الطبري (١٢٣/٢٢).

(١٥) - رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٩)، والبخاري في البيوع برقم (٢٠٦٧)، ومسلم في البر والصلة والآداب برقم (٢٥٥٧)، وأبو داود برقم (١٦٩٣).

(١٦) - رواه العقيلي في الضعفاء (١٣٤/٢) في ترجمة سليمان بن عطاء، وقال: لا يتابع عليه بهذا اللفظ، وقد رُوي بمتن هذا الإسناد بلفظ: «**الولد الصالح يتركه الرجل فيدعو له فيلحقه دعاؤه**» من طريق صالح الإسناد، والكلام الأول في الحديث ليس بمحفوظ. ورواه كذلك ابن عدي (١١٣٣/٣) وقال: ولسليمان ابن عطاء عن مسلمة، عن عمه أبي مشجعة، عن أبي الدرداء وغيره، غير ما ذكرت من الحديث، وفي بعض أحاديثه وليس بالكثير مقدار ما يرويه بعض الإنكار كما ذكره البخاري. وقال البخاري: سليمان بن عطاء في حديثه بعض مناكير.

---

[١] - في ز: «ما».
[٢] - بعده في خ، ز: «بن الوليد».
[٣] - عند ابن عدي، والعقيلي: سليمان بن عطاء.
[٤] - في ز: «سلمة».

جميع مخلوقاته، فإن علمه شامل لجميع ذلك لا يخفى [عليه منه] شيء.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة: و[١]خلق البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، ﴿**وهذا ملح أجاج**﴾، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما تكون مالحة زعاقًا مُرَّة، ولهذا قال: ﴿**وهذا ملح أجاج**﴾، أي: مر.

ثم قال: ﴿**ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًّا**﴾، يعني السمك، ﴿**وتستخرجون حلية تلبسونها**﴾، كما قال تعالى: ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾.

وقوله: ﴿**وترى الفلك [فيه مواخر]**[٢]﴾، أي: تمخره وتشقه بحيزومها، وهو مقدمها المُسَنَّم الذي يشبه جؤجؤ الطير- وهو: صدره.

وقال مجاهد: تمخر الريح السفن، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام.

وقوله: ﴿**لتبتغوا من فضله**﴾، أي: بأسفاركم بالتجارة، من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾، أي: تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، و[٣]لا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «مواخر فيه». [٣] - سقط من: ز.

دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده على قصر هذا فيعتدلان. ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفًا وشتاء، ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾، أي: والنجوم السيارات[١]، والثوابت الثاقبات[٢] بأضوائهن أجرام السماوات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن محرر، تقديرًا من عزيز عليم.

﴿**[كل يجري لأجل]**[٣] **مسمى**﴾، أي: إلى يوم القيامة.

﴿**ذلكم الله ربكم**﴾ أي: الذي فعل هذا هو الرب العظيم، الذي لا إله غيره، ﴿**والذين تدعون من دونه**﴾، أي: من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، ﴿**ما يملكون من قطمير**﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وعطية[٤] العوفي، والحسن، وقتادة، وغيرهم: القطمير: هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة. أي: لا يملكون من السماوات والأرض شيئًا، ولا بمقدار هذا القطمير.

ثم قال: ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم**﴾، يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم، لأنها جماد لا أرواح فيها. ﴿**ولو سمعوا ما استجابوا لكم**﴾، أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها، ﴿**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾، أي: يتبرءون منكم، كما قال تعالى: ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾، وقال: ﴿**واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا**﴾.

وقوله: ﴿**ولا ينبئك مثل خبير**﴾، أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه؛ مثلُ خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

---

[١] - في ز: «السائرات».
[٢] - في ز: «الباقيات».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «إلى أجل».
[٤] - سقط من: خ، ز.

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال: ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾، أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات، ولهذا قال: ﴿**والله**[١] **هو الغني الحميد**﴾، أي: هو المتفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه.

وقوله: ﴿**إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد**﴾، أي: لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم، وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع؛ ولهذا قال: ﴿**وما ذلك على الله بعزيز**﴾.

وقوله: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾، أي: يوم القيامة، ﴿**وإن تدع مثقلة إلى حملها**﴾، أي: وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تُساعَدَ على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه، ﴿**لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى**﴾، أي: ولو كان قريبًا إليها، حتى ولو كان أباها أو ابنها، كل مشغول بنفسه وحاله.

قال عكرمة في قوله: ﴿**وإن تدع مثقلة إلى حملها**﴾ الآية، قال: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة، فيقول: يارب، سل هذا: لم كان يغلق بابه دوني؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يا مؤمن، إن لي عندك يدًا، قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا، وقد احتجت إليك اليوم. فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه - عز وجل - حتى يرده إلى [منزل دون][٢] منزله، وهو في النار. وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة، فيقول: يا بني، أيّ والد كنتُ لك؟ فيثنى خيرًا، فيقول له: يا بني؛ إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى. فيقول له ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت! ولكنني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا. ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة - أو: يا هذه - أي زوج كنت لك؟ فتثني خيرًا، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تَهَبينَها[٣] لي، لعلي أنجو بها مما

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٣] - في ز: «تهبيها».

ترين. قال: فتقول: ما أيسر ما طلبت! ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئًا، إني أتخوف مثل الذي تتخوف، يقول الله: **﴿وإن تدع مثقلة﴾** الآية، ويقول الله: **﴿لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا﴾**، ويقول تعالى: **﴿يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**.

رواه ابن أبي حاتم رحمه الله، عن أبي عبد الله الطهراني، عن حفص بن عمر، عن الحكم ابن أبان، عن عكرمة به.

ثم قال: **﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾**، أي: إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنهى، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به، **﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾**، أي: ومن عمل صالحًا فإنما يعود نفعه[١] على نفسه، **﴿وإلى الله المصير﴾**، أي: وإليه المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، وسيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات. وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين[٢] وهم الأموات، كقوله تعالى: **﴿أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾**، وقال تعالى: **﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم و[البصير والسميع][٣] هل يستويان مثلا﴾** فالمؤمن سميع بصير في نور يمشي، على صراط

---

[١] - في ز: «بنفسه».
[٢] - في ز: «الكافرين».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «السميع والبصير».

مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم، في ظلمات يمشي، لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى يفضي به ذلك إلى الحَرور والسموم والحميم، ﴿**وظل من يحموم. لا بارد ولا كريم**﴾.

وقوله: ﴿**إن الله يسمع من يشاء**﴾، أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها، ﴿**وما أنت بمسمع من في القبور**﴾، أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم.

﴿**إن أنت إلا نذير**﴾، أي: إنما عليك البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿**إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا**﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين، ونذيرًا للكافرين، ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾، أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذر، وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾، وكما قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة**﴾ الآية، والآيات في هذا كثيرة.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم، جاءتهم رسلهم بالبينات**﴾، وهي: المعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات، ﴿**وبالزبر**﴾، وهي الكتب، ﴿**وبالكتاب المنير**﴾، أي: الواضح البين. ﴿**ثم أخذت الذين كفروا**﴾، أي: ومع هذا كله كذَّب أولئك رسلَهم فيما جاءوهم به، فأخذتهم، أي بالعقاب والنكال، ﴿**فكيف كان نكير**﴾؟ أي: فكيف رأيت [ ][1] إنكاري عليهم [يعني عظيمًا شديدًا بليغًا].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى منبهًا على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء ويخرج به ثمرات مختلفًا ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض،

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: « كان ».

إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع**[١] **ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقَى**[٢] **بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**ومن الجبال جُدَد بيض وحمر مختلف ألوانها**﴾، أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضًا من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق - وهي: الجُدَد، جمع جُدّة - مختلفة الألوان أيضًا.

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: الجُدَد: الطرائق. وكذا قال أبو مالك، والحسن، وقتادة، والسدي. ومنها ﴿**غرابيب سود**﴾، قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود. وكذا قال أبو مالك، وعطاء الخراساني، وقتادة. وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا[٣]: أسود غربيب. ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿**وغرابيب سود**﴾، أي: سود غرابيب. وفيما قاله نظر.

وقوله تعالى: ﴿**ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك**﴾، أي: وكذلك الحيوانات من الأناسي والدواب - وهو: كل ما دب على قوائم - والأنعام: من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضًا، فالناس منهم بربر وحُبُوش وطُمَاطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿**واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾. وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، [بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد][٤] يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا اللون، فتبارك اللَّه أحسن الخالقين.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(١٧): حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا عبد اللَّه بن عمر بن أبان بن صالح، حدثنا زياد بن عبد اللَّه، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: جاء رجل إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم فقال: أيصبغ ربك؟ فقال: «**نعم صبغًا لا يُنفَض، أحمر وأصفر وأبيض**». ورُوِي مرسلًا وموقوفًا، واللَّه أعلم.

ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿**إنما يخشى اللَّه من عباده العلماء**﴾، أي: إنما يخشاه حق

(١٧) - مختصر زوائد البزار برقم (١١٨٤) و«كشف الأستار» (٢٩٤٤) وقال البزار: لا نعلم أحدًا أسنده عن ابن عباس؛ إلا زياد، وقال غيره عن عطاء، عن سعيد بن جبير مرسلًا. وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٢٨): «وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط».

---

[١] - في ز: «زروع».
[٢] - في ز: «تُسقَى».
[٣] - في ز: «قال».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

خشيته العلماء العارفون به ؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم [القدير العليم][١] الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى - كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾، قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.

وقال ابن لَهِيعَةَ، عن ابن[٢] أبي عمرة، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئًا، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسبه بعمله. وقال سعيد بن جبير: الخشية هي[٣] التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل. وقال الحسن البصري: الإيمان مَنْ خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سَخط الله فيه، ثم تلا الحسن: ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور** ﴾. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية. وقال أحمد بن صالح المصري، عن ابن وهب، عن مالك؛ قال: إن [العلم ليس][٤] بكثرة الرواية، و[٥]إنما العلم نور يجعله الله في القلب.

قال أحمد بن صالح المصري: معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض[٦] الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة -رضي الله عنهم- ومن بعدهم من أئمة المسلمين- فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله: (نور) يريد به فهم العلم، ومعرفة معانيه.

وقال سفيان الثوري، عن أبي حيان، عن رجل؛ قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله، عالم بأمر الله. وعالم بالله، ليس بعالم بأمر الله. وعالم بأمر الله، ليس بعالم[٧] بالله. فالعالم بالله وبأمر الله: الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض. والعالم بالله ليس بعالم[٨] بأمر الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض. والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله عز وجل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا

[١] - في ز: «العليم القدير».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: «ليس العلم».
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - في ز: «فرضه».
[٧] - في ز: «عالم».
[٨] - في ز: «عالم».

وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام[١] الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلانية، ﴿**يرجون تجارة لن تبور**﴾، أي: يرجون ثوابًا عند الله لابد من حصوله. كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه: «**إن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة**». ولهذا قال تعالى: ﴿**ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله**﴾، أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم، ﴿**إنه غفور**﴾، أي: لذنوبهم، ﴿**شكور**﴾ للقليل من أعمالهم.

قال قتادة: كان مُطَرِّف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء.

قال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، حدثنا سالم بن غيلان؛ أنه سمع دَرَّاجًا أبا السمح يحدث عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدْري - رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول: «**إن الله تعالى إذا رضي عن العبد أثنى عليه سَبْعَةَ أصناف من الخير لم يعمله، وإذا سخط على العبد أثنى عليه سَبْعَةَ[٢] أصناف من الشر لم يعمله**». غريب جدًّا.

وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

(١٨) - **إسناده ضعيف لضعف رواية دراج أبي السمح عن أبي الهيثم**

وهو في المسند ١١٣٥٤ - (٣٨/٣) وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٨٢) (٨٢٦/٢) من طريق عبد الله بن أحمد به. وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٩٢٨). وأبو يعلى في مسنده (١٣٣١)، وابن حبان في صحيحه (٣٦٨) (٨٩/٢ - ٩٠)، وفي الموارد (٢٥١٥) (١٩٧/٨ -١٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧٠/١). من طرق عن عبد الله بن يزيد أبي عبد الرحمن المقرئ به. إلا أن عند أبي يعلى وابن حبان «تسعة» بدلًا من «سبعة». وأخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٨١٦)، وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» (١٩٦/٢)، ورواه أحمد (١١٣٧٩) (٤٠/٣). من طريق أبي عاصم عن حيوة به. و(١١٧٤٥) (٧٦/٣) من طريق حسن بن موسى، ثنا ابن لهيعة، عن دراج به. وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال أحمد: أحاديث دراج مناكير. وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٥ - ٢٧٦) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال: تسعة أصناف - تصحفت إلى أضعاف - ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

[١] - في ز: «إيقامهم».
[٢] - في ز: «بسبعة».

بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

يقول تعالى: ﴿والذي أوحينا إليك﴾، يا محمد من الكتاب، وهو القرآن ﴿هو الحق مصدقًا لما بين يديه﴾، أي من الكتب المتقدمة يصدقها، كما شهدت له بالنبوة[١]، وأنه منزل من رب العالمين.

﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾، أي: هو خبير بهم، بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه، ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ



يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾، وهو: المفرط[٢] في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. ﴿ومنهم مقتصد﴾، وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾، وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾، قال: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يُغفَر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

وقال أبو القاسم الطبراني(١٩): حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، وعبد الرحمن بن معاوية العُتْبي قالا: حدثنا أبو الطاهر بن السرح، حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، حدثني ابن

(١٩) - المعجم الكبير (١١/١٨٩) وأورده الهيثمي (١٠/٣٧٨) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضّاع.

[١] - في م: «بالتنويه».
[٢] - في ز: «مفرط».

جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال ذات يوم: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا رُوي عن غير واحد من السلف: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين، على ما فيه من عوج وتقصير. وقال آخرون: بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة، ولا من المصطفين الوارثين الكتاب.

قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾، قال: هو الكافر. وكذا رَوَى عنه عكرمة، وبه قال عكرمة أيضًا فيما رواه ابن جرير.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾، قال: هم أصحاب المشأمة. وقال مالك عن زيد بن أسلم، والحسن، وقتادة: هو المنافق. ثم قد قال ابن عباس، والحسن،وقتادة: وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام[1] الثلاثة المذكورة في أول «**سورة الواقعة**» وآخرها.

والصحيح أن الظالم لنفسه من[2] هذه الأمة. وهذا[3] اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من طرق يشد بعضها بعضًا، ونحن نورد منها ما تيسر:

(الحديث الأول): قال الإمام أحمد[20]: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الوليد ابن العيزار أنه سمع رجلًا من ثقيف يُحَدِّث عن رجل من كنانة، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: في هذه الآية: «﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**﴾، قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة».

---

(٢٠) - المسند ١١٧٦١ - (٧٨/٣)، وأخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٢٣٦) حدثنا شعبة به. ومن طريقه البيهقي في «البعث» (٥٧). وأخرجه الترمذي، في تفسير القرآن، باب: «ومن سورة الملائكة» (٣٢٢٣). وابن جرير في «تفسيره» (١٣٧/٢٢). من طريقين عن محمد بن جعفر به. وقال الترمذي: حديث غريب حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

---

[١] - في ز: «في الأقسام».　[٢] - في ز: «في».

[٣] - في ز: «هو».

هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي إسناده من لم يسم. وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث شعبة، به نحوه.

ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي: في أنهم من هذه الأمة، وأنهم من أهل الجنة، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة.

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا أنس بن عياض الليثي أبو ضمرة، عن موسى بن عقبة، عن علي[١] بن عبد الله الأزدي، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال[٢]: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول: قال الله : ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**﴾، فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابًا يسيرًا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون[٣] في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم برحمته[٤]، فهم الذين يقولون: ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب**﴾.

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أسيد بن عاصم، حدثنا الحسين بن حفص، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه**﴾، قال: فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن، ثم يدخل الجنة».

ورواه ابن جرير(٢٢) من حديث سفيان الثوري، عن الأعمش؛ قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد، فجلس إلى جنب أبي الدرداء، فقال: اللهم، آنس[٥] وحشتي، وارحم غربتي، ويسر لي جليسًا صالحًا. قال أبو الدرداء: لئن كنت صادقًا لأنا أسعد بك[٦] منك، سأحدثك حديثًا

(٢١) - المسند ٢١٨١٨ - (١٩٨/٥). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٩٥) وقال: «رواه أحمد بأسانيد، رجال أحدها رجال الصحيح، وهذا إن كان على بن عبد الله الأزدى سمع من أبى الدرداء فإنه تابعى».

(٢٢) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٢)، ورواه أحمد (٢١٧٨٧) (١٩٤/٥) فقال: ثنا وكيع، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن ثابت - أو عن أبي ثابت - أن رجلاً دخل مسجد دمشق فقال: اللهم آنس وحشتي، وارحم غربتي، وارزقني جليسًا صالحًا؛ فسمعه أبو الدرداء ..... » ورواه الحاكم في المستدرك (٤٢٦/٢) =

[١] - سقط من: م.
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في خ، ز: « يحاسبون ».
[٤] - في ز: « رحمته ».
[٥] - في ز: « أنّس ».
[٦] - في خ، ز: « به ».

سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه، ذكر هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾: «فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا. وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن، وذلك قوله: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾».

(الحديث الثالث): قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٣): حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا [ابن][١] مسعود، أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي، حدثنا عمرو[٢] بن أبي قيس، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه، [عن][٣] عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أسامة بن زيد: ﴿فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات﴾... الآية، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلهم من هذه الأمة».

(الحديث الرابع): قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عزيز[٤]، حدثنا سلامة، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عوف بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «أمتي ثلاثة أثلاث: فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا ثم يدخلون الجنة، وثلث يُمَحَّصون ويكشفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون: وجدناهم يقولون: لا إله إلا الله وحده. يقول الله عز وجل: صدقوا لا إله إلا أنا، أدخلوهم الجنة بقولهم: لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار»، وهي التي قال الله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم﴾، وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة، قال الله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾، فجعلهم ثلاثة أنواع، وهم أصناف كلهم، فمنهم ظالم لنفسه، فهذا الذي يكشف ويمحص. غريب جدًّا(٢٤).

= ومن طريقه البيهقي في البعث برقم (٦٢) من طريق الأعمش، به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٩٥، ٩٦) وقال: «رواه الطبراني وأحمد باختصار إلا أنه قال: عن الأعمش، عن ثابت أو أبي ثابت: أن رجلًا دخل المسجد مسجد دمشق .... فذكر الحديث باختصار، وثابت بن عبيد ومن قبله من رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني رجل غير مسمى».

(٢٣) - المعجم الكبير (١/١٦٧)، ورواه البيهقي في البعث (٦٠) من طريق محمد بن سعيد، عن عمرو بن قيس، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن أبيه، عن أسامة بن زيد، به. ورواه أيضًا برقم (٥٩) من طريق حصين بن نمير، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه، عن أبيه، عن أسامة بن زيد، بنحوه. وأورده الهيثمي (٩٦/٧) وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو سيئ الحفظ. ورواه الخطيب في تاريخه (٣٧١/١٢)، وعزاه صاحب الكنز (٤٨٦/٢) إلى سعيد بن منصور.

(٢٤) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠/١٨) من طريق محمد بن عزيز، به. وقال الهيثمي في المجمع =

---

[١] - في الطبراني: أبو.

[٢] - سقط من الطبراني.

[٣] - في خ: «عمر».

[٤] - في ز: «عزير».

(**أثر عن ابن مسعود**) : قال ابن جرير : حدثني ابن حميد ، حدثنا الحكم بن بشير ، عن عمرو بن قيس ، عن عبد اللّٰه بن عيسى ، عن يزيد بن الحارث ، عن شقيق[١] أبي وائل ، عن عبد اللّٰه بن مسعود ؛ أنه قال : هذه [الأمة][٢] ثلاثة أثلاث يوم القيامة ، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا ، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول : ما هؤلاء - وهو أعلم تبارك وتعالى - فتقول الملائكة : هؤلاء جاءوا بذنوب عظام ، إلا أنهم لم يشركوا بك . فيقول الرب عز وجل : أدخلوا هؤلاء في سعة[٣] رحمتي . وتلا عبد اللّٰه هذه الآية : **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾** ... الآية (٢٥) .

(**أثر آخر**) : قال أبو داود الطيالسي (٢٦) ، عن الصلت بن دينار [أبو شُعيب][٤] ، عن عقبة بن صهبان الهنائي ؛ قال : سألت عائشة رضي اللّٰه عنها عن قول اللّٰه : **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه﴾** ... الآية، فقالت لي: يا بني، هؤلاء في الجنة ، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، شهد له رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بالحياة والرزق . وأما المقتصد فمن اتبع[٥] أثره من أصحابه حتى لحق به . وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم . قال : فجعلت نفسها معنا .

وهذا منها رضي اللّٰه عنها ، من باب الهَضْم والتواضع ، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات ؛ لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

وقال عبد اللّٰه بن المبارك رحمه اللّٰه : قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي اللّٰه عنه ، في قوله تعالى : **﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾** ، قال : هي لأهل بدونا ، ومقتصدنا أهل حضرنا ، وسابقنا أهل الجهاد . رواه ابن أبي حاتم .

= (٩٦/٧) : « فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢٥) - تفسير الطبري (١٣٤/٢٢) .

(٢٦) - **ضعيف جدًا** ، رواه الطيالسي برقم (١٤٨٩) ، ورواه الطبراني في الأوسط ٦٠٩٤ - (١٦٧/٦) ، والحاكم (٤٢٦/٢ - ٤٢٧) وجاء عنده الصلت بن عبد الرحمن ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن عقبة بن صهبان إلا أبو شعيب الصلت بن دينار ، تفرد به معتمر ، وقال الحاكم : صحيح ، وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : فيه الصلت بن عبد الرحمن قال النسائي : ليس بثقة ، وقال أحمد : ليس بالقوي . وزاد نسبته السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد ، واين أبي حاتم ، وابن مردويه . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٦/٧ - ٩٧) وقال : رواه الطبراني ، وفيه الصلت بن دينار وهو متروك .

---

[١] - بعده في ز : « عن » وهو خطأ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « الآية » . [٣] - في ز : « جنة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن الأشعث » . [٥] - في ز : « تبع » .

وقال عوف الأعرابي: حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: حدثنا كعب الأحبار؛ قال: إن الظالم لنفسه من هذه الأمة، والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة، ألم تر أن الله تعالى قال[١]: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير. جنات عدن يدخلونها﴾** ... إلى قوله: **﴿والذين كفروا لهم نار جهنم﴾**، قال: فهؤلاء أهل النار.

رواه ابن جرير من طرق، عن عوف به(٢٧). ثم قال:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، أخبرنا حميد، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبًا عن قوله: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾**، إلى قوله: **﴿بإذن الله﴾**، فقال[٢]: تماسَّت مناكبهم ورَبِّ كعب، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم(٢٨).

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا الحكم بن بشير، حدثنا عمرو[٣] بن قيس، عن أبي إسحاق السبيعي في هذه الآية: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾** ... الآية، قال أبو إسحاق: أما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج(٢٩).

ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا الحكم، حدثنا عمرو، عن[٤] محمد بن الحنفية؛ قال: إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله(٣٠).

ورواه الثوري، عن إسماعيل بن سميع، عن رجل، عن محمد بن الحنفية بنحوه.

وقال أبو الجارود: سألت محمد بن علي - يعنى الباقر - عن قوله: **﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾**، فقال: هو الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا.

فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام. وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولى الناس بهذه

---

(٢٧) - ابن جرير (٢٢/١٣٤).
(٢٨) - ابن جرير (٢٢/١٣٤).
(٢٩) - ابن جرير (٢٢/١٣٤).
(٣٠) - ابن جرير (٢٢/١٣٥).

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ت: «قال».
[٣] - في خ، ز: «عمر».
[٤] - في خ، ز: «بن».

الرحمة، فإنهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله (٣١):

حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة، عن قيس بن كثير؛ قال: قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق؛ فقال: ما أقدمك أيْ أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا؟ قال: أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم. قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه[١] علمًا، سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا [دينارًا ولا درهمًا][٢]، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**».

وأخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، من حديث كثير بن قيس - ومنهم من يقول: قيس ابن كثير - عن أبي الدرداء.

وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواة فيه في [شرح «كتاب[٣] **العلم**» من «**صحيح البخاري**»، ولله الحمد والمنة.

وقد تقدم في أول «**سورة طه**» حديث ثعلبة بن الحكم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء[٤]: إني لم أضع علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم، على ما كان منكم، ولا أبالي**» (٣٢).

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ

(٣١) - كثير بن قيس: قال ابن حجر: وقيل: قيس بن كثير، ضعيف. ووهم ابن قانع فأورده في الصحابة. والحديث رواه أحمد ٢١٨٠٦ - (٥/١٩٦)، وأبو داود في كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم (٣ / ٣١٦ / رقم: ٣٦٤١). والترمذي في كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه في العبادة (٥ / ٤٨، ٤٩ / رقم: ٢٦٨٢). وابن ماجة في كتاب المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم (١ / ٨١/ رقم: ٢٢٣). كلهم من طريق كثير بن قيس به.

(٣٢) - تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية (٢) من سورة طه.

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «درهمًا ولا دينارًا».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «كتاب شرح». [٤] - سقط من: ز.

شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالى أن مأوى هؤلاء المصطفين من عباده، الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين مأواهم يوم القيامة ﴿**جنات عدن**﴾، أي: جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على ربهم عز وجل: ﴿**يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا**﴾، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ أنه قال: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»(٣٣).

﴿**ولباسهم فيها حرير**﴾، ولهذا كان محظورًا عليهم في الدنيا، فأباحه اللّه لهم في الدار الآخرة، وثبت في الصحيح أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»(٣٤). وقال: «**هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**».

وقال ابن أبي حاتم(٣٥): حدثنا عمرو بن سواد السرحي، أخبرنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن أبا أمامة حدث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حدثهم، وذكر حلي [أهل الجنة][١] فقال: «**مسورون بالذهب والفضة، مكللة بالدر، وعليهم أكاليل من دُرّ وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب جُرْدٌ مُرْدٌ مكحّلون**».

﴿**وقالوا الحمد للّه الذي أذهب عنا الحزن**﴾، وهو الخوف من المحذور، أزاحه عنا، وأراحنا مما كنا نتخوفه، ونحذره من هموم الدنيا والآخرة.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر؛ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**ليس على أهل لا إله إلا اللّه وحشة في قبورهم ولا في منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا اللّه ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: ﴿الحمد للّه الذي أذهب عنا الحزن﴾**». رواه ابن أبي حاتم من حديثه(٣٦).

(٣٣) - صحيح مسلم برقم (٢٥٠).

(٣٤) - متفق عليه من حديث أنس، رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٨٣٢)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٧٣)، ورواه البخاري من حديث ابن الزبير وعمر (٥٨٣٣، ٥٨٣٤)، ومسلم منحديث أبي أمامة (٢٠٧٤).

(٣٥) - رواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٢٦٧) من طريق على بن الحسن، عن عمرو بن سواد، به. والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة.

(٣٦) - عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ضعفه ابن معين، وابن المديني، والنسائي، والحديث رواه =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

وقال الطبراني(٣٧) : حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا موسى بن يحيى المروزي، حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي، عن عبد العزيز بن حكيم، عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في قبورهم ولا في النشور.** و[١] **كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب، يقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾** ».

قال ابن عباس، وغيره: غَفَر لهم الكثير من السيئات، وشكر لهم اليسيرَ من الحسنات.

﴿**الذي أحلنا دار المقامة من فضله**﴾، يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله ومَنّه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك. كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: « **لن يُدخلِ أحدًا منكم عمله الجنة** ». قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: « **ولا أنا، إلا أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضل** »(٣٨) .

﴿**لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب**﴾، أي: لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء.

والنصَب واللغوب: كل منهما يستعمل في التعب. وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. فمن ذلك أنهم كانوا يُدْئِبون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة مستمرة. قال الله تعالى: ﴿**كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا

= الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٥٣١) « مجمع البحرين »، وابن عدي في الكامل (١٥٨١/٤) من طريق يحيى الحماني، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، به. وقال المنذري في الترغيب (٤١٦/٢) : « في متنه نكارة».

(٣٧) - وأورده الهيثمي في المجمع (٣٣٣/١٠) وقال: « رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم ». ورواه ابن عدي في الكامل (٤٩٨/٢) من حديث الحسن بن قزعة، عن بهلول بن عبيد الكندي، عن سلمة بن كهيل عن ابن عمر، والبيهقي في البعث برقم (٨٢) من طريق ابن عدي، وقال ابن عدي: ليس بذاك، ولبهلول هذا غير ما ذكرت من الحديث قليل، وأحاديثه عمن روى عنه فيه نظر، وحديثه عن أبي إسحاق أنكر منه عن غيره، وإنما ذكرته لأبين أن أحاديثه مما يتابعه عليها الثقات؛ إذ لم أر لمن تكلم في الرجال فيه كلامًا. وقال البيهقي: « هذا مرسل عن سلمة بن كهيل وابن عمر، وبهلول تفرد به، وليس بالقوي » .

(٣٨) - متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري في كتاب المرضى برقم (٥٦٧٣)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٨١٦) .

[١] - سقط من : ز .

نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء، شرع في بيان مآل الأشقياء، فقال: ﴿**والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضي عليهم فيموتوا**﴾، كما قال تعالى: ﴿**لا يموت فيها ولا يحيىٰ**﴾. وثبت في صحيح مسلم(٣٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولايحيون**». قال الله تعالى: ﴿**ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون**﴾. فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك - قال الله تعالى: ﴿**لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها**﴾، كما قال تعالى: ﴿**إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون**﴾، وقال: ﴿**كلما خبت زدناهم سعيرًا**﴾، ﴿**فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا**﴾.

ثم قال: ﴿**كذلك نجزي كل كفور**﴾، أي: هذا جزاء كل من كفر بربه، وكذّب بالحق.

وقوله: ﴿**وهم يصطرخون فيها**﴾، أي: ينادون فيها، يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم: ﴿**ربنا، أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل**﴾، أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا، ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب جل جلاله أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون. فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، كما قال تعالى مخبرًا عنهم في قولهم: ﴿**فهل إلى خروج**[١] **من سبيل * ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا**﴾. أي: لا يجيبكم إلى ذلك؛ لأنكم كنتم[٢] كذلك، ولو رددتم لعدتم إلى ما نهيتم عنه. ولهذا قال هاهنا: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾، أي: أو ما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟.

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا، فرُوي عن علي بن الحسين زين العابدين؛ أنه قال[٣]: مقدار سبع عشرة سنة.

وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر [حجة، فنعوذ بالله أن نُعَيَّر بطول العمر][٤]، قد نزلت هذه الآية: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة[٥].

---

(٣٩) - مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٨٥).

---

[١] - في ز: «مرد».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: خ، ز.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٥] - سقط من: خ، ز.

وكذا قال أبو غالب الشيباني.

وقال عبد اللَّه بن المبارك، عن معمر، عن رجل، عن وهب بن منبه في قوله: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾**، قال: عشرين سنة.

وقال هشيم، عن منصور، عن زاذان، عن الحسن في قوله: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾**، قال: أربعين سنة.

وقال هشيم، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة؛ فليأخذ حذره من اللَّه عز وجل.

وهذا رواية عن ابن عباس فيما قال ابن جرير(٤٠): حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا عبد اللَّه بن عثمان بن خُثَيم، عن مجاهد؛ قال: سمعت ابن عباس، يقول: العمر الذي أعذر اللَّه إلى ابن آدم: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾** أربعون سنة.

هكذا رواه من هذا الوجه، عن ابن عباس. وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

ثم رواه(٤١) من طريق الثوري وعبد اللَّه بن إدريس، كليهما[١] عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن ابن عباس؛ قال: العمر الذي أعذر اللَّه [ ][٢] فيه لابن آدم في قوله: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾**؛ ستون سنة.

فهذه الرواية أصح عن ابن عباس، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضًا، لما ثبت في ذلك من الحديث - كما سنورده - لا كما زعمه ابن جرير، من أن الحديث لم يصح؛ لأن **«في إسناده من يجب التثبت في أمره»**(٤٢).

وقد روى أصبغ بن نُباتة، عن عليّ رضي اللَّه عنه أنه قال: العمر الذي عَيَّرهم اللَّه به في قوله تعالى: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾**. ستون سنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا دُحَيم، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني إبراهيم بن الفضل المخزومي، عن ابن أبي حُسَين المكي؛ أنه حدثه عن عَطاء - هو ابن أبي رباح - عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما؛ أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: **«إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبناء الستين؟ وهو العمر الذي قال اللَّه فيه: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**

---

(٤٠) - تفسير ابن جرير (١٤١/٢٢).

(٤١) - تفسير ابن جرير (١٤١/٢٢).

(٤٢) - تفسير ابن جرير (١٤٢/٢٢).

---

[١] - في ز: «كلاهما».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «إليه».

وجاءكم النذير﴾ .

وكذا رواه ابن جرير، عن علي بن شعيب، [عن محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك به. وكذا رواه][١] الطبراني من طريق ابن أبي فُديك به(٤٣) .

وهذا الحديث فيه نظر، لحال إبراهيم بن الفضل، والله أعلم.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٤٤) : حدثنا عبد الرزّاق، حدثنا معْمَر، عن رجُلٍ من بني غِفَار، عن سعيد المَقْبُرِيّ، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه[٢] قال: «**لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه [لقد أعذر الله إليه][٣]** ».

وهكذا رواه الإمام البخاري في «**كتاب الرقاق**» من صحيحه(٤٥) : حدثنا عبد السلام بن مُطَهَّر، عن عُمَر بن عليّ، عن مَعْن بن محمد الغفَاري، عن سعيد المَقْبُرِيّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [«**أعذر الله عز وجل الى امرئ أخَّر عمره حتى بَلَّغَه ستين سنة**».

ثم قال البخاري: تابعه أبو حازم وابنُ عجلان، عن سعيد المَقْبُرِي][٤] .

فأما أبو حازم فقال ابن جرير: حدثنا أبو صالح الفَزَاريّ[٥]، حدثنا محمد بن سوار، أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري الإسكندريّ، حدثنا أبو حازم، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**[من عَمَّره الله][٦] ستين سنة، فقد أعذر إليه في العمر**».

وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرقاق جميعًا عن قتيبة [عن يعقوب بن عبد الرحمن به(٤٦) .

---

(٤٣) - **إسناده ضعيف**، وهو في تفسير الطبري (١٤١/٢٢)، والمعجم الكبير للطبراني (١٧٧/١١)، وقال الهيثمي في المجمع (٩٧/٧) : «وفيه إبراهيم بن الفضل المخزومي وهو ضعيف».

(٤٤) - المسند (٢٧٥/٢) .

(٤٥) - البخاري في الرقاق برقم (٦٤١٩) .

(٤٦) - تفسير الطبري (١٤٢/٢٢)، والمسند (٤١٧/٢)، والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف للمزي (٤٧٢/٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٥] - في ز: «الصراري».

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ: «إذا أحب الله ابن آدم»، وفي ز: «إذا أحيا الله ابن آدم».

ورواه البزار(٤٧) قال: حدثنا هشام بن يونس، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه][١] عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة**». يعني: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾(٤٨).

وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك ابن قرعة بسامراء، حدثنا أبو عبد الرحمن المقبري، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني محمد بن عجلان، عن سعيد المقبرى، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر**».

وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو المقرئ به(٤٩).

ورواه أحمد أيضًا، عن خلف عن أبي معشر، عن سعيد المقبُري(٥٠).

(طريق أخرى، عن أبي هريرة) قال ابن جرير: حدثني أحمد بن الفرج أبو عُتْبة الحمْصي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثنا المطرف بن مازن الكناني، حدثني معمر بن راشد؛ قال: سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول: سمعت أبا هريرة؛ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين سنة والسبعين**»(٥١).

فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت[٢]. وقول ابن جرير: «**إن في رجاله بعض من[٣] يجب التثبت في أمره**»، لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري، والله أعلم.

وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم، كما قال الشاعر:

---

(٤٧) - المسند (٢/٤٠٥).

(٤٨) - رواه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/١٥٥) من طريق سليمان بن حرب، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، وربما لم يقل: عن سهل، فذكر نحوه دون الآية، والمحفوظ عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤٩) - المسند (٢/٣٢٠).

(٥٠) - رواه أحمد (٢/٤٠٥).

(٥١) - تفسير الطبري (٢٢/١٤٢).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: ز.

إِذَا بَلَغَ الفتى ستين عَاما فقد ذَهَبَ المَسَرَّةُ والفَتَاءُ

و[١] لما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله إلى عباده به، ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما ورد بذلك الحديث، قال الحسن بن عرفة رحمه الله :

حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي[٢]، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم مَن يجوز ذلك**».

وهكذا رواه الترمذي وابن ماجة جميعًا في كتاب الزهد، عن الحسن بن عرفة به. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه(٥٢) .

وهذا عَجَب من الترمذي، فإنه قد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا[٣] من وجه آخر وطريق أخرى، عن أبي هريرة، حيث قال :

حدثنا سليمان بن عمر، عن محمد بن ربيعة، عن كامل أبي العلاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**».

وقد رواه الترمذي في «**كتاب الزهد**»(٥٣) أيضًا عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن محمد ابن ربيعة به. ثم قال: هذا حديث حسن غريب، من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، وقد روى من غير وجه عنه. هذا نصه بحروفه في الموضعين، والله أعلم.

و[٤]قال الحافظ أبو يعلى(٥٤) : حدثنا أبو موسى الأنصاري، حدثنا ابن أبي فُديك، حدثني إبراهيم بن الفضل مولى بني مخزوم، عن المقبُري[٥]، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مُعْتَرَك المنايا ما بين الستين إلى السبعين**».

---

(٥٢) - سنن الترمذي برقم (٣٥٥٠) ، وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٣٦) .

(٥٣) - سنن الترمذي برقم (٢٣٣١) .

(٥٤) - مسند أبي يعلى حديث ٦٥٤٣ - (٤٢٢/١١ ، ٤٢٣) وفيه إبراهيم بن الفضل وهو متروك . وأخرجه الخطيب في التاريخ (٤٧٦/٥) والشهاب في مسنده ٢٥١ - (١٧٤/١) .

---

[١] - قبله في خ، ز: «قال حديث آخر».

[٢] - في ز: «البخاري».

[٣] - في ز: «الدرداء».

[٤] - سقط من: ز.

[٥] - في ز: «المقري».

وبه قال(٥٥) : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**أقل أمتي أبناء سبعين**». إسناده ضعيف.

(حديث آخر في معنى ذلك) قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(٥٦) :

حدثنا إبراهيم بن هانئ، حدثنا إبراهيم بن مهدي، حدثنا عثمان بن مطر، عن أبي مالك، عن ربعي، عن حذيفة، أنه قال: يا رسول اللَّه ، أنبئنا بأعمار أمتك. قال: «**ما بين الخمسين إلى الستين**». قالوا: يا رسول اللَّه؛ فأبناء السبعين؟ قال: «**قَلَّ من يبلغها من أمتي، رحم اللَّه [ ][١] أبناء السبعين ورحم اللَّه أبناء الثمانين**».

ثم قال البزار: لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عاش ثلاثة وستين سنة، قيل: ستين. وقيل: خمسًا وستين سنة. والمشهور الأول، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿**وجاءكم النذير**﴾، روي عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي جعفر الباقر، وقتادة، وسفيان بن عُيَينة أنهم قالوا: يعني الشيب.

وقال السدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني به الرسول صلى اللَّه عليه وسلم، وقرأ ابن زيد: ﴿**هذا نذير من النذر الأولى**﴾. وهذا هو الصحيح عن قتادة، فيما رواه شيبان، عنه أنه قال: احتج عليهم بالعمر[٢] والرسل.

وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر، لقوله[٣] تعالى: ﴿**ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون**﴾، أي: لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل، فأبيتم وخالفتم، وقال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا**﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿**كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتُها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل اللَّه من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير**﴾.

وقوله: ﴿**فذوقوا فما للظالمين من نصير**﴾، أي: فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم

(٥٥) - مسند أبي يعلى حديث ٦٥٤٤ - (١١/٤٢٣)، وعزاه صاحب الكنز إلى الحكيم في نوادر الأصول بلفظ: «**أقل أمتي أبناء السبعين**».

(٥٦) - مسند البزار برقم (٣٥٨٦) «كشف الأستار»، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٠٦): «وفيه عثمان ابن مطر وهو ضعيف».

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «من».
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - في ز: «كقوله».

للأنبياء[١] في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

يخبر تعالى بعلمه غيب السماوات والأرض، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله.

ثم قال: ﴿**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض**﴾، أي: يخلف قوم الآخرين قبلهم، وجيل لجيل قبلهم، كما قال: ﴿**ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾، ﴿**فمن كفر فعليه كفره**﴾، أي: فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره، ﴿**ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتًا**﴾، أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم اللَّه، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحَسُن عمله؛ ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره، وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

يقول تعالى لرسوله صلى اللَّه عليه وسلم أن يقول للمشركين: ﴿**أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون اللَّه**﴾، أي: من الأصنام والأنداد، ﴿**أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات**﴾؟ أي: ليس لهم شيء من ذلك، ما يملكون من قطمير.

وقوله[٢]: ﴿**أم آتيناهم كتابًا فهم على بينة منه**﴾، أي: أم أنزلنا عليهم كتابًا بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك، ﴿**بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضًا إلا غرورًا**﴾، أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.

---

[١] - في ز: «الأنبياء».
[٢] - سقط من: ز.

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال: ﴿**إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا**﴾، أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: ﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**﴾، وقال تعالى: ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾.

﴿**ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده**﴾، أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يَعجَل، ويستر آخرين ويغفر، ولهذا قال: ﴿**إنه كان حليمًا غفورًا**﴾.

وقد أورد ابن أبي حاتم(٥٧) هاهنا حديثًا غريبًا بل منكرًا، فقال: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثني هشام بن يوسف، عن أمية بن شبل[١]، عن الحكم ابن أبان، عن عكرمة، عن أبي هريرة؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر؛ قال: «**وقع في نفس موسى عليه السلام هل ينام الله عز وجل؟ فأرسل الله إليه ملكا، فأرّقه ثلاثًا، وأعطاه قارورتين [في كل يد قارورة][٢] وأمره أن[٣] يحتفظ بهما، قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس[٤] إحداهما عن الأخرى، حتى نام نومة فاصطفقت يداه[٥] فتكسّرَت القارورتان، و[٦] قال: ضرب الله له[٧] مثلًا: إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض**».

و[٨]الظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع، بل من الإسرائيليات المنكرة، فإن موسى عليه السلام أجَلُّ من[٩] أن يُجَوِّز على الله سبحانه وتعالى النوم، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز بأنه: ﴿**الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض**﴾. وثبت في الصحيحين(٥٨) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه**

(٥٧) - سبق تخريجه عند تفسير الآية: ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٥٨) - مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٧٩)، وليس في صحيح البخاري، وهو عند أحمد (٤/٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠٥) وقد ذكره الحافظ عند تفسير الآية: ٢٥٥ من سورة البقرة فقال: «وفي الصحيح هكذا بالإفراد».

[١] - في خ، ز: «سنبل».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - في ز: «يجبس».

[٥] - سقط من: ز.

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - سقط من: ز.

[٨] - سقط من: ز.

[٩] - في ز: «عن».

ما انتهى إليه بصره من خلقه».

وقد قال أبو جعفر بن جرير(٥٩) : حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل؛ قال: جاء رجل إلى عبد الله هو ابن مسعود - فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام. قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعبًا. قال ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب مَلَك. قال: أفصدقته أو كذبته؟ قال: ما صدقته ولا كذبته. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورَحْلها، كَذَب كعب. إن الله تعالى يقول: ﴿ **إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده** ﴾.

وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود.

ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد، عن جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم؛ قال: ذهب جُندَب البَجَلي إلى كعب بالشام، فذكر نحوه(٦٠) .

وقد رأيت في مصنف الفقيه يحيى بن إبراهيم بن مُزَين[١] الطليطلي، سماه «سير الفقهاء»، أورد هذا الأثر عن محمد بن عيسى بن الطَّبَّاع، عن وكيع، عن الأعمش، به. ثم قال: وأخبرنا زونان يعني عبد الملك بن الحسن، عن ابن وهب، عن مالك؛ أنه قال: السماء لا تدور. واحتج بهذه الآية، وبحديث: «**إن بالمغرب بابًا للتوبة لايزال مفتوحًا حتى تطلع الشمس منه**».

قلت: وهذا الحديث في الصحيح(٦١) ، والله أعلم.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

(٥٩) - تفسير الطبري (١٤٤/٢٢) .

(٦٠) - تفسير الطبري (١٤٤/٢٢ ، ١٤٥) .

(٦١) - لم أجد الحديث في الصحيحين، وهو عند الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٣٠) في حديث طويل، وهو في المسند للإمام أحمد ١٨١٤٥ - (٢٤٠/٤) ، وصحيح ابن خزيمة برقم (١٩٣) من حديث صفوان ابن عسال، رضي الله عنه.

[١] - في ز: «سرين».

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، قبل إرسال الرسول إليهم: ﴿**لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم**﴾، أي: من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل. قاله الضحاك وغيره، كقوله تعالى: ﴿**أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين* أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصَدَف عنها**﴾ وكقوله تعالى: ﴿**وإن كانوا ليقولون* لو أن عندنا ذكرًا من الأولين* لكنا عباد الله المخلصين* فكفروا به فسوف يعلمون**﴾.

قال الله تعالى: ﴿**فلما جاءهم نذير**﴾، وهو: محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم، وهو القرآن المبين، ﴿**ما زادهم إلا نفورا**﴾، أي: ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم، ثم بين ذلك بقوله: ﴿**استكبارًا في الأرض**﴾، أي: استكبروا عن اتباع آيات الله، ﴿**ومكر السيئ**﴾، أي: ومكروا بالناس في صدِّهم إياهم عن سبيل الله، ﴿**ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله**﴾، [أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم.

قال ابن أبي حاتم: ذكر علي بن الحسين، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن أبي زكريا الكوفي، عن رجل حدَّثه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إياك ومكر السيئ، فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله**][1]، **ولهم من الله طالب**»(٦٢).

وقد قال محمد بن كعب القرظي: ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكث، وتصديقها في كتاب الله: ﴿**ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله**﴾، [﴿**إنما بغيكم على أنفسكم**﴾، ﴿**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾][2].

وقوله: ﴿**فهل ينظرون إلا سنة الأولين**﴾، يعني: عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلًا**﴾، أي: لا تغير ولا تبدل، بل هي جارية كذلك في كل مكذب، ﴿**ولن تجد لسنة الله تحويلا**﴾، أي: ﴿**وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له**﴾، ولا يكشف ذلك عنهم، ويحوله عنهم أحد.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(٦٢) - في إسناده جهالة، وانقطاع، ولم أجد من أخرجه غير ابن أبي حاتم، وقد روى ابن المبارك في الزهد برقم (٧٢٥) عن الزهري مرسلًا نحوه.

---

[١] - ما بين المعكوفتين من: خ، ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فَخُلِّيَتْ منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النِّعَم بعد كمال القوة، وكثرة العدد والعُدَد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء، لما جاء أمر ربك؛ لأنه تعالى لا يعجزه شيء، إذا أراد كونه في السماوات والأرض، **﴿إنه كان عليمًا قديرًا﴾**. أي عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها.

ثم قال تعالى: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾**، أي: لو آخذهم بجميع ذنوبهم؛ لأهلك جميع أهل الأرض، وما يملكونه من دواب وأرزاق.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله؛ قال: كاد الجُعَل أن يعذب في جُحْره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا، ما ترك على ظهرها من دابة﴾**.

وقال سعيد بن جبير، والسُّدِّي في قوله: **﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾**، أي: لما سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب.

﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾، أي: ولكن يُنْظِرُهم إلى يوم القيامة، فيحاسبهم يومئذ، ويوفي كل عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية؛ ولهذا قال تعالى: **﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرًا﴾**.

آخر تفسير سورة فاطر، ولله الحمد والمنة[١]



---

[١] - في حاشية خ، ز: «وهو آخر الجزء الخامس، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السادس تفسير سورة يس. والحمد لله رب العالمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين».

تفسير سورة يس

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن على إتمامه[١]

قال أبو عيسى الترمذي(١) : حدثنا قتيبة وسفيان بنُ وكيع، حدثنا حُمَيد بن عبد الرحمن الرّؤاسي، عن الحسن بن صالح، عن هارون أبي محمد، عن مقاتل بن حيان، عن قتادة، عن أنس؛ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن لكل شيء قلبا، وقلب القرآن يس. ومن قرأ يس كَتَب اللَّه له بقراءتها قراءةَ القرآن عشر مرات**».

ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حُمَيد بن عبد الرحمن، وهارون أبو محمد شيخ مجهول، وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه، ولا يصح لضعف إسناده، وعن أبي هريرة منظور فيه.

أما حديث الصديق فرواه [الحكيم الترمذي في كتابه « نوادر الأصول »][٢] وأما حديث أبي هريرة فقال أبو بكر البزار(٢) : حدثنا عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا زيد- هو ابن الحباب- حدثنا حُميد هو المكي، مولى آل علقمة، عن عطاء - هو ابن أبي رباح - عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس**». ثم قال: لا نعلم رواه إلا زيد، عن حميد.

وقال الحافظ أبو يعلى(٣) : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا حجاج بن محمد، عن هشام بن زياد، عن الحسن؛ قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورًا له. ومن قرأ: «حم» التي يذكر فيها الدخان [في ليلة الجمعة][٣] أصبح مغفورًا له**». إسناد جيد.

(١) - سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل يس، حديث (٢٨٨٧)، وأخرجه الدارمي في فضائل القرآن، باب: في فضل يس، حديث (٣٤١٩) عن محمد بن سعيد، عن حميد بن عبد الرحمن به.

(٢) - كشف الأستار (٨٧/٣) (٢٣٠٤).

(٣) - مسند أبي يعلى (٩٤،٩٣/١١) (٦٢٢٤)، وأخرجه الدارمي، في فضائل القرآن، باب: في فضل يس، حديث (٣٤٢٠)، والطبراني في الأوسط (٣٥٠٩) من طريق الحسن، عن أبي هريرة بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٨١/٥) أيضًا إلى ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

[١] - في ت: «وبه الإعانة».

[٢] - ما بين المعكوفتين بياض في خ، ز.

[٣] - سقط من ز، خ. ومثبت من مسند أبي يعلى.

وقال ابن حبان في صحيحه(٤) : حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف ، حدثنا الوليد ابن شجاع بن الوليد السكوني ، حدثنا أبي ، حدثنا زياد بن خيثمة ، حدثنا محمد بن جُحَادة ، عن الحسن ، عن جندب بن عبد اللَّه ؛ قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : **« من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه اللَّه غفر له »** .

وقد قال الإمام أحمد(٥) : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبيه ، عن معقل[١] بن يَسَار رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : **« البقرة سنام القرآن وذِرْوَته ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكًا ، واستخرجت ﴿اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ ، من تحت العرش فوصلت بها – أو : فوصلت بسورة البقرة – ، ويس قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يريد اللَّه والدار الآخرة ، إلا غفر له ، واقرءوها على موتاكم »** .

وكذا رواه النسائي في « **اليوم والليلة** » ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر بن سليمان به .

ثم قال الإمام أحمد(٦) : حدثنا عارم ، [حدثنا ابن][٢] المبارك ، حدثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان – وليس بالنهدي – عن أبيه ، عن معقل بن يسار ؛ قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : **« اقرءوها على موتاكم »** . يعني : يس .

ورواه أبو داود ، والنسائي في « **اليوم والليلة** » ، وابن ماجه من حديث عبد اللَّه بن المبارك ، به . إلا أن في رواية النسائي : عن أبي عثمان ، عن معقل بن يسار .

ولهذا قال بعض العلماء : من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره اللَّه . وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة ، وليسهل عليه خروج الروح ، واللَّه أعلم .

قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ؛ قال : كان المشيخة يقولون : إذا قرئت – يعني : يس – عند الميت خُفِّف عنه بها .

---

(٤) – صحيح ابن حبان (٣١٢/٦) (٢٥٧٤) ورجاله ثقات لكن فيه عنعنة الحسن .

(٥) – المسند (٢٦/٥) ، وأخرجه النسائي في« عمل اليوم والليلة » (١٠٧٥) عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر به .

(٦) – المسند (٢٦/٥) ، وأخرجه في (٢٧/٥) ، وأبو داود في الجنائز ، باب : القراءة عند الميت ، حديث (٣١٢١) ، وابن ماجة في الجنائز ، باب : فيما يقال عند المريض ، حديث (١٤٤٨) من طرق عن ابن المبارك به .

---

[١] – في خ : « مغفل » . [٢] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عن » .

وقال البزار(٧) : حدثنا سلمة[١] بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي**» يعني يس[٢] .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول «**سورة البقرة**».

وروي عن ابن عباس وعكرمة، والضحاك، والحسن، وسفيان بن عُيينة: أن «**يس**» بمعنى: يا إنسان.

وقال سعيد بن جبير: هو كذلك في لغة الحبشة.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هو اسم من أسماء الله تعالى.

﴿**والقرآن الحكيم**﴾، أي: المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ﴿**إنك**﴾ يا محمد ﴿**لمن المرسلين* على صراط مستقيم**﴾، أي: على منهج ودين قويم، وشرع مستقيم، ﴿**تنزيل العزيز الرحيم**﴾، أي: هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به مُنَزّل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم* صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون**﴾، يعني بهم العرب، فإنه ما أتاهم من نذير من قبله. وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم. وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه عند قوله تعالى: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا**﴾.

وقوله: ﴿**لقد حق القول على أكثرهم**﴾ قال ابن جرير: لقد وجب العذاب على أكثرهم

(٧) - كشف الأستار (٣/٧٨) (٢٣٠٥)، وقال البزار: لا نعلمه يروى إلَّا عن ابن عباس بهذا الإسناد، وإبراهيم لم يتابع على أحاديثه، على أنه قد حدَّث عنه أهل العلم.

[١] - في ز، خ: «مسلمة».
[٢] - سقط من: خ.

بأن حتَّم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون، ﴿فهم لا يؤمنون﴾ بالله، ولا يصدقون رسله.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾

يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جُعل في عنقة غُلّ؛ فجَمَع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه، فصار مقمَحًا، ولهذا قال: ﴿فهم مقمحون﴾، والمقمح هو الرافع رأسه، كما قالت أم زَرْع في كلامها: «**وأشرب فأتقمَّح**»، أي: أشرب فأروى، وأرفع رأسي تهينًا وترَوّيًا. واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، وإن كانتا مرادتين، كما قال الشاعر:

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا ... أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَالخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّرُّ الَّذِي لا يَأْتَلِينِي

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لَمَّا دل السياق والكلام عليه، وكذا هذا، لما كان الغُلّ إنما يعرف فيما جَمَع اليدين مع العنق، اكتفى بذكر العنق عن اليدين.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿**إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون**﴾، قال: هو كقول الله تعالى: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**﴾، يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير.

وقال مجاهد: ﴿**فهم مقمحون**﴾، قال: رافعو[١] رءوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم، فهم مغلولون عن كل خير.

وقوله: ﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدًّا**﴾، قال مجاهد: عن الحق، ﴿**ومن خلفهم سدًّا**﴾، قال مجاهد: عن الحق، فهم يترددون. وقال قتادة: في الضلالات.

وقوله: ﴿**فأغشيناهم**﴾، أي: أغشينا أبصارهم عن الحق، ﴿**فهم لا يبصرون**﴾، أي: لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه.

---

[١] - في خ، ز: «راخي».

قال ابن جرير: وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ (فأعشيناهم)، بالعين المهملة، من العشا وهو داء في العين.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: جعل اللّه هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ: ﴿**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾. ثم قال: من منعه اللّه لا يستطيع.

وقال عكرمة: قال أبو جهل: لئن رأيتُ محمدًا لأفعلن ولأفعلنّ. فأنزلت: ﴿**إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً**﴾ إلى قوله: ﴿**لا يبصرون**﴾، قال: وكانوا يقولون: هذا محمد. فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره. رواه ابن جرير.

وقال محمد بن إسحاق(٨): حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب؛ قال: قال أبو جهل وهم جلوس: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكًا، فإذا متُّم بُعثتُم بعد موتكم، وكانت لكم جِنانٌ خير من جنان الأرْدُن. وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تُعذَّبون بها. وخرج رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عند ذلك. وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ اللّه على أعينهم دونه، فجعل يَذرّها على رءوسهم، ويقرأ: ﴿**يس * والقرآن الحكيم**﴾، حتى انتهى إلى قوله: ﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾، وانطلق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لحاجته، وباتوا رُصَداء على بابه، حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار، فقال: ما لكم؟ قالوا: ننتظر محمدًا. قال: قد خرج عليكم، فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابًا، ثم ذهب لحاجته. فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من تراب. قال: وقد بلغ النبي صلى اللّه عليه وسلم قول أبي جهل فقال: «**وأنا أقول ذلك: إن لهم مني لذبحًا، وإنه أحدهم**[١]».

وقوله: ﴿**وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾، أي: قد ختم اللّه عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به.

وقد تقدم نظيرها في أول «**سورة البقرة**»، وكما قال تعالى: ﴿**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾.

﴿**إنما تنذر من اتبع الذكر**﴾، أي: إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر، وهو القرآن العظيم، ﴿**وخشي الرحمن بالغيب**﴾، أي: حيث[٢] لا يراه أحد إلا اللّه، يعلم أن اللّه مطلع عليه، وعالم بما يفعله، ﴿**فبشره بمغفرة**﴾. أي: لذنوبه، ﴿**وأجر كريم**﴾، أي: كبير

(٨) - سيرة ابن هشام (٢/٩٥).

[١] - في خ، ز: «آخذهم».
[٢] - سقط من: خ، ز.

واسع حسن جميل، كما قال تعالى: ﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**﴾.

ثم قال تعالى: ﴿**إنا نحن نحيي الموتى**﴾، أي: يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، كما قال بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿**اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون**﴾.

وقوله: ﴿**ونكتب ما قدموا**﴾، أي: من الأعمال. وفي قوله: ﴿**وآثارهم**﴾ قولان:

أحدهما: نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك أيضًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كقوله صلى الله عليه وسلم: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**».

رواه مسلم(٩)، من رواية شعبة، عن عون بن أبي جُحَيْفة، عن المنذر بن جرير، [عن أبيه جرير][١] بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه، وفيه قصة المجّتابي[٢] النّمار(*) [٣] المُضَرِيِّين.

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن يحيى بن سليمان الجعفي، عن أبي المحياة يحيى بن يعلى، عن عبد الملك بن عمير، عن جرير بن عبد الله فذكر الحديث بطوله، ثم تلا هذه الآية: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾.

وقد رواه مسلم(١٠) من رواية أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن المنذر بن جرير، عن أبيه، فذكره.

وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم(١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال

---

(٩) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، حديث (١٠١٧) وفي كتاب العلم، حديث (١٠١٧) من حديث عبد الرحمن بن هلال الراسبي، عن جرير بن عبد الله.

(*) النمار: جمع نمرة، وهي ثياب صوف فيها خطوط بيض وسود. ومجتابي النمار: أي: خرقوها وقوروا وسطها.

(١٠) - صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث (١٠١٧) (٧٠)، وفي العلم حديث (١٠١٧) (١٥).

(١١) - تقدم تخريجه في سورة البقرة، الآية (١٢٨).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٢] - في ت: «مجتابي».

[٣] - بياض في ز، خ.

رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده**».

و[١]قال سفيان الثوري، عن أبي سعيد؛ قال: سمعت مجاهدًا يقول في قوله: ﴿**إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾، قال: ما أورثوا من الضلالة.

وقال ابن لهيعة، عن عطاء بنِ دينار، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾، يعني: ما أثّرُوا، يقول: ما سنوا من سنة، فعمل بها قوم من بعد موته[٢]، فإن كان خيرًا فله مثل أجورهم، لا ينقص من أجر من عمله شيئًا، [وإن كانت شرًا فعليه مثل أوزارهم، ولا ينقص من أوزار من عمله شيئًا][٣]. ذكرهما ابن أبي حاتم. وهذا القول هو اختيار البَغَوي.

والقول الثاني: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية.

قال ابن أبي نَجيح وغيره، عن مجاهد: ﴿**ما قدموا**﴾: أعمالهم، ﴿**وآثارهم**﴾؛ قال: خطاهم بأرجلهم.

وكذا قال الحسن وقتادة: ﴿**وآثارهم**﴾، يعني: خطاهم.

قال قتادة: لو كان اللَّه تعالى مُغْفِلًا شيئًا من شأنك يا بن آدم؛ أغفل ما تُعَفي الرياحُ من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة اللَّه أو من معصيته، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة اللَّه فليفعل.

وقد وَرَدت[٤] في هذا المعنى أحاديث:

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد(١٢): حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا الجُرَيري، عن أبي نَضْرَة، عن جابر بن عبد اللَّه؛ قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فقال لهم: «**إنه[٥] بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟**». قالوا: نعم[٦] يا رسول اللَّه؛ قد أردنا[٧] ذلك؛

(١٢) - المسند (٣/٣٣٢)، وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، حديث (٦٦٥) من طريق كهمس عن أبي نضرة، عن جابر به.

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ت: «موتهم».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - في ز، خ: «أوردت».
[٥] - في خ، ز: «إني».
[٦] - سقط من: خ، ز.
[٧] - في ز، خ: «ردنا».

فقال: «يا بني سلمة؛ دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم».

وهكذا رواه مسلم، من حديث سعيد الجُريري وكهمس بن الحسن، كليهما[١] عن أبي نضرة - واسمه: المنذر بن مالك بن قَطَعَة العَبْدي - عن جابر به.

(الحديث الثاني) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الوزير الواسطي، حدثنا إسحاق الأزرق، عن سفيان الثوري، عن أبي سفيان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: كانت بنو سَلمة في ناحية من المدينة، فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد؛ فنزلت: ﴿إنا نحن [نحيي الموتى][٢] ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إن آثاركم تُكتَبُ». فلم ينتقلوا.

انفرد بإخراجه الترمذي(١٣) عند تفسير هذه الآية الكريمة، عن محمد بن الوزير به. ثم قال: حسن غريب من حديث الثوري.

ورواه ابن جرير(١٤)، عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي، عن ابن المبارك، عن سفيان الثوري، عن طريف - وهو ابن شهاب أبي[٣] سفيان السعدي - عن أبي نضرة، به.

وقد رُوِيَ من غير طريق الثوري، فقال الحافظ أبو بكر البزار:

حدثنا عباد بن الساجي، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا شعبة، عن سعيد الجُريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد؛ قال[٤]: إن بني سَلمة شَكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد؛ فنزلت: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، فأقاموا في مكانهم.

وحدثناه ابن المثنى(١٥)، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا الجُرَيري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه. وفيه غرابة مِن حيثُ[٥] ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكمالها مكية، فالله أعلم.

(الحديث الثالث) قال ابن جرير(١٦): حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا أبو أحمد

---

(١٣) - سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة يس حديث (٣٢٢٦) عن محمد بن وزير به، وقد سقط من المطبوع من السنن (أبي سفيان) والصواب ذكره كما في تحفة الأشراف (٤٣٥٨).

(١٤) - تفسير الطبري (٢٢/١٥٤).

(١٥) - تقدم الحديث من طريق الجريري برقم (١٢).

(١٦) - تفسير الطبري (٢٢/١٥٤).

---

[١] - في ز، خ: «كلاهما».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - في خ، ز: «بن».

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - في ز، خ: «حديث».

الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد، فنزلت: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾». فقالوا: نثبت مكاننا. هكذا رواه، وليس فيه شيء مرفوع.

ورواه الطبراني[١٧] عن عبد اللَّه بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، عن محمد بن يوسف الفريابي، عن إسرائيل، عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد؛ فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد، فنزلت: ﴿**ونكتب[١] ما قدموا وآثارهم**﴾، فثبتوا في منازلهم.

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد[١٨]: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثني حُيَي بن عبد اللَّه، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد اللَّه بن عمرو؛ قال: توفي رجل بالمدينة، فصلى عليه النبي صلى اللَّه عليه وسلم، وقال: «**يا ليته مات في غير مولده**»؛ فقال رجل من الناس: ولم يا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن الرجل إذا توفي في غير مولده، قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة**».

ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى، وابن ماجة عن حرملة، كلاهما عن ابن وهب، عن حيي بن عبد اللَّه به.

وقال ابن جرير[١٩]: حدثنا ابن حميد، حدثنا أبو تميلة، حدثنا الحسين، عن ثابت، قال: مشيت مع أنس فأسرعتُ المشي، فأخذ بيدي فمشينا رويدًا، فلما قضينا الصلاة؛ قال أنس: مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي؛ فقال: يا أنس، أما شَعرتَ أن الآثار تكتب؟ أما شَعرت أن الآثار تكتب؟.

وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأُولى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكتَب، فَلأَنْ تُكتَبَ تلك التي فيها قُدوة بِهم من خير أو شر بطريق الأُولى، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾، أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب

(١٧) - المعجم الكبير (١٢٣١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٩/٧): رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف.

(١٨) - المسند (١٧٧/٢)، وأخرجه النسائي في الجنائز، باب: الموت بغير مولده (٧/٤)، وابن ماجة في الجنائز، باب: ما جاء فيمن مات غريبًا، حديث (١٦١٤) من طريق ابن وهب عن حُيي بن عبد الله به.

(١٩) - تفسير الطبري (١٥٤/٢٢).

[١] - في ز، خ: «سنكتب».

مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هنا هو أم الكتاب. قاله مجاهد، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وكذا في قوله تعالى: ﴿**يوم ندعوا كل أناس بإمامهم**﴾، أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿**ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء**﴾، وقال تعالى: ﴿**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا**﴾.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ (١٧)

يقول تعالى: واضرب - يا محمد - لقومك الذين كذبوك ﴿**مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون**﴾.

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه: إنها مدينة أنطاكية، وكان بها ملك يقال له: أنطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس، وكان يعبد الأصنام، فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل، وهم: صادق وصدوق وشلوم[١]، فكذبهم.

وهكذا رُوي عن بُرَيدة بن الحُصَيب، وعكرمة، وقتادة، والزهري: أنها أنطاكية.

وقد استشكل بعضُ الأئمة كونَها[٢] أنطاكية، بما سنذكره بعد تمام القصة، إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿**إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما**﴾، أي: بادروهما بالتكذيب، ﴿**فعززنا بثالث**﴾، أي: قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث.

قال ابن جريج، عن وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي؛ قال[٣]: كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا، واسم الثالث بولص، والقرية أنطاكية.

---

[١] - في ز: «شكوم».

[٢] - في ز، خ: «أنها».

[٣] - سقط من: ز، خ.

﴿فقالوا﴾، أي: لأهل تلك القرية: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾، أي: من ربكم الذي خلقكم، نأمركم بعبادته وحده لا شريك له. قاله أبو العالية.

وزعم قتادة بن دعامة: أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية.

﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾، أي: فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا أوحيَ إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلًا لكنتم ملائكة. وهذه شُبَه كثير من الأمم المكذبة، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا﴾؟، فاستعجبوا من ذلك وأنكروه، وقوله: ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين﴾. وقوله حكاية عنهم في قوله: ﴿ولئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾، ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولًا﴾، ولهذا قال هؤلاء: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾، أي: أجابتهم رُسُلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كَذَبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار، كقوله تعالى: ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدًا يعلم ما في السماوات وما في الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾.

﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾، يقولون: إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإن أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم[١] تجيبوا فستعلمون غِبَّ ذلك.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾

فعند ذلك قال لهم أهل القرية: ﴿إنا تطيرنا بكم﴾، أي: لم نر على وجوهكم خيرًا في عيشنا.

وقال قتادة: يقولون: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم.

وقال مجاهد: يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عُذب أهلها.

﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾، قال قتادة: بالحجارة. وقال مجاهد: بالشتم.

﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾، أي: عقوبة شديدة فقالت لهم رسلهم: ﴿طائركم معكم﴾، أي: مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: ﴿فإذا[٢] جاءتهم الحسنة قالوا لنا

---

[١] - في ز: «أنتم».
[٢] - في ز، خ: «وإذا».

هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله﴾، وقال قوم صالح[١]: **﴿اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله﴾** .

وقال قتادة: ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم .

وقال تعالى: **﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا﴾** .

وقوله: **﴿أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾**، أي: من أجل أنّا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون .

وقال قتادة، أي[٢]: إن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، بل أنتم قوم مسرفون .

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه -: إن أهل القرية همّوا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى، أي: لينصرهم من قومه - قالوا: وهو حبيب، وكان يعمل الجرير[٣] - وهو الحبال - وكان رجلًا سقيمًا، قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه، مستقيمَ النظرة .

وقال ابن إسحاق عن رجل سماه، عن الحكم، عن مقْسَم - أو: عن مجاهد - عن ابن عباس؛ [كان][٤]: اسم صاحب يس "حبيب"، وكان الجذام قد أسرع فيه .

وقال الثوري، عن عاصم الأحول، عن أبي مجلز: كان اسمه حبيب بن مرى[٥] .

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: اسم صاحب يس حبيب النجار،

---

[١] - في خ، ز: « لوط » .
[٢] - سقط من: ز، خ .
[٣] - في ز، خ: « الجَريد » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت: « قال » .
[٥] - في خ، ز: « سرى » .

فقتله قومه[١].

وقال السدي: كان قَصَّارًا. وقال عمر بن الحكم: كان إسكافًا.

وقال قتادة: كان يتعبد في غار هناك.

﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾، يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرًا﴾، أي: على إبلاغ الرسالة، ﴿وهم مهتدون﴾ فيما يدعونكم إليه، من عبادة اللَّه وحده لا شريك له.

﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾، أي: و[٢]ما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، ﴿وإليه ترجعون﴾، أي[٣]: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾، استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، ﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون﴾، أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئًا، فإن اللَّه لو أرادني بسوء ﴿فلا[٤] كاشف له إلا هو﴾. وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه ﴿إني إذًا لفي ضلال مبين﴾، أي: إن اتخذتها آلهة من دون اللَّه.

وقوله: ﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب: - يقول لقومه: ﴿إني آمنت بربكم﴾، الذي كفرتم به، ﴿فاسمعون﴾، أي: فاسمعوا قولي.

ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله: ﴿إني آمنت بربكم﴾، أي: الذي أرسلكم، ﴿فاسمعون﴾، أي: فاشهدوا لي بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني آمنت بربكم واتبعتكم.

وهذا الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى، واللَّه أعلم.

قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكعبٍ ووهب -: فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه.

---

[١] - في ز، خ: «قوم».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «لا».

و[١]قال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: «**اللهم، اهد قومي، فإنهم لا يعلمون**».فلم يزالوا به حتى أقعصوه(*) وهو يقول كذلك. فقتلوه رحمه الله.

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾

قال محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبُه(**) من دبره. وقال الله له: ﴿**ادخل الجنة**﴾، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله عنه سُقْم الدنيا وحُزنها ونَصَبها.

وقال مجاهد: قيل لحبيب النجار: ادخل الجنة. وذلك أنه قتل فوجبت له، فلما رأى الثواب ﴿**قال يا ليت قومي يعلمون**﴾.

قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًا، لمَّا عاين [ما عاين][٢] من كرامة الله ﴿**قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾، تمنى على[٣] الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه.

و[٤]قال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿**يا قوم اتبعوا المرسلين**﴾، وبعد مماته في قوله: ﴿**يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾. رواه ابن أبي حاتم.

وقال سفيان الثوري، عن عاصم الأحول، عن أبي مجلز: ﴿**بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾، بإيماني بربي، وتصديقي المرسلين.

ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حَصَل من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم؛ لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصًا على هداية قومه.

قال[٥] ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عبيد الله، حدثنا ابن[٦] جابر - [وهو][٧] محمد - عن عبد الملك - يعني: ابن عمير - قال: قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي صلى الله

(*) أقعصه: أماته مكتنه.

(**) قصبه: أمعاؤه.

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت.

[٣] - في ز، خ: «و».

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - بياض في: ز، خ.

[٦] - سقط من: ز، خ.

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز: «هو ابن».

عليه وسلم: ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني أخاف أن يقتلوك**». فقال: لو وجدوني نائمًا ما[١] أيقظوني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**انطلق**». فانطلق فمر على اللات والعزى، فقال: لأُصْبِحَنَّك غدًا بما يسؤوك. فغضبت ثقيف؛ فقال: يا معشر ثقيف، إن اللاتَ لالات، وإن العُزّى لا عُزّى، أسلموا تسلموا. يا معشر الأحلاف؛ إن العزى لا عزى، وإن اللات لالات، أسلموا تسلموا. قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أكْحله فقتله، فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «**هذا مثله كمثل صاحب يس ﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾**».

وقال محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن مَعمر بن حَزْم: إنه حدث عن كعب الأحبار: أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم - أخو بني مازن بن النجار - الذي كان مسيلمة الكذاب قَطَّعه باليمامة، حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ فيقول: نعم. ثم يقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع. فيقول له مسيلمة: أتسمع هذا ولا تسمع ذاك؟ فيقول: نعم. فجعل يُقَطِّعه عضوا عضوًا، كلما سأله لم يزده على ذلك [حتى مات في يديه][٢]: فقال كعب حين قيل له[٣]: اسمه حبيب، وكان والله صاحب يس اسمه حبيب.

وقوله: **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين﴾**، يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه، غضبًا منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليّه. ويذكر تعالى: أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود، فيما رواه ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عنه أنه قال في قوله: **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين﴾**، أي: ما كاثرناهم بالجموع. الأمر كان أيسر علينا من ذلك، **﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾**، قال: فأهلك الله ذلك الملك، وأهلك أهل[٤] أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية.

وقيل: **﴿وما كنا منزلين﴾**، أي: وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عقابًا[٥] يدمرهم.

وقيل: المعنى في قوله: **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء﴾**، أي: من

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - سقط من: خ، ز.

[٤] - سقط من: خ، ز.

[٥] - في ت: «عذابًا».

رسالة أخرى إليهم. قاله مجاهد وقتادة. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون**﴾.

قال ابن جرير: والأول أصح؛ لأن الرسالة لا تسمى جندًا.

قال المفسرون، بعث الله إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بِعِضَادَتَيْ باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم تبق فيهم[١] روح تتردد في جسد.

وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلًا من عند المسيح عليه السلام؛ كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذي لم يذكر عن[٢] واحد من متأخري المفسرين غيره، وفي ذلك نظر من وجوه.

أحدها[٣]: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: ﴿**إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون**﴾ إلى أن قالوا: ﴿**ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين**﴾، ولو كان[٤] هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: ﴿**إن أنتم إلا بشر مثلنا**﴾.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، فكانوا[٥] أول مدينة آمنت بالمسيح؛ ولهذا كانت عند النصاري إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بَتَارِكَةٌ، وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها.

والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة[٦] والشمامسة والرهابين. ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر[٧] دينهم وأطَّدَه(*). ولما ابتنى القسطنطينيةَ نقلوا البترك من رومية إليها، كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين، فإذا تقرر أن أنطاكية أول قرية[٨] آمنت. فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسلهم[٩]، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخذتهم[١٠]، فالله أعلم.

(*) أي ثبته.

[١] - في ت: «بهم».
[٢] - في ز، خ: «غير».
[٣] - في ت: «أحدهما».
[٤] - في ز، خ: «كانوا».
[٥] - في ت: «وكانوا».
[٦] - في ز، خ: «القساقسة».
[٧] - في خ، ز: «حصر».
[٨] - في ت: «مدينة».
[٩] - في ت: «رسله».
[١٠] - في ت: «أخمدتهم».

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف؛ أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى**﴾. فعلى هذا يتعين أن[١] هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضًا. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظًا في هذه القصة، مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ[٢] أبو القاسم الطبراني(٢٠): حدثنا الحسين بن إسحاق التُّستري، حدثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني، حدثنا حُسَين الأشقر، حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**السُّبَّق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمد عليّ بن أبي طالب**». فإنه حديث منكر، لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر، وهو شيعيّ متروك.

يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿**يا حسرة على العباد**﴾، [أي: يا ويل العباد[٣]].

وقال قتادة: ﴿**يا حسرة على العباد**﴾، أي: يا حسرة العباد على أنفسهم[٤]، على[٥] ما ضيعت من أمر الله، فرطت في جنب الله- قال: وفي بعض القراءة: «**يا حسرةَ[٦] العباد على أنفسها**».

(٢٠) - المعجم الكبير (٩٣/١١) (١١١٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤/٩): فيه حسين بن حسن الأشقر وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله حديثهم حسن أو صحيح.

[١] - بعده في خ، ز: «أهل».
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين مكررة في ز، خ.
[٤] - في ت: «أنفسها».
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - بعده في ز، خ: «على».

ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل اللّٰه، وخالفوا أمر اللّٰه، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم.

﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوابه يستهزئون﴾، أي :يكذبونه ويستهزئون به، ويجحدون ما أرسل به من الحق.

ثم قال تعالى: **﴿ألم يروا كما أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾**، أي: ألم يتعظوا بمن أهلك اللّٰه قبلهم من المكذبين للرسل، كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفَجَرتهم من قولهم: **﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾**، وهم القائلون بالدور من الدهرية، وهم الذين يعتقدون جهلًا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، فردّ اللّٰه تعالى عليهم باطلهم، فقال: **﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾**.

وقوله: **﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾**، أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر[١] للحساب يوم القيامة بين يدي اللّٰه عز وجل، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومعنى هذه كقوله تعالى: **﴿وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾**. وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف، فمنهم من قرأ: **﴿وَإن كل لَمَا﴾** بالتخفيف، فعنده أن «**إن**» للإثبات[٢]، ومنهم من شدد **﴿لمَّا﴾**، وجعل «**إن**» نافية، و «**لمَّا**» بمعنى إلا تقديره: وما كل إلا جميع لدينا محضرون، ومعنى القراءتين واحد، والله أعلم.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

يقول تعالى: **﴿وآية لهم﴾**، أي :دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى **﴿الأرضُ الميتة﴾**، أي: إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات، فإذا أنزل اللّٰه عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا قال:

---

[١] - في ز، خ: «تستحضر». [٢] - في ت: «لإثبات».

﴿**أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون**﴾، أي: جعلناه رزقًا لهم ولأنعامهم، ﴿**وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون**﴾، أي: جعلنا فيها أنهارًا سارحة في أمكنة، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره. لما امْتَنَّ[١] على خلقه بإيجاد الزروع لهم عَطَف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها.

وقوله: ﴿**وما عملته أيديهم**﴾، أي: وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم ولا بقوتهم[٢]. قاله ابن عباس وقتادة. ولهذا قال: ﴿**أفلا يشكرون**﴾، أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى. واختار ابن جرير- بل جزم به، ولم يحك غيره إلا احتمالاً - أن «ما» في قوله: ﴿**وما عملته أيديهم**﴾، بمعنى «**الذي**»، تقديره: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي: غرسوه ونصبوه، قال: وهي كذلك في قراءة ابن مسعود: «**ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون**».

ثم قال: ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض**﴾، أي: من زروع وثمار ونبات، ﴿**ومن أنفسهم**﴾، فجعلهم ذكرًا وأنثى، ﴿**ومما لا يعلمون**﴾، أي: من مخلوقات شتى لا يعرفونها، كما قال تعالى: ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى: ومن الدلالة لهم على قدرته - تعالى - العظيمة خَلْقَ الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال: ﴿**يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا**﴾، ولهذا قال هاهنا: ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار**﴾، أي: نصرمه منه فيذهب، فيقبل الليل، ولهذا قال: ﴿**فإذا هم مظلمون**﴾، كما جاء في الحديث: «**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم**».

هذا هو الظاهر من الآية، وزعم قتادة أنها كقوله تعالى: ﴿**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**﴾. وقد ضعف ابن جرير قولَ قتادة هاهنا، وقال: إنما معنى الإيلاج الأخذ من هذا في هذا، وليس هذا مرادًا في هذه الآية وهذا الذي قاله ابن جرير حق.

---

[١] - في ت: «أمن».   [٢] - في ت: «وقوتهم».

وقوله: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾، في معنى قوله: ﴿لمستقر لها﴾، قولان: أحدهما: أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات، لأنه سقفها، وليس بكُرَةٍ كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة، وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة، وهو فوق العالم مما يلي رءوس الناس، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام، وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع، كما جاءت بذلك الأحاديث.

قال البخاري(٢١): حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه؛ قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «يا أبا ذر، أتدري أين تَغرُبُ الشمس؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾».

حدثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيديّ(٢٢)، حدثنا وكيع عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذر؛ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾، قال: «مستقرها تحت العرش».

كذا أورده هاهنا. وقد أخرجه في أماكن متعددة، ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجة، من طرق، عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد(٢٣): حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر؛ قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «يا أبا ذر؛ تدري أين تذهب الشمس؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت. فترجع إلى مطلعها، وذلك مستقرها، ثم قرأ: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾».

وقال سفيان الثوري(٢٤)، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي

(٢١) - تقدم تخريجه في تفسير سورة لقمان، الآية (٢٩).

(٢٢) - صحيح البخاري كتاب التفسير، باب: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾، حديث (٤٨٠٣)، وانظر رقم (٢٢).

(٢٣) - المسند (١٥٢/٥)، وانظر رقم (٢٢).

(٢٤) - أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر، حديث (٣١٩٩) بسنده إلى سفيان به. وانظر رقم (٢٢).

الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لأبي ذر][١] حين غربت الشمس: « **أتدري أين تذهب؟** » قلت: الله ورسوله أعلم. قال: « **فإنها تذهب حتى تسجد تحت**[٢] **العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها: ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها، ذلك قوله: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾** ».

وقال عبد الرزاق(٢٥): أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر، عن عبد الله ابن عمرو؛ قال في قوله: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾، قال: إن الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم، حتى إذا غربت سَلَّمت وسجدت واستأذنت[٣] فيؤذن لها، حتى إذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت، واستأذنت فلا يؤذن لها، فتقول: إن المسير بعيد وإني إلَّا يؤذن لي لا أبلغ، فتحبس ما شاء الله أن تحبس، ثم يقال لها: « **اطلعي من حيث غربت** » قال: فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسًا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا.

وقيل المراد بقوله: ﴿**لمستقر لها**﴾، [هو انتهاء سيرها][٤] وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض.

والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني.

قال قتادة: ﴿**لمستقر لها**﴾، أي: لوقتها ولأجل لا تعدوه.

وقيل: المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها، ثم تنتقل في مطالع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها يروى هذا عن عبد الله بن عمرو.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس: ﴿**والشمس تجري لا مستقر لها**﴾، أي: لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلًا ونهارًا، لا تفتر ولا تقف. كما قال تعالى: ﴿**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين**﴾، أي[٥]: لا يفتران ولايقفان إلى يوم القيامة.

﴿**ذلك تقدير العزيز**﴾، أي: الذي لا يخالَف ولا يُمانَع، ﴿**العليم**﴾، بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك وقنَّنه على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس، كما قال تعالى:

(٢٥) - تفسير عبد الرزاق (٢/١٤٢).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - بعده في خ، ز: زيادة: « وسجدت واستأذنت، وسجدت واستأذنت، وسجدت ».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٥] - سقط من: ز، خ.

﴿فالق الإصباح وجعل[١] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم﴾. وهكذا ختم آية ﴿حم﴾ السجدة بقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾.

ثم قال: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾، أي جعلناه يسير سيرًا آخر يستدل به على مضي[٢] الشهور، كما أن الشمس [بها يعرف] الليل والنهار، وكما قال تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾، وقال: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾... الآية وقال: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلًا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلًا﴾. فجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين سير هذه وهذا، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد، ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفًا وشتاء، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار، وجعل سلطانها بالنهار، فهي كوكب نهاري. وأما القمر فقدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلًا قليل النور، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية، و[يرتفع منزلة][٣]، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء، وإن كان مقتبسًا من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم.

قال ابن عباس: وهو أصل العذْق.

وقال مجاهد: العرجون القديم، أي: العذق اليابس.

يعني ابن عباس أصل العنقود من الرطب إذاعَتُق وييس وانحنى، وكذا قال غيرهما. ثم بعد هذا يبديه الله جديدًا في أول الشهر الآخر، والعرب تسمى كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر، فيسمون الثلاث الأول «غُرَر» واللواتي بعدها «نُفَل» واللواتي بعدها «تُسَع» لأن أخراهن التاسعة، واللواتي بعدها «عُشَر» لأن أولاهن[٤] العاشرة، واللواتي بعدها «البيض» لأن ضوء القمر فيهن إلى آخرهن، واللواتي بعدهن «دُرَع» جمع دَرْعاء، لأن أولهن سُود، لتأخر القمر في أولهن، ومنه الشاة الدرعاء وهي التي رأسها أسود. وبعدهن ثلاث «ظُلم» ثم ثلاث «حَنَادس». وثلاث «آديّ[٥]»، وثلاث «مَحَاق»، لانمحاق القمر أواخر الشهر فيهن. وكان أبو عُبَيد[٦] ينكر التُسَع والعُشَر. كذا قال في كتاب «غريب المصنف».

---

[١] - في ز: «وجاعل» وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.

[٢] - في ز، خ: «معنى».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «ترتفع منزلته».

[٤] - في ز، خ: «أولهن».

[٥] - في خ، ز: «داري».

[٦] - في خ، ز: «عبيدة».

وقوله: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾، قال مجاهد: لكل منهما حد لا يعدوه ولا يُقَصّر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا.

وقال عبد الرزاق(٢٦): أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾. قال: ذلك ليلة الهلال.

وروى ابن أبي حاتم هاهنا، عن عبد الله بن المبارك، أنه قال: إن للريح جناحًا، وإن القمر يأوي [إلى[١] غلاف] من الماء.

وقال الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: لا يدرك هذا ضوء[٢] هذا، ولا هذا ضوء[٣] هذا.

وقال عكرمة: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾، يعني أن لكل منهما سلطانًا، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل.

وقوله: ﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾، يقول: لا ينبغي إذا كان الليلُ أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل.

وقال الضحاك: لا يذهب الليل من هاهنا حتى يجيء النهار من هاهنا. وأومأ بيده إلى المشرق.

وقال مجاهد: ﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾: يَطّلبان حثيثين، نسلخ[٤] أحدهما من الآخر.

والمعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ، لأنهما مسخران دائبين[٥] يتطالبان[٦] طلبًا حثيثًا.

وقوله: ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾، [يعني الليل والنهار، والشمس والقمر، كلهم يسبحون][٧]، أي: يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: في فلك بين السماء والأرض.

---

(٢٦) - تفسير عبد الرزاق (١٤٣/٢).

---

[١] - في ز، خ: «الاغلاف».
[٢] - في ز، خ: «ضر».
[٣] - في ز، خ: «ضر».
[٤] - في ت: «ينسلخ».
[٥] - كذا في ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «يتطلبان».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

رواه ابن أبي حاتم، وهو غريب جدًّا، بل منكر.

قال ابن عباس وغير واحد من السلف: في فَلْكَة كفَلْكَة المِغْزَل.

وقال مجاهد: الفَلَك كحديدة الرَّحَى، أو[١] كفلكة المغزل، لا يدور المغزل إلا بها، ولا تدور إلا به.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

يقول تعالى: و[٢]دلالة لهم أيضًا على قدرته تعالى تسخيره[٣] البحر ليحمل السفن، فمن ذلك- بل أوله- سفينة نوح عليه السلام التي أنجاه الله فيها بمن معه من المؤمنين، الذين[٤] لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم، ولهذا قال: ﴿**وآية لهم أنا حملنا ذريتهم**﴾، أي: آباءهم، ﴿**في الفلك المشحون**﴾، أي: في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات، التي أمره الله أن يحمل فيها[٥] من كل زوجين اثنين.

قال ابن عباس: المشحون: المُوقَر.

وكذا قال سعيد بن جبير، والشعبي، وقتادة، والسدي.

و[٦]قال الضحاك، وقتادة، وابن زيد: وهي سفينة نوح عليه السلام.

وقوله: ﴿**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: يعني بذلك الإبل، فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبونها.

وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة في رواية، وعبد الله بن شَدّاد، وغيرهم.

وقال السدي في رواية: هي الأنعام.

وقال ابن جرير(٢٧): حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء، عن

---

(٢٧) - تفسير الطبري (٢٣/١٠).

---

[١] - في ز، خ: «و».

[٢] - سقط من: ز، خ.

[٣] - في ز، خ: «لتسخيره».

[٤] - في ز، خ: «الذي».

[٥] - سقط من: خ، ر.

[٦] - سقط من: ز، خ.

سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس؛ قال: تدرون ما ﴿**وخلقنا لهم [من مثله]**[١] **ما يركبون**﴾؟ [قلنا: لا][٢] . قال: السفن، جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها.

وكذا قال أبو مالك، والضحاك، وقتادة، وأبو صالح، والسدي أيضًا: ﴿**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**﴾، أي: السفن.

ويُقَوّي هذا المذهب في المعنى قوله تعالى: ﴿**إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية**﴾.

وقوله: ﴿**وإن نشأ نغرقهم**﴾، يعني الذين في السفن، ﴿**فلا صريخ لهم**﴾، أي: فلا مغيث لهم مما هم فيه، ﴿**ولاهم ينقذون**﴾، أي: مما أصابهم، ﴿**إلا رحمة منا**﴾. وهذا استثناء منقطع، تقديره: لكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر، ونُسَلّمكم إلى أجل مسمى، ولهذا قال: ﴿**ومتاعًا إلى حين**﴾، أي: إلى وقت معلوم عند الله.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى مخبرًا عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها، وما هم يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة: ﴿**وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم**﴾، قال مجاهد: من الذنوب. وقال غيره بالعكس ﴿**لعلكم ترحمون**﴾، أي: لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير الكلام: أنهم لا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله: ﴿**وما تأتيهم من آية من آيات ربهم**﴾، أي: على التوحيد وصدق الرسل ﴿**إلا كانوا عنها معرضين**﴾، أي: لا يتأملونها ولاينتفعون بها.

وقوله: ﴿**وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله**﴾، أي: وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين ﴿**قال الذين كفروا للذين آمنوا**﴾، أي: عن الذين آمنوا من الفقراء، أي: قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجّين لهم فيما أمروهم به: ﴿**أنطعم من لو يشاء الله أطعمه**﴾، أي: هؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، ﴿**إن أنتم إلا في ضلال مبين**﴾، أي: في

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.   [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

أمركم لنا بذلك .

قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون من قول الله للكفار حين ناظروا المسلمين وردوا عليهم، فقال لهم: ﴿**إن أنتم إلا في ضلال مبين**﴾ . وفي هذا نظر .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: ﴿**متى هذا الوعد**﴾؟ ﴿**يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها**﴾، قال الله تعالى: ﴿**ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون**﴾، أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه - والله أعلم - نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يُطوّلها ويَمُدّها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتًا، ورفع ليتًا وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم، ولهذا قال: ﴿**فلا يستطيعون توصية**﴾، أي: على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك، ﴿**ولا إلى أهلهم يرجعون**﴾ .

وقد وردت هاهنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر، ثم تكون بعد هذا نفخة الصعق، التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث .

وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

هذه هي النفخة الثالثة، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور، ولهذا قال: ﴿**فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون**﴾، والنَّسلان هو: المشي[1] السريع، كما قال

---

[١] - سقط من: خ، ز.

تعالى: ﴿**يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون**﴾.

﴿**قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**﴾؟ يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم ﴿**قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**﴾، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد.

وقال أبي بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومة قبل البعث.

قال قتادة: وذلك بين النفختين.

فلذلك يقولون: ﴿**من بعثنا من مرقدنا**﴾، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون - قاله غير واحد من السلف -: ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾.

وقال الحسن: إنما يجيبهم بذلك الملائكة.

ولا منافاة إذ الجمع ممكن، والله أعلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد: الجميع من قول الكفار: ﴿**يا ويلنا [من بعثنا من مرقدنا][1] هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾.

نقله ابن جرير، واختار الأول، وهو أصح، وذلك كقوله تعالى في الصافات: ﴿**وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون**﴾ وقال تعالى: ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون**﴾.

وقوله: ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون**﴾، كقوله: ﴿**فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة**﴾، وقال تعالى: ﴿**وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب**﴾. وقال: ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا**﴾.

أي: إنما يأمرهم[2] أمرًا واحدًا، فإذا الجميع محضرون، ﴿**فاليوم لا تظلم نفس شيئًا**﴾، أي: من عملها، ﴿**ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - في ت: «نأمرهم».

يخبر تعالى عن أهل الجنة، أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العَرَصات فنزلوا في رَوْضات الجنات، أنهم في شُغُل عن غيرهم، بما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم.

قال الحسن البصري، وإسماعيل بن أبي خالد: ﴿**في شغل**﴾ عما فيه أهل النار من العذاب.

وقال مجاهد: ﴿**في شغل فاكهون**﴾، أي: في نعيم معجبون، أي: به. وكذا قال قتادة.

وقال ابن عباس: ﴿**فاكهون**﴾، أي: فرحون.

وقال عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والأعمش، وسليمان التيمي، والأوزاعي في قوله: ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون**﴾، قالوا: شغلهم افتضاض[١] الأبكار.

وقال ابن عباس في رواية عنه: ﴿**في شغل فاكهون**﴾، أي: بسماع الأوتار.

وقال أبو حاتم: لعله غلط من المستمع، وإنما هو افتضاض[٢] الأبكار.

وقوله: ﴿**هم وأزواجهم**﴾ قال مجاهد: وحلائلهم ﴿**في ظلال**﴾، [أي: في ظلال][٣] الأشجار، ﴿**على الأرائك متكئون**﴾.

قال ابن عباس: ومجاهد، وعكرمة، ومحمد بن كعب، والحسن، وقتادة، والسدي، وخُصيف: ﴿**الأرائك**﴾، هي: السرر تحت الحجال(*).

قلت: نظيره في الدنيا هذه التخوت تحت البشاخين(**)، والله أعلم.

وقوله: ﴿**لهم فيها فاكهة**﴾، أي: من جميع أنواعها، ﴿**ولهم ما يدعون**﴾، أي: مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف أنواع الملاذ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، حدثنا محمد بن مهاجر، عن الضحاك المَعَافري، عن سليمان بن موسى، حدثني كُرَيب؛ أنه سمع أسامة بن زيد، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا هل مُشَمِّر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خَطَر(***) لها، هي ورب الكعبة نور كلها تتلألأ**[٤]، **وريحانة تهتز، وقصر**

(*) جمع حَجلة: وهي الستر يضرب للعروس داخل البيت.

(**) كذا ولم أجدها.

(***) أي لا عِوض لها ولا مِثلَ. والخطر - بالتحريك - في الأصل: الرهن وما يُخاطر عليه. ومثلُ =

[١] - في ز، خ: «اقتضاض».
[٢] - في ز، خ: «اقتضاض».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - في ت: «يتلألأ».

مَشيد، ونهر مُطَّرد(*) ، **وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد، في دار سلامة، وفاكهة خضرة وحَبْرَة**[١](**) **ونعمة، ومحلة عالية بَهِيَّة**». قالوا: نعم يا رسول الله؛ نحن المشمّرون لها. قال: قولوا: «**إن شاء الله**». قال القوم: إن شاء الله.

وكذا رواه ابن ماجة في «**كتاب الزهد**» من سننه(٢٨) ، من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن مُهَاجر به.

وقوله: ﴿**سلام قولًا من رب رحيم**﴾، قال ابن جريج: قال ابن عباس في قوله: ﴿**سلام قولًا من رب رحيم**﴾: فإن الله نفسه سلام على أهل الجنة.

وهذا الذي قاله ابن عباس كقوله تعالى: ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾.

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا في إسناده نظر؛ فإنه قال: حدثنا موسى بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العَبَّاداني، حدثنا الفضل الرّقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله: ﴿سلام قولًا من رب رحيم﴾، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى**[٢] **شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم**».

ورواه ابن ماجة في «كتاب السنة»(٢٩) من سننه، عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب به.

وقال ابن جرير(٣٠) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، حدثنا حَرمَلَةُ، عن

= الشيء وعِدْله. ولا يقال إلا في الشيء الذي له قَدْرٌ ومَزِيَّة.

(*) أي نهر جارٍ.

(**) الحبرة: النعمة وسعة العيش.

(٢٨) - سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب: صفة الجنة، حديث (٤٣٣٢) من طريق محمد بن مهاجر به، وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٥/٣): (هذا إسناد فيه مقال).

(٢٩) - سنن ابن ماجة في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية حديث (١٨٤)، وقال البوصيري (٨٦/٠١): هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي.

(٣٠) - تفسير الطبري (٢١/٢٣)، وقد أورده الطبري من طرق انظر التفسير (٢١/٢٣، ٢٢).

---

[١] - في ز: «وخبزة». [٢] - سقط من: خ، ز.

سليمان بن حُمَيد؛ قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدّث عن عمر بن عبد العزيز؛ قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار، أقبل في ظُلَل من الغمام والملائكة. قال: فيسلم[١] على أهل الجنة، فيردون عليه السلام. قال القرظي: وهذا في كتاب الله: ﴿**سلام قولًا من رب رحيم**﴾، فيقول: سلوني فيقولون: ماذا نسألك أي رب؟ قال: بلى سلوني. قالوا: نسألك أيْ رب؛ رضاك. قال: رضائي أحلكم دار كرامتي. قالوا: يا رب، فما الذي نسألك، فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك، لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم وأسقيناهم[٢] ولألبسناهم ولأخدمناهم، لا ينقصنا ذلك شيئًا. قال: إن لديّ مزيدًا. قال: فيفعل ذلك بهم في درجهم، حتى يستوي في مجلسه. قال: ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحملها[٣] إليهم الملائكة. ثم ذكر نحوه.

وهذا أثر غريب، أورده ابن جرير من طرق.

وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى مخبرًا عما يئول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا، بمعنى يتميزون عن المؤمنين في موقفهم. كقوله تعالى: ﴿**ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم**﴾. وقال تعالى: ﴿**ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**﴾، ﴿**يومئذ يصدعون**﴾، أي: يصيرون صدْعَين فرقتين، ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾: هذا تقريع من الله للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ ولهذا قال: ﴿**وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم**﴾، أي: قد أمرتكم في الدار[٤] الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به[٥]، ولهذا قال: ﴿**ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا**﴾، يقال. «**جِبلًا**» بكسر الجيم، وتشديد اللام. ويقال: «**جُبُلًا**» بضم الجيم والباء،

---

[١] - في ز، خ: «فسلم».
[٢] - في ت: «لأسقيناهم».
[٣] - في ز، خ: «تحمله».
[٤] - في ت: «دار».
[٥] - سقط من: خ، ز.

وتخفيف اللام. ومنهم من يسكن الباء. والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد، والسدي، وقتادة، وسفيان بن عيينة.

وقوله: ﴿**أفلم تكونوا تعقلون**﴾، أي: أفما[١] كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعُدُولكم إلى اتباع الشيطان.

قال ابن جرير(٣١): حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع[٢]، عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عُنق ساطع مظلم ثم**[٣]**، يقول: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾، ﴿امتازوا اليوم أيها المجرمون﴾**. فيتميز الناس ويجثون، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿**وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون**﴾.

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾

يقال للكفرة من[٤] بني آدم يوم القيامة، وقد برزت الجحيم لهم تقريعًا وتوبيخًا: ﴿**هذه جهنم التي كنتم توعدون**﴾، أي: هذه التي حذَّرتكم الرسل فكذبتموهم، ﴿**اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون**﴾، كما قال تعالى: ﴿**يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾، هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة، حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا،

---

(٣١) - تفسير الطبري (٢٣/٢٢).

---

[١] - في ز، خ: «أما».
[٢] - في خ: «نافع».
[٣] - سقط من: ت.
[٤] - في ز، خ: «يا».

ويحلفون ما فعلوه، فيختم الله على أفواههم، ويستنطق جوارحهم بما عملت.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا منْجاب بن الحارث التميمي، حدثنا أبو عامر الأسدي، حدثنا سفيان، عن عبيد المُكتِب، عن الفُضَيل بن عمرو، عن الشعبي، عن أنس بن مالك؛ قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**أتدرون مم أضحك؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: لا أجيز**[١] **علي إلا شاهدًا من نفسي. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا. فيختم على فيه، ويُقال**[٢] **لأركانه: انطقي. فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعدًا لكنَّ وسُحقًا، فعنكُنَّ كنتُ أناضل**».

وقد رواه مسلم والنسائي(٣٢)، كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر، عن أبي النضر، عن عُبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي، عن سفيان - هو الثوري - به. ثم قال النسائي: [لا أعلم أحدًا روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي، وهو حديث غريب، والله تعالى أعلم.

كذا قال: وقد تقدم من رواية أبي عامر عبد الملك بن عمرو الأسدي - وهو العَقَدي - عن سفيان.

وقال عبد الرزاق(٣٣): أخبرنا معمر، عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إنكم تُدْعَون مُفَدَّمة**(*) **أفواهكم بالفِدَام، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه**». رواه النسائي][٣] عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق به.

وقال سفيان بن عيينة(٣٤)، عن سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل، قال فيه: «**ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، آمنت بك وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت - ويثني**

(٣٢) - أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٩)، والنسائي في التفسير (٦٧٣).

(٣٣) - أخرجه النسائي في التفسير، بسنده إلى عبد الرزاق وأخرجه أحمد في مسنده (٣/٥) من طريق الجريري عن حكيم به.

(*) الفِدام: ما يُشَدُّ على فم الإبريق والكوز من خِرقَةٍ لتصفية الشراب الذي فيه، أي: يُمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم، فشبّه ذلك بالفدام.

(٣٤) - أخرجه الحميدي (١١٧٨)، ومسلم في الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٨)، وأبو داود - مختصرًا - في السنة، باب: في الرؤية، حديث (٤٧٣٠) بسندهما إلى سفيان به.

[١] - في ز، خ: «أجز».

[٢] - في ز، خ: «يقول».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

بخير ما استطاع- قال: فيقال له: ألا نبعث عليك شاهدنا؟ قال: فيفكر في نفسه، من الذي يشهد عليه، فيختَم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه. وذلك الذي سَخط اللّه عليه».

ورواه مسلم[١] وأبو داود، من حديث سفيان بن عيينة، به بطوله.

ثم قال ابن أبي حاتم رحمه اللّه: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا ضَمْضَم بن زُرْعَة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة بن عامر؛ أنه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ يقول: «**إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يُختم على الأفواه، فَخذُه من الرجل اليسرى**».

ورواه ابن جرير(٣٥) عن محمد بن عوف، عن عبد اللّه بن المبارك، عن إسماعيل بن عياش، به مثله.

وقد جَوَّد إسناده الإمام أحمد(٣٦) رحمه اللّه فقال[٢]: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش، عن ضَمْضَم بن زُرْعَةَ، عن شُرَيح بن عُبَيد الحَضْرمي، عمن حَدّثه عن عقبة بن عامر؛ أنه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ يقول: «**إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يُختَم على الأفواه، فَخِذه من الرجل الشمال**».

وقال ابن جرير(٣٧): حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، حدثنا يونس بن عُبَيد، عن حُمَيد بن هلال؛ قال: قال أبو بردة: قال أبو موسى، هو الأشعري، رضي اللّه عنه-: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فَيَعرضُ عليه رَبُّه عملَه فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أيْ ربِّ؛ عملتُ عملتُ عملت. قال: فيغفر اللّه له ذنوبه، ويستره منها. قال: فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو[٣] حسناته، فَوَدّ أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض ربه عليه عمله، فيجحده[٤] فيقول: أي رب؛ وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل. فيقول له الملك: أما عملت كذا، في يوم كذا، في مكان كذا؟ فيقول: لا، وعزتك أيْ رب؛ ما عملتُه. فإذا فعل ذلك خُتِم على فيه. قال أبوموسى الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى، ثم تلا: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾.

(٣٥) - تفسير الطبري (٢٣/٢٤).
(٣٦) - المسند (٤/١٥١).
(٣٧) - تفسير الطبري (٢٣/٢٤)، زاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٣) نسبته إلى ابن أبي حاتم.

[١] - سقط من: خ، ز.
[٢] - في ز، خ: «وقال».
[٣] - في ز، خ: «يبدو».
[٤] - في ت: «فيجحد».

وقوله: ﴿**ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون**﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في تفسيرها: يقول: ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى، فكيف يهتدون؟ وقال مرة: أعميناهم.

وقال الحسن البصري: لو شاء الله لطمس على أعينهم، فجعلهم عُميًا يترددون.

وقال السدي: لو شئنا أعمينا أبصارهم.

قال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والسدي: ﴿**فاستبقوا الصراط**﴾، يعني الطريق.

وقال ابن زيد: يعني بالصراط هاهنا الحق، ﴿**فأنى يبصرون**﴾، وقد طمسنا على أعينهم.

وقال العَوفي، عن ابن عباس: ﴿**فأنى يبصرون**﴾: لا يبصرون الحق.

وقوله: ﴿**ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم**﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: أهلكناهم.

وقال السدي: يعني لغيّرنا خَلْقهم.

وقال أبو صالح: لجعلناهم حجارة.

وقال الحسن البصري، وقتادة: لأقعدهم على[١] أرجلهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿**فما استطاعوا مضيًا**﴾، أي: إلى أمام، ﴿**ولا يرجعون**﴾، أي[٢]: إلى وراء، بل يلزمون حالًا واحدًا لايتقدمون ولا يتأخرون.

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

يخبر تعالى عن ابن[٣] آدم أنه كلما طال عمره رُدّ إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط، كما قال تعالى: ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير**﴾. وقال: ﴿**ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا**﴾.

---

[١] - في ز، خ: «عن».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «بني».

والمراد من هذا والله أعلم الإخبارُ عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار، ولهذا قال: ﴿أفلا يعقلون﴾، أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى الشَّبيبَة[١]، ثم إلى الشيخوخة، ليعلموا أنهم خُلقوا لدار أخرى، لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها، وهي الدار الآخرة.

وقوله: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾، يقول تعالى مخبرًا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنه ما علمه الشعر، ﴿وما ينبغي له﴾، أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جِبِلَّتُه، ولهذا وَرَد أنه عليه الصلاة والسلام كان[٢] لا يحفظ بيتًا على وزن منتظم، بل إن أنشده زَحَّفه أو لم يتمه.

وقال أبو زُرْعة الرازي: حُدِّثت عن إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، عن الشعبي أنه قال: ما ولد عبد المطلب ذكرًا ولا أنثى إلا يقول الشعر، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكره ابن عساكر في ترجمة «**عتبة بن أبي لهب**» الذي أكله السَّبُع بالزرقاء.

قال ابن أبي حاتم (٣٨): حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي [ابن زيد][٣]، عن الحسن هو البصري؛ قال[٤]: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت:

* كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيًا *

فقال[٥] أبو بكر: يا رسول الله:

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا *

قال أبو بكر، أو عمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله: ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾.

وهكذا روى البيهقي في «الدلائل»، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال للعباس ابن مرداس السلمي: «**أنت القائل**:

أتجعل نَهْبي ونَهْب العُبَيْـ ـد بينَ الأقرع وعيينة»

فقال: إنما هو: «بين عيينة والأقرع» فقال: «**الكل سواء**».

(٣٨) - زاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥/٥٠٥) إلى ابن سعد في الطبقات والمرزباني في معجم الشعراء.

[١] - في خ: «الشيبة».
[٢] - في ز، خ: «أنه».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «قال».

يعني في المعنى، صلوات اللّٰه وسلامه عليه.

وقد ذكر السهيلي في «الروض الأنف» لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه عليه السلام في هذا البيت مناسبة أغرب فيها، حاصلها شَرَفُ الأقرع بن حابس على عُيَيْنَةَ بن بَدْر الفَزَارِيّ، لأنه ارتد في أيام الصديق، بخلاف ذاك، واللّٰه أعلم.

وهكذا روى الأموي في «مغازيه»؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم، جعل يمشي بين القتلى يوم بدر، وهو يقول:

نُـفَـلِّـق هَـامًـا ....

فيقول الصديق رضي اللّٰه عنه متممًا للبيت:

.... مِـنْ رجَـال أعـزَّة عَلَيْنَا، وهُمْ كَانُوا أعَقّ وَأظلما

وهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له، وهي في «الحماسة».

وقال الإمام أحمد[٣٩]: حدثنا هشيم، حدثنا مغيرة، عن الشعبي، عن عائشة رضي اللّٰه عنها، قالت: كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم إذا استراب الخبر، تمثل فيه ببيت طَرَفَةَ.

* وَيَأتيكَ بالأخبار مَنْ لَمْ تُزَوِّد *

وهكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» من طريق إبراهيم بن مهاجر، عن الشعبي عنها ورواه الترمذي والنسائي أيضًا[٤٠] من حديث المقدام بن شريح بن هانئ، عن أبيه، عن عائشة رضي اللّٰه عنها، كذلك. ثم قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال الحافظ أبو بكر البزار[٤١]: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة، عن زائدة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يتمثل من الأشعار:

* وَيَأتيكَ بالأخْبَار من لَمْ تُزَوِّد *

ثم قال: رواه غير زائدة، عن سماك، عن عكرمة عن عائشة.

---

(٣٩) - المسند (٦/٣١، ١٣٦)، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٥)، (٩٩٦) من طريق الشعبي به.

(٤٠) - الترمذي في الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر حديث (٢٨٤٨)، وفي الشمائل المحمدية (٢٤١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٧) من طريق شريك، عن المقدام به. والحديث عند أحمد في المسند (٦/١٣٨، ١٥٦، ٢٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٨٦٧) من نفس الطريق.

(٤١) - وأخرجه عبد بن حميد (٦١٤- منتخب)، والطبراني في الكبير (١١٧٦٢) من طريق أبي أسامة عن زائدة به.

وهذا في شعر طرفة بن العبد، في معلقته المشهورة، وهذا المذكور منها، أوله:

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بالأخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
وَيَأْتِيكَ بالأخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لهُ بَتَاتًا[١]، ولم تَضْرِبْ له وَقْتَ مَوْعِدِ

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم - وكيل المتقي ببغداد - حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضرير، حدثنا علي بن عمرو الأنصاري، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط، إلا بيتًا واحدًا:

تَفَاءلْ[٢] بما تَهْوَى يَكُنْ[٣]، فَلَقَلَّمَا يُقَالُ لشَيءٍ كَانَ إلّا تَحَقَّقَا

سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزّي عن هذا الحديث؛ فقال: هو منكر. ولم يعرف شيخ الحاكم، ولا الضرير.

وقال سعيد بن أبي[٤] عَرُوبة عن قتادة: قيل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي[٥] بني قيس، فيجعل أوله آخره، وآخره أوله. فقال أبو بكر: ليس هكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني والله ما أنا بشاعر ولاينبغي لي**».

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(٤٣)، وهذا لفظه.

وقال معمر[٦] عن قتادة: بلغني أن[٧] عائشة سُئلت: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ فقالت: لا، إلا بيت طَرَفَةَ:

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بالأخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فجعل يقول: «**من لم تُزَوِّد بالأخبار**». فقال أبو بكر: ليس هذا هكذا. فقال: «**إني لست**

---

(٤٢) - سنن البيهقي (٤٣/٧).

(٤٣) - تفسير الطبري (٢٧/٢٣)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٥) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

---

[١] - في خ: «ثيابا».
[٢] - في خ، ز: «تنال».
[٣] - في خ: «لمن».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - في خ: «عمر».
[٧] - في ز، خ: «عن».

بشاعر، ولا ينبغي لي»[٤٤] .

وثبت في الصحيحين[٤٥] أنه عليه الصلاة والسلام تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد اللَّه بن رواحة، ولكن تبعًا لقول أصحابه، فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون، فيقولون :

[لا هُمّ][١] لوْلَا أنتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّينَا
فأنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّت الأقْدَام إنْ لاقينا
إنّ الأولى قَدْ بَغَوا عَلَينَا إذا أرَادُوا فِتْنَةً أبَينَا

ويرفع صوته بقوله : «أبينا» ويمدها .

وقد روى هذا بزحاف في الصحيح أيضًا[٤٦] . وكذلك ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب البغلة، يُقدم بها في نحور العدو :

أنا النبيّ لا كَذِب أنا ابنُ عَبْد المُطَّلب

لكن قالوا : هذا وقع اتفاقًا من غير قصد لوزن شعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه .

وكذلك ما ثبت في الصحيحين[٤٧] عن جُندب بن عبد اللَّه؛ قال : كنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في غار فَنَكِبت أُصبعه، فقال :

هَلْ أنْتِ إلا إصْبع دَميت وفي سَبيل اللَّه مَا لَقيتِ

وسيأتي عند قوله تعالى : ﴿إلا [اللمم﴾ إنشاد][٢] :

إنْ تَغْفر اللَّهُمّ تَغْفر جَمًّا وَأيُّ عَبْد لكَ مَا ألَمَّا

وكل هذا لا ينافي كونه صلى اللَّه عليه وسلم ما عُلّم شعرًا ولا ينبغي له، فإن اللَّه تعالى إنما علمه القرآن العظيم، **﴿الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم**

---

(٤٤) - انظر السابق .

(٤٥) - صحيح البخاري في المغازي، باب : غزوة الخندق، وهي الأحزاب، حديث (٤١٠٤)، ومسلم في الجهاد والسير، حديث (١٨٠٣) من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب .

(٤٦) - أخرجه البخاري في الجهاد، باب : من قاد دابة غيره في الحرب حديث (٢٨٦٤)، وأطرافه في (٢٨٧٤،٢٩٣٠،٣٠٤٢،٤٣١٥،٤٣١٦،٤٣١٧) من حديث البراء بن عازب .

(٤٧) - أخرجه البخاري في الجهاد باب : من يُنكب في سبيل الله ....، حديث (٢٨٠٢)، وطرفه في (٦١٤٦) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، حديث (١٧٩٦) .

---

[١] - في البخاري : والله .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ، ز .

حميد﴾، وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش، ولا كهانة، ولا مفتعل، ولا سحر يُؤثر، كما تنوعت فيه أقوال الضُّلَّال وآراء الجُهَّال. وقد كانت سجيته صلى اللَّه عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعًا وشرعًا[١]، كما رواه أبو داود؛ قال(٤٨) :

حدثنا [عبيد اللَّه بن عُمَر[٢]، حدثنا عبد اللَّه بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثنا شرحبيل بن يزيد المُعَافري، عن [عبد الرحمن][٣] بن رافع التَّنُوخي؛ قال[٤]: سمعت عبد اللَّه ابن عمرو؛ يقول: [سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ يقول[٥]: « **ما أبالي ما أتيت[٦] إن أنا شَربت تزياقا، أو تعلقت تميمة، أو قلت الشعر من قبل نفسي** ». تفرد به أبو داود.

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه(٤٩) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن الأسود بن[٧] شيبان، عن أبي نوفل؛ قال: سألت عائشة: أكان[٨] رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يتسامع[٩] عنده الشعر؟ فقالت: كان أبغض الحديث إليه. وقال عن عائشة: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء، ويدع ما بين ذلك.

و[١٠]قال أبو داود(٥٠) : حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم: « **لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا** ».

تفرد به من هذا الوجه، وإسناده على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال الإمام أحمد(٥١) : حدثنا يزيد، حدثنا قَزَعَةُ بن سُوَيد الباهلي، عن عاصم بن مخلد،

---

(٤٨) - سنن أبي داود، كتاب الطب، باب: في الترياق، حديث (٣٨٦٩) وأخرجه أحمد (٢/ ١٦٧،٢٢٣) من طريق شرحبيل به.

(٤٩) - المسند (٦/١٤٨،١٨٨)، وأخرجه أبو داود في الصلاة، باب: الدعاء، حديث (١٤٨٢) من طريق يزيد بن هارون عن الأسود به دون أوله.

(٥٠) - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: ما جاء في الشعر، حديث (٥٠٠٩)، والحديث أخرجه أحمد (٢/٤٨٠) من طريق شعبة به. وأخرجه البخاري في الأدب، باب: ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حديث (٦١٥٥)، ومسلم في كتاب الشعر، حديث (٢٢٥٧) من طريق الأعمش به.

(٥١) - المسند (٤/١٢٥).

---

[١] - في ز، خ: « شعرًا ».
[٢] - في ز، خ: « عبد بن عمرو ».
[٣] - في ز، خ: عبد الله.
[٤] - سقط من: خ، ز.
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.
[٦] - في ز، خ: أوتيت.
[٧] - بعده في خ: « أبي ».
[٨] - في ز، خ: كان.
[٩] - في ت: « بسائغ ».
[١٠] - سقط من: ز، خ.

عن أبي الأشعث الصنعاني، (ح) وحدثنا الأشيب فقال: عن أبي عاصم، عن أبي[١] الأشعث، عن شَداد بن أوس؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة، لم تقبل له صلاة تلك الليلة**».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

والمراد بذلك نظمه لا إنشاده، والله أعلم. على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رَوَاحة، وأمثالهم وأضرابهم، رضي الله عنهم أجمعين. ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «**آمن شعره وكفر قلبه**». وقد أنشد بعض الصحابة منه للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت، يقول عقب كل بيت: «**هيه**»؛ يعني يستطعمه[٢] (*)، فيزيده[٣] من ذلك.

وقد روى أبو داود(٥٢) من حديث أبي بن كعب، وبُريدة بن الحُصَيب، وعبد الله بن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إن من البيان سحرًا، وإن من الشعر حكمًا**».

ولهذا قال تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾، ويعني[٤]: محمدًا صلى الله عليه وسلم ما علمه الله شعرًا، ﴿**وما ينبغي له**﴾، أي[٥]: وما يصلح له، ﴿**إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**﴾، [أي: ما هذا الذي علمناه ﴿**إلا ذكر وقرآن مبين**﴾،][٦] أي: بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره؛ ولهذا قال: ﴿**لينذر من كان حيا**﴾، أي: لينذر هذا القرآن البيّن كلّ حي على وجه الأرض، كقوله: ﴿**لأنذركم به ومن بلغ**﴾، وقال: ﴿**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**﴾. وإنما ينتفع بنذارته من هو حَيّ القلب، مستنير البصيرة، كما قال قتادة: حي القلب، حي البصر. وقال الضحاك: يعني عاقلًا، ﴿**ويحق القول على الكافرين**﴾، أي: هو[٧] رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر.

(*) استطعم فلانًا الحديث: طلب منه أن يحدثه.

(٥٢) - حديث أبي بن كعب أخرجه أبوداود في الأدب باب: ما جاء في الشعر، حديث (٥٠١٠)، وهو عند البخاري في صحيحه في الأدب، باب: ما يجوز في الشعر، حديث (٦١٤٥) بلفظ: «إن من الشعر حكمة» وحديث بريدة أخرجه أبو داود في نفس الموضع حديث (٥٠١٢) وحديث ابن عباس أخرجه أبوداود في نفس الموضع حديث (٥٠١١) وهو عند البخاري في الأدب المفرد (٨٧٢)، والترمذي في السنن (٢٨٤٥).

---

[١] - سقط من: خ، ز.

[٢] - في خ، ز: «يستعظمه».

[٣] - في ت: «فيزيد».

[٤] - في ت: ويعني.

[٥] - سقط من: ز، خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٧] - سقط من: خ، ز.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه[١] الأنعام التي سخرها لهم، ﴿**فهم لها مالكون**﴾، قال قتادة: مطيقون؛ أي: جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطارُ مائة بعير أو أكثر، لسار الجميع بسير صغير.

وقوله: ﴿**فمنها ركوبهم ومنها يأكلون**﴾، أي: منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، إلى سائر الجهات والأقطار. ومنها ما[٢] يأكلون إذا شاءوا نحروا واجتزروا، ﴿**ولهم فيها منافع**﴾، أي: من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين، ﴿**ومشارب**﴾، أي: من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى، ونحو ذلك، ﴿**أفلا يشكرون**﴾، أي: أفلا يُوَحِّدُون خالق ذلك ومسخره، ولا يشركون به غيره؟

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم، وتقربهم إلى الله زلفى. قال الله تعالى: ﴿**لا يستطيعون نصرهم**﴾، أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر[٣]، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

وقوله: ﴿**وهم لهم جند محضرون**﴾ قال مجاهد: يعني عند الحساب يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة، محضرة عند حساب عابديها، ليكون ذلك أبلغ في خزيهم، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم.

---

[١] - سقط من: خ، ز.
[٢] - سقط من: ت.
[٣] - في خ: «وأزجر».

وقال قتادة: ﴿**لا يستطيعون نصرهم**﴾، يعني الآلهة، ﴿**وهم لهم جند محضرون**﴾، والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرًا، ولا تدفع عنهم سوءًا، وإنما هي أصنام.

وهكذا قال الحسن البصري. وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

وقوله: ﴿**فلا يحزنك قولهم**﴾، أي: تكذيبهم لك وكفرهم بالله، ﴿**إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون**﴾، أي: نحن نعلم جميع ما هم عليه، وسنجزيهم وصْفَهم ونعاملهم على ذلك، يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلًا ولا حقيرًا، ولا صغيرًا ولا كبيرًا، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديمًا وحديثًا.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)﴾

قال مجاهد، وعكرمة وعروة بن الزبير، والسدي، وقتادة: جاء أبي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يُفَتِّتُه ويُذَرِّيه في الهواء، وهو يقول: يا محمد؛ أتزعم أن الله يبعث هذا؟! فقال: «**نعم؛ يميتك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار**». ونزلت هذه الآيات من آخر «**يس**»: ﴿**أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة**﴾ إلى آخرهن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا عثمان بن سعيد الزيات، عن هشيم، عن أبي بشر عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس؛ أن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيي الله تعالى هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم**[١]، **يميتك الله**[٢] **ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم**». قال: ونزلت الآيات من آخر «**يس**».

ورواه ابن جرير(٥٣) عن يعقوب بن إبراهيم، عن هُشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن

(٥٣) - تفسير الطبري (٢٣/٣٠)، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٢٩/٢) من طريق هشيم بل مثل رواية ابن أبي حاتم. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس، وعزاه إلى ابن جرير =

[١] - سقط من: خ، ز. [٢] - سقط من: ز، خ.

جبير، فذكره ولم يذكر «**ابن عباس**».

وروى(٥٤) من طريق العوفي، عن ابن عباس؛ أنه[١] قال: جاء عبد الله بن أبي بعظم ففته.. وذكر نحو ما تقدم.

وهذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي ابن سلول، إنما كان بالمدينة. وعلى كل تقدير، سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، أو في العاص، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله: ﴿**أو لم ير الإنسان**﴾ للجنس، يعم كل[٢] منكر للبعث.

﴿**أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين**﴾، أي: أو لم يستدل من أنكر البعث بالبداء[٣] على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: ﴿**ألم نخلقكم من ماء مهين* فجعلناه [ ][٤] في قرار مكين* إلى قدر معلوم**﴾. وقال: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه**﴾، أي: من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته، كما قال الإمام أحمد في مسنده(٥٥):

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا حَريز[٥]، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة، عن جبير بن نفير، عن بسر بن جحاش؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَصَق يومًا في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: «**قال الله تعالى: ابن[٦] آدم، أنَّى تُعجِزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سَوَّيتك وعَدَلتك، مشيت بين بُردَيك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بَلَغَت التراقي قلت: أتصدق. وأنى أوان الصدقة؟**»

ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، عن حَريز[٧] بن عثمان به.

= وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث، والضياء في المختارة.

(٥٤) - تفسير الطبري (٣١/٢٣)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) نسبته إلى ابن المنذر.

(٥٥) - المسند (٢١٠/٤)، وأخرجه ابن ماجه (٩٠٣/٢) حديث (٢٧٠٧) في كتاب الوصايا، باب: النهي عن الإمساك في الحياة والتبارير عند الموت بلفظ: «**يا ابن آدم...**». وقال في الزوائد: إسناده صحيح. ورواه الطبراني في الكبير (٣٢/٢) حديث (١١٩٣)، (١١٩٤). وحسنه الشيخ الألباني في =

[١] - سقط من: ت.

[٢] - في ز، خ: «لكل».

[٣] - في ت: «بالبدء».

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «نطفة».

[٥] - في ز، خ: «جرير».

[٦] - في ز، خ: «يا بني».

[٧] - في ز، خ: «جرير».

ولهذا قال: ﴿**وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم**﴾؟ أي: استبعد إعادة اللَّه تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض- للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأن اللَّه خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾، أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت؟

قال الإمام أحمد(٥٦): حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن[١] رِبْعيّ؛ قال: قال عقبة بن عمرو لحذيفة: ألا تحدثُنا ما سمعتَ من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؟ فقال: سمعته يقول: «**إن رجلًا حضره الموت، فلما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا متّ فاجمعوا لي حَطَبًا كثيرًا جَزْلًا، ثم أوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت[٢] لحمي وخَلصت إلى عظمي فامتُحشْتُ فخذوها فَأَذْرُوها[٣] في اليم، ففعلوا، فجمعه اللَّه إليه فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر اللَّه له**». فقال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته يقول ذلك. وكان نَبّاشًا[٤].

وقد أخرجاه في الصحيحين، من حديث عبد الملك بن عمير، بألفاظ كثيرة، منها: «**أنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه، ثم يُذَرُّوا نصفه في البر ونصفه في البحر، في يوم رائح، أي: كثير الهواء- ففعلوا ذلك، فأمر اللَّه البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: كن. فإذا هو رجل قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: مخافتك وأنت أعلم. فما تلافاه أن غفر له**».

وقوله: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون**﴾، أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا نَضرًا ذا ثمر ويَنْع، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا، توقد[٥] به النار، كذلك [هو فعال][٦] لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء.

قال قتادة في قوله: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون**﴾، يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه.

= السلسلة الصحيحة (١٠٩٩) وصحيح ابن ماجه (٢/١١١) حديث (٢١٨٨).

(٥٦) - المسند (٥/٣٩٥)، وأخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل حديث (٣٤٥٢) وأطرافه في (٣٤٧٩، ٦٤٨٠).

---

[١] - سقط من: خ.
[٢] - سقط من: ت، خ.
[٣] - في ت: «فذروها».
[٤] - في ز، خ: «ماشيا».
[٥] - في ز، خ: «يوقد».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وقيل: المراد بذلك [سَرْح المرخ][١] والعَفَار، ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قَدْح [نار][٢] وليس معه زناد، فيأخذ منه عودين أخضرين، ويقدح[٣] أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما، كالزناد سواء. روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. [وفي المثل][٤] : «**لكل شجر نار، واستمجد المَرْخُ والعَفَار**». وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا الغاب.

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى منبهًا على قدرته العظيمة في خلقه[٥] السماوات السبع، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين[٦] السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، ومرشدًا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، كقوله تعالى: ﴿**لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس**﴾. وقال هاهنا: ﴿**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم**﴾؟، أي: مثل البشر، فيعيدهم كما بدأهم. قاله ابن جرير.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿**أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير**﴾. وقال: هاهنا ﴿**بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون**﴾، أي: إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا، لا يحتاج إلى تكرار:

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ[٧] أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لهُ «كُنْ» قَوْلَةً[٨] فَيَكُونُ

وقال الإمام أحمد(٥٧) : حدثنا ابن نمير، حدثنا موسى بن المسيب، عن شهر، عن عبد الرحمن ابن غنم، عن أبي ذر رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إن**

(٥٧) - المسند (١٧٧/٥)، وأخرجه في (١٥٤/٥) والترمذي في صفة القيامة، حديث (٢٤٩٥)، وابن ماجة في الزهد، باب: ذكر التوبة، حديث (٤٢٥٧) من طريق شهر بن حوشب به.

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «شرح المرح».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت. [٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «قال الراجز». [٥] - في ت: «خلق».
[٦] - في ز، خ: «الأرض». [٧] - سقط من: خ.
[٨] - سقط من: خ.

الله يقول: يا عبادي، كلكم مذنب إلا من عافيت، فاستغفروني أغفر لكم. وكلكم فقير إلا من أغنيت، إني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئًا فإنما أقول له كن فيكون».

وقوله: ﴿**فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه ترجعون**﴾. أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء الحي القيوم، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض[١]، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه ترجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المنعم المتفضل.

ومعنى قوله: ﴿**فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء**﴾ كقوله [عز وجل: ﴿**قل من بيده ملكوت كل شيء**﴾، وكقوله تعالى][٢]: ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾، فالملك والملكوت واحد في المعنى، كرحمة ورَحَمُوت، [ورَهْبة ورهبوت][٣]، وجَبْر وجَبرُوت. ومن الناس من زعم أن المُلْك هو عالم الأجسام[٤]، والملكوت هو عالم الأرواح، والأول هو الصحيح، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

قال الإمام أحمد(٥٨): حدثنا سُرَيج[٥] بن النعمان، حدثنا حماد، عن عبد الملك بن عمير، حدثني ابن عم لحذيفة، عن حذيفة، و[٦]هو ابن اليمان، رضي الله عنه؛ قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقرأ السبع الطُّوَل في سبع ركعات، وكان إذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده. ثم قال: «**الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة**» وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فأنصرف وقد كادت تنكسر رجلاي.

وقد روى أبو داود، والترمذي في الشمائل، والنسائي، من حديث شعبة، عن عمرو بن مُرّة، عن أبي حَمْزة - مولى الأنصار - عن رجل من بني عَبْس[٧]، عن حذيفة؛ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل، وكان يقول: «**الله أكبر ثلاثًا ذو[٨] الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة**». ثم استفتح فقرأ البقرة، ثم ركع [فكان][٩] ركوعه نحوًا من قيامه، وكان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**». ثم رفع رأسه من الركوع، فكان قيامه

(٥٨) - المسند (٥/٣٨٨)، وأخرجه في المسند (٥/٣٩٦) من طريق بهز عن حماد به.

[١] - سقط من: خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «هبة وهبوت».

[٤] - في ت: «الأجساد».

[٥] - في ز، خ: «شريح».

[٦] - سقط من: ز، خ.

[٧] - في ز، خ: «عيش».

[٨] - في ز، خ: «ذي».

[٩] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «وكان».

نحوًا من ركوعه[١] ، [يقول : « **لربي الحمد** » ثم سجد ، فكان سجوده نحوًا من قيامه][٢]، وكان يقول في سجوده : « **سبحان ربي الأعلى** » . ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوًا من سجوده ، وكان يقول : « **رب اغفر لي ، رب اغفر لي** » . فصلى [أربع ركعات ، فقرأ][٣] فيهن البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة - أو الأنعام شك شعبة . هذا لفظ أبي داود (٥٩) .

وقال النسائي : أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد ، وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة . كذا قال ، والأشبه أن يكون ابن عم حذيفة ، كما تقدم في رواية الإمام أحمد ، فأما رواية صلة بن زفر ، عن حذيفة ، فإنها في صحيح مسلم (٦٠) ، ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة .

وقال أبو داود (٦١) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عمرو بن قيس ، عن عاصم بن حُمَيد ، عن عوف بن مالك الأشجعي ؛ قال : قمتُ مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ليلة[٤] فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوّذ ، قال : ثم ركع بقدر قيامه ، يقول في ركوعه : « **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة** » . ثم[٥] سجد بقدر قيامه ، ثم قال في سجوده مثل ذلك ، ثم قام فقرأ بآل عمران ، ثم قرأ سورة سورة .

ورواه الترمذي في الشمائل ، والنسائي ، من حديث معاوية بن صالح به .

آخر تفسير سورة يس



(٥٩) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٧٤) ، وأخرجه الترمذي في الشمائل (٢٧٥) والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب : ما يقول في قيامه وذلك (٢/١٩٩،٢٠٠) من طريق شعبة به .

(٦٠) - صحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٧٧٢) .

(٦١) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٧٣) ، وأخرجه الترمذي في الشمائل (٣١٣) ، والنسائي في الافتتاح ، باب : نوع آخر من الذكر في الركوع (٢/١٩١) ، وفي نوع آخر [من الدعاء في السجود] (٢/٢٢٣) من طريق معاوية بن صالح به .

[١] - في خ ، ز : « قيامه » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « و » .

الفهرست